المجتمع الاسلامى . . دعائمه وآدابه
فى ضوء القرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمد نجيب احمد أبو عجوة

الناشر

مكتبة مدبولى

٢٠٠٠

المجتمع الاسلامى . . دعائمة وآدابه
فى ضوء القرآن الكريم

الكتاب : المجتمع الاسلامى . . دعائمة وآدابه
فى ضوء القرآن الكريم

الكاتب : الدكتور محمد نجيب احمد مصطفى أبو عجوة
كلية أصول الدين ـ جامعة أم درمان الاسلامية

الطبعة : الأولى نوفمبر ١٩٩٩

الناشر : مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ ـ فاكس ٥٧٥٢٨٥٤

جميع حقوق الطبع محفوظة

MADBOULI BOOKSHOP مكتبة مدبولى

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421 ٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت: ٥٧٥٦٤٢١

الأهداء

إلى روح والدى الذى طال انتظاره . ولكن قدر الله. فرحل قبل أن يرى ثمرة جهده وجهاده. إليه برا به واعترافا بفضله وترحما عليه.

إلى والدتى التى كانت خير مربية لأبنائها. إليها اعترافا بفضلها وإكراما لسعيها فأطال الله فى عمرها.

إلى زوجتى الفاضلة التى عاشت معى متاعب ومشاق هذا البحث إلى أبنائى الأعزاء سائلا الله لهم أن يسيروا على هذا الدرب درب القرآن الكريم.

إلى أخَوَىَّ الشيخ مصطفى وناصر حفظهما الله عرفانا بفضلهما وجميلهما.

إلى شهداء مذبحة الحرم الإبراهيمى. وإلى ابن عمى الشهيد «عونى» الذى استشهد على إثرهم تغمده الله وإياهم بواسع رحمته وأسكنهم فسيح جناته.

إلى سالكى درب العلم ...

إليهم جميعا أقدم هذا الكتاب

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلاهادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده رسوله ، بعثه الله بالحق والهدي والرشاد ، فبلغ الرسالة ، وأدي الأمانة ، وترك أمته علي المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك أما بعد :-

إن القرآن العظيم هو كتاب الله المبين ، الذى أنزله علي رسوله محمد الهادى الأمين ، هدي وموعظة للمتقين ، وهو مصدر الإسلام الأول : عقيدة وشريعة و أخلاقاً وآداباً ، حدد الله فيه للعالمين معالم الهدي والحق ، وأصول العدل ومنهج الحياة ، وبين لهم فيه ضوابط السلوك وقواعد الهداية والتشريع : « **يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** » .[1]

والقرآن الكريم هو آية النبى العظمي ، ومعجزته الكبري الباقية ، أبد الدهر، وحجته القاطعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهو دستور الإسلام الجامع ، الذى فصل الله فيه الحقوق والواجبات ونظم العلاقات والمعاملات ، وشرع الحدود والأحكام فى أياته الكريمة : « **... وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » ، [2] ، ولذلك يجب أن يستمد من معين هذا الكتاب المبين نظام الحياة ، فلا يصح الإعتقاد ، ولا تطهر الأخلاق ، ولا يتحقق العدل والمساواة ولا

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٦ .

(٢) سورة فصلت: الايتان ٤١ - ٤٢ .

الحرية ولا التكافل ، ولا يسعد الفرد والمجتمع إلا إذا بني ذلك كله علي أساس هَدْي القرآن : « **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً** » .[1]

أسباب إختيار الموضوع وأهدافه

هنالك أسباب ودوافع جعلتنى أختار هذا الموضوع :

١ – إهتمام الإسلام بتسيير نظام المجتمع بدءاً بالفرد ثم الأسرة ، إذ هما الأساس فى تكوينه .

ومن هذا المنطلق أردت أن أبين الدعائم والآداب التى هى الأساس فى بناء المجتمع المسلم ، وذلك من خلال دراسة متأنية لما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة عن أسس هذا المجتمع وآدابه .

٢ – إن الإسلام قد أقام مجتمعه علي أسس ودعائم تدعم بنيانه وتشد أركانه ، وتقاوم كل إعتداء ، وتتحدي كل عقبات مهما كانت قوية وعنيفة ، وهذا هو السر فى بقاء الإسلام قوياً بذاته ، وإن تخلي عنه المنهزمين ، فقد مضي أربعة عشر قرناً ولا يزال جديداً ـ يحمل للناس كل مايحتاجون إليه فى معاشهم ومعادهم .

٣ – إذا كانت قواعد ودعائم المجتمع غريبة فى بنيانها، مأخذوة تارة من الشرق وتارة من الغرب مان المجتمع متبعاً ومتصفاً بهذه الصفات فهو إما شرقى أو غربى ، وهكذا تيأثر كل مجتمع بما يقام عليه من قواعد ودعائم التى يؤسس عليها بنيانها ومصادر تكوينية ، لهذا كانت من الأمور أن تكون دعائم المجتمع الإسلامى إسلامية خالصة ، مصدرها كتاب الله وسنة نبيه .

٤ – إن مانراه اليوم من واقع مرير وحالة سيئة لحقت بالأمة الإسلامية ومجتمعاتها بما أصابتها من ضعف ووهن وتفكك وإنحلال ، بدءاً بالفرد والأسرة ووصولاً إلي المجتمع الذى أصابه الشقاق والخلاف وتكالب عليه الأعداء من كل حدب ، وتداعوا عليه رغم إختلافهم وعدائهم كما تتداعي الأكلة علي قصعتها .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩ .

٥ – كذلك فالمتأمل فى واقع أنظمة الحكم اليوم فى الغالب من الدول الإسلامية ويلاحظ إنحرافها وبعدها عن منهج الله عز وجل والحكم بغير ماأنزله .

٦ – إنحدار هذه المجتمعات لبعدها عن الآداب العامة ، التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وعدم الإهتمام ببناء الفرد والأسرة بناءً سليماً ، يرتكز علي ماجاء من الأسس والمرتكزات الصحيحة والسلوك الحميد ، التى لها الأثر الهام فى بناء العلاقات بين الأفراد مع بعضهم فى المجتمع .

٧ – إرتكاز المجتمع علي الدعائم السوية والآداب الصحيحة فى بناءه مما يجعله قوياً متماسكاً ، وبالتالى يكون الفرد فى هذا المجتمع متفهماً للإعتقاد والتفكير الصحيحين .

٨ – بيان أهمية الأخلاق فى القرآن ، والتى منها آداب الفرد مع نفسه ومع غيره من سائر أفراد المجتمع ، فالأخلاق هى الشطر الثانى من الدين الإسلامى ، لأنها تطبيق عملى لما يعتقده ويتعبد به الإنسان ، نري القرآن الكريم فى غالب آياته بحث علي العظات والعبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلي العلاقات بين الإنسان وربه ، والإنسان وأخيه ، فهذه الآداب والدعائم تغرس فى النفوس الإطمئنان والسعادة ، وروح المحبة والإخاء ، فيصبح المجتمع نضيفاً خالياً من الشوائب الهدامة ، وتصلح القوم وتنشلهم من حضيض الإنحطاط إلي أوج السمو ، فصلاح الفرد من صلاح المجموع كله .

٩ – الإسلام دين اجتماعى يراعى حاجة الإنسانية ومصالحها الحيوية ، فى حدود الحق والفضيلة ، وهو الذى يستطيع بتعاليمه السمحة أن يقيم المجتمع علي أسس قويمة وأخلاقية عليا ، مجتمع يقيمه القرآن تلبية لمطالب الروح والجسد باعتدال ، ويكون حقيقة الإنسان المهذب المؤمن الكامل ، ومافى المجتمع الإسلامى من جزئيات وكليات كفيل بقيام مجتمع إنسانى تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والتكافل والإخلاص ، مجتمع أقيم علي أرض الواقع متمثلاً فى مجتمع المدينة المنورة فى عهد النبى وخلافته من بعده ، ليست مجتمع خيالى كما تحدث عنه الفلاسفة .

١٠ – وللإجابة علي السؤال الذى يطرح نفسه فى غمار النكسات تلو النكسات التى

تتلقاها الأمة الإسلامية فى ظل غياب الحكم الإسلامى والتشتت والتشرذم والإنحدار الذى أصاب جسم هذه الأمة ، التى شرفها الله بالقرآن وجعل الخيرية فيها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فى ظل هذه المعطيات هل المجتمع الإسلامى موجود؟ وهل قام وحقق مبادئه التى أعلنها القرآن ؟ وهل استمد عافيته بعد عهد الرسول ، الذى يعتبر العصر الذهبى للمجتمع الإسلامى ؟ أم أن هذا المجتمع انحرف وسادته الجهالات المتعددة ، وخاصة فى نظام الحكم والأخلاق مما ابتعد به فى بعض الأحيان عن حدود الإسلام ، ومما يجعل بعض الناس يقولون إن التطبيق الواقعى للمجتمع الإسلامى ، لم يستمر إلا بضع عشرات من السنين ، ويتخذون لذلك الأمثلة من الإستبداد الذى حدث من بعض خلفاء بنى أمية ، ومن فوضي الأخلاق وشيوع الفسق والفساد فى العصر العباسى وخاصة فى أواخره ،ومن كثير من الدول الظالمة التى سجلتها كتب التاريخ ، وحتي فى هذا الزمان إذا عرضت للبعض كلمة المجتمع الإسلامى ينتقل إلي أذهانهم الصور المختلطة من الأوزار التاريخية ومظالم الحكم ، والمال وفوضي الإدارة فى السابق واللاحق، ومايعتريه اليوم من فساد فى الحكم وتشرذم للأمة من حكامها وغيرهم .

وللإجابة علي هذه الأسئلة نقول أن سوء التطبيق أو الإعراض عن المبادئ السامية لبناء المجتمع الإسلامى لا يكون عيباً بتلك المبادئ ، فلقد قام المجتمع الإسلامى حقيقة واقعة ، وحقق مثاليته فى فترة لا تزال مرجعاً للإنسانية ومشعلاً تهتدى به .

والحق إن مايثار حول تاريخ المجتمع الإسلامى وقيامه وحياته ، إنما هو مغالطة ، فلابد من التفريق بين المجتمع وبين الدولة فى تاريخ الإسلام ، فإذا كان الظلم والإستبداد والفساد قد عرف طريقه إلي الحكم فى أزمنة طويلة فى تاريخ الإسلام ، فإن ذلك لا يعنى سقوط المجتمع الإسلامى .

فالمجتمع هو هذه الأمة التى إلتفت حول دينها فى أحرج الأوقات ، وهى التى أقامت هذا الدين وأصرت علي تطبيقه حتي عندما انحرف الحكام وأهملت الدولة تطبيق شريعة الإسلام كما حالنا هذا اليوم فى الغالب من الدول الإسلامية .

ولايزال المجتمع الإسلامى حراً لا يذل إلا لله قائماً فى كل بيئة إسلامية صحت

فيها العقيدة ، وطبق مبدأ المساواةوالعدل والتكافل ، وألتزم أفراده بالآداب الإسلامية السامية، وخلت هذه البيئة من السموم التى يبثها أعداء الإسلام .

١١ – وبعد هذا كله فقد كان من أعظم الدوافع والأسباب فى إختيار هذا الموضوع هو إيمانى بأن هذا العمل المتواضع ماهو إلا إسهام فى خدمة كتاب الله عز وجل ، والقيام فى بعض الواجب نحو كتابه الذى هو سعادة الناس فى الدارين، وقد وفقنى الله عز وجل بأن شرح صدرى لأن أكتب فى هذا الموضوع لنيل درجة الدكتوراة إن شاء الله التى هى بعنوان «المجتمع الإسلامى دعائمه وآدابه فى ضوء القرآن » .

الدراسات السابقة

لا أدعى أننى أول من كتب فى هذا الموضوع ، فلقد سبقنى فى الكتابة الكثير ، ولكن أحب أن أبين أن كل من سبقنى من الباحثين والكتاب تناول جانباً واحداً عن دراسة المجتمع الإسلامى وأفاض فيه ، فأحببت أن أبحث فى هذا الموضوع بصورة متكاملة حتي خرج وبحمد الله علي هذا الشكل.

فمثلاً قد سبقت هذه الدراسة رسالة دكتوراة بعنوان (مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه) ، للدكتور عبد الله المشوخي نال صاحبها الدرجة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وهى منشورة . تكلم فيها عن المجتمع الإسلامى المعاصر وذكر الأسباب التى أدت إلي ضعفه سواء كانت الداخلية أم الخارجية .

أما الداخلية والتى منها سوء فهم العقيدة ، وسوء فهم معني التوكل علي الله ، والإبتعاد عن منهج الله عز وجل ....، وغير ذلك من الأسباب .

وأما الأسباب الخارجية كالإستعمار والتغريب والعلمانية .... ثم بعد ذلك ذكر الوسائل العلاجية لضعف المجتمع الإسلامى المعاصر حتي يصبح قوياً متماسكاً .

وكذلك رسالة دكتوراة بعنوان (المجتمع المتكافل فى الإسلام) ، للدكتور عبد العزيز الخياط ، نال صاحبها الدرجة من جامعة الأزهر الشريف، تحدث فيها عن التكافل الاجتماعى فى الإسلام وأفاض فجزاه الله خيراً ، ورسالة دكتوراة بعنوان (منهج القرآن فى تربية المجتمع) للدكتور عبد الفتاح عاشور، نال صاحبها الدرجة من جامعة الأزهر الشريف ، ورسالة دكتوراة ايضاً بعنوان (مجتمع المدينة فى عهد

الرسول) لمحمد لقمان الندوى ، نال صاحبها الدرجة من جامعة القاهرة وهى منشورة ، تحدث فيها عن مجتمع المدينة الذى أقامه الرسول ، وعدد فيه المرتكزات التى قام عليها هذا المجتمع، فذكر الإخوة ، والوثيقة ، والمسجد ، وذكر كذلك خصائص ومميزات هذا المجتمع.

وهناك رسالة ماجستير بعنوان (الآداب الإجتماعية فى سورة الحجرات) ، ورسالة أخري (الآداب الإجتماعية فى سورة النور) لزكريا الزميلى ، نال صاحبها الدرجة من الجامعة الأردنية ، تكلم فى الرسالة عن الآداب الإجتماعية التى وردت فى سورة النور.

وأما هذه الدراسة فقد حاولت فيها الإستفادة مما كتب هؤلاء الكرام ، مستأنساً بآرائهم القيمة فجزاهم الله خير الجزاء ، متداركاً مارأيته أنه فاتهم ، وتميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأن بينت أهم الدعائم التى يبنى عليها المجتمع الإسلامى بصورة متكاملة ، والآداب الهامة التى يتحلي بها أفراد هذا المجتمع ، حتي خرجت هذه الدراسة والحمد لله علي هذا النهج ، جديدة فى أسلوبها متكاملة فى موضوعها جمعت الغالب من القديم والحديث وزادت عليها ، وكانت مختلفة فى المنهج عما سبقها علي ماسيتضح لاحقاً ، والحمد لله فهذا فضلٌ ومنة منه عليّ .

التمهيـــــد

ويشتمل على :-

أ) معنى المجتمع لغة واصطلاحاً .

ب) معنى الدعائم لغة واصطلاحاً .

ج) مفهوم الأدب لغة واصطلاحاً .

د) نماذج من المجتمعات السائدة قبل الإسلام.

١- المجتمع اليهودى .

٢- المجتمع الرومانى .

٣- المجتمع الفارسى.

٤- المجتمع الهندى.

٥- المجتمع الصينى .

٦- المجتمع العربى الجاهلى .

هـ) المجتمع الإسلامى مميزاته وأهدافه .

و) خصائص المجتمع الإسلامى .

قبل الخوض فى موضوع البحث لا بدلنا من تحديد بعض المصطلحات التى تهم البحث ، للوقوف عليها وتعريفها ليسهل بعد ذلك تحديد معناها أثناء تكرارها في البحث وهذه المصطلحات هي :-

أ) معنى المجتمع لغة واصطلاحاً .

مفهوم المجتمع لغة :

أصل الكلمة من الجَمْعُ ، وهى ضد المتفرق ، والجمع هم الجماعة من الناس ، والمجْموعُ هو ما أخذ من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشئ الواحد .

وجُمَّاعُ الناس كرُمَّانٍ، أخلاطهم من قبائل شتي ، ومن كل شيء مُجْتَمِعٌ أصله ، وكل ما تجمع وأنضم بعضه إلي بعض .(١)

والجمع : الجماعة تسمية بالمصدر ، ويُجمع علي جموع مثل فلس فلوس . والجماعة من كل شئ يطلق علي القليل والكثير ، وإجتمع القوم وإستجمعوا بمعني تجمعوا ، وجاء القوم جميعاً ، أى مجتمعين .(٢)

وجاء في لسان العرب أن الجُمَّاعُ : أخلاط من الناس وقيل هم الضروب المتفرقة من الناس .

قال قيس بن الأسلت السلمى* يصف الحرب :

متي إنتهينا ولنا غايةٌ .... من بين جَمْعٍ غيرِ جُمَّاعِ .

وفى التنزيل : « ...وجعلناكم شعوباً وقبائل .... » .(٣)

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، مجدالدين الفيروز آبادى ، ٣/١٣ -١٤ ، مادة جمع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) انظر : المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، ١/١٤٩-١٥٠ ، مادة جمع ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م.

* **قيس بن أسلت السلمى** : من الخطباء الشجعان و من أعيان البصرة فى صدر الإسلام ، كان من أنصار بنى أمية ، توفي بالبصرة ، انظر : الأعلام للزركلى ، ٥/٢٠٩ ، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

قال ابن عباس ** رضى الله عنه : الشعوب الجُماعُ والقبائل الأفخاذ .

فالجُمَّاع بالضم والتشديد ، مجتمع أصل كل شيء ، والفرق المختلفة من الناس ، وكل ما يجمع وينضم بعضه إلي بعض .[1]

وذكر فى المعجم الوسيط أن المجتمع : (موضع الإجتماع من الناس) .[2]

والخلاصة من كلام اللغويين أن كلمة المجتمع مأخوذة من الجمع والجُمَّاعُ والمجموع ، وهذه تدل علي الجماعة من الناس أخلاطهم من قبائل شتئ يعيشون سوياً فى موضع واحد.

مفهوم المجتمع إصطلاحاً :

تعتبر كلمة المجتمع أول مصطلح من مصطلحات علم الإجتماع ، الذى يدرس أحوال الناس ، من معيشة وقيم وأخلاق ومعاملات . ولذلك نال هذا المصطلح إهتمام علماء الإجتماع ، فحاولوا تعريفه وتحديد طبيعته وأنواعه .

عرف علماء الإجتماع هذا المصطلح بأنه (نسق مكون من العرف المنوع ، والإجراءات المرسومة ، ومن السلطة والمعونة المتبادلة ، فى كثير من المجتمعات والأقسام ، وشتي وجوه ضبط السلوك الإنسانى والحريات) [3].

** **ابن عباس** : هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ، ابن عم رسول الله ص ترجمان القرآن ، ويقال له الحبر والبحر لكثرة علمه ، دعا له النبي بالحكمة ، روي عن النبيص و عن أبيه وعن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وروي عنه عبدالله بن عمر وغيره مات سنة (٦٨هـ) ودفن بالطائف . أنظر : التهذيب لابن حجر العسقلانى ،(ت ٨٥٢هـ) ، ٢٧٨/٥ ، الطبعة الأولي ، الهند ١٣٢٥هـ.

(١) انظر : لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى ، ٥٣/٨-٥٦ ، الطبعة الأولي ، دار صادر - بيروت ، وأيضا مختار الصحاح ، محمد بن أبى بكر الرازى ،ص ٥٠٦ ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٢) المعجم الوسيط ، ١٣٦/١ ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، مطبعة مصر.

(٣) مبادئ علم الإجتماع : د . نادية عمر الجولانى ، ص ٣٠٤ ، مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية ، ١٩٩٣م . وأيضا (الجماعة والمجتمعات الجديدة) ، د . غريب محمد سيد أحمد و د . مريم أحمد مصطفي ،ص ٤٩ ، دار المعرفة- الإسكندرية ط ١٩٨٦م .

وعرفه آخرون: (بأنه جماعة من الناس ، تعمر مكاناً لأول مرة ، ويشترك أعضاؤها فى الأحوال الأساسية للحياة المشتركة ، بالأضافة إلي الاشتراك فى الأحوال الخاصة) [١] .

فالمجتمع إذن إطار عام يحدد العلاقات التى تنشأ بين أعضائه .

والمجتمع بصفة عامة كيان إجتماعى ، وأصل الكلمة من الإجتماع والجماعة والجماعية والمجموع بالصلة ، ومعني ذلك أن المجتمع يتطلب وجود جماعة من البشر ، يعيشون ضمنه ، كما وأنهم يحيون حياة جماعية ، فتصبح هناك صلات مستمرة تجمعهم مع بعضهم البعض [٢].

وصاحب كتاب (فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم) عرّف المجتمع بأنه (مجموعة من الأفراد يعيشون فى منطقة متصلة الأجزاء ، أو يشتركون فى تقاليد ونظم معينة ، وتكون لهم أهداف ومصالح مشتركة ، تجعلهم يقومون بألوان مختلفة من التفكير والسلوك ، الذى يغلب عليه الطابع التعاونى) [٣] .

ولقد ذكر آخرون بأن المجتمع (يتكون من بنى الإنسان فى وجودهم الذى يقوم علي التضامن و الإعتماد المتبادل) [٤] أو هو (عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعية، تلك الصلات التى يحددها الإدراك المتبادل) [٥] .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٦.

(٢) أنظر : المجتمع العربى وتطوراته الاجتماعية والسياسية ، أحمد سويلم العمرى ، ص ٢٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٦٤م .

(٣) فلسفة التربية الاسلامية فى القرآن الكريم ، د . علي خليل أبو العينين ، ص ٢٧٧ ، رسالة ماجستير منشورة ، إشراف د. عصمت مطاوع ، د. عبدالغنى عبود ، كلية التربية بطنطا ، ١٩٧٨م ، مكتبة إبراهيم حلبى –المدينة المنور ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ.

(٤) الفرد والمجتمع فى الإسلام ، د . سيد عبدالحميد مرسى ، ص ٢٠١ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

(٥) المجتمع الإسلامى ، د . محمد أمين المصرى ، ص ١٢ ، دار الأرقم – الكويت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٧م

يتبين من التعريفات السابقة أن المجتمع عبارة عن مجموعة منظمة من الناس يعيشون سوياً ، تربط أفرادهم مجموعة مشتركة من القيم والأهداف والصلات والمصالح المشتركة .

مفهوم المجتمع الإسلامى

عرفنا فيما سبق المجتمع بصورة عامة ، وأما الآن فنعرف المجتمع الإسلامى الذى نحن بصدد دراسته ودراسة آدابه فى هذا البحث .

ويقصد بالمجتمع الإسلامى ذلك المجتمع الملتزم بتعاليم الله وشرعه ، والمطبق لحدوده ، الخاضع لأوامره والمجتنب لنواهية .

فالمجتمع مهما كانت حكومته مسلمة لايسمي مجتمعاً إسلامياً بالمعني الصحيح ، مادام الناس غير ملتزمين بتعاليم الإسلام ، وغير منقادين وخاضعين لأوامر الله ونواهيه ، وغير مطبقين لحدود الله فيه .

إذن المجتمع الإسلامي قائم علي الإيمان بالله ، والإهتداء بهدية ، والإمتثال لأوامره عزوجل ، فالأمة الإسلامية هى المستخلفة فى الأرض لحمل رسالة الله ، إذا إمتثلت لما أراد الله من الأوامر والنواهى .

إن المجتمع الإسلامى هو المجتمع الذى يطبق فيه الإسلام ، عقيدة وعبادة وخلقاً وسلوكاً ، أو هو المجتمع الذى صنعته الشريعة ، فهي التى تحدد له السمات والمقومات وهى المطورة له والموجهه[1].

والمجتمع الاسلامى ترتبط حياته تماماً بتعاليم الله ونظمه ، فعلي الإنسان أن يطلب الهداية ، وأن يجد فى فهم إرادة الله من خلال دينه فيتبعها . وآصرة العقيدة تربط بين أفراد المجتمع الإسلامي رباطاً وثيقاً ، يذوب فيه الجنس والوطن واللغة واللون ، وسائر هذه الروابط العرضية ، التي لاعلاقة لها بجوهر الإنسان وعبوديته لله سبحانه وتعالى .

(١) انظر : نحو مجتمع اسلامى ، سيد قطب ، ص ٦٤ ، دار الشروق - بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وبالإضافة إلي رابطة العقيدة ، يربط أفراد المجتمع الإسلامى آصرة الود والتعاطف والرحمة المستمدة من آصرة العقيدة. (١)

إجتماع الأمة الإسلامية فى١٧ومما سبق نستنتج أن المجتمع الإسلامى يعني مكان ما ، تعيش فيه فى حدود طبائعها ، وتقاليدها وآدابها وآمالها وأحلامها وتقلبات تاريخها ، وقد إرتضت ضمنا أوصراحة بالشريعة الإسلامية ، مطبقة لما فيها من أوامر ونواهى، سواء فى الحكم أو العبادة أو الأخلاق .

إذن فالمجتمع فى الإسلام مجتمع معنوى أى أن العلاقات الإجتماعية مبنية علي أساس القيم الإنسانية ، من مودة ورحمة ، لاعلي أساس من العلاقات المادية فقط ، فالعلاقات الإجتماعية تربط الناس بعضهم ببعض.

ب) معني الدعائم لغة واصطلاحاً :

الدعائم من دَعَمَ الشيء يقال يَدْعَمُه دَعْماً و الدّعائم مفردها دِعَامَةٌ بالكسر ، وهى ما يستند عليه الحائط إذا مال خوفاً من سقوطه .يقال دعمت الحائط دعماً ، ومنه قيل للسيد فى قومه هو دِعَامَةُ القوم ، كما يقال هو عمادهم .

والدِّعامَةُ هى إسم الخشبة التى يُدْعَمُ بها ، وهى عماد البيت الذى يقوم عليه .(٢)

فالدعامة هى المستند والأمر المرتكز لأى شيء ، فإذا ما إنهارت هذه الدعامة أو ألغيت ، فبالتالى إنهار ، كل مابنى عليها ، سواء كان ذلك الشيء مادياً أو معنوياً . ولايقوم اى شيء إلا بإسس ومرتكزات ودعائم قوية حتي يكون قوياً ومتيناً يصعب هدمه .

ج) مفهوم الآداب لغةً واصطلاحاً :

الآداب لغةً : والآدَابُ : مُحَرَكَةً هى الظَرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ ، ومفرد الكلمة أَدَبٌ .

(١) انظر : فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف ، د . عبدالجواد سيد بكر ، ص ١٤١ ، رسالة ماجستير منشورة ، إشراف د . إبراهيم عصمت مطاوع ، د . عبدالغنى عبود ، كلية التربية جامعة طنطا ، ١٩٧٨م ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٣م.

(١) انظر : لسان العرب ، ١٢ /٢٠٢ ، مادة دعم ، وأيضا المصباح المنير ، ١/٢٦٤ ، مادة دعم .

يقال : أَدَّبَهُ علَّمَهُ ، فتَأَدَّبَ واستأدَبَ ، والأَدْبُ بسكون الدال ورفع الباء هو العَجْبُ .[1]

جاء فى المصباح المنير ، أن القول فى أدبته آدباً من باب ضرب ، أى علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق ، قال أبوزيد الأنصارى * : (الأدب يقع علي كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان فى فضيلة من الفضائل) ، وقال الأزهرى نحوه .وجمع أدب آدابٍ مثل سببٍ أسبابٌ ، أدبته تأديباً مبالغة وتكثيراً ، ومنه قيل آدبته تأديباً إذا عاقبته علي إساءته .

وأصل الأُدْبِ الدُّعاءُ وهو حسن التناول ، وسمى أَدَباً لأنه يأْدِبُ الناسَ إلي المحامد وينهاهم عن المقابح،ويقال فلان إستأدب بمعني تأدب .

والأدْبُ مصدر لقولك ، أدَبَ القوم يأْدُبُهم بالكسر .[2]

فالآداب إذن مفردها أدَبَ ، وهو حسن التناول فى فضيلة من الفضائل ، ينهي عن القبيح ويحث علي محاسن الفضائل والأخلاق.

الآداب إصطلاحاً :

الأداب من الجزيئيات التى تندرج فى علم السلوك ، وعلم السلوك هو معرفة النفس مالها وماعليها من الوجدانيات ، ويسمي علم السلوك أيضا بعلم الأخلاق ، والسلوك هو علم المعاملة والإخلاص فى الطاعات .

والأدب عبارة عن (معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ) .[3]

(٢) انظر : القاموس المحيط ، ٣٦/١ ، مادة الأدب ، فصل الهمزة مع الباء .

* **أبوزيد الأنصارى النحوى** : هو سعيد بن أوس .كان بعد المائتين للهجرة ، أثني عليه أكثر من واحد ، وهم فى إسناد الحديث ، وقد كذبه محمد بن عبدالله الأنصارى بلاحجة ،قال العلماء فيه صدوق . انظر : ميزان الإعتدال ، محمد الذهبى ، ت ٧٤٨هـ ، ٥٢٧/٤ ، رقم ١٠٢١٣ ، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسي البابى الحلبى – القاهرة .

(٢) انظر: المصباح المنير ، ١١/١-١٢ ، مادة أدب ، وأيضا لسان العرب ٢٠٦/١ – ٢٠٧ ، مادة أدب .

(٣) كشاف إصطلاحات الفنون ، محمد التهاونى ، ٢٤/١ ، ٤٥ ، مادة أدب ، باب الألف فصل الباء الموحدة ، تحقيق د . لطفى عبدالبديع ، ترجمة د . عبدالمنعم حسنين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة ، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م ، وأيضاً التعريفات ، لعلى بن محمد بن على الجرجانى ، (٧٤٠ – ٨١٦هـ) ، ص ٢٩ تحقيق وتقديم إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

إذن فالأدب يطلق علي التهذيب وحميد الخصال وحسن السيرة ، وقيل هو حسن الأحوال فى قيام وقعود وعرفه آخرون بأنه (ملكة تعلم من قامت به عما يشينه) . وقيل الأدب عند أهل الشرع الورع ، وعند أهل الحكمة صيانة النفس .

وعرفه آخرون بأنه (رياضة النفس بالتعليم والتهذيب علي ما ينبغى ، والأديب هو الأخذ بالمحاسن والأخلاق)[1] . فالأدب يدخل فى كل شئ من أمور الإنسان الحياتية الخاصة منها والعامة، ويظهر هذا علي حسن الإنسان فى تعامله مع الآخرين وحسن مظهره فى حياته .

د) نماذج من المجتمعات السائدة قبل الإسلام

قبل التحدث عن المجتمع الإسلامى وعن دعائمه وآدابه نعرج إلي المجتمعات التى قامت قبل المجتمع الإسلامى ، لنبين التفاوت الواضح بينه وبين تلك المجتمعات

ففى القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام وما كان قبله ، كان العالم فى إضطراب، والمجتمعات الإنسانية فى تنازع وإختلاف ، والدول فى تناحر ، كل دولة تعتبر غير رعاياها مباحى الدم والنفس ، ليس لهم أدني الحقوق ، فظهر الإسترقاق ، وبيع الأفراد فى الأسواق ، وساد نظام الطبقات فى تلك المجتمعات .

إن المتأمل لتلك المجتمعات البشرية قبل مجئ الرسول ﷺ يلاحظ مدي الانحلال والفساد والاقتتال ، الذى منيت به المجتمعات فى تلك الفترة .

وقد أردت أن أبين نماذج من تلك المجتمعات التى كانت سائدة فى عصرها ، ولنبدأ بلمحة موجزة توضح حال هذه المجتمعات ، وبالذات فى القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد .

١) المجتمع اليهودى

إن المتتبع لتاريخ اليهود يري أن تاريخهم خال من هداية روحية يقدمونها للجنس البشرى ، فعلي الرغم من أن الله سبحانه وتعالي قد إصطفاهم لحمل رسالته ، وخصهم

---

(١) انظر : المرجع السابق ١/ ٨٠ .

بكثير من الفضائل ، ليهدوا بها الناس ، إلاّ أن طبيعتهم دائماً تميل إلي الشر تحول بينهم وبين أن يكونوا مصدر هداية ومبعث نور. بل كدأبهم عاثوا فى الأرض فساداً .

قال تعالي : « ... **ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين**» (١) .

وكما وصفهم الصحابى الجليل عبدالله بن سلام * رضى الله عنه ، أنهم قوم بُهت ، وقلوبهم غُلف ، تهجموا علي ذات الله عز وجل . قال تعالي فيهم : « **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ...» (٢) .

إن اليهود من أكثر المجتمعات التى اعتدت علي الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالي :

« **لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** » (٣).

و اليهود سرعان ما يتخلون عن المنهج الربانى ، فبعد أن نجاهم الله عز وجل من بطش فرعون، وأراهم المعجزات بأم أعينهم ، مثل عصا موسي عليه السلام وشق البحر ومصرع فرعون وقومه ، كل ذلك لم يمنعهم من إتخاذ ما يعبدونه من دون الله ، إذ إتخذوا من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه نبيهم موسي عليه السلام يتلقي كلمات ربه . قال تعالي واصفاً نفوسهم وما أقدموا عليه من

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٤ .

* عبدالله بن سلام : هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى ثم الأنصاري ، (أبو يوسف) وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، كان معينا للأنصار ، أسمه فى الجاهلية (حصين) سماه الرسول ﷺ عبدالله عندما أسلم ، وهو أحد الأحبار ، وشهد له الرسول بالجنة ، وقال عنه عاشر عشرة فى الجنة ، توفى بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين . انظر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لأبى عمر يوسف بن عبدالرحمن محمد بن عبدالبر ، ٩٢١/٣ ، رقم ١٥٦١ ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٠.

فعل مشين : « واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوهوكانوا ظالمين»[1].

وقلوب اليهود كانت مليئة بالشرك والفساد ، فاختار موسي عليه السلام منهم سبعين رجلاً من أتقيائهم ليستغفروا الله معه لقومهم ، مما اقترفوه من شرك وضلال ، ولكنهم كدأب بنى إسرائيل قالوا لنبيهم لن نؤمن حتي نري الله جهرة .

قال تعالي : « وإذ قلتم يا موسي لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » [2] .

ذكر ابن كثير ﷺ عن هؤلاء : (هم السبعون الذين اختارهم موسي فساروا معه) [3]. هؤلاء هم صفوة المجتمع اليهودى الفاسد ، فكيف الباقون ، إنه مجتمع فاجر ومرابى عاثوا فى الأرض فسادا ، وصدوا عن سبيل الله ، وحرفوا كلام الله عن موضعه ،وهم قتلة الأنبياء و ناقضى العهود .

إن هذا هو ديدن اليهود فى السابق والحاضر ، فلا تجد مجتمعا فيه اليهود من قريب أو من بعيد إلا والفساد بكل أنواعه وأشكاله منتشر فى تلك المجتمعات .

نجد اليهود يحتكرون تجارة السلاح ليؤججوا بها المجتمعات بالحروب المدمرة ، وما الأحداث اليوم التى تدور فى شتي بقاع الأرض ليست ببعيدة عنا من صراع الدول مع بعضها بعضاً إلا واليهود لهم السبب المباشر والغير المباشر ، وما من فساد

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٥٥ .

ﷺ ابن كثير : هو إسماعيل أبو الفداء ابن كثير الدمشقى الشافعى ، ولد بدمشق سنة ٧٠١هـ ، كان قدوة للعلماء والحفاظ وأقبل علي الحديث والتفسير والتاريخ ، أخذ عن ابن تيمية ، صنف العديد من الكتب منها: (البداية والنهاية) ، و (التفسير) و (تهذيب الكمال) ، و (طبقات الشافعية) ، و (السيرة) ، توفى سنة ٧٤٧هـ ، ودفن عند شيخه ابن تيمية فى دمشق رحمهم الله . انظر : طبقات المفسرين للداوودى ١/١١١-١١٣ و طبقات المفسرين للسيوطى ، ١١٠ -١١١ ، رقم ١٠٣ شذرات الذهب : ٦/٢٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ١/١٦٣ ، دار الأندلس - بيروت .

اليوم إلا ولليهود الدور الكبير فيه ، سواء عن طريق بيوت الأزياء أو دور النشر أو غير ذلك .

٢- المجتمع الرومانى :

ساد المجتمع الرومانى نظام لا يجعل للضعيف حقا بجوار القوى ، وقانون لم يخدم إلا السادة من السلالة الرومانية ، ويسلب حقوق الآخرين ، فمن بين تلك القوانين :-

إن بعض الرعايا ممن ليسو من الرومان بالسلالة ، ليست لهم حقوق كالرومان الذين يشكلون طبقة السادة ، أما الآخرون فيشكلون طبقة أخري تفرض عليها السيادة ، فمثلا لم يكن اليهود وغيرهم ممن كانوا فى ظل الحكم الرومانى متمتعين بما كان يتمتع به الرومان من حقوق ، فهم رعايا مغلوبين علي أمرهم ، تتحكم الدولة الرومانية فيهم من غير معقب ولا محاسب .

وخيرات هذه البلاد من زرع وضرع كلها ترجع الي الرومان ، فلا يبقي لأهلها إلا النذر اليسير ، فجميعهم يعاملون كالعبيد ، لا يعملون إلا من أجل خدمة الرومان فقط .

ومن فروض القانون أن العبيد لا يعاملون معاملة الآدميين ، بل يعاملون معاملة الأشياء التى سلبت إرادتها ، فليس علي السيد مسئولية فيما يفعل مع عبيده ، فإن ضربه أو قتله فلا تبعة عليه فيما يفعل ، ففرض ذلك القانون أن جريمة العبد تضاعف لها العقوبة وجريمة الرومانى يخفف فيها العقاب ، فمن زني من الرومان فعقوبته غرامة يسيرة ،بخلاف العبد إذا زني بحرة فإنه يقتل وعقوبتها هى دون ذلك [١] .

والمرأة فى المجتمع الرومانى لم يكن لها كيان مستقل ، أو ذات شخصية مستقلة ، بل إعتبرها القانون الرومانى ومالها فى حكم المملوكة للرجل ، وأن عقد الزواج عند الرومان كان عقد رق بالنسبة للمرأة ، وكانت قبل الزواج فى رق عند أبيها ، فكل حياتها تعيش فى رق . فالعلاقة بين الرجل والمرأة لم تكن مبنية على الحقوق والواجبات المتبادلة ، بل للرجل الحقوق كلها وعلي المرأة الواجبات كلها .

أما فيما يتعلق بالأخلاق فقد إنهارت دعائمها ، وذابت أسس الفضيلة ، وانعدمت الحرية فى الأسرة بين الأب وإبنه ، فالسلطة المطلقة للأب .

(١) انظر : تنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبو زهرة ، ص ٦٠٥ ، دار الفكر العربى – القاهرة .

ونظام الميراث كان يتجه إلي تجميع الثروة فى قريب واحد ، ويحرم الباقون من الميراث . كما أخذ قانونهم يفرض الضرائب الباهظة علي الرعايا ، حتي أصبح الناس يتذمرون من الحكومة ، ويمقتونها أشد المقت .

هذا هو قانونهم أهدرت فيه الدماء وسلبت الحقوق ، وكثرت الغزوات لطمع الفتوحات الرومانية ، فكثرت الفتن الدينية ، فاضطهد الوثنيون من الرومان المسيحيين بإحراقهم فى النار وجعلت أجسادهم المشتعلة تضيء ركب حكامهم الطغاة ، وبعد ذلك إنتقل الاضطهاد فى أول القرن الرابع الميلادى إلي اليهود ، ثم عاد بعد ذلك إلي المسيحيين ، فكان التفرق والانقسام والمنازعات والجدل فى الدين [١] .

٣- المجتمع الفارسى :

كان المجتمع الفارسى مجاورا للمجتمع الرومانى ، وكان الجتمعان مضطربين ، فلم يكن التفرق فى المجتمع الفارسى بين طبقاته أقل مما كان عند الرومان ، ومنذ أفتتحت ارض فارس والمجتمع الفارسى والجتمع الفارسى فى اضطراب مستمر ، فتفرق الناس سياسياً فضلاً عن تفرقهم الإجتماعى . أما الحكم فكان للأشراف ، فاشتعل الحقد فى قلوب الفقراء ، واشتد معه الفساد الأخلاقى .

ففى القرن الثالث والخامس المسيحى كانت هنالك دعوتان خطيرتان ، الأولي كانت تدعو الي حياة العزوبية وتحريم النكاح ، والأخري علي نقيض الأولي أعلنت أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم، فينبغى أن يعيشوا سواء [٢].

ولقد حظيت هذه الدعوة بإقبال كثير من الناس ، الذين استهوتهم الشهوات والملذات لأن حاكمهم (أحل الفساد وأباح الأموال ، وجعل الناس شركاء فيهما ، كإشتراكهم فى الماء والنار والكلأ) [٣] .

(١) انظر : المرجع السابق : ٦-٨ . ولمزيد من التفصيل راجع ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، لأبى الحسن الندوى، ص ٤٦ ، دار الكتاب العربى - بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

(٢) انظر :المرجع ، ص ٩ . وأيضا الإسلام وبناء المجتمع ، د . أحمد العسال ، ص ١٥٢ ، دار القلم - الكويت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٥م .

(٣) الملل والنحل ، لأبى الفتح محمد عبدالكريم ابن أبى بكر أحمد الشهرستانى ، ص ٢٥٠ ، تحقيق عبدالعزيز الوكيل ، دار الفكر - بيروت .

يبين الطبرى * أثر دعوة حاكم الفرس علي المجتمع الفارسى قائلا : (إفترص السفلة ذلك واغتنموه ، وكانفوا - أى الاحاطة والنصرة والتعاون - مزدك ** وأصحابه وشايعوهم ، فابتلى الناس بهم ، وقوى أمرهم حتي كانوا يدخلون علي الرجل فى داره فيعتدون علي منزله ونسائه وأمواله، لا يستطيع الإمتناع منهم ...فلم يلبثوا إلا قليلا حتي صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ولا المولود أباه ...) (١).

أما عقيدتهم فقد كانوا يعبدون النار ، تلك العقيدة التى إنحدرت من مذهب حكامهم ، الذين كانوا يرون أن النور رمز الإله ، كما كانوا يقدسون القومية الفارسية (يرون أن لها فضلا عن سائر الأجناس والأمم ، وإن الله قد خصها بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحدا ، وكانوا ينظرون إلي الأمم حولهم نظرة إزدراء وإمتهان ، ويلقبونها بألقاب فيها الإحتقار والسخرية) (٢).

لقد إنهار المجتمع الفارسى بهذه المذاهب الفوضوية (٣) التى لم ينتظم فيها شئ ، ولم ترتب فيها الحقوق والواجبات . وقد خلى هذا المجتمع من كل القيود الاجتماعية

* **الطبربى** : هو محمد بن جرير الطبرى (أبو جعفر) ، صاحب التفسير المشهور إستوطن ببغداد وكان كثير الترحال لطلب العلم ، مفسر ومحدث وفقيه ، له كتاب تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب التفسير ، وتهذيب الآثار ، ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفى سنة ٣١٠هـ ، ببغداد . انظر : طبقات المفسرين ، محمد الداوودى ، ٢/١١٠ - ١١٨ ، رقم ٤٦٨ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، وشذرات الذهب ، ٢/٢٦٠ ، والأعلام للزركلى، ٦/٦٩ ، وطبقات الشافعية ، ٣/١٢٠٣ والبداية والنهاية ، ١١/١٤٥ .

** **مزدك** : هو حاكم الفرس ظهر فى أيام قباذ والد أنو شروان ، ودعا قباذ إلي مذهبه فإجابه ، وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة و المقاتلة ، أحل النساء ، وحكي أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة ، وله مذهب فى الأصول والأركان ، وهو علي ثلاث (الماء والأرض والنار) . انظر : الملل والنحل ، ص٢٥٠ .

(١) تاريخ الطبرى ، (تاريخ الأمم والملوك) ، لأبى جعفر بن جرير الطبرى ، ٢/٩٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان - بيروت .

(٢) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، لأبى الحسن الندوى ، ص ٦٢ .

(٣) **الفوضوية** : من فوضي ، مختلفون لا أمير لهم وهى تدل علي عدم النظام . انظر: أساس البلاغة جار الله أبى القاسم الزمخشرى ، ص ٤٨٤ ، دار صادر - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩هـ ، مختار الصحاح ، للرازى ، ص ٢١٥ ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٢م .

والخلقية ، فانطلق فيها عنان الشهوات والنزوات ، وتفاقم الشر واشتدت فيه البغضاء والعداوة ، واستمر المجتمع الفارسى فى اضطراب ، وكان قريبا من عهد ظهور الاسلام .

٤- المجتمع الهندى :

لم يكن المجتمع الهندى بأحسن حالا من المجتمعات السابقة ، فقد مر بمراحل سيئة . ذكر أبو الحسن الندوى نحو ذلك قائلاً : (إتفقت كلمة المؤلفين فى تاريخ الهند ، أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ، كان ذلك العهد الذى بدأ فى مستهل القرن السادس الميلادى ... ففيه بلغت الوثنية أوجها ، وقد عكفت الطبقات كلها وعكف أهل البلاد من الملك إلي الصعلوك علي عبادة الأصنام)(١).

ويمضى مبينا الناحية الخلقية قائلا : (وأما الشهوة فقد إمتازت بها ديانة الهند ومجتمعاتها منذ العهد القديم ، فلعل المواد الجنسية والمهيجات الشهوية لم تدخل بلدا مثل ما دخلت فى صميم الديانة فى البلاد الهندية) (٢).

كما أن نظام الطبقات قد ظهر فى الهند بأبشع صوره وأشد قسوته ، فقد إستند هذا النظام علي قانون رسمى ، ومرجع دينى وضع فى عهد البراهمة ، ويقسم هذا القانون الناس إلي أربع طبقات وهى :-

أ- البراهمة : وهم طبقة الكهنة ورجال الدين ، ومهمتهم تقديم النذور للآلهة وأخذ الصدقات من الناس .

ب- شترى : والمقصود بهم رجال الحرب ، ومهمتهم حراسة الناس وتقديم النذور

ج- ويش : وهم رجال الزراعة والتجارة ووظيفتهم رعى الماشية والقيام بالتجارة والزراعة .

(١) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، الندوى ، ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

د- شودر: ويقصد بهم رجال الخدمة، ومهتمتهم خدمة الطبقات الثلاثة السابقة[1] .

٥- المجتمع الصيني :

من أهم الأديان التى كانت سائدة فى الصين قبل ظهور الإسلام الديانة البوذية ، والتى سرعان ما لبثت أن تحولت إلي الوثنية التى تحمل الأصنام معها أينما سارت ، وتبنى الهياكل ، كما أخذت تعاليم بوذا * تتغير شيئا فشيئا ، حتي أخذ أتباعه يعبدون ما يشاءون من الأشجار والأنهار والأصنام . وهذا لا يعنى أنه لم يكن فى الصين ديانات أخري غير البوذية ، فقد كانت هنالك ديانات كان مؤسسوها يهتمون بإصلاح الجانب النفسى لتكوين مجتمع فاضل يقوم علي المحبة والعدل ، غير أن تعاليمهم إقتصرت علي تنظيم الأمور الدينية .

إن المجتمع الصينى كان فى أحط درجة من الإنحلال فمُنِىَ بفقر مادى ، لأن الأباطرة والأمراء لا هم لهم إلا جمع الضرائب من المزارعين ، الذين كانوا يهيمون علي وجوههم هربا من تلك الضرائب الباهظة ، ونتج عن ذلك أن أثري بعض الأفراد علي حساب بعضهم الآخر ، فاختل التوازن الإقتصادى ، وظهرت الفوارق الشاسعة بين الثروات[2] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٧١ . وأيضا مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه ، د . عبدالله سليمان المشوخى ، ص ١٧ ، مكتبة المنار - الأردن ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م ، الكتاب فى الأصل رسالة دكتوراة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، اشراف د . محمد عبدالقادر أبو فارس ،

* بوذا : إسمه الحقيقى (سد هارثا) ومعناه المتبتل ثم المستنير ، ولد فى أواخر القرن السادس ، وكان قوى التفكير . إتجه منذ صغره إلي الأخلاق الفاضلة ، وفى التاسع والعشرين من عمره غادر قصر والده وهجر حياة الترف إلي الغابات متفكراً ، وأعطي بذلك الشعب التعاليم الأدبية والأحكام والوصاياالتى أودعها فى كتبه ، وأسس بعده الشعب دين سموه بإسمه أطلقوا عليه (البوذية) ، وهى بمعني عالم أو عاقل ، مات فى الثمانين من عمره ، وأحرق جسده بعده موته بثمانية أيام . انظر : الملل والنحل للشهرستانى ، ١٤/٢ ، دار صعب - بيروت ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م

(٢) انظر : الملل والنحل ، للشهرستانى ، ٢٠/٢ باب مافات الشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى .

كما أن الديانات الأخري [1] التى أسسها الفلاسفة الصينيون ، وقفت من العمل والجد والاجتهاد موقفا سلبيا ، ومن هنا كان أتباعها فى زهد وتقشف شديدين فلا يتزوجون . فهكذا عاش المجتمع الصينى متأثرا بهذه المعتقدات ، والتى كانت أهمها الديانة البوذية .

٦) المجتمع العربى الجاهلى :

أرض الجزيرة العربية واسعة فى مساحتها ، وبها الجبال والآكام [2] والصحارى ، وزرعها قليل لقلة الماء ، ولذلك تقطعت أوصالها ، فلم تكن هنالك روابط إجتماعية تجمع شملها .

وقد كان جزء من الجزيرة من الجهة الشمالية يتبع الرومان ، وأجزاء من جهة الشرق تتبع لدولة فارس ، ومن الجنوب كانت اليمن ، وكانت هذا المجتمعات مزيج من البداوة والحضارة ، فيها تفاوت إجتماعى خطير ، فبينما الأمراء يعطون العطايا للشعراء إذا مدحوهم ، نجد فقراً يصل إلي درجة العدم .

ووسط هذه الصحراء ظهرت بين الجبال بعض المدن، منها مكة ، التى هى موضع تقديس لآن بها الكعبة ، فهى المأمن لمن حولها ، ومن المدن يثرب التى كانت مزيجاً من عرب اليمن واليهود ، ومنها الطائف التى بها البساتين ، والخصب والثروة . ومكة ويثرب كانتا ملتقي التجارة التى تأتى من الروم إلي الفرس عن طريق الشام ، والتجارة التى تأتى من الفرس عن طريق الشام ، والتجارة التى تأتى من الفرس عن طريق اليمن ، وكذلك كانتا هاتين المدينتين فى ثراء ، فظهر التفاوت بين طبقات أفرادها ، تفاوت شديد بين الفقراء والأغنياء .

أما القبائل المتناثرة فكانوا يتنقلون فى البوادى ، ليحصلوا علي رزقهم من رعى

(١) مثل الديانة الكنفوشية ، وهى نسبه إلي كونفوشيوس النبى الصينى كما يزعمون ، وتعني هذه الكلمة رئيس كونج أو حكيمها ، ولد فى مدينة « تسو» من مقاطعة شانج بينج سنة ٥٥١ ق .م . انظر : المرجع السابق ١٩/٢- ٢٠ فى ذيل الكتاب.

(٢) **الأكام** : جمع أكم ، وهو التل كالرابيه ، وهو ما إجتمع فى مكان واحد من الحجارة : انظر المصباح المنير ، ص ٧ .

الأغنام والأبقار والإبل ، ولذلك قيل عنهم أهل الوبر ، وعن المقيمين فى المدن أهل المدر [1] .

فالملاحظ من هذا التصوير السابق للناحية الجغرافية لسكان الجزيرة العربية ، يتبين أنه لم يكن بهذه الأمة إجتماع يؤلف مجتمعاً واحداً متحد العناصر ، بل كانت أجزاء مشتته ومتفرقة ، وكذلك العادات والأخلاق مختلفة ومتباينة ، وساد الفقر وتكدس المال فى يد عدد قليل .

ففى هذا المجتمع المتفرق لم يكن ثمة نظام ، ولا قانون جامع يحكم هذه القبائل ، وإن كان لكل قبيلة زعيم يطيعونه فى فض النزاعات ، أو أمور مصلحة القبيلة .

كان المجتمع العربى عبارة عن قبائل متناحرة ، تقع بينها الحروب لأتفه الأسباب وتستمر إلي أمد بعيد ، حتي تفنى الواحدة الأخري ، كما كان ذلك فى شأن الأوس والخزرج [2] . قال سبحانه وتعالي فى كتابه العزيز واصفا حالهم قبل الإسلام : (... **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم علي شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** » [3] .

أما من الناحية العقائدية فكان هنالك القليل ممن يتمسكون بالحنيفية ، أما الباقون فكانوا يعبدون الأصنام ، ويطوفون حولها ، قال تعالي :« **أفرايتم اللات والعزي ﷻ ومناة الثالثة الأخري ﷻ ألكم الذكر وله الأنثي ﷻ تلك إذا قسمة ضيزي ﷻ إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ...** » [4] .

والمرأة فى المجتمع العربى لم تكن أحسن حالاً من المجتمعات السابقة أو المحيطة به ، إلا فى بعض القبائل . فلقد كان لبعض النساء فيها شأن ، وذلك مثل قبيلة قريش

---

(١) انظر : تنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبو زهرة ، ص ١١ -١٢ .

(٢) انظر : مجتمعنا المعاصر ، عبدالله المشوخى ، ص ٢٢ . وأيضا القرآن والمجتمع الحديث ، عبدالرازق نوفل ، ص ٢١ – ٢٧ ، مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة ، الطبعة الأولي .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ -٢٣ .

رغم وئدها للبنات كغيرها من القبائل العربية ، أما عند غيرها فلم يكن للمرأة شأن يذكر حيث تهان شخصيتها فى كثير من الجوانب وعلي رأسها الوأد . قال تعالي : « **وإذا الموءودة سُئلت ﴿ بأى ذنب قتلت** »[1] .

كانوا يكرهون أن تلد لأحدهم بنتٌ فيظل وجهه مسوداً إذا بشر بالأنثي، قال تعالي واصفاً حالهم فى ذلك : « **وإذا بشر أحدهم بالأنثي ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴿ يتواري من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه علي هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون** » [2] .

كما أن الجهل كان متفشياً بينهم ، فالغالب منهم لايعرف القراءة ولا الكتابة ، قال تعالي: « **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » [3] .

ولعل أدق تفسير يشرح حالهم ويصور جاهليتهم ما قاله جعفر بن أبى طالب * رضى الله عنه لملك الحبشة ، عندما سأله عن دين الإسلام ، وعن الرسول ﷺ فقال :(أيها الملك كنا قوماً علي الشرك ، نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ، ونسيئ الجوار يستحل المحارم بعضنا من بعض فى سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولانحرمه ...) [4] .

هذه نظرات ألقيت علي المجتمعات السائدة قبل الإسلام والتى كانت تعيش فى تخبط وضلال فكانت علي شفا حفرة من النار ، لأن العقيدة السليمة لم تكن فى

(١) سورة التكوير: الآيتان ٨ – ٩

(٢) سورة النحل : الآيتان ٥٨ – ٥٩ .

(٣) سورة الجمعة : الآية ٢ .

* **جعفر بن أبى طالب** : الملقب بالطيار ، ابن عم رسول الله ﷺ ، أسلم قديماً ، وإستعمله الرسول علي غزوة مؤتة ، وإستشهد بها سنة ٨ هـ ، روي عن النبي ، وروت عنه أم سلمه . انظر : تهذيب التهذيب . لابن حجر العسقلانى ، ٢/٩٨ رقم ١٤٦ .

(٤) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ٢/٢٠ ، تحقيق مصطفي عبدالواحد . دار إحياء التراث العربى – بيروت .

نفوسهم حتي وإن كانت هنالك من المجتمعات التى لها عقائد كاليهودية والمسيحية إلا أنها حرفت وجعلت فيها نظم عملت علي الفرقة بدلاً من الإتحاد .

فكان ضرورياً تبيين صورة هذه المجتمعات ، وإلقاء الضوء عليها قبل الخوض فى بيان حال المجتمع الإسلامى وأسسه وآدابه . ذلك المجتمع الذى يتصف بمميزات وخصائص لا توجد فى غيره من المجتمعات السابقة .

المجتمع الإسلامى مميزاته وأهدافه

إن المجتمع الإسلامى يتميز عن سائر المجتمعات الأخري بنظمة وقوانينه الخاصة، والسبب فى ذلك (أنه مجتمع من صنع شريعه خاصة جاءت من لدن رب العالمين، هذه الشريعة هى التى أوجدت هذا المجتمع ، وأقامته علي أسسه التى أرادها الله لعباده ، لا التى أرادها بعض هؤلاء العباد لبعض ، وفى ظل هذه الشريعة تنمو الجماعة المسلمة ، وأوجدت إرتباطات العمل والإنتاج والحكم ، وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية ، ومبادئ السلوك وقوانين العمل ، وسائر مقومات المجتمع الهامة ، التى تحدد نوعه ، وترسم له طريق النمو والتطور) (١) .

فإذا كانت المجتمعات الأخري تربطهم وتجمعهم أرض مشتركة ، ولغة واحدة ، وجنس واحد ، ومصالح متعددة ، فإن المجتمع الإسلامى يربطه رباطاً قوياً ، هو رباط العقيدة الربانية التى تجمعهم وتوحدهم .

والأساس الذى تقوم عليه العلائق الإجتماعية هو اختيار المنهج الربانى ، الذى تستقيم الحياة بمقتضاه و تجتمع القلوب علي طاعته ، ذلك المنهج الذى يربط الناس بخالقهم ، ويوحدهم علي شريعة الله ، فيجعلهم أمة واحدة يتجهون لقبلة واحدة ، مزيلاً كل الحواجز فى سبيل تحقيق الهدف المنشود والمتمثل بقوله تعالي : « **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** »(٢) وسنبين هذا بالتفصيل فى مبدأ المساواة الذى يعد من دعائم المجتمع الإسلامى .

---

(١) نحو مجتمع إسلامى ، سيد قطب ، ص ٦٣ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

والحق أن الإسلام أثر فى المجتمع الإنساني ، فكان من فضله أنه أقام مجتمعاً أثبت للإنسان أن بإمكانه أن يذوق السعادة ، ويشعر بمعني الحياة إذا اتبع المنهج الربانى ، واستطاع الإسلام أن يمد جناح الحب والرحمة والطمأنينة علي طول البلاد التى دخلت فيه واستظلت بظله ، طالما حافظت علي هديه وإستمسكت بمبادئه .

والإسلام فى بنائه لمجتمعه يهدف إلي إقامة الحياة المتوازنة ، التى تتجلى فيهاخصائص الفطرة، والإسلام يقيم مجتمعه علي أساس نظرته للإنسان ، وإدراكه لرسالته وخصائصه، فيري أنه كائناً متميزاً له كرامته فإهتم به من الجانب الروحي والمادى .

فهو بهذا يتميز المجتمع فى منهجه عن سائر المجتمعات القديمة والحديثة، والآية التى تحوي شعار المجتمع الإسلامى و توجز أهدافه، هى قول الله سبحانه وتعالى. « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهَون عن المنكر وتؤمنون بالله ...** » [1] .

(١) سورة أل عمران : الآية ١١٠ .

خصائص المجتمع الإسلامي

أولاً : مجتمع رباني :

من الخصائص التى تميز المجتمع الإسلامى عن سائر المجتمعات ، أنه مجتمع انبثق من العقيدة ، فالعلاقة الاجتماعية التى تربط أفراد المجتمع قائمة علي أساس العقيدة الإسلامية ، ولقد ركز القرآن الكريم علي غرس معاني الإيمان فى نفوس أفراد المجتمع ، والمتتبع لتاريخ المجتمع الإسلامى يجد أن منهج التربية الذى جاء به الرسول ﷺ بدأ بغرس العقيدة ، وتقرير شهادة أن لا إله إلاّ الله فى النفوس ، لمرحلة بلغت ثلاثة عشر عاماً ، حتي إستقرت حقيقة الإيمان فى نفوسهم. وبعد ذلك بدأت بالأوامر والنواهي فكانت طاعة بلا جدال ولانقاش .

والآيات القرآنية نجد منها أعداداً كثيرة تدور حول غرس معاني الإيمان فى نفوس أفراد المجتمع ، وعلي سبيل المثال لا الحصر نذكر بعضاً من هذه الآيات القرآنية :-

قال تعالي : « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** » (١) .

وقال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً** »(٢) .

وسنبين هذه الخصائص عند الحديث عن الدعامة الأولي من دعائم المجتمع الإسلامى لأن بعض الخصائص تشترك مع بعض الدعائم .

ثانياً : مجتمع عالمي :

كذلك من المميزات التى تميز المجتمع الإسلامى به عن سائر المجتمعات الأخري ، أنه مجتمع عالمي لايقوم علي العنصرية والقومية ، التى تزول بزوال المؤثرات

(١) سورة البقرة : الآية ٢١ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

عليها ، فالمجتمع الإسلامى مفتوح لكل البشر ، دون وضع للإعتبارات العارضة أو الجانبية ، كالجنس أو اللون أو اللغة . فهو مجتمع يؤمن أن دعوته عالمية ، جاءت رحمة إلي الناس كافة ، قال تعالي : « **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ...** » [1] .

وكذلك وردت أحاديث نبوية تؤكد علي عالمية الدعوة ، وتدلل علي أن المجتمع الإسلامى مجتمع عالمى ، ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى ، بعثت إلي الأحمر والأسود ، وكان النبي إنما يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ...)[2].

ثالثا : مجتمع متكافل ومتعاون :

جعل الأسلام من مميزات مجتمعه التكافل ، الذى يقوم علي أساس أن أفراده وحدة واحدة ، متعاونون ومتحابون يساند بعضهم بعضاً علي مصاعب الحياة وفى مواجهة الأزمات . وسنعرض لهذا بالتفصيل فى الفصل الخامس عند الحديث عن الدعامة الخامسة إن شاء الله .

رابعاً : مجتمع التناصح :

كذلك يتميز المجتمع الإسلامى بخاصية التناصح ، فكل فرد يؤمن أن من تمام الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن المسلم مرأة أخيه ، وأن من صفات المؤمن التناصح والتعاضد والتعاون والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لقوله تعالي : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** » [3] .

٣٣ولقول الرسول ﷺ :(الدين : النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .
(٢) مسند الإمام أحمد ، ٣/٣٠٤.
(٣) سورة التوبة : الآية ٧١ .

)[1].

فالنصح لله : وصفه بما هو له أهل ، والخضوع له ظاهراً وباطناً ، والرهبة من سخطه بشرك ومعصية ، وبالجهاد ورد العاصين عنه .

والنصح لرسوله : تعظيمة ونصرته حياً وميتاً ، و إحياء سنته بتعلمها وتجنب البدع ، والإقتداء فى أقواله وأفعاله ، ومحبته ومحبة أتباعه .

أما النصح لأئمة المسلمين : إعانتهم علي ما حملوا القيام به من عبادات وغيرها ، وتنبيههم عند الغفلة ، ومن أعظم نصحيتهم دفعهم عن الظلم بالتى هى أحسن ، وجمع كلمتهم ، ورد القلوب النافرة إليهم .

والنصيحة لعامة المسلمين : الشفقة عليهم ، والسعي بما يعود عليهم بالنفع ، وتعليمهم وكف الأذى عنهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه [2].

فهذا هو المجتمع المسلم ، مجتمع التناصح ، كل فرد فيه حريص علي مصلحة أخيه ، وهذه هى أهم خصائص المجتمع المسلم ، التى تميزه عن سائر المجتمعات الأخري قديمها وحاضرها .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ٦٦/١ كتاب الإيمان ، والبخارى أورد هذا الحديث ترجمة للباب ، ولم يخرجه مسنداً فى هذا الكتاب لكونه علي غير شرطه وقد أخرجه مسلم عن تميم الدارى .

(٢) المرجع السابق ، ١٦٧/١ .

الباب الأول

دعائم المجتمع الإسلامي

المبحث الأول
معنى الإيمان لغةً واصطلاحاً

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

ويشتمل على ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول :

معنى الإيمان لغة وإصطلاحاً .

المبحث الثاني :

الإيمان بوحدانية الله عز وجل.

المبحث الثالث :

العقيدة الصحيحة أساس المجتمع .

المبحث الأول
معنى الإيمان لغةً وإصطلاحاً

الإيمان لغةً :

التصديق بالقلب وضده الكفر ، وهو من الأمن ضد الخوف ، فهو مصدر أمن يؤمن مؤمن [1] .

الإيمان فى الشرع : هو الإعتقاد بالقلب والاقرار باللسان ، أو هما مع سائر الجوارح [2] . وقال الزجاج : هو إظهار الخضوع والقبول للشريعة وبما أتي به النبىﷺ ، وإعتقاده وتصديقه بالقلب [3] وقيل : من شهد وعمل ولم يعتقد فهومنافق ، ومن شهد ولم يعمل وإعتقد فهو فاسق ، ومن أخل بالشهادة فهو كافر والعياذ بالله .

وينقسم الإيمان علي خمسة أوجه :-

١- إيمان مطبوع ، وهو إيمان الملائكة عليهم السلام .

٢- إيمان معصوم ، وهو إيمان الأنبياء عليهم السلام.

٣- إيمان مقبول ، وهو إيمان المؤمنين .

٤- إيمان موقوف ، وهو إيمان المبتدعين .

٥- إيمان مردود ، وهو إيمان المنافقين [4] .

والإيمان بالله عز وجل الأصل الأول من الأصول الإعتقاديه ، ولهذا الأصل من الأهمية الكبيرة، فعلية مدار الإسلام وهو لب القرآن فقد جاء القرآن غالبه يتحدث عن هذا الإيمان ، لأن القرآن إما حديث مباشر عن الله تعالي فى ذاتيته وأسماءه

(١) انظر : لسان العرب ، لأبى الفضل ابن منظور ، ١٣/٢١-٢٣ ، مادة أمن ، وكتاب التعريفات لعلى بن محمد بن على الجرجانى ، ص ٦٠ .

(٢) انظر : التعريفات للجرجانى ، ص ٦٠ . وأنظر : الكليات ، معجم فى المصطلاحات والفروق اللغوية ، لأبى البقاء أيوب الكفوى ، (ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م) ، ص ٢١٣ ، وضع فهارسه عدنان درويش ، ومحمد المصرى ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩١٣م

(٣) لسان العرب ١٣/٢١ .

(٤) التعريفات للجرجانى ، ص ٢٢

وصفاته وأفعاله ، وإما دعوة إلي عبادته وحده لاشريك له ، وترك مادونه من آلهة باطلة ، وإما أمر بطاعته ونهي عن معصيته ، وإما إخبار عن أهل الإيمان أو إخبار عن أعداء الله الكافرين. فالقرآن كله حديث عن الإيمان بالله يوضح هذا ما ذكر فى القرآن من أسماء الله عز وجل أوصفاته فى آيات كثيرة تزيد علي الألف آية .

ونستطيع أن نقول أن الإيمان بالله بالنسبة لبقية الأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للسوق والفروع فهو أصل الأصول وقاعدة الدين ، وكلما كان حظ المرء من الإيمان بالله عظيماً كلما كان حظه من الإسلام كبيرا[1].

والمسلم يؤمن بالله تعالي بمعني أنه مصدق بوجوده سبحانه وتعالي ، وأنه عزوجل فاطر[2] السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ، ومالك كل شيء ، لا إله غيره ، ولا معبود سواه ، متصف بكل صفات الكمال ، ومنزه عن كل نقصان .

والأدلة النقلية فى القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة علي وجود الله سبحانه وتعالى ، وعلي ربوبيته وعلي أسمائه وصفاته ، منها قوله تعالي : « **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً**[3] **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** »[4]. .وقال تعالي : « **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ...** »[5] .

(١) انظر : العقيدة فى الله ، د . عمر سليمان الأشقر ، ص ٦ مكتبة الفلاح – الكويت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

(٢) **فاطر** : خالق .

(٣) **حثيثا** : سريعاً ، تفسير فتح القدير ، ٢/٢١٢ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٤

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

وبالايمان بالله يتحتم علينا أن نؤمن بربوبيته [1]، قال تعالي: « **الحمد لله رب العالمين** »[2]، وقال تعالي: « **قل من رب السموات والأرض قل الله ...** » [3].

جاء فى تفسير مدارك التنزيل أن الآية الكريمة حكاية لإعترافهم وهم مشركوا قريش ، لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله ، أو هو تلقين ،أى فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هذا[4].

إذن فالإيمان بالله عزوجل معناه الإعتقاد الجازم بأن الله رب كل كل شيء ومليكة وخالقه ، وأنه الذى يستحق العبادة ، من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذله وخضوع ، لأنه المتصف بصفات الكمال كلها المنزه عن كل نقص [5] .

ومن الإيمان بالله تعالي أنه ينبغى علي الفرد المسلم أن يؤمن بالملائكة عليهم السلام ، وأنهم موكلون بوظائف بها قائمون لا يفترون ، وكذلك الإيمان بكتبه ، وأنها منزله من عنده سبحانه وتعالي، وموحاه إلي رسله عليهم السلام ليبلغوا عنه شرعه ودينه ،وأن أعظمها القرآن الكريم المنزل علي نبينا محمد ﷺ ، والإيمان كذلك برسله عليهم السلام ، وأن الله أصطفاهم علي عباده، وأوحي إليهم بشرعه حتي يبلغوه للناس ، فلا تكون لهم حجة يوم القيامة ، وأن الله أرسلهم بالبينات ، وأيدهم بالمعجزات ، وإبتدأهم بنوح عليه السلام ، وختمهم بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

(١) **الربوبية** : الإسم من الرب ، ومعني الربوبية له سبحانه وتعالي كونه رباً وخالقاً ومدبراً لأمر الكون .

(٢) سورة الفاتحة : الآية ٢

(٣) سورة الرعد : الآية ١٦ .

(٤) انظر : تفسير النسفى ، المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لابى بركات النسفى ، (ت ٧٠١هـ) ٢٤٦/١ ، دار الفكر .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٦ ، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١هـ ، وتيسير العزيز الحميد ، شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٧ ، منشورات المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولي . وانظر : الإيمان – أركانه – حقيقته – نواقضه ، د . محمد نعيم ياسين ، ص ٦ ، وما بعدها ، الجامعة الأردنية ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

وكذلك يقتضى الإيمان بالله عزوجل الإيمان باليوم الآخر ، وأن هذه الدنيا لها نهاية لا يعلمها إلا الله ، ويبدأ اليوم الآخر من بعد الحياة الدنيا ، يبعث الله فيه الخلائق ، ثم يحشرهم ليحاسبهم فيجزى كلاً علي عمله فالأبرار فى نعيم مقيم فى جنات الخلد ، والفجار فى العذاب المهين فى النار ، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر ، وحكمته ومشيئته ، وإن كل شىء لا يقع فى الوجود إلا بعد عمله وتقديره ، وأنه سبحانه وتعالي عدل فى قضاءه وقدره ، حكيم فى تصرفه وتدبره ، فلاحول ولا قوة إلا به .

فالحديث عن أركان الإيمان طويل ليس يسعنا فى هذا الفصل إلا ما اشرنا إليه لنبين أنه ليس هنالك مجتمعاً يسمي بالمجتمع الإسلامي إلا وأن يكون مؤمناً بالله عزو جل ، وبباقى الأركان (١) ، وبما يستلزمه هذا الإيمان من خضوع لمنهجه فى كل مجالات الحياة ، وامتثالاً لأوامره فى كل شأن . لأن الإيمان بالله هو الذى يوحد تصور الأمة للوجود والحياة والقيم والأعمال والأحداث ، وهو الذى يجعل الأمة ترجع إلي ميزان واحد تقوم به وتحتكم إلي شريعة واحدة من عند الله . والإيمان بالله وحده لا شريك له هو الدعامة الأساسية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى ، وبدون هذه الدعامة تنهدم كل الدعامات الأخري ، لأنها مرتكزة إرتكازاً متيناً علي هذه الدعامة . فهذه الدعامة هى الحد الفاصل ببين مجتمع الكفر ومجتمع الإيمان .

---

(١) فى حديث جبريل المشهور ، حين جاء إلي النبى ﷺ فى صورة أعرابى ، يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، قال ﷺ عن الإيمان : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، رواه الإمام مسلم بشرح النووى ، ١/١٥٧ ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، وسنن أبى داود ٤/٢٢٣ ، كتاب السنة ، باب فى القدر ، حديث رقم ٤٦٩٥ ، وسنن الترمذى ، ٥/٨ كتاب الإيمان ، باب ٤، حديث رقم ٢٦١٠ ، وسنن ابن ماجه ، ١/٢٤ ، المقدمة باب فى الإيمان ، حديث رقم ١٦٣ ، ومسند الإمام أحمد ٥/٣١٧.

المبحث الثاني
الإيمان بوحدانية الله عز وجل

المبحث الثاني

الإيمان بوحدانية الله عز وجل

من الأسس الهامة فى بناء المجتمع الإسلامى ، ومن أهم دعائمه ومقوماته التى حث عليها القرآن ، وطبقها الرسول ﷺ علي أرض الواقع فى مجتمعه الجديد الإيمان بوحدانية الله عز وجل .

وفحوي هذه القاعدة أن تجتمع قلوب هؤلاء القوم ، المشتته فى عبادة الأوثان ، وأن تتفق أفهامهم علي الإيمان بحقيقة الإله الواحد الأعظم ، الذى له الصفات والممكنات ومالا يتساوي به غيره من تلك الآلهة التى تعبد من دونه وتشرك معه .

ولقد كان من نتاج ترسيخ هذه العقيدة التوحيدية فى قلوب وعقول أفراد هذا المجتمع أن تجمّع الأفراد ، وتوحدت قبلتهم ، وتجمعت أشواقهم ، وأنتظمت مشاعرهم ، وتحددت أفكارهم ، وأهدافهم ، وهذا هو الأثر البنائى للتوحيد ، وهو المقوم الأول من مقومات بناء المجتمع الإنساني الذى أسسه الرسول الكريم ، فنقل به أفراد هذا المجتمع الجاهلى من عالم همجى [1] غوغائى [2] تسوده الدهماء [3] إلي عالم جديد تبلورت فى ظله معالم الشخصية الإنسانية الرفيعة .

والحق تبارك وتعالي إله معبود ، ومشرع حكيم رحيم عليم ، والقرآن الكريم يتحدث عن وحدانية الله تبارك وتعالي كمبدأ يستقر فى المجتمع عملاً ، بعد أن قامت علية الأدلة حجةً ونظراً ، فالله هو الذى يضع الحدود ، وهو الذى تجب له الطاعة ، وكذلك الرسول المبلغ عنه .

---

(١) **همجى** : مفرد الهمج ، وهم الرعاع الحمقي ، تشبيهاً للذباب الصغير الذى يقع علي وجوه الدواب. انظر مختار الصحاح ، ص ٢٩١ ، والمصباح المنير ، ٢/٧٩٠.

(٢) **غوغائى** : صفة قبيحة يتصف بها السفلة من الناس ، وهى أيضا الصوت والجلبة المزعجة . انظر : لسان العرب، ١٤٢/١٥ مادة غوي ، ومختار الصحاح ، ص ٢٠٣.

(٣) **الدهماء** : الجماعة من الناس والعدد الكثير . المرجع السابق ، ٢١٢/١٢ ، مادة دهم ، وأيضا المصباح المنير ١/٢٤٠ .

والله تبارك وتعالي هو الاسم الجامع ، لكمال الألوهية والوحدانية ، التى تعني تفرده سبحانه وتعالي بالخلق والتدبر والتصرف ، والأفراد فى المجتمع الإسلامى موثوقى العهد مع الله بالإيمان بوجوده ووحدانيته .

والمجتمع الإسلامى وفق إيمانه وعقيدته الإسلامية وفكره الإسلامى ، ينفرد عن النظم الوضعية التاركه لدين الله جهلاً أو عناداً بنظامة ويستقل بذاته لأنه مجتمع يبنى نظامه تحت مظلة هداية الله.

ذكر سعيد حوي﵀ فى كتاب « الإسلام » أن المجتمع الإسلامى إنما ينشأ من إنتقال أفراد أو جماعات من العبودية لغير الله إلي العبودية لله وحده وشريك له ، ثم تقرر هذه المجموعات أن تقيم حياتها علي اساس هذه البعودية ، وعندئذ ميلاد لمجتمع جديد ، مشتق من المجتمع الجاهلى القديم ومواجه له بعقيده جديدة ، ونظام لحياة جديدة تقوم علي أساس العقيدة الصحيحة .

وطبيعي أن المجتمع المسلم الجديد لاينشأ ولا يتقرر وجوده إلا إذا بلغ درجة من القوة ليواجه بها المجتمع الجاهلى القديم فى قوة الإعتقاد والتصور ، وقوة الخلق والبناء النفسى ، وقوة التنظيم والبناء الجماعى ، وسائر أنواع القوي التى يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلى ويتغلب عليه (١) .

فالدينونة لله وحده وجدت أولاً ، ثم وجد المجتمع ، فلا وجود للمجتمع الإسلامى بدون الإيمان بالله. وهو المجتمع الذى قرر أن تكون الدينونة فيه لله وحده ، وهو الذى نبذ شرائع الجاهلية وعاداتها وتقاليدها ، وهو الذي رفض أن تكون شرائع البشر هي التي تحكم أي جانب من جوانب الحياة فيه.

أركان الإيمان وأثرها على الفرد والمجتمع .

بعد أن وضحنا الركن الأول من أركان الإيمان ، وأصل هذه الأركان ، وبينّا أثر

﵀ سعيد حوي : عالم ومفكر إسلامى معاصر من (سوريا) له كتب كثيرة مثل كتاب (الإسلام) وتربيتنا الروحية .

(١) انظر : كتاب الإسلام ، سعيد حوي ، ص ٣٩ – ٤٠ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

الإيمان علي الفرد والمجتمع فى سياق الحديث عن هذا الركن العظيم ، نبين الآن أثر باقى الأركان علي الفرد والمجتمع .

الإيمان بالملائكة :

أن الإيمان بالملائكة له الأثر العظيم فى تهذيب السلوك بالنسبة للأفراد ، فالفرد عندما يؤمن بأن عليه ملائكه موكلين من قبل الله ، يراقبون أعماله صغيرها وكبيرها ويحصوها أينما حل وإرتحل ، فيبتعد عما يغضب الله وبذلك تسقيم حياته. قال تعالي : « **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** » (١) .

ذكر البيضاوى فى تفسيره أن العبد ما يرمى به من فيه إلا لديه رقيب وهو ملك يراقب عمله وعتيد معد حاضر ، ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب ، وفى الحديث كاتب الحسنات أمير علي كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنه كتبها ملك اليمين عشراً ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (٢) .

فهذا الإيمان ينمى الشعور بالمسؤولية ، والإستمرار علي مراقبة الله عزوجل ، والاستقامة علي أمره ، وكما أنه يراعي حق الصحبة ، فهو يصاحب عباداً مكرمين عليهم السلام . وبذلك يصبح المجتمع مثالياًتسوده روح المحبة والمودة إذا ما تحلي الفرد بهذه الصفات .

الإيمان بكتاب الله :

ويعني ذلك الإحتكام إليه فى كل صغيرة وكبيرة ، قال تعالي : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم ...** » (٣) .

بين الطبرى فى تفسيره للآية الكريمة ، أن أحكم يا محمد بينهم بما أنزل إليك من الكتاب ولاتتبع أهواء اليهود الذين إحتكموا إليك فى قتيلهم وفاجريهم (٤) . فالآية فيها تحذير للرسول ﷺ من أن يفتنوه أهل الكتاب وهى عامة .

---

(١) سورة ق : الآية ١٨ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٦٨٧ ، ومختصر تفسير الخازن ، ٢/ ١١٠٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ، المسمى جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، (ت ٣١٠هـ) ، ٤/ ٢٧٣ ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

إن كتاب الله هو الفيصل فى حياتنا فى جميع مجالاتها ، من سياسة وإجتماع واقتصاد إلي غير ذلك ، ولا يمكن أن يقوم المجتمع الإسلامى إلا بتمسكه بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ . والإحتكام إلي كتاب الله يجعل المسلم دائما علي بينة من أمره فى جميع أحواله ، فمثلاً موقف المجتمع المسلم من اليهود والنصارى لا يتغير، ثابت فى كل زمان ومكان لأن الله عز وجل فى كتابه نهانا عن موالاتهم ، وموقف المسلم من الخمر ثابت ، وكذلك الزنى ، لأن تحريمهما ذكرا فى القرآن ، فبذلك تتحد الآراء عند أفراد المجتمع المسلم مما يجعله متماسكاً .

الإيمان بالأنبياء والرسل :

يعنى الإيمان بهم عليهم السلام وأن الله عزوجل أرسلهم لهداية الناس فلا نفرق بينهم ، ونؤمن بأن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، و علينا السمع والطاعة والإنقياد لما جاء به عن ربه فإذا إلتفت القلوب حول كتاب الله وسنة رسوله فستكون وحدة الفكر والتصور فى المجتمع الإسلامى وحدة متماسكة .

الإيمان باليوم الآخر :

إن لهذا الركن الأثر الهام فى حياة المجتمع المسلم ، فالفرد إذا علم أنه مثاب بالإحسان علي فعل الخير ومجازي بالعقاب علي فعله للشر فتكون تصرفاته قائمة علي خشية الله والطمع فى رضوانه ، فإن لهذا الركن الأثر فى توجيه الإنسان إلي فعل الخير وإجتناب الشر ، وبذلك يطهر المجتمع من الأدناس والقبائح والفحشاء .

الإيمان بقضاء الله وقدره :

يجعل هذا الركن الفرد المسلم يرضي بما قدره الله عليه ، فيؤمن كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامى بأن الله أوجد الأشياء حسب علمه وإرادته ، فبذلك تتربى النفوس علي الصبر فى البلاء وترضي بما قسمه الله لها ، ويخوض المجتمع غمار الحروب دفاعاً عن العقيدة وحمي الأوطان دون خوف أو وجل ، لأنه أخذ هذه الشجاعة من توكله علي الله التى هى من ثمار هذا الركن [1] .

---

(١) انظر : مجتمعنا المعاصر ، عبدالله المشوخى ، ص ٣٩ – ٤٦ .

المبحث الثالث
العقيدة الصحيحة أساس المجتمع

المبحث الثالث

العقيدة[1] الصحيحة أساس المجتمع

إن أى مجتمع لابد وأن يقوم علي أسس ومقومات لتماسكه وتكامله ، فمن هذه الدعائم والأسس والمقومات الإيمان بالله عزوجل النابع من العقيدة الإسلامية التى وحدت الفكر بين أفراد المجتمع القرآنى وجماعاته ، والتى صدرت عن هذه العقيدة الواضحة تصورات ومفاهيم عن الكون والإنسان والحياة ، والأنظمة التى تحكم تصرفات الفرد ، والأعراف التى تتكون منها مشاعره وأحاسيسه وسلوكياته وعاداته .

نعم لابد لإقامة البناء الإجتماعى من عقيدة واضحة محددة ، ذات تأثير فعال فى كيان وفى حركة الفرد فى المجتمع ، ومن ينظر إلي المجتمع الإسلامى فى ظل الاسلام يري أن الإسلام حرص علي أن يكون البناء الاجتماعى علي هذه الدعائم والأسس .

إن المجتمع الإسلامى إنبثق من العقيدة الإسلامية وقام عليها ، لأن هذا المجتمع من صنع الله ابتداءً وإنتهاءً ، إذ هو فى البداية فرد خلقه الله لغاية ، وهو فى الإنتهاء تجميع لهذاالفرد لكى يحقق تلك الغاية ، فإذا كان المجتمع فى أصله مجموعة من الإفراد يرتبط بعضها ببعض بواسطة تلك العقيدة وما تفرزه من قيم ومبادئ ، فقوة الربط وإحكام البناء تستلزم أن لا يكون شيء غريب فى عملية البناء والتشييد .

---

(١) **العقيدة** : من الإعتقاد الجازم بالقلب ، وأصل الكلمة من العقد ، وهى شد الحبل بعضه ببعض ، ونقيضه الحل ، ومادة عقد فى اللغة مدارهاعلي اللزوم والتأكيد ، قال تعالي : « لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم عليه الإيمان » سوة المائدة آية ٨٩ ، وتقيد الإيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه . والعقائد من الأمور التى تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب ، لايخالطها شك ولاريب ، والعقيدة فى الإسلام تقابل الشريعة ، إذ الإسلام عقيدة وشريعة ، والعقيدة أمور علمية يجب علي المسلم إعتقادها فى قلبه والشريعة أمور عملية تكليفية من معاملات وعبادات. . انظر : لسان العرب ٢٩٦/٣ مادة عقد ، ومختار الصحاح ص ١٨٦ ، والعقيدة فى الله ، عمر سليمان الأشقر ، ص ١٠ . انظر : مدخل لدراسة العقيدة ، د . محمد حافظ الشريدة ، ص ٤٣ ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

فإذا كانت مادة المجتمع وهى الأفراد من صنع الله فلابد من أن تكون تلك العقيدة بكل أبعادها من صنع الله ، حتي يكون البناء قوياً ومتيناً ومحكماً ، فالاسلام بين لنا أن أساس المجتمع الفاضل عقيدة صالحة ، تزيل عن العقول لوثة الوثنية والإنحرافات الفكرية ، وتطهر المجتمع من الزيغ والأهواء وعبادة الأصنام .

والقرآن الكريم جاء فى بداية بنائه للمجتمع الإسلامى أولاً بالأمور العقائدية ، فمن لدن آدم عليه السلام إلي محمد ﷺ كان كل نبى يبعث فى قومه يبدأ فى تأسيس المجتمع علي العقيدة السمحة ، من الإيمان بالله وباليوم الأخر والاقرار له بالعبودية ، واعتقاد وحدانيته وتصورها . قال تعالي مبيناً ذلك : « **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...** » (١) .

جاء فى تفسير الطبرى أن الله تعالي بعث فى كل أمة مضت من قبلكم أيها الناس رسولاً ، كما بعث فيكم رسولاً ، فأعبدوا الله ولا تشركوا به ، وأفردوه بالطاعه ، و أخصلوا له فى العبادة وأبعدوا عنكم الشيطان ، وأحذروا من غوايته لكم وصدكم عن سبيل الله (٢) .

وذكر ابن كثير فى تفسير للآية (وبعث فى كل أمة أى فى كل قرن وطائفة من الناس رسولاً وكلهم يدعون إلي عبادة الله ، وينهون عن عبادة ماسواه ، أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فلم يزل تعالي يرسل إلي الناس بذلك ، منذ حدث الشرك فى بنى آدم ، وفى قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلي أهل الأرض ، إلي أن ختمهم بمحمد صلي الله عليه وسلم ، الذى طبقت دعوته الإنس والجن فى المشارق والمغارب) (٣) .

جاء القرآن واستمر فى نزوله ثلاثة وعشرين عاماً ، منها عشرة سنوات فى المدينة

---

(١) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ، ١٠٣/٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لأبى الفداء إسماعيل ابن كثير ، (ت ٧٧٤ هـ) ، ٥٦٨/٢ ، دار إحياء الكتب العربية – عيسي البابى الحلبى .

وباقيها فى مكة ، وهذه الفترة لم يعالج فيها إلا قضية واحدة وهى قضية العقيدة ، بكل ما تشتمل عليه من توحيد لإله الحق ، وتحرير من أوهام الشرك ، وما يترتب علي ذلك من الإيمان بالبعث والكتب والرسل والملائكة ، أما تفصيلات الحياة وفروعها وتنظيمها للمجتمع المسلم وما يحكمه من تشريعات ، فكل هذا سكت عنه القرآن فى مكة ، ولم يتحدث عنه إلا بعد أن إستقرت عقيدة المسلمين ، وأصبح لهم مجتمع وسلطة ، تستطيع أن تنفذ أحكام الله وشريعته ، قال تعالي : « **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مُكث** [1] **ونزلناه تنزيلا** » [2] .

فمما سبق تتضح وتتبلور الفكرة بأن من أهم دعائم وأسس المجتمع التى يقوم عليها هى قضية الإيمان بالله عزوجل .

ومما لاشك فيه أن المجتمع الذى تنظمه عقيدة صالحة ، ينبثق عنها تشريع ينظم علاقات الناس ، وأخلاق وقيم ومبادئ تتفق وتبني عليه أعرافهم وعاداتهم ، ومن هنا كان أساس المجتمع الفاضل فى نظر الإسلام العقيدة الصحيحة الشاملة لأركان الإيمان.

ومن هذا التصور يتضح أن المجتمع الذى لا عقيدة له سوف ينهار ولو بعد أمد طويل ، وأن المجتمع الذى يسوده التدين السليم السمح ، مجتمع المحبة والإخاء والترابط ، مجتمع العقيدة السليمة ، يكون صحيحا فى مساره ولاتشوبه أى شائبة تعكر صفو حياته .

العقيدة الصحيحة تتضح أهميتها للفرد والمجتمع من خلال النقاط الاتية :-

للعقيدة الإسلامية الدور الهام والأساسى فى إقامة المجتمع الإسلامى علي أسس

(١) **مكث** : الثبات مع الإنتظار ، ويكون علي مهل وتأنى بغير عجلة فى أزمنة متطاولة والمعني أن هذا القرآن انزل عليكم لتقرأه علي الناس علي تؤدة وتأن ، حتي يستوعبه ويتفهمه الناس . انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى ، ص ٤٩١ ، تحقيق نديم مرعشلى ، دار الفكر العربى - بيروت ، والقاموس القويم للقرآن الكريم، إبراهيم عبدالفتاح ، ٢٣١/٢ ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٠٦.

ربانية ثابته وواضحة ، وليست علي أسس مادية وقتية كالقومية[1] أو الإقليمية [2] أو غيرها من الروابط التى سرعان ما تنفك ، فلا تصلح لأن تكون أسسا لتجميع الناس عليها ، والسر فى ذلك أن العقيدة توحد المجتمع ، لأنها تقوم علي أساس التوحيد المطلق لله فى كل شيء ، فالرب واحد، والرسول واحد ، والرسالة واحدة ، والقبلة واحدة ، والأهداف والآمال واحدة ، فلابد وأن تكون الأمة واحدة ، يقول تعالي فى ذلك : «**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » [3].

قال الزمخشرى* فى تفسيره للآية الكريمة (« إن هذه أمتكم أمة واحدة أنا ربكم فاعبدون ، هذه إشارة إلي ملة الإسلام ، أى ان ملة الإسلام هى ملتكم ، التى يجب أنا تكونوا عليها ، لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة) [4].

والعقيدة تنشئ فى الفرد إحساسا داخلياً ، يوجه كل القوي الكامنة فيه من فكر ووجدان ، وهنالك تلازمً بين سلامة المجتمع وقوته ، وسلامة العقيدة وقوتها ، فإذا اعتري الفرد فى عقيدته خلل أو ضعف اعتري بالمقابل الضعف فى المجتمع وساد الإضطراب فيه وتهيأ للتحلل والتفسخ ، ونزلت به الكوارث والمصائب ، ولذلك لم يكن غريبا بأن المولي عز وجل ربط بين إيمان الإنسان وتقواه ، وبين إستقراره وسعادته وتنعمه فى الحياة الدنيا والأخرة ، قال تعالي :« **ولو أن أهل الكتاب آمنوا**

(١) **القومية :** التعصب للأصل الواحد من جهة اللغة والقوم والجنس فى وطن واحد يكون الولاء للقومية ، حتي وإن تباعدت الأوطان ، وكل هذا منافى للإسلام لأنه من الجاهلية .

(٢) **الاقليمية :** هى كذلك التعصب والولاء لاقليم ووطن معين. انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص ٥٥٤ ، دار الشرق – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٣) سورة الأنبياء : الأية ٩٢ . وفى سورة المؤمنون : آية ٥٢ ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنار بكم فاتقون».

* **الزمخشرى :** هو محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشرى ، يلقب بجار الله لأنه سكن بمكة فترة من الزمن ، وهو لغوى ونحوى ومفسر ، ومن أهم مصنفاته (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل) ، ولد سنة ٤٦٧هـ ، وتوفى سنة ٥٣٨هـ رحمه الله . انظر : طبقات المفسرين للداوودى ، ٢/٣١٤-٣١٧ ، رقم ٦٢٥ ، وطبقات المفسرين للسيوطى ، ص ٤٨.

(٤) تفسير الكشاف للزمخشرى ، ٣/٢٠ ، دار الفكر – بيروت ، وتفسير الفخر الرازى ، ٢١/٢١٩ ، دار الفكر ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم* ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة [1] وكثير منهم ساء ما يعملون»[2].

قال الطبرى فى تفسيرة للآية الكريمة : لو أن أهل الكتاب من اليهود والنصاري آمنوا بالله وبرسوله محمدﷺ ، فصدقوه وأتبعوه بما أنزل عليه ، وما نهاهم عنه فاجتنبوه ، لمحونا عنهم ذنوبهم ولنعموا فى الدنيا والآخرة ، وكذلك لو أنهم عملوا بالتوراة والإنجيل وعملوا بما جاء به القرآن، لأن الإنجيل والتوارة والقرآن متفقة علي الإيمان بالله وبرسوله ، فلو عملوا بذلك لأنزل الله عليهم بركات من السماء ، فأنبت لهم الأرض حبا ونباتاً ، فاخرج ثمارها ، ولأكلوا من بركة ما تحت أقدامهم من الأرض ، ولوسع الله عليهم [3] .

يقول تعالي فى مثل هذا : « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** » [4] .

وأهمية العقيدة فى بناء المجتمع لا تخص أمة دون أمة ، أو جنساً دون جنس ، وكذلك لا تقتصر علي زمان دون أهل زمان ، فلها دور فعال فى إحكام البناء فى المجتمع ، سواء كان ذلك فى العصور السالفة أم العصور الحاضرة ، ونري القرآن الكريم حرص علي أن يُقدم نماذجاً من الأمم المختلفة ، فقدم لكل نموذج مرة قائماً

---

(١) **مقتصدة** : صفة لطائفة من أهل الكتاب بمعني معتدلة ، وهى التى سارعت إلي الإسلام . انظر: تفسير وبيان القرآن العظيم مع أسباب النزول للسيوطى ص ٩٥ ، إعداد محمد حسن الحمصى ، دار الرشيد – دمشق .

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٦٥ –٦٦.

(٣) انظر: تفسير الطبرى ، ٤/٣٠٤ – ٣٠٥.

(٤) سورة الأعراف : الآية ٩٦.

علي العقيدة الخالصة الصحيحة ، ومرة أخري قدم نموذجاً قائماً علي العقيدة الزائفة ، أو منحلاً من أى عقيدة .

وهذا ما نلمسه وما نراه بوضوح عندما يتحدث القرآن فى هذا الصدد عن نوح عليه السلام مع قومه ، فقد أراد أن يجمعهم علي عقيدة خالصة ، فواجهه الكثيرون بالرفض والعناد ، وأوصلهم ذلك إلي الكفر ، فلم يكن إلا الدماء والإغراق والهلاك لهم .

قال تعالي : « **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ** [1] **الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا** [2] **بادي الرأي** [3] **وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ، قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي و آتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** » [4].

والعقيدة الإسلامية إستطاعت أن تصهر خلائق كثيرة فى أمم شتئ ، فى مجتمع عالمي له رب واحد ، ودستور واحد ، وقيادة واحدة ، سعدت بهذا المجتمعات الإنسانية جمعاء ، حيث أسهم فى حضارة هذا المجتمع عباقرة الشعوب والأمم من عرب وفرس وروم وأحباش الذين اظلتهم راية لا إله إلاّ الله ومحمد رسول الله .

وللعقيدة دور هام فى إنشاء مجتمع نظيف متعاون مستقيم لاجريمة فيه ولا إنحراف ، عقيدة تحث علي الإحسان والتقوي ، وتنهي عن الإساءة والعدوان ، وتحبب

---

(١) **الملأ** : هم السادة والرؤساء الذين يملأون العين بمهابتهم

(٢) **الأراذل** : هم السفلة الناقصوا الأقدار .

(٣) **بادى الرأى** : ظاهره دون روية وتثبت تفسير وبيان القرآن الكريم للسيوطى ، ص ١٧٩

(٤) سورة هود: الآيات ٢٥ – ٢٨ .

إلي البشر فعل الخير والطاعات بالقول والعمل ، فيكون المجتمع كما أراده المولي عز وجل ، مجتمع البر والتقوي ، وليس مجتمع الإثم والعدوان ، ومجتمع الغابات التى تسود فيه التوترات والفساد ، والإنحلال الخلقى والنفسى ، والقلق العصبى والشذوذ الجنسى [١] .

والعقيدة تنشىء فى الفرد والمجتمع الطمأنينة . قال تعالى « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الابذكر الله تطمئن القلوب** »[٢].

قال الطبري في تفسيره للآية : إن الذين آمنوا بالله عز وجل وسائر أركان الايمان ، تسكن قلوبهم ، تستآنس بذكر الله ، ألا بذكر تستآنس قلوب المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ [٣] .

جاء فى التفسير الكبير للتفريق بين الوجل والإطمئنان (بأن الوجل حاصل بذكر العقاب والطمآنينة بذكر الثواب ، والوجل يوجد في حال فكرهم في المعاصي ، والطمآنينة توجد في حال اشتغالهم بالطاعات ، وأن الطمأنينة حصلت في قلوبهم في أن الله تعالي صادق في وعده ووعيده ، وآن محمداً ﷺ صادق في كل ما أخبر عنه) [٤] .

إن المجتمع الذي صنعته العقيدة مجتمعاً آمنا، كل فرد فيه آمن علي نفسه و ماله وعرضه .

ومن أثر العقيدة فى بناء المجتمع ، أن أفراده لا يلجأون إلا لله فى جميع أحوالهم ، وخاصة عند الخوف . قال تعالي : « **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلآ إياه ...** » [٥] .

---

(١) أنظر : دراسات فى الثقافة الإسلامية ، صالح ذياب هندى ، ص ٧٤-٧٥ ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان- الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ، ١٣/١٤٥ ، وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، اسماعيل حقى البروسوى ، إختصار وتحقيق محمد علي الصابونى ، ٢/٢٥٩ ، دار الصابونى - مكة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٤) تفسير الفخر الرازى ، ١٩/٥٠-٥١.

(٥) سورة الاسراء : الآية ٦٧.

وحددت العقيدة الإسلامية للناس غايتهم فى الحياة ، ووضحت لهم طريقة العمل للوصول إلي تلك الغاية ، ووضعت لهم الوسائل التى تكفل لهم السعادة فى الدنيا والأخرة ، فغاية المسلم فى الحياة الدنيا هى إرضاء الله عز وجل بطاعته ، والإمتثال لأوامره ، والإبتعاد عما نهي عنه ، ويدل علي ذلك قولُه تعالي : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** » (١).

وقال تعالي : « ... **فإما يأتينكم منى هدى فمن أتبع هداي فلا يضل ولايشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى** » (٢).

جاء فى تفسير أضواء البيان ما نصه : (والحاصل أن الله دعا جميع الناس علي ألسنة رسله إلي الإيمان به ، وعبادته وحده وأمرهم بذلك ، وأمره بذلك مستلزم للإرادة الدينية الشرعية، ثم إن الله عزوجل يهدى من يشاء منهم ، ويضل من يشاء بإرادته الكونية القدرية ، فيصيرون إلي ما سبق به العلم من شقاوة وسعادة ...)(٣) .

وطريقة العمل للوصل إلي تلك الغاية اتباع ما جاء به الله عزوجل قال تعالي : « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ...** » (٤) .

وبالنسبة للوسائل التى تكفل سعادة الناس الدنيوية والأخروية إتباع ما فرضه الله علي الناس من أنواع العبادات والتشريعات ، سواء كان ذلك فى المعاملات أم فى الأخلاق والسلوك (٥) . قال تعالي:« **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ...** » (٦).

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦.
(٢) سورة طه : الآيتان ١٢٣ – ١٢٤.
(٣) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الجكنى الشنقيطى ، (ت ١٣٩٣هـ) ، ٦٧٧/٧ ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٣١.
(٥) انظر : قواعد البناء فى المجتمع الإسلامى ، محمد السيد الوكيل ، ص ٢١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م
(٦) سورة يوسف الآية : ١٠٨.

ومن أثر العقيدة أنها الفت بين قلوب البشر وشدت المؤمنين بعضهم إلي بعض فجعلتهم يداً واحدة متحابين ، وعلمتهم العقيدة كيفية التضحية والفداء فى سبيل الآخرين ، فالعقيدة التى نؤمن بها تجعل المحبة بين المؤمنين علامة مميزة للإيمان الذى تدعو إليه ، فمن تقطعت أواصر المحبة بينه وبين أخوانه المؤمنين فعليه أن يبحث عن جانب الضعف الذى سبب له ذلك حتي يستكمل الإيمان [١] .

وكما أن الحب فى الله علامة مميزة تدل علي إستكمال الإيمان ، فكذلك كره الكفرة والمارقين يدل أيضا علي زيادة الإيمان ، وفى هذا المعني السامى يقول الحبيب المصطفي عليه أفضل الصلاة والسلام: (من أحب لله وأبغض لله وأعطي لله فقد استكمل الإيمان) [٢] .

إن المحبة القائمة والدائمة بين أفراد المجتمع علي أساس عقدى ، لها أثر فى المجتع ، حيث يصبح متماسكا قوياً يشد بعضه بعضاً .

والعقيدة الإسلامية تعمل علي إخلاص العبودية لله سبحانه وتعالي ، وبالتالى فهى تحرره من كل ولاء لغير الله ، والتمرد علي أى قانون غير قانون وشرع الله ، ولعل فاتحة الكتاب التى نرددها فى كل صلاة جاءت تأكيداً لهذا المعني «**إياك نعبد وإياك نستعين**» [٣].

وأيضاً العقيدة الإسلامية لها قناعات أكيدة بأن النافع والضار والمحى والمميت هو الله سبحانه وتعالي، وبذلك فهى تمنع الإنسان من أن يلجأ أو يستعين بغير الله ، قال رسول الله ﷺ : (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) [٤] .

---

(١) انظر : قواعد البناء فى المجتمع الإسلامى ، ص ٢٢ .

(٢) سنن الترمذى ، ٥٧٨/٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب رقم ، ٦ حديث ٢٥٢١ . قال عنه أبو عيسي: حديث حسن . وجاء الحديث فى رواية أخري عن سهل بن معاذ الجهنى عن أبيه أن رسول الله() قال (من اعطى لله تعالي ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد إستكمل الإيمان) . ومسند الإمام احمد بن حنبل ، ٣٨/٤ ، ٤٤٠ .

(٣) سورة الفاتحة : الآية ٥.

(٤) سنن الترمذى : ٥٧٦/٤ ، كتاب صفه القيامة ، باب رقم ٥٩ ، حديث رقم ٢٥١٦ . راوى الحديث ابن عباس رضى الله عنهما ، قال أبوعيسي : حديث حسن صحيح .

وجعلت العقيدة الفرد فى المجتمع فى عزة ، ويدل علي ذلك قوله تعالي : « .. **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » (١) .

يضم الله سبحانه وتعالي رسوله والمؤمنون إلي جانبه ، ويضفى عليهم من عزته ، وهو تكريم لهم لا يكرمه إلا الله ، والله تعالي جعل العزة صنو (٢) الإيمان فى قلب المؤمن . والعزة المستمدة من عزة الله لا تهون ولاتهن ولاتنحنى ولاتلين ، فإذا استقر الإيمان ورسخ استقرت ورسخت العزة معه (٣) .

إن ما أحدثته عقيدة الإسلام فى المجتمع الإسلامى الأول ، لم يتغير فقط فى طراز إدارة البلاد، وإنما فى الحقيقة قد تبدلت بهذا الإنقلاب العقليات ووجهات النظر ، ومناهج التفكير ، وتغيرت طريقة المعيشة والأخلاق والعادات تغيراً تاماً ، فانقلبت الأرض ظهراً علي بطن ، وتحولت الأمة بأسرها تحولاً تاماً ، فبعد أن كانوا يأتون الفاحشة أصبحوا حماة لأعراض النساء ، والذين كان ديدنهم السرقة وقطع الطرق ، أصبحوا رمزاً فى العفاف والورع، مما جعلهم يتحرجون الأكل عند إخوانهم تحسباً أن يكون خالطه شيء من الحرام ، إلي أن أنزل الله فى كتابه ما جعلهم يطمئنون فى تلك الظروف ، وما نتيجة الرحمة والنجدة والكرم والعدالة مع العدو قبل الصديق ، إلاّ من التمسك بالعقيدة الإسلامية التى قلبت موازين المجتمع الجاهلى رأسا علي عقب ، فأصبح مجتمعاً إسلامياً آمناً مطمئناً سعيداً بأفراده ، مطبقاً لأحكام الله ، وهذا كله نتاج لما أفرزته العقيدة وأثرت به فى الفرد والمجتمع (٤).

العقيدة الفاسدة وأثرها على المجتمع

مما تقدم يتضح لنا أن العقيدة الخالصة لها دور أساسى وفعّال فى بناء المجتمع

(١) سورة المنافقون : الآية ٨.

(٢) صنو : الأصل أو المثل أو الشبه . انظر : لسان العرب ، ١٤/ ٤٧٠، مختار الصحاح ، ص ١٥٦.

(٣) انظر : فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٨/ ١١٥ ، دار احياء التراث العربى – بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م.

(٤) انظر : منهاج الإنقلاب الإسلامى ، أبو الأعلى المودودى ، ص ٦٩، دار الفكر – بيروت . أنظر : العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ، د . عبدالله عزام ، ص ١٨٦ وما بعدها ، مطبعة مسودى – القدس.

الإنسانى ، علي اختلاف البيئات الزمانية والمكانية ، والتاريخ لم يذكر أن مجتمعاً قوياً ومتحضراً قام بدون عقيدة خالصة . وبالمقابل فإن التحلل من العقيدة له دور فعال فى إنحلال المجتمع الإنساني ، وتفكك أعضائه تفككاً كاملاً ، يودى بكيانه سواء كانوا أفراداً أم جماعات[1].

لذلك حرص القرآن الكريم علي تذكير المسلمين بما كان فى الأمم السابقة ، حيث إتخذوا العقيدة المزيفة منهاجاً لهم حينما إستبدلوا الكفر بالإيمان ، ووضعوا الشرك موضع التوحيد .

نري أن القرآن قد ركز علي أقرب مجتمعين للمجتمع الإسلامى ، هما مجتمع اليهود بعد أن اتبعوا طريق الحق علي يد موسي عليه السلام ، ومجتمع النصاري بعد أن قصدوا سواء السبيل علي يد عيسي عليه السلام ، حتي تكون العظة والعبرة للمجتمع الإسلامى أقوي وأبلغ .

أما اليهود : فقد جمعهم موسي عليه السلام علي العقيدة الخالصة ، وطرح ما عدا ذلك من العقائد الضالة ، حتي سحرة فرعون أنضووا [2] تحت لواء تلك العقيد ، وأعلنوها صراحة فى مواجهة فرعون الذى فرض نفسه إلهاً ، ولما استمروا علي تلك العقيدة نهض مجتمعهم قوياً علي أنقاض المجتمع الفرعونى المنهار ، بسبب عقيدته الفاسدة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع اليهودى فقد انهار حينما شذ عن العقيدة ، وكان بداية ذلك حينما طلبوا من موسي عليه السلام أن يدخل علي العقيدة إضافات تتيح لهم أن يكون لهم آلهة مع الله كما لغيرهم ، قال تعالي : « **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** » [3].

وبعد أن بين الله تعالي أنواع نعمه علي بنى اسرائيل بأن أهلك عدوهم ، واورثهم الأرض ، وأتبع ذلك بالنعمة العظمي بأن جاوز بهم البحر مع السلامة ، ونجاهم من

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ٧٠ وما بعدها .
(٢) إنضووا : أى دخلوا .
(٣) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .

فرعون ، فجحدوا هذه النعم وإرتدوا بطلبهم من موسي عبادة الأصنام ، وفى هذا تسلية للنبىﷺ عما رآه من يهود موسي ، فقد فعلوا ما هو أعظم مع نبيهم [1] .

وكذلك الحال مع المجتمع النصرانى [2] فلم يكن حالهم بأحسن من حال اليهود ، بل أصاب هؤلاء ما أصاب أولئك ، لأن ما وقع فيه اليهود وقع فيه النصارى علي وجه الإجمال ، فقد جعلوا عيسي عليه السلام ابن الله ، وجعلوا أمه زوج الله – سبحان الله عما يقولون – فقاتلهم الله أني يؤفكون .

فتبددوا وأصبحوا شيعاً وأحزاباً ، فأشاعوا فى الأرض الفساد ، قال تعالي فيهم : « **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** » [3] .

جاء فى تفسير الطبرى : أن الله حكم علي فرق النصاري بالكفر لتأليههم عيسي عليه السلام ، مع أن عيسي قال أول كلمة له أنى عبدالله ، ثم دعا الناس إلي رسالته ، وهذا خبر من الله تعالي عن بعض مافتن به بنو اسرائيل ، فكان مما إبتلاهم به وأخبرهم ألا يعبدوا سوي الله ، ولايتخذوا رباً غيره ، وأن يطيعوا نبيهم عيسي عليه السلام ، فهو عبدى خلقته ، وأجريت علي يده نحو الذى أجريت علي يد كثير من رسلى ، فقالوا كفراً منهم هذا هو الله ، وهذا قول الفرق القديمة كاليعقوبية والنصتورية وكذلك الأمر اليوم بالنسبة للفرق الجديدة [4] .

---

(١) التفسير المنير ، د . وهبة الزحيلى ، ٩/٧٥، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

(٢) **النصرانية** : صفة للنصارى من التناصر ، وأطلق عليهم ذلك لقوله تعالي « يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسي ابن مريم للحوارين من أنصارى إلي الله قال الحواريون نحن أنصار الله » سورة الصف الآية ١٤ ، وقبل سموا بذلك إنتساباً للقرية التى ولد فيها المسيح عليه السلام ، وهى مدينة الناصرة فى شمال فلسطين . انظر : معجم مفردات القرآن للأصفهانى ، ص ٥١٦.

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٢ .

(٣) تفسير الطبرى ، ٤/٣١٣ ، والتفسير المنير ، ٦/٢٧١ .

فعلي أمة الإسلام أن تتمسك بعقيدتها حتي يكون صرح مجتمعاتها عالياً فى بناءه ، وأن تترك كل أفكار هدامة زائفة تأتى من الغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى الكافر ، حتي نرجع إلي المجتمع الإسلامى الأول ، مجتمع الرسول () فتصير لنا الغلبة والقوة والحضارة بإذن الله تعالي .

الفصل الثاني

العدل

ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول :

مفهوم العدل .

المبحث الثاني :

مكانة العدل ومظاهره في القرآن الكريم .

المبحث الثالث :

أهمية العدل ودوره في بناء المجتمع الإسلامي

المبحث الأول
مفهوم العدل

المبحث الأول

مفهوم العدل

أ) العدل لغة وإصطلاحاً :

العدل لغة : العدل ضد الظلم والجور[1] ، وهو القصد فى الأمور ، أو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفى الإفراط والتفريط [2] .

العدل إصطلاحاً : إعطاء كل ذى حق حقه ، وهو المساواة بين الناس جميعاً فى إعطاء الحقوق ، والمساواة فى المكافأة إن خيراً فخير وإن شرا فشر ، والعادل هو الذى يتبع أمرالله ، بوضع كل شئ فى موضعه دون افراط أو تفريط ، أى القسط فى الشىء وأداء حقوق الله وحقوق العباد [3] .

ب) أوجه العدل في القرآن الكريم :

للعدل وجوه فى القرآن الكريم ، هى عبارة عن مدلولات وإستعمالات جاءت فى سياق الآيات وما اقتضته من معني ، ومن هذه الوجوه :-

---

(١) **الظلم والجور** : مجاوزة الحد . جاء فى لسان العرب فى مادة ظلم أن الظلم هووضع الشىء فى غير موضعه، قال الأصمعى فى المثل القائل (من أشبه أباه فما ظلم) : أى فما وقع الشبه فى غير موضعه . انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، ٣٧٣/١٢ مادة ظلم ، وجمهرة أمثال العرب ، لأبى الهلال العسكرى ، ١٩٩/٢ طبعه أحمد سلام ، وخرج أحاديثه محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولي ، ولمزيد من الفائدة عن موضوع الظلم راجع رسالة الباحث بعنوان « الظلم كما يوضحه القرآن الكريم والسنة المطهرة » جامعة ام درمان الإسلامية – كلية أصول الدين ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

(٢) انظر : مختار الصحاح ، ص ١٧٦ ، والمصباح المنير ، ٤٧٠/٢ ، والتعريفات للجرجانى ، ص ١٩١ .

(٣) انظر : مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى ، ص ٣٣٦ ، ومعجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخارى ، محمد فؤاد عبدالباقى ، ص ١٣١ ، باب العين ، دار إحياء الكتب العلمية ، فيصل عيسي البابى الحلبى –القاهرة . وانظر : الخلق الكامل ، محمد جاد المولى ، ٤١٧/٤ ، المطبعة العثمانية المصرية ، الطبعة الأولي ، ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م .

١) **العدل بمعني الإنصاف** : ومنه قوله تعالي: « ... **فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة** ... » [١] أى إن خفتم ألاّ تنصفوا فلا تعددوا فى الزوجات، وقال تعالي : « **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم** ... » [٢] .

٢) **العدل بمعني الفداء** : قال تعالي : «... **ولا يُؤخذُ منها عدلٌ** ... » [٣] . وقوله تعالي : « ... **وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها** ... » [٤] أى تفتدى بكل فداء لا يوخذ منها ولا يقبل ذلك اليوم .

٣) **والعدل بمعني القيمة** : ومن ذلك قوله تعالي : « ... **أوعدل ذلك صياماً** ... » [٥] بمعني من لم يجد الطعام فى الكفارة فقيمة ذلك الصيام ، لذا فتحت العين بمعني مثل ، وأما إذا كسرت فتأتى بمعني زنة ذلك .

٤) **العدل بمعني الشهادة** : بأن لا إله إلا الله : نحو قوله تعالي : « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ... » [٦] والعدل هنا كلمة التوحيد .

٥) **يعدلون بمعني يشركون** : كما فى قوله تعالي : « **ثمّ الذين كفروا بربهم يعدلون** » [٧]، أى يشركون [٨].

ج) مرادفات كلمة العدل :

لكلمة العدل مرادفات تؤدى إلي نفس المعني ، ومن هذه المرادفات :-

١- **القسط** : بكسر القاف ، يقال تقسطوا الشيء بمعني اقتسموه بالتسوية ، أقسط

---

(١) سورة النساء : الآية ٣ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٢٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٤٨ .
(٤) سورة الأنعام : الآية ٧٠ .
(٥) سورة المائدة : الآية ٩٥ .
(٦) سورة النحل : الآية ٩٠ .
(٧) سورة الأنعام : الآية ١ .
(٨) انظر : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ، حسين بن محمد الدامغانى ، ص٣١٧- ٣١٨، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٥م.

الرجل فهو قاسط ، ومنه قوله تعالي : «... **وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** » [1] ، والقسط أيضا الحق والنصيب ، يقال تقسطنا الشيء بيننا ، والقسطاس بضم القاف وكسرها بمعني الميزان ، وذلك للدلالة علي العدل[2] ، وقيل قسط الرجل إذا جار ، وأقسط إذا عدل.

٢- **الوسط** : وهو العدل « **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ... »[3] ، أى عدلاً خياراً ، ووسط الشيء ما بين طرفيه كأوسطه [4] ، ووسطه توسيطاً قطعة نصفين ، أو جعله فى الوسط ، وأخذ الوسط بين الجيد والردىء .

٣- **الحق** : من أسماء الله تعالي أومن صفاته ، ومن أسماء القرآن أيضا ، وهو ضد الباطل ، وهو الثابت الذى لايسوغ إنكساره ، وهو الحكم المطابق للواقع ، والصادق والمحق ضد الباطل والكاذب [5] .

٤- **الإنصاف** : يقال رجل منصِف بكسر الصاد ، والإنصاف العدل ، وإنتصف منه استوفي حقه منه كاملاً ، حتي صار علي النصف سواء ، وتناصفوا أنصف بعضهم بعضاً ، وتنصف السلطان سأله أن ينصفه ، وانصف الرجل عدل [6] .

٥- **السواء** : وهو العدل والوسط ، والجمع أسواء وسواسيه وسواسى ، واستويا وتساويا تماثلا ، قال تعالي :« ... **فأنبذ إليهم على سواء** ... » [7]، وسوي

(١) سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٢) انظر : مختار الصحاح ، ص ٢٢٣ ، والمصباح المنير ، ٦٨٩/٢ ، والقامس المحيط ، ٣٧٦/٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى ،ص ٤١٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٤) انظر : القاموس المحيط ، ٣٨٨/٢ ، والمصباح المنير ، ٩٠٧/٢ ، مختار الصحاح ، ص ٣٠٠ ، ومفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٥٩ .

(٥) المرجع السابق : ٢١٤/٣ ، والمصباح المنير ١٩٦/١ ، والتعريفات للجرجانى ، ص ١٢٠ .

(٦) انظر : القاموس المحيط ، ١٩٤/٣ ، ومختار الصحاح ، ص ٢٧٦ .

(٧) سورة الأنفال : الآية ٥٨ .

وسواء أى عدل ووسط بين الفريقين ، وأستوي الشيء إعتدل. قال تعالي : « ... **لو تسوّى بهم الأرض** ... » [1] ، وإستوي المكان إذا إعتدل [2] .

(١) سورة النساء : الآية ٤٢ .

(٢) انظر : القاموس المحيط ، ٣٣٩/٤ ، والمصباح المنير ، ٤٠٤/١ ومختار الصحاح ، ص ١٣٦ .

المبحث الثاني
مكانة العدل و مظاهره في القرآن الكريم

المبحث الثاني

مكانة العدل ومظاهره في القرآن الكريم

إنّ العدل من حيث جوهَره ليس قاعدة من قواعد الحكم الإسلامى فقط ، وإنما هو مثل أعلي من حقائق وقيم الإسلام الكبري ، التى حثّ القرآن علي تحقيقها وإشاعتها بين الناس فى آيات عديدة ، وهو أيضا مبدأ أساسى أمر به القرآن وجعل القيام به هدف الرسالات السماوية بعد الإيمان بالله الواحد، قال عزل وجل : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب**(١) **والميزان**(٢) **ليقوم الناس بالقسط . . .** »(٣) .

ذكر الشوكانى * فى تفسيره للآية الكريمة ، أن الله أرسل رسله بالمعجزات والشرائع البينة ، وأنزال معهم الكتاب ، والمراد به كل كتاب أنزل مع كل رسول ، وكذلك أنزلنا معهم العدل ، وأمرناهم به ، ليتبع الناس ما أمروا به من العدل ، فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة (٤) .

(١) **الكتاب :** أريد به هنا ما تقدم من كتب الله دون القرآن ، ومنهم من قال القرآن وغيره من الحجج والعلم والعقل . انظر : تفسير الطبرى ، ٢٣٧/١٣ ، ومعجم مفردات القرآن للأصفهانى ، ص ٤٤٢ .

(٢) **الميزان :** ليستوي به الحقوق ، ويقام به العدل . انظر : تفسير البيضاوى المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، لأبى الخير عبدالله الشيرازى البيضاوى ، (ت ٦٨٥ هـ) ،ص ٧١٨ ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

* **الشوكانى :** هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكانى ، فقيه ومجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، كان يري بتحريم التقليد ، له كتب ومصنفات كثيرة بلغت ١١٤ مصنفاً ، أهمها (فتح القدير) فى التفسير ، وفى الحديث كتاب (نيل الأوطار) ، ولد سنة ١١٧٣هـ ، وتوفى رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ(عن عمر يناهز ٧٧ عاماً) . انظر : الأعلام للزركلى ١٩٠/٧ .

(٤) انظر : فتح القدير للشوكانى ، ١٧٧/٥ ، مكتبة ومطبعة مصطفي البابى الحلبى ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م . انظر : مختصر تفسير القرآن الكريم للخازن ، المسمي (لباب التأويل فى معانى التنزيل) ، إختصار محمد قطب ، ١١٣٤/٢ ، دار المسيرة – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٧م.

وقال تعالي جل شأنه فى قضية الحكم :« **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ... » [1] فأمر الله بالعدل فى مواضع كثيرة ، فى الأقوال والأفعال ، والدماء والأعراف وسائر الحقوق .

فقد طالب القرآن الكريم بالعدل فى الشهادة والحكم ، وفى الأسرة بين الأولاد والزوجات ، وبين الناس جميعاً ، حتي مع الخصوم والأعداء ، قال تعالي : « ... **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ... » [2] .

جاء فى تفسير أنوار التنزيل ما نصه : (عداه بعلي لتضمنة معني الحمل ، والمعني لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين علي ترك العدل فيهم ، فتعتدوا عليهم بإرتكاب مالا يحل ، كمُثْلَةٍ – التمثيل بالجثة – وقذف وقتل نساء وصبية ، ونقض عهد تشفياً مما فى قلوبكم ، (اعدلوا هو أقرب للتقوي) أى العدل أقرب للتقوي ، صرح لهم بالعدل وبين أنه بمكان من التقوي بعد ما نهاهم عن الجور ، وبين أنه مقتضى الهوي ، وإذا كان هذا العدل مع الكفار ، فما ظنك بالعدل مع المؤمنين !)[3].

إن القرآن الكريم عرض مكانة العدل فى كثير من جزئياته وسنتناولها لاحقاً فى مظاهر وأنواع العدل .

ورد فى تفسير القرآن الكريم (والعدل مطلوب فى القرآن بقدر ما نهي عن ضده وهو الظلم ، الذى يرجع إلي حرمان صاحب الحق عن حقه)[4] .

والعدل صفة من صفات المولي عز وجل ، به قامت السموات والأرض .(والعدالة تارة يقال هى الفضائل كلها من حيث لا يخرج شيء من الفضائل عنها ، وتارة يقال

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٨ .
(٣) تفسير البيضاوى ، ١٤٢ – ١٤٣ .
(٢) تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، ص ٤٣٨ ، دار الشروق – بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

هى : أجمل الفضائل من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها فى نفسه وفى غيره ، وهى ميزان الله المبرأ من كل زلة)[1].

والقرآن الكريم فى عرضه للجزئيات التى حث عليها فى أمور العدل ، نجده جاء بأساليب مختلفة، من ترغيب فى الأقتراب منه ، وترهيب إذا إبتعد الإنسان عنه ، وكذلك الأمر بالنسبه للأحاديث النبوية الشريفة جاءت مؤكدة لأهمية ومكانة العدل، وجعل الرسول ﷺ العدل من أعظم العبادات . قال ﷺ : (يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ، وحد يقام فى الأرض بحقه أزكي فيها من مطر أربعين يوما) [2] . وفى أحاديث أخري اكد علي أن الإمام العادل ضمن من يظلهم الله يوم القيامة فى ظله ، يوم لاظل إلا ظله ، وفى مقابل ذلك ندد بالظلم والظالمين وجعل الجور والظلم سبباً لهلاك الأمم .

مما سبق نري أن الإسلام أول ما قرره حفاظاً علي كيان المجتمع البشرى ، قرر مبدأ العدل بين الناس ، وعني القرآن به فى سوره المكية والمدنية ، وحذر من الظلم، وأمر بالعدل فى العام والخاص حتي مع الأعداء ، لأن العدل نظام الله وشرعه .

والشرائع السماوية لم تحارب الشرك بالله لمجرد أنه شرك به سبحانه وتعالي فحسب ، وإنما لما يحمل فى طياته من بواعث الظلم والطغيان ، التى ينحرف بها الناس عن العدل ، ولانعرف فى القرآن ذكراً للقوة المادية فى جانب مبدأ من مبادئه غير مبدأ العدل ، حتي مع عقيدة التوحيد فهو لم يلوح فيها مع كثرة ذكرها باستعمال الحديد والقوة بالنسبة للجاحدين لوحدانية الله ، والمشركين لغيره سبحانه وتعالي فى

(٣) الذريعة إلي مكارم الشريعة ، لأبى القاسم الأصفهانى ، ص ١٨٣ ، دار الباز للنشر والتوزيع – مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

(٤) سنن النسائى (المجتبي) ، للإمام أبى عبدالرحمن أحمد النسائى ، ومعه زهر الربا علي المجتبي ، للسيوطى ، ٧٦/٨، كتاب قطع السارق ، باب الترغيب فى إقامة الحدود ، حديث رقم ٤٩٠٥ ، وسنن ابن ماجة ، ٨٤٨/٢، كتاب الحدود ، باب إقامة الحد ، حديث رقم ٢٥٣٨/٢٥٣٧ ، والسنن الكبري للبيهقى ، ١٦٢/٨ ، باب فضل الإمام العادل ، وذكر فى إتحاف السادة المتقين ، ٣١٤/٥ ، وذكره المنذرى فى الترهيب الترغيب٣/١٦٧ .

العبادة والدعاء ، ووقف القرآن الكريم هذا الموقف ولوح بإستعمال الحديد فى وجه الظالمين الذين يتعطشون ويتلذذون بالظلم والبغى والعدوان ، وقف فى وجوههم حتي ولو كانو ينطقون بشهادة التوحيد والرسالة [1] .

ويدلل علي ما سبق قوله تعالي : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس...** »[2]. وقوله تعالي : « **...فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** »[3].

هكذا نري مما سبق قيمة العدل ومكانته فى القرآن الكريم ، بأن له أهمية عظيمة ، ودلالة واضحة، بل هو جوهر شريعة القرآن ، فهذه هى مبادئ القرآن لإقرار العدالة فى الأرض حتي يسعد الناس وتكون لهم الطمأنينة فى حياتهم .

أنواع العدل ومظاهره :

ينقسم العدل إلي ثلاثة أقسام :-

١- العدل مع الله .

٢- العدل مع النفس .

٣- العدل مع الغير .

١- مظاهر العدل مع الله : وذلك بعدم الشرك بوحدانيته وربوبيته وألوهيته ، فيكون ذلك عدل فى المعتقد ، فلا شرك مع الله فى العبادة والصفات ، وأن يطاع فلا يعصي ، ويذكر فلاينسي ، ويشكر فلا يكفر.

---

(١) انظر : الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، ص ٤٤٦ ، دار الشرق - بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

(٢) سورة الحديد : الآية ٢٥.

(٣) سورة الحجرات : الآية ٩.

وسبق وأن ذكر بأن الشرائع كلها حاربت الشرك لحمله فى طياته من بواعث الظلم والطغيان ، قال تعالي : « ... **إن الشرك لظلم عظيم** »[1] ، وظلم الإنسان لربه يكون بالكفر به ، أو أن يشرك به أحد سواه ، وهذا أعظم أنواع الظلم

قال البيضاوى * فى تفسيره وتوضيحه بأنّ الشرك ظلم عظيم : (لأنه تسوية بين من لا نعمة له إلا منه ، ومن لانعمة منه) [2].

٢- **العدل مع النفس :** وذلك بأن يكون الإنسان مخلصاً منصفاً مع نفسه التى بين جنبيه ، فلا يكون مرتكباً للمعاصي والآثام ، ويكون مخلصاً وعادلاً فى عبادته ، شديداً فى ورعه ، تقياً طاهراً مع الله عز وجل ، لأن بعدله مع نفسه يتجنب الآثام والمعاصي والذنوب ، وما يترتب علي ذلك من التعذيب والعقاب .

فالإنسان يجب أن يبدأ بالعدل مع نفسه ، ثم يعدل مع غيره ، لأن العادل مع نفسه يكون بالأحري عادلاً مع غيره ، وكذلك الأمر بالنسبة للظالم ، يكون لغيره أظلم ، ما دام ظالماً لنفسه ، والعدل مع النفس يحملها علي المصالح ، ويكبح جماحها عن القبائح ، والوقوف عليها من أى تقصير أو تجاوز .

(١) سورة لقمان : الآية ١٣ .

* **البيضاوى :** هو عبدالله بن عمر بن محمد بن على الشيرازى ، أبو سعيد أو أبو الخير ، ناصر الدين البيضاوى، (ت ٦٨٥هـ) ، قاضى ومفسر ، ولد بفارس قرب شيراز ، له تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) . انظر : طبقات المفسرين ، لمحمد بن على الداوودى (ت ٩٤٥هـ) ، ٢٤٢/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، والبداية والنهاية ، لابن كثير ، ٣٠٩/٣ ، منشورات مكتبة المعارف – بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، والأعلام للزركلى ١١٠/٤ ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م . وبغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، للسيوطى ، ٥٠/٢ ، رقم ١٤٠٦ ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولي ، مطبعة عيسي البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م ، وطبقات الشافعية الكبري لعبدالوهاب بن تقى الدين السبكى ، ١٥٧/٨ ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ، ومحمد الطناحى ، دار احياء الكتب العربية – القاهرة ، الطبعة الأولي .

(٢) تفسير البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ص٥٤٤ ، وتفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، لأبى الفضل شهاب الدين الألوسى البغدادى ، (ت ١٢٧٠هـ) ، ٨٥/٢ ، مكتبة دار التراث القاهرة .

٣- **العدل مع الغير** : وهذا يكون علي درجات بالنسبة للغير وذلك علي النحو التالى :.

أ) عدل الإنسان فيمن دونه ، كالسلطان فى رعيته ، أو الرئيس مع مرؤوسيه ، والأب مع أبنائه ، والزوج مع زوجته .

ب) عدل الإنسان مع من هو أعلي منه ، كالرعية مع سلطانها

ج) عدل الإنسان مع أكفائه وأقرانه .

وبيان هذه الأنواع كمايلى :-

أ- عدل الإنسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته

إن العدل كما سبق ذكره هو من أهم أسس النظام الإسلامى ، وهو قاعدة تلزم المسلمين جميعاً ، كلٌ فى مجاله وخصوصاً الحكام ، فأقر الإسلام العدل فى الحكم والقضاء لأنه نوعاً من أداء الأمانات ، ودليل ذلك قوله تعالي :« **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ...** »[١] ، وسبب نزول هذه الآية أنها نزلت فى عثمان بن طلحه الحجى من بنى عبدالدار كان سادن للكعبة ، فلما دخل رسول الله () فاتحا مكة، دعا عثمان بن طلحه ، فعندما أتاه قال : أرنى المفتاح فأتاه به ، فقام إليه ابن العباس ، وطلب من الرسول أن يجمع له المفتاح مع السقاية ، فكف عثمان يده بعد ذلك ، فقال رسول () : هات المفتاح ياعثمان ، فقال: هاك بأمانة الله ، فقام ففتح الكعبة ، ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم نزل عليه جبريل عليه السلام برد المفتاح ، فدعا عثمان بن طلحه فأعطاه المفتاح[٢] .

ذكر صاحب الكشاف أن الخطاب عام لكل أحد فى كل أمانة ، وقيل هو خطاب للولاه بأداء الأمانات والحكم بالعدل [٣].

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) انظر : تفسير وبيان القرآن مع أسباب النزول للسيوطى ، ص ١٣٧ - ١٣٩ ، وأسباب النزول للواحدى ، ص ١٠٨ ، وأورده ابن كثير فى تفسيره ، ١/٥١٦ .

(٣) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل ، لابى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٠هـ - ٥٣٨هـ) ، ١/٢٧٥ ، دار المعرفة - بيروت .

والآية وإن كانت لها خصوصية فى سبب النزول ،إلاّ انها عامة فى الحكم بالعدل لجميع الناس، وهذا ما ذكر فى كتاب الجامع لأحكام القرآن ، بأن هذه الآية من أمهات الأحكام التى تضمنت جميع الدين والشرع ، وأيا كان المخاطب سواء الولاة المسلمين أو للنبى ﷺ وأمرائه ، فالظاهر فى الآية أنها عامة فى جميع الناس ، تناولت الولاة فيما لديهم من الأمانات فى قسمة الأموال ، ورد الظلامات ، والعدل فى الحكومات . وهذا اختيار الطبرى فى تفسيره ، والآية تتناول دونهم من الناس، فى حفظ الودائع والتحرز فى الشهادات ، وغير ذلك من أمانة فى الصلاة والزكاة وسائر العبادات ، وأن الأمانات مردودة الي أربابها، الأبرار منهم والفجار ، وعلي الحكام أن يحمكوا بالعدل، فالبينة علي من إدعي و اليمين علي من أنكر(١) .

هذا وقد بين عبدالفتاح عاشور * فى كتابه منهج القرآن فى تربية المجتمع ، بأن العدالة التى ينشدها نظام الحكم هى التى لا تخيف ولاتظلم أحداً ، إنما تعطى كل صاحب حق حقه ، فالجميع امام القانون الإلهى سواء ، وإلا عمت الفوضى ، ودب الإضطراب ، وأدي ذلك إلي ضياع الأمة وهلاكها ... والعدل الذى يقوم عليه نظام الحكم فى الإسلام عدل من الحاكم ، يحكم فى رعيته بشريعة الله ، وعدل من المحكومين فى قرارة أنفسهم ، وفيما بينهم ، فالعدالة فى الحكم لن تتحقق إلاّ إذا تربت الرعية علي الصدق فى القول ، والإعتدال فى السلوك (٢) .

وكذلك ذكر القرآن الكريم فى قصة داود عليه السلام بأن العدل واجب فى الحكم وغيره حتي مع الأنبياء . قال تعالي : « **يا داود إنا جعلناك خليفة في**

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبى ، ٢٥٧/٥ – ٢٥٨ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧م.

* **عبد الفتاح عاشور** ، معاصر مصرى ، دكتور فى التفسير وعلوم القرآن ، نال الدرجة من كلية أصول الدين جامعة الأزهر عام ١٩٧٢م .

(٢) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، عبد الفتاح عاشور ، ص ٤٩٨ ، رسالة دكتوراه منشورة ، نال صاحبها الدرجة من جامعة الأزهر عام ١٩٧٢م ، نشر مكتبة الخانجى – مصر ، الطبعة الأولي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ...» [1] .

قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالي : «فاحكم بين الناس بالحق» : (أى بحكم الله إذا كنت خليفته . ثم أضاف ولاتتبع هوي نفسك فى قضائك وغيره ، مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا فيضلك الهوي فيكون سبباً لضلالك .. (عن سبيل الله) ، عن دلائله التى نصبها فى العقول ، وعن شرائعه التى شرعها وأوصي بها)[2] .

فالله سبحانه وتعالي أمر داود بالعدل، كما أمر به نبينا محمدﷺ، وجعل ذلك من أهم الأسس والدعائم التى قامت عليها رسالته ودعوته ، قال تعالي: « **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتابٍ وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير** »[3].

العدل في الشهادة

والعدل مطلوب فى أداء الشهادة ، دون زيف أو تضليل ، و نأتى بهذه الفقرة لأنها تلحق بالعدل فى الحكم، وهى أحد طرفى القضاء ، ولها الأثر السيء فى العدول عنها ، والتضليل فى آدائها تضليل للقضاء ، وهو الأداءة المهيمنة الفعالة فى حفظ الحقوق وصيانتها بين أفراد المجتمع المسلم ، والقضاء هو القوة التى يلتجئ إليهاالضعفاء حتي تأخذ حقوقهم ، فهو السيف المجرد فى وجه البغاة والظالمين ، حتي تؤخذ منهم الحقوق وترد إلي أصحابها .

قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً**

(١) سورة ص : الآية ٢٦ .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشرى ، ٣٢٦/٣ .

(٣) سورة الشوري : الآية ١٥ .

أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً »[1] .

وهكذا فإن الآيات الكريمة تشير إلي العدالة فى أوسع صورها ، وأوسع نطاقها ، عدالة مجردة من القيود . عدالة تتسع للأصدقاء والأعداء ، فلا تفرق بين غريب وقريب ، عدالة مطلقة لا تعرف الميل والمحاباة، عدالة تعطى الحقوق لأصاحبها وتأخذ الحق من المبطل ، عدالة تقف بجانب الضعيف حتي تأخذ له الحق ، وتقف ضد القوى الظالم حتي تسترد منه الحقوق.

العدل والأسرة :

الأسرة هى اللبنة الأولي فى بناء المجتمع ، وفى نشأة الرجال ، وفى محاسن تربية الأبناء ، فالإسلام اعتني أيّما عناية بالعدالة فى هذا المجتمع الصغير ، قال تعالي : « **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا** [2] » [3] .

أمر سبحانه وتعالي فى الآية الكريمة ممن يتزوجون بأكثر من واحدة ، أن يعدلوا بين زوجاتهم ، وإلا كانوا من الظالمين ، وإن ترجيح إحدي الزوجات علي الأخري من الظلم والعدوان [4]

ولقد بين ﷺ عاقبة من يظلم أزواجه ، ولايعدل بينهن ، فقال ﷺ: (من كانت له إمرأتان فمال إلي إحداهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط)[1] أى يدل علي الميل

---

(١) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٢) **العول** : يقال فيما يهلك ، ومنه ترك النصفه أى العدالة . انظر : معجم ألفاظ القرآن ، للأصفهانى ، ص ٣٦٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ٣ .

(٤) انظر : الزواجر فى إقتراف الكبائر ، لابن حجر الهيثمى ، (٩٠٩هـ - ٩٧٤هـ) ، ١١٧/٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر.

لإحداهن دون الأخري.

والعدل بأتفاق هو العدل بينهن فى المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك ، أما العدل فى المحبة وهو الميل القلبى فلايستطيع الرجل التحكم فيه ، والرسول ﷺ قدوة لنا فى العدل بين زوجاته رضى الله عنهن .

ذكر الواحدى * أن سبب نزول قوله تعالي : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامي ... » ما جاء عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت نزلت هذه الآية فى الرجل يكون له اليتيمة وهو وليها ، ولها مال وليس لها أحد يدافع عنها ، فلا ينكحها حباً لمالها ، فنزلت الآية تحرجاً من أخذ أموال اليتامى ، وكانوا يتزوجون ما شاءوا من النساء ، وربما يعدلوا وربما لايعدلوا بينهن ، فلما سألوا عن اليتامي نزلت آية اليتامي « **وأتوا اليتامى أموالهم ...** » [٢] ، وأنزل الله تعالي أيضا: « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامي ... » ، يقول كما خفتم ألا تقسطوا فى اليتامي ، فكذلك خافوا ألا تعدلوا فيهن ، فلا تتزوجوا أكثر ما يمكنكم القيام بحقهن ، لأن النساء كاليتامي فى الضعف والعجز ، وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه [٣] .

جاء فى التحرير والتنوير فى تفسير قوله تعالي : « ... **فإن خفتم ألا**

---

(١) سنن الترمذى ، (الجامع الصحيح)، لأبى عيسي محمد بن سورة ، (٢٠٩ هـ – ٢٩٧هـ) ، تحقيق محمد شاكر ، ٤٤٧/٣ ، كتاب النكاح ، باب ما جاء فى التسويه بين الضرائر ، حديث رقم ١١٤١ ، مكتبة الحديث – القاهرة ، قال أبو عيسي : أسند هذا الحديث همام بن يحيي عن قتادة ، ولانعرف هذا الحديث مرفوعاً ألا من حديث همام ، وهو ثقة حافظ ، وأنظر : سنن ابن ماجه ، للحافظ أبى عبدالله محمد بن زيد القزوينى ابن ماجه ، (٢٠٧هـ – ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، ٦٣٣/١ ، كتاب النكاح ، باب ٤٧ ، القسمة بين النساء ، حديث رقم ١٩٦٩ ، دار إحياء التراث العربى – بيروت ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٤٧١/٢ ، وسنن الدارمى ، لأبى محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى ، ١٨١ هـ – ٢٥٥هـ ، ١٤٣/٢ ، كتاب النكاح ، باب العدل بين النساء ، دار إحياء السنة النبوية .

* **الواحدى :** هو على بن أحمد بن محمد بن على أبو الحسن ، صاحب تفسير (الوجيز فى تفسير القرآن العزيز) وكتاب (أسباب النزول) ، عالم ومفسر وأديب ، توفى رحمه الله سنة ٤٦٨هـ . انظر : طبقات المفسرين للسيوطى، ص ٧٨-٧٩ رقم ٧٠ ، وطبقات المفسرين للداوودى ، ٣٩٤/١ ، رقم ٣٣٩ ، والأعلام للزركلى ٢٥٥/٤.

(٣) سورة النساء : الآية ٢ .

(٤) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ١٠٥ -١٠٦ .

تعدلوا فواحدة... » [1] ، أى لكل من يخاف عدم العدل ، وخوف عدم العدل بين الزوجات بعدم التسوية ، وذلك فى النفقة والكسوة والبشاشة والمعاشرة ، وترك الضرر فى كل ما يدخل تحت قدرة المكلف وطوقه دون ميل إلي القلب ، وقد شرع الله تعدد النساء للقادر العادل لمصالح جمة منها :-

١- أن فى ذلك وسيلة إلي تكثير عدد الأمة بإزدياد المواليد فيها .

٢- يعين علي كفالة النساء اللاتى هن أكثر من الرجال فى العدد .

٣- التعدد فيه توسعة علي الرجال المحبين للنساء ، وهذا يضيق فى إشاعة الفاحشة .

٤- الحد من الطلاق إلاّ للضرورة.

فإذا لم يقم التعدد علي قاعدة العدل ، إختل نظام العائلة وحدثت الفتن ، ونشأ عقوق الزوجات لأزواجهن ، وعقوق الأبناء لآباءهم ، فلا جرم إن كان الأذي فى التعدد لمصلحة يجب أن تكون مضبوطة غير عائدة علي الأهل بالإبطال [2] .

هذا ويذكر صاحب كتاب (أهداف كل سورة ومقاصدها) فى قوله تعالي « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، أن النص شرط يحتم هذا المعني ، ويعلله بأن ذلك التحديد بواحدة فى هذه الحالة أقرب إلي إجتناب الظلم والجور ، « ذلك أدنى الا تعولوا » ، أى لا تجوروا وتظلموا ، والظلم حرام فالوسيلة إليه حرام ، وأجتناب الظلم واجب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فإذا كان العدل يتم بترك التعدد فالإقتصار علي الزوجة الواحدة واجب ، لأن ذلك أدعي للعدل والإستقرار والبعد عن الظلم [3] .

إذن مما سبق ذكره يَتبين أنّ العدل المقصود فى الآية الكريمة ، هو العدل فى النفقة والكسوة، والسكن والقسمة والأشياء الظاهرة ، أما الحب والميل القلبى لإحداهن

---

(١) سورة النساء : الآية ٣

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ٢٢٦/٤ /٢٢٧ الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤م

(٣) انظر : أهداف كل سورة ومقاصدها ، د . عبدالله شحاته ، ٤٩/١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

فلا يدخل فى ذلك، لأن الإنسان لا يملك ذلك فلا حرج ، يقول تعالي : « **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ...** » [1] . وأما بالنسبة للقسمة بين الزوجات فى المبيت عندهن ، قال تعالي مخاطباً رسولهﷺ فى الحرية فى القسمة بين زوجاته فيبيت عند من يشاء ويؤجل من يشاء ، ومن أرادها بعد عزلها فلا جناح عليه فيها ، « **ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ...** »[2].

أما غير النبى ﷺ فالقسمة بين النساء واجبة فى حق من يتزوج بأكثر من واحدة ، وفى ذلك يقول القرطبى* : علي الرجل أن يعدل بين نسائه بأن يجعل لكل واحدة منهن يوماً وليلة ، وهذا قول الغالب من العلماء ، وذهب بعضهم إلي وجوب ذلك فى الليل دون النهار ، ولا يسقط حق الزوجة مرضها أو حيضها إلا إن عجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه المرض . وألا يجمع بينهن فى بيت واحد إلا برضاهن ، ولا يدخل لإحداهن فى يوم الأخري وليلتها إلا عند الحاجة ، و إختلفوا فى ذلك والأكثرون علي الجواز . و العدل بينهن فى النفقة والكسوة إذا كن معتدلات الحال وأجاز البعض فى التفضيل إن كانت إحداهن ذات منصب لكن علي غير وجه الميل [3] .

وبعد أن شرحنا المظهر الأول من نوع العدل مع الغير ، وهو عدل الإنسان فيمن

---

(١) سورة النساء : الآية ١٢٩.

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥١.

* **القرطبى** : هو أبو عبدالله محمد بن احمد الأنصارى الأندلسى القرطبى ، مفسر وفقيه ، له تفسير (الجامع لأحكام القرآن) ، وكتاب (التذكرة بأمور الأخرة) من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين ، حدث عن الحافظ أبى على الحسن البكرى ، توفي رحمه الله سنة ٦٧١هـ . انظر : طبقات المفسرين للداوودى ، ٦٩/٢ ، رقم ٤٣٤ ، وطبقات المفسرين للسيوطى ، ص ٩٢ ، رقم ٨٨.

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، ٢١٧/١٤ ، و أحكام القرآن ، لأبى بكر بن على الرازى المعروف ، بالجصاص ، ٣٦٨/٣ ، دار الكتاب العربى – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٣٣٥هـ . وانظر المغنى ، لابن قدامة المقدسى ، (ت ٦٢٠هـ) ، ٢٧/٧ ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة .

دونه ، وذكرنا العدل فى الأسرة بما فيها الزوجة لما لهذه النواه ذات أهمية عظيمة فى المجتمع الإسلامى ، فإن كان العدل فى هذه اللبنة قائما كان العدل سائراً مع باقى أفراد المجتمع ، ونبين الآن النوع الثانى من هذا القسم وهو :

ب) **عدل الإنسان مع من هو أعلى منه** : كالرعية مع سلطانها .

وذلك بأن يفسحوا المجال أمامه حتي يتسني له الحكم بالعدل فيما بينهم ، وألاّ يثيروا الفتن والعداوات فيما بينهم وبين السلطان ، وبعدم الخروج عليه إلا أن يظهر الكفر بواح ، فبظلم الرعية لراعيها تتقوض أركان المجتمع ، وتتفكك الأواصر والثقة بين الحاكم والمحكوم .

ج) **عدل الإنسان مع أكفائه** .

ولها صور شتي ، مثل العدل مع اليتيم بعدم أكل ماله ، والعدل معه بالتربية الحسنة، والعطف عليه وتنمية ماله والوقوف بجانبه حتي يكبر ، قال تعالي : « **ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ...** »[1].

ومن مظاهر هذا النوع العدل مع الأخوة فى الدم ، والأخوة فى الإسلام ، والعدل مع الأصدقاء ، ومع جميع الناس ، حتي الأعداء كما أشرنا بذلك آنفاً .

ومما يجب العدل فيه الكتابة فى الدين والبيوع ، وغير ذلك من المعاملات التى تجري بين أفراد المجتمع المسلم ، وغيرهم من المجتمعات الأخري .

قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ...** »[2] فالعدل فى الوثائق أمر الله به أمراً خاصاً لأن بها تحفظ الديون ، وتحدد شروط الإلتزام بين المتعاملين ، وقد نزلت فيه أطول آية فى القرآن الكريم .

وهكذا مما سبق نري أن إقامة العدل بين الناس واجبة ، أفراداً كانوا أم جماعات أو مجتمعات ودول ، فهو ليس من الأمور التطوعية ، التى تترك لمزاج حاكم أو أمير أو فرد علي حسب أهوائه ، بل إقامته تعد من أقدس الواجبات وأهمها فى الدين الإسلامى

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

، وهذا ما إجتمعت عليه الأُمة كما قال صاحب تفسير الفتح الكبير : (وأجمعوا علي أن كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل) [1] .

وهذا الحكم مستنبط من الآيات القرآنية التى حثت علي العدل وإقامته ، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى حببت إلي هذا الخلق الكريم ، والتى أيضا نهت عن ضده وهو الظلم .

وفى نهاية المطاف من هذا المبحث ، نضرب مثالاً تطبيقياً عملياً فى إقامة العدل بين المسلمين فى المجتمع الإسلامى الأول ، فالأمر لم يكن مقصوراً علي وضع قواعد وتقرير مبادئ ، بل إن التاريخ يؤكد أن المسلمين قد عاشوا فى حياتهم الإسلامية فى مجتمع إسلامى قائم علي العدالة، ينعم بمبادئ سامية فى ظل حكام وأحكام عادلة ، تحقق العديد من هذه الصور فى المجتمع الإسلامى مع الأصدقاء ومع الأعداء، ونضرب هذا المثال وهو قيض من فبض، فهذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاروق العادل ، يخاطب الناس معلناً هذا المبدأ ، وفى حضرة الولاة ، حتي يعرف كل من الرعية والولاة حقوقهم وواجباتهم : (إنى لم أستعمل عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ويشتموا أعراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، ولكن إستعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم ، وسنة نبيكم - () - فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي يرفعها إلي حتي أقص منه) ، فقال عمرو بن العاص * : يا أميراً المؤمنين أرايت إن آدّب أمير رجلاً من رعيته أتقصه منه ؟ فقال عمر : ومالى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ (يقص من نفسه؟ [2].

---

(١) تفسير الفخر الرازى ، ١٠/١٤١.

* **عمرو بن العاص** : هو عمر بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ، كان ممن هاجر الهجرتين جميعاً ، هو وأخوه خالد بن سعيد بن العاص إلي أرض الحبشة ثم المدينة ، صحابى جليل ، شهد مع الرسول ﷺ الفتح وحنين والطائف وتبوك ، إستعمله رسول الله ﷺ علي قري عربية ، منها تبوك وخيبر ، استشهد سنة ١٣هـ يوم إجنادين . انظر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لابن عبدالبر ، ٣ /١١٧٧ - ١١٧٨ ، رقم ١٩١٩ ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولي .

(٢) الطبقات الكبري ، لابن سعد ، ٣/٢٨١ ، دار صادر - بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٧م.

المبحث الثالث

أهمية العدل ودوره في بناء المجتمع الإسلامي

المبحث الثالث

أهمية العدل ودوره في بناء المجتمع الإسلامي

إمتاز القرآن الكريم فى تربيته للمجتمع بأنه منهج عملى وواقعى ، يواجه الحياة بما يصلحها ويقومها ، ويمدها بعناصر القوة والبقاء ، فعاش هذا المنهج فى مكة يربى صحابه رسول اللهﷺ علي الإيمان و الثبات والصبر و الأخلاق الطاهرة ...الخ ، ولم تكن للثلة المؤمنه من دولة وحماية تحميهم، فأنتقلوا بالهجرة إلي يثرب ، حتي تكون من هذا المجتمع دولة سارت علي درب النور الإلهى، وكان لابد لهذا المجتمع الجديد من مبادئ ثابته ، يسير علي خطاها أفراد المجتمع فى حياتهم ، ومن ضمن هذه المبادئ والدعائم العدل ، الذى كان له الدور الهام فى بناء هذا المجتمع الفتى.

إن المتتبع لآيات الله فى كتابه ، يري أن الله سبحانه وتعالي أمر بالعدل فى آيات كثيرة ، وذلك لما فيه من أهمية عظمي ، فإن كل علاقة فى الإسلام لابد و أن تقوم علي العدالة ، وإعتبار الناس جميعاً سواسية ، وإن كان هنالك ثمة تفاضل بين الناس فبالعمل والجزاء .

وإن كان هنالك لكل دين سمة يتسم بها ، فسمة الإسلام هى العدالة ، والبعد عن الظلم . (فالعدالة تحدد كل علاقة بين الناس فى السلم والحرب ، فى كل زمان ومكان ، ففى السلم يكون حسن الجوار ، وفى الحرب يكون الباعث لها ليس للعدوان وإجحاف حقوق الغير ، وإنما تكون قائمة أولاً وأخيراً علي العدالة) [1] .

والعدالة فى الإسلام وشريعته فريضة واجبة ، فرضها الله علي الجميع دون إستثناء ، ففرضها علي الرسولﷺ وأمره بها ، قال تعالي : « **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ...** » [2]، قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالي:(

---

(١) العلاقات الدولية فى الإسلام ، للإمام محمد أبو زهرة ، ص ٣٤ – ٣٥ ، دار الفكر العربى .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٥ .

وأمرت لأعدل بينكم) ، وأمرت لأعدل بينكم فى تبليغ الشرائع والحكومات ، وهذا إشارة إلي كمال القوة العملية [1] .

وإقتضت الضرورة فى إقامة العدل وتطبيقه وعدم التوانى فيه ، كما تقتضى المصلحة والحكمة إشاعته والوقوف بجانبه والتمسك به ، إذ العدل ظل الله فى أرضه ورحمته فى خلقه ، والحارس للعقيدة والمال والنفس والعرض ، والعدل خصب البلاد وأمن العباد ، به قامت السماوات والأرض . فإلي العدل يأوى الضعفاء ، ويلوذ إليه الفقراء ، وفى العدل إنصاف للمظلوم ، ورزق للمحروم ، به يجتمع الشمل ، وتتحد الكلمة وتدوم الرابطة ، وتقوي الأواصر بين الناس وبفضل العدل قويت الأمم ودامت دولة العدل إلي قيام الساعة ، ودولة الظلم ساعة ، وقتها قصير وإن يبدو للبعض أنها تطول ، ولكن مآلها إلي الزوال ، وبالعدل أخذت الأمم أسباب السعة فى الرزق ، وعزت بعد ذل وهوان ، وبه إستيقظت بعد الغفلة ، فالعدل سيف الحق المسلط علي الباطل وأعوانه ، وعلي الشيطان وحزبه ، وعلي الشرك وجنده ، فبالعدل يظهر الله دينه ويقوي حجته ، وينصر أولياءه والصالحين من عباده ، فالعدل ملاك الأمر كله ، وجماع الخير ورأس الفضائل [2] .

والعدل تتوقف عليه سعادة وطمأنينة المجتمع ، فمن أتصف بالعدل كان محبوباً عند الناس آمناً علي نفسه وماله وعرضه ، فإذا ما أمن الناس وسعد المجتمع بالعدل ، عمل الفرد فيه بحرية ونشاط فيزداد الإنتاج ويستقر الأفراد [3] .

ولقد نعم المسلمون بهذا العدل ، عندما وضعت فلسفته فى التطبيق علي عهد رسول

---

(١) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٦٤٠ .

(٢) انظر : الدين والإسلام ، محمد حسن آل كاشف الغطاء الشيعى النجفى ، ت ٣٣٠ هـ ، ١٠٢/١ – ١٠٥ ، طبعة دار العرفان – صيدا ، لبنان . و انظر : الأخلاق فى القرآن الكريم ، أحمد عبداللطيف بدر ، ص ٢٥ ، مطبعة دار التأليف – القاهرة .

(٣) انظر : المجتمع المتكافل فى الإسلام ، د . عبدالعزيز الخياط ، ص ٧٩ ، الكتاب فى الأصل رسالة دكتوراة منشورة من جامعة الأزهر ١٩٧٢م ، دارالسلام للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م ،. وانظر : أحمد عبدالرحيم السايح ، مقالة بعنوان (العدل وأثره فى المجتمع) ، ص ٣٧ ، مجلة منبر الإسلام ، الأزهر – القاهرة ، العدد ٣ ، السنة ٤١ ربيع أول ١٤٠٣هـ .

الله ﷺ ودولة الخلافة الراشدة ، وذلك يوم أن حكم عمر بن الخطاب* فقال : (والذى نفسى بيده ما من أحد إلا له فى هذا المال حق ، أعطيه أو أمنعه ، وما أحد أحق به من أحد ، وما أنا فيه إلا كأحدهم ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقومه ، والرجل وغناؤه ، والرجل وحاجته ، هو مالهم يأخذونه ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر) [1] . فمن هذا يتبين أثر العدل ، بأن ساوى نفسه رضى الله عنه بالرعية ، وأن الكل آخذ حقه لا تفضيل لإحد علي أحد .

والعدل فى المجتمع الإسلامى يبنى جسور الثقة بين الحاكم والمحكوم فينعم الحاكم بالإطمئنان من قبل المحكوم ، وتستقيم شؤون المجتمع بإستقامة الأفراد ، ويأخذ الجميع حقوقهم ، فلا يهضم حق إنسان علي حساب الآخر ، فيتساوي الجميع ويتناصف الكل ، فترجع الحقوق لأصحابها، ويقضي علي الظلم الذى هو سبب لهلاك الأمم والمجتمعات . فالمجتمع إذا ما ساد فيه العدل تنتزع رغبات الميل والهوي من النفوس ، قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً** » [2] . وسبب نزول الآية الكريمة أنها نزلت فى النبى ﷺ ، إختصم إليه غنى وفقير وكان ضلعه [3]

* **عمر بن الخطاب** : هو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبدالعزي القرشى ، أبو حفص، ، ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشرة سنة ، صحابى جليل ، ثانى الخلفاء الراشدين ، أمير المؤمنين ، لقب بالفاروق ، محدث وفقيه ، ولى الخلافة عشرة سنين ونصفاً ، إستشهد فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ . انظر : البداية والنهاية ، ١٨/٧ ، والإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ١١٤٤/٣-١١٥٩ رقم ١٨٧٨ ، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، ٥٢/٢ ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

(١) طبقات ابن سعد ، ٢١٥/٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٣) **الضلع** : الميل ، يقال ضلع ضلعاً مال وجنف عن المثل ، والضالع الجائر ، والضالع المائل وهو المقصود به هنا أى مال وليس جار . انظر : لسان العرب ٢٢٧/٨ ، مادة ضلع .

مع الفقير ، رأي أن الفقير لا يظلم الغنى ، فأبي الله تعالي إلا أن يقوم بالقسط بين الغنى والفقير . فقال تعالي : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط»[1].

جاء فى الظلال أن هذه الآية درساً للجماعة المؤمنة بندائهم إلي النهوض فى إقامة العدل بين الناس ، علي النحو الفريد الذى لم يقم إلا علي يد هذه الجماعة ، والعدل الذى تتعامل فيه الجماعة مع الله مباشرة خالصاً من كل عاطفة ، أو هوي أو مصلحة ، سواء كانت علي مستوي الفرد أو المجتمع أو الدولة أو الأمة ، متجردة من كل العواطف والإعتبارات الأخري ، غير تقوي الله ومرضاته[2].

وإذا ما انعدم العدل فى المجتمع ، تسود الفوضي ويتفشي الظلم والعدوان ، وتضطرب الأمة وتهلك ، قال الماوردى* : (وأما القاعدة الثالثة . أى من القواعد التى تصلح بها الدنيا حتي تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة ، فهي عدل شامل يدعو إلي الألفة ، ويبعث علي الطاعة ، وتعمر به البلاد ، وتنمو به الأموال ، ويكثر النسل ويأمن به السلطان ، فقد قال الهرمزانى** لعمر - عمربن الخطاب - حين رأه وقد نام متبذلاً[3] : عدلت فأمنت فنمت ، وليس شيء أسرع فى خراب الأرض ، ولا

---

(١) انظر : أسباب النزول ، للواحدى ، ص ١٢٧ .

(٢) انظر: فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٥٤٧/٤.

* **الماوردى :** هو أبو الحسن علي بن محمد الماوردى البصرى ، ولد سنة (٣٦٤هـ) ، والماوردى نسبة لبيع الماورد ، وهو زهر الأشجار والثمار ، علم من أعلام الفكر الإسلامى ، فقيه وحافظ من أكبر فقهاء الشافعية ، ومن رجال السياسة فى الدولة العباسية ، أديب له كتاب (أدب الدنيا والدين) ، وله كتب فى السياسة والدين والإجتماع واللغة والأدب ، أتهم بالإعتزال ونفي العلماء ذلك عنه ، توفى سنة (٤٥٠هـ) . انظر : طبقات المفسرين ، للسيوطى ، ص ٨٣ - ٨٤ رقم ٧٧، وطبقات المفسرين ، للداوودى ٤٢٧/١ وما بعدها ، رقم ٣٦٨، وميزان الإعتدال فى نقد الرجال ، محمد بن أحمد الذهبى، (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوى ، ١٥٥/٣ ، رقم ٥٩٣٦، دار المعرفة - بيروت .

** **الهرمزانى :** قائد من الفرس وملك الأهواز ، قاتله المسلمون وأسروه ، ثم هرب ثم أسروه ثانية فى فتح تستر ، وأتوا به لعمر بن الخطاب فى المدينة ، وبعد ذلك أسلم ، وحسن إسلامه ، وكان لايفارق عمر ، ويشاوره فى كثير من الأمور ، حتي قتل عمر رضى الله عنه ، فأتهمه بعض الناس بأن له علاقة بذلك مع أبى لؤلؤة المجوسى ، وجفينه ، فقتله عبيدالله بن عمر وقبل وفاته قال لا إله إلا الله ، أما أبا جفينه لم يقل . انظر : البداية والنهاية ٨٥/٧-٨٧ .

(٣) **متبذلاً :** أى نام وهو لابس لثوب الخلق (الثوب البالى) ، تاركاً التزين والتفاخر . انظر : لسان العرب، ٥٠/١١.

أفسد لضمائر الخلق من الجور ، لأنه لا يقف علي حد ، ولا ينتهي إلي غاية ، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتي يستكمل ...)[1] .

ونخلص من ذلك فى أهمية العدل و أثره علي المجتمع ، أن العدل يؤدى إلي الطمأنينة بين أفراد المجتمع ، وسلامة الأمة ، ويرضى الفرد بما يحكمه الحكام ، والعدل فى المجتمع ينتصف به من الظالمين . ويعنى هذا أن يظل المجتمع متماسكاً متحاباً قويا متضامنا ، فإذا أمن الإنسان علي نفسه وماله وحقه وأطمأن إلي عداله الحكام ، عمل فى حرية ونشاط ، فيزداد الإنتاج ويدر هذا بالخير علي المجتمع ، وبالعدل يمتنع الفساد ، لأن الفاسد إن علم أنه سيلقي الجزاء ، ولم يجد إهمالاً أو محاباة فى المعاقبة ، أمتنع عن أفساده ، ولو عكس الأمر لسادت الفوضي فى إنتشار الظلم ، وعم القلق ربوع المجتمع ، ولقل الإنتاج ، لأن ظلم الأداة الحاكمة السياسية يؤدى بالتأكيد إلي قلة وأضطراب الإنتاج .

وإتماما للفائدة ، مادمنا نتحدث عن أثر العدل فى المجتمع ، نتحدث بالمقابل عن أثر الظلم فى المجتمعات .

أثر الظلم وهلاكه للمجتمعات :

إن لكل شيء آثاره سواء كان ذلك الشيء سلبياً أم إيجابياً ، مذموماً كان أم محموداً .

والقرآن الكريم شدد علي مرتكبى الظلم وذمه فى كثير من الآيات ، لأنه جامع للكبائر من الذنوب ، ولما له الأثر السيء علي المجتمعات البشرية ، وسنبين أثر الظلم علي الأفراد والمجتمعات .

أ) أثره على الأفراد :

إن الفرد إذا ما ظلم نفسه يكون بالتأكيد أهون عليه فى أن يظلم غيره ، ويؤدى ذلك التأثير علي نفسه وعلي غيره ، أما علي نفسه ، فلا تستقر حالته النفسية ، فهو

---

(١) أدب الدنيا والدين ، للماوردى ، ص ١٤١ ، تحقيق مصطفي السقا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثالثة .

في صراع دائم مع نفسه ، ومع أهله ومع الناس جميعاً ، وهذا بخلاف من لايظلم نفسه ، فيكون عادلاً معها ومع غيره ، فهو هادئ الضمير ، ومستقر الأعصاب ، يعيش حياة هانئة مطمئنة ، قال تعالي : « **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** » (١)

والظالم بظلمه يفقد عزته وسلطانه ، وإن كانت له جولات وصولات ، ولكن فى نهاية المطاف يزول هذا السلطان والجاه ، فتنكسر أنفه إلي الأرض ، بعد أن كان شامخاً ، وذلك مثل فرعون الذى طغي وتجبر علي الناس ، فأغرقه الله جزاءً لظلمه ، والنمروذ كذلك صرعته حشرة حقيرة ، سلطها الله عليه عقاباً علي كفره وطغيانه ، والأمر كذلك فى الحكام المتجبرين والمتسلطين يقصمهم الله شر قاصمة .

والظالم أيضا ترتفع عنه الطمأنينة ، فهو دائما يخاف ممن ظلمهم ، يخشي الإنقضاض عليه فى كل لحظة ، والظالم جشع محب للمال بخيل فيه ، طامع فى كل شيء والظالم حاقد علي غيره وعلي نفسه ، بارتكاب الذنوب والآثام وأخذه لحقوق الناس ، لأن كل ظالم يعلم علم اليقين أن من حوله غير راضين عنه ، فبذلك تنشأ الأحقاد بينه وبين غيره . وبظلم الظالم تنعدم الرحمة فى قلبه ، لأنه لو كان رحيماً لما ظلم حتي الحيوان ، فتراه يقتل ويسفك ويهتك ويسرق ، وغير ذلك من الأمور السيئة التى تغرس فى نفسه بسبب ظلمه لها أو لغيره ، قال تعالي : « **فلولا إذجاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** »(٢).

---

(١) سورة محمد : الآيتان ١ -٢ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٤٣ .

والظالم عمره قصير فقد ذكر القاسمى* فى تفسيره أنه سمع بعض المشايخ يقول : قلما يبلغ الظالم والفاسق وقت الشيخوخة ، وذلك لمبارزتهما الله تعالي فى هدم نظامه المبنى علي الحكمة والعدل(١) .

فالظلم ظلمات يوم القيامة ، قال تعالي : « **ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين** (٢) **مقنعي رؤسهم**(٣) **لايرتد إليهم طرفهم** (٤) **وأفئدتهم هواء** » (٥) .

ب) أثره على الأمم والمجتمعات :

جعل الله سبحانه وتعالي الظلم سبباً لهلاك الأمم وإبادتها ، قال تعالي : « **قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون**» (٦) ، أى أن الظلم سبب لهلاك وسخط وتعذيب الظالمين (٧) .

فالآية الكريمة تدل علي أنه ليس هناك شيء أسرع فى خراب الأرض ، ولا أفسد

---

* **القاسمى** : هوجمال الدين محمد بن قاسم الحلاق ، إمام الشام فى عصره ، عالماً بالدين والتفسير والأدب ، سلفى العقيدة ، كان لا يقول بالتقليد و له مؤلفات كثيرة تقارب علي الاثنين وسبعين مؤلفاً (٧٢) أهمها تفسيره المسمى (محاسن التأويل) ، وكتاب (دلائل التوحيد) ، والقاسمى من سلالة الحسين السبط ، ولد سنة ١٢٨٣هـ بدمشق ، توفى سنة ١٣٣٢هـ أيضا بدمشق ، عن عمر يناهز ٤٩ عاماً رحمه الله . انظر : الاعلام للزركلى ، ٢ /١٣١ .

(١) انظر : تفسير القاسمى،(المسمي محاسن التأويل) ، محمد جمال الدين القاسمى ، ٩/٣٣٤٠، خرج وعلق علي أحاديث محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .

(٢) **مهطعين** : مسرعى إلي الداعى بذلة وخوف .

(٣) **مقنعى رؤسهم** : رافعيها مديمى النظر للأمام ، فلا يلتفتون يمينا ولاشمالاً .

(٤) **لايرتد إليهم طرفهم** : لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم بعد شخوصها . انظر : تفسير وبيان القرآن الكريم ، للسيوطى ، ص ٢٠٨ .

(٥) سورة إبراهيم : الآيتان ٤٢ – ٤٣ .

(٦) سورة الأنعام : الأية ٤٧ .

(٧) تفسير البيضاوى ، ص ١٧٦ .

لضمائر الناس من الظلم والجور ، فقد قال بعض الحكماء : (الملك يبقي علي الكفر ، ولايبقي علي الظلم) [١].

وقال أحد الشعراء:

عليك بالعدل إن وليت مملكة وأحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك يبقي علي الكفر إلبهيم ولا يبقي مع الجور فى بدوٍ ولاحضر [٢]

وقالوا : الجور آفة الزمان [٣]

وقال شاعر آخر مبيناً مصير الظالمين وأثر الظلم :

والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم [٤]

والتاريخ أكبر شاهدٍ علي هلاك الأمم بظلمها ، فليس هنالك أمة قامت وسادت فى جميع أحقاب التاريخ إلا علي أساس العدل ، ولم يكن هنالك أمة أو مجتمع تقوضت أركانها وتشتت أفراده إلا من جراء الظلم الذى عصف بها ، فأوردها مورد الهلاك .

يتحدث صاحب كتاب الدين والدولة عن ذلك فيقول : (إن المبدأ والقانون الحتمى هو سقوط المجتمع المادى ، عندما تشتد فيه موجة الفساد والإجرام والظلم ... والمفهوم المخالف لهذا القانون الإجتماعى هو أن المجتمع إذا نأي بنفسه عن طغيان الإتجاه المادى ، واتبع هداية الله فى سلوك أفراده ، وأخضع العلاقات فيه إلي العدل والتعاون والمحبة والإحسان ، فإنه باقٍ لا يتغير)[٥].

(١) انظر : منهاج اليقين ، شرح كتاب أدب الدنيا والدين للماوردى ، والشرح لاويس الأرزنجانى الشهير بخان زادة ، ص ٥٤٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، والأبيات لم أقف علي قائلها .

(٢) تسهيل النظر وتعديل الظفر فى أخلاق الملّك وسياسة الملك ، لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ، ص ١٨٤ ، تحقيق محى هلال سرحان ، دار النهضة المصرية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٤.

(٤) شرح ديوان حماسة أبى تمام (للتبريزى) ، ١٠٦/٣ ، عالم الكتب ، والشاعر هو يزيد بن الحكم الثقفى أحد شعراء الدولة الأموية ، قال هذا البيت فى قصيدته واعظاً لإبنه .

(٥) الدين والدولة من توجيه القرآن ، محمد البهى ، ص ٨٦ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

يقول تعالي : « **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** » [1] ، فإنه سبحانه وتعالي ليس من شأنه ولا من سننه فى نظام الكون أن يهلك المجتمعات بظلم منه لهم ، لأنه تعالي منزه عن ذلك وهو أعدل العادلين ، إنما يكون إهلاكهم بسبب ظلمهم وفسادهم .

وقال ابن جزى * فى تفسير قوله تعالي : « بظلم» (هذا المجرور فى موضع الحال من ربك ، والمعني أنه لايهلك أهل القري ظالماً لهم ، تعالي الله عن ذلك) [2].

فإن أثر وسوء عاقبة الظلم علي المجتمعات ، أنه مهلك لها ومدمر للعمران ، وما كان مهلكهم إلا لظلم فى أنفسهم ولغيرهم ، فسببوا بذلك العقاب والهلاك لهم . « **وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً** » [3] .

فبدءً بالأحقاب الغابرة ، ليس هنالك أمة من الأمم إستقرت وبقيت وكان الظلم ديدنها ، فأنظر فى القرآن الكريم ماذا حل بقوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام أجمعين ؟! ونري فى عهد الرسول ﷺ أعظم دولتين فى ذلك الوقت ، كانتا ظالمتين وهما دولتا الفرس والروم ، فذهبت إمبراطوريتهما أدراج الرياح ، ومروراً إلي القرن العشرين كيف نري الدولة الثانية العظمي علي حد زعمهم ، الإتحاد السوفيتى تفكك لانها دولة ظالمة ملحدة ، والأمر كذلك لميثلاتها من الدول الطاغية المتجبرة فى الأرض ، وما ذلك علي الله بعزيز .

ولقد عقد ابن خلدون فى مقدمته فصلاً كاملاً ، ذكر فيه أن الظلم مؤذن بخراب

---

(١) سورة هود : الآية ١١٧ .

* **ابن جزى** : هو أبو أحمد محمد بن أحمد بن حزى الكلبى المالكى ، شيخ جليل وفقيه ومفسر و له تفسير فى القرآن العزيز ، توفي سنة (٦٢٠هـ) . انظر : طبقات المفسرين ، للداوودى ، ١٠٢/١ رقم ٩٣ .

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزى ، ١١٣/٢ ، دار الكتاب العربى – بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(٣) سورة الكهف : الآية ٥٩ .

العمـــران فقـــال:(إعلم إن العدوان علي الناس فى أموالهم ، ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها ... وإذا ذهبت آمالهم فى إكتسابها وتحصيلها ، إنقبضت أيديهم عن السعي فى ذلك [1] .

فالظلم إشارة وإيذان بخراب العمران ، وعائده خراب علي الدولة والمجتمع بالفساد.

وهكذا نري من هذا الفصل إن العدل هو حق وجدير به أن يكون دعامة من الدعائم المهمة المعتمد عليها فى بناء وتقوية المجتمع الإسلامى ، فبالعدل يقوم المجتمع وينهض إلي الإمام بأفراده إذا ما ساد بينهم ، وبه تؤخذ الحقوق ، وتنتشر الطمأنينة ، وتسود الأخوة والمحبة التى هى أساس ترابط الأفراد فيما بينهم فى المجتمع الإ سلامى ، والعدل فريضة واجبة ، وليس مجرد حق من حقوق الأفراد وفرضها الله علي الكافة دون إستثناء ، حتي علي الرسل عليهم السلام ، وللعدل مظاهر كثيرة تحدث عنها القرآن ، فما أجمل وما أحري بنا أن يكون العدل فى المجتمعات الإسلامية اليوم هو عنوانها علي الرئيس والمرؤوس .

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٨٦ ، دار القلم - بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

الفصل الثالث
المساواة

ويشتمل على أربعة مباحث:-

المبحث الأول:

المساواة لغة وإصطلاحاً.

المبحث الثاني :

مبدأ المساواة في ميزان الإسلام.

المبحث الثالث:

الإسلام ونظرته إلى الناس .

المبحث الرابع :

المساواة في الحقوق والواجبات.

المبحث الأول
المساواة لغةً وإصطلاحاً

المبحث الأول
المساواة لغةً وإصطلاحاً

المساواة لغةً:

ذكر صاحب لسان العرب أن الكلمة مأخوذة من مادة سوا ، ويقال سواء الشيء أى مثله ، والجمع أسواء .

قال الشاعر :

تري القوم السواء إذا جلسوا معاً ..... وفى القوم زيف مثل زيف الدراهم

وقال آخر :

الناس أسواء وشتي فى الشيم ... .

ومنها سواسية ، ومنه الحديث الشريف سواسية كأسنان المشط [١] .

أما صاحب كتاب مصطلاحات الفنون فقد ذكر أن المساواة (من التساوى فعند المتكلمين [٢] والحكماء [٣] هى الوحدة فى الكم عدداً كان أو مقداراً ، والمساواة عند أهل المعانى [٤] وعند المنطقيين[٥] عبارة عن صدق كل من المفهومين علي جميع ما

---

(١) انظر : لسان العرب ، ٤٠٨/١٤ مادة سوا.

(٢) **المتكلمين :** هم علماء الكلام ، وعلم الكلام وهو علم أصول الدين ، وسماه أبو حنيفة بعلم الفقه الأكبر ، أو هو علم النظر والإستدلال ، ويسمي علم التوحيد والصفات ، وعلم الكلام هو علم يعتقد معه علي إثبات الفوائد الدينية علي الغير بإيراد الحجج ودفع الشبهات عنها . انظر : كشاف إصطلاحات الفنون ، ٣٠/١-٣٢ .

(٣) **الحكماء :** وهم العلماء وأصحاب الحكمة المتيقنين للأمور ، أو الفلاسفة الذين يأتون بالبراهين والحجج القطعية ، والحكماء جمع حكيم . انظر : المرجع السابق ١٣٢/٢ -١٣٣ .

(٤) **أهل المعانى:** هم أهل اللغة، يبحثون عن المعانى اللغوية للكلام وحقيقة الكلمة، باعتبار إفادتها لمعاني زائدة ، وعلم المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ لمقتضى الحال. انظر: المرجع السابق، ١٨/١ - ٢٤ .

(٥) **المنطقيين:** وهم أهل علم المنطق، الذين يوزنون الحجج والبراهين، وسموا بذلك لأن النطق يطلق علي اللفظ وعلي إدراك الكليات ، وعلي النفس الناطقة . وهو علم بقوانين تفيد معرفة طرق الإنتقال من المعلومات إلي المجهولات . انظر : المرجع السابق ، ٤٦/١ .

يصدق عليه ، فالناطق والكاتب متساويان ، وقد يطلق علي الإشتراك فى الذاتية أى جميعها) [١] .

أما فى المصباح المنير فقد ذكر أن المساواة من ساواه ، أي ماثله قدراً وقيمة ، ومنه قولهم هذا يساوى درهماً أى تعادل قيمته دورهماً [٢] .

أما صاحب مختار الصحاح فقد وضح أن المساواة هى المثل ، ومنها التسوية والشبهة ، ومأخوذة من الفعل المجرد سوا وهو السواء أى العدل ، قال تعالي : « ... **فانبذ إليهم على سواء** ... » [٣] ، وسواء الشيء وسطه ، تقول هذا لايساويه أى لا يعادله ، وسويت الشيء تسوية أى قسمت الشيء بينهما بالسوية[٤] .

وذكر أبى الهلال العسكرى* فى كتابه الفروق اللغوية مبيناً الفرق بين المساواة والمماثلة ، (أن المساواة تكون فى المقدار بين اللذين لايزيد أحدهما علي الأخر ولاينقص عنه ، والتساوى التكافؤ فى المقدار ، والمماثلة هى أن يسد أحد الشيئين مسد الآخر كالسوادين [٥]) [٦] .

---

(١) انظر : المصباح المنير ، ٣٥٢/١ ، والمنجد فى اللغة والاعلام ، ص ٣٦٦ ، دار المشرق - بيروت ، الطبعة السابعة عشر .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٥٨ .

(٣) انظر : مختار الصحاح ، ص ١٣٦ ، والقاموس المحيط ، ٤/ ٣٣٨,٣٣٩ .

** **أبى الهلال العسكرى** : هو الحسن بن عبدالله بن سهل اللغوى العسكرى ، نسبه إلي عسكر من بلاد الأهواز ، عالم وفقيه وأديبا وشاعراً ، وله كتب فى اللغة منها (التلخيص) ،(الصناعتين) صناعة النثر والنظم ، و(جمهرة الأمثال) ، وكتاب (شرح الحماسة) إلي غير ذلك ، ولد سنة ٢٩٣ هـ ، وتوفى سنة٣٨٢هـ . انظر : الأعلام للزركلى ١٩٦/٢ ،و خزانة الأدب ، عبدالقادر البغدادى ٩٧/١ ، مكتبة الخانجى .

(٤) **السوادين** : يقصد بهما التمر والماء لأن أحدهما يسد مكان الآخر عند الجوع والعطش ، وقيل الماء واللبن ، وقيل الحية والعقربة .وقيل عن التمر والماء الأسودان . والراجح أن كلمة السوادين تطلق عليهما جميعاً . انظر : لسان العرب ٢٢٦/٣ مادة سود .

(٥) الفروق اللغوية لأبى الهلال العسكرى ، تحقيق حسام الدين القدسى ، ص ١٢٨ ، دار الكتب - بيروت .

ولقد ذكر ابن عاشور* أن المساواة من مصدر تساوى الشيء إذا كانا متماثلين ، فإن هى قيدت بمتعلق فى اللفظ أو التقدير بحسب مساق الكلام ، فالمراد المماثلة فيما يدل علي ذلك المتعلق ، وإن هى أطلقت فظاهر الإطلاق يوهم المماثلة فى كل شيء . فالمساواة الإسلامية الناشئة عن الأخوة ليس المراد منهاالتساوى فى منتجات العقول أو فى العلوم أو في الأعمال ، ولكن يراد فيها ما ينشأ من معني الأخوة ، وهو تساوى المسلمين جميعاً فى الإنتساب ، أو أن المساواة ترجع إلي التماثل فى آثار كل ما تماثل المسلمون فيه بأصل الخلقة أو بتحديد الشريعة ، ولا يؤثر علي ذلك التماثل حائل من قوة أو ضعف ، فلا تكون قوة القوى وعزته زائدة له من آثار ذلك التماثل ، ولاضعف الضعيف مانعاً بينه وبين آثار ذلك التماثل [1] .

مما سبق ذكره يتبين من تعريفات أهل اللغة لمعني المساواة ، أنها مأخوذة من الفعل المجرد سوا، أى العدل فى التسوية ، والتساوى فى الشيء أى المثل والتكافؤ ، وكذلك الشبه فيه ، ولا توجد كلمة المساواة خصوصاً فى القرآن ، مثل كلمة العدل أو الرحمة ، وإنما جاء المعني فى سياق الآيات الكريمة.

المساواة إصطلاحاً :

جَعل الناس أمام الحق سواء ، ومساواتهم فى الحقوق الشخصية والكرامة الإنسانية والمدنية ، فلا تتمييز ولاتفاضل بينهم فى الجنس والقوم واللون أو اللغة والمال .

ولقد بينا فى الفصل السابق أن العدل دعامة من دعامات المجتمع الإسلامى ، وأنه قاعدة أساسية من قواعد الحكم فى الإسلام ، وقد اهتم الإسلام به أيما إهتمام ، فجعله واجباً ووضع له الضوابط بحيث لا يتأثر بالشهوات والأهواء والملذات ، حتي يقوم المجتمع علي العدل ، فلا يمكن أن يتم تطبيق شريعة الله علي الوجه الأكمل فى

---

* **ابن عاشور** : هو محمد الطاهر بن عاشور ، إمام وعالم مفسر ، معاصر من تونس ، له تفسير جليل (التحرير والتنوير) ، يقع فى حوال خمسة عشر مجلداً ، وله كتاب (أصول النظام الإجتماعى فى الإسلام) ، وكتب أخري .

(١) انظر : أصول النظام الإجتماعى فى الإسلام . محمد الطاهر بن عاشور ، ص ١٤٠ ، الشركة التونسية للتوزيع .

مجتمع يسوده الظلم ولايعرف العدل ، ومن هذا المنطق تأتى المساواة فى المجتمع الإسلامى كدعامة أيضا من دعاماته التى يقوم عليها المجتمع ، فإن وجد العدل فى المجتمع كان تباعاً وجود المساواة ،فلا توجد مساواة مع غياب العدل .

ولقد كانت هذه الدعامة القوية التى تسوي بين أفراد المجتمع قائمة علي كرامة الإنسان وتكريمه، أياً كان لونه أو عنصره أو دينه أو وطنه أو قومه ، فالناس جميعاً متساوون فى الحقوق والواجبات ، ومتساوون فى تكوينهم وأصل خلقتهم ، والسبب فى ذلك إهتمام الإسلام بالمساواة فى مجتمعه بين الأفراد ، لأن فيها من التكافؤ والترابط والبعد عن العصبية التى تعمي الأعين عن الحق ، والتى تحجب طريق الصعاب وتؤدى إلي عواقب وخيمة يؤدى إلي إنهيار المجتمع .

المجتمعات السابقة والمساواة

لم يكن هنالك ثمة مساواة بين أفراد المجتمعات السابقة ، فظهرت التعددية فى الطبقات ، وكان الغالب عليها طبقة الكادحين من العبيد ، يحكمهم أناس قلائل ، وسنوضح هذا من خلال دراسة موجزة عن التفاضل بين الطبقات عند المجتمعات السائدة قبل الإسلام .

التفاضل عند الهنود

كانت الديانة البراهمية سائدة قبل ميلاد المسيح بحوالى ثلاث قرون ،ووجد هنالك قانون ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض ، من الناحية السياسية والناحية الدينية.

وكان الناس فى هذا المجتمع ينتمون إلي أربع طبقات تتفاوت علواً وهبوطاً بحسب أصولها فى الخلقة علي حد زعمهم ، وأعتبروا أن أرفع الطبقات قدراً وإجلالاً طبقة البراهمة وهى طبقة الكهنة ورجال الدين ، ثم الطبقة الثانية وهم رجال الحرب ، والثالثة وهم رجال الزراعة والتجارة ، ثم الطبقة الأخيرة وهم رجال الخدمة للطبقات الثلاثة من هذا المجتمع .

فالملاحظ أن الديانة البوذية فى بلاد الهند لم تتخذ المساواة بين طبقات المجتمع(١)

(١) انظر: مقارنة الأديان ، أحمد شلبى ، ٣/١٨٤، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، الطبقة الثامنة ١٩٨٥م، والحقوق والواجبات فى الإسلام، محمد رأفت عثمان ، ص ٣٢-٣٣، دار الكتاب الجامعى –القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

التفاضل عند الإغريق وهم (قدماء اليونان)

إعتقد الشعب الإغريقى أنهم أفراد لم يخلقوا مما خلق سائر البشر ، فكانوا يعتقدون أنهم شعب أختصهم الخالق بكريم الصفات الإنسانية من عقل وإرادة ، وأن غيرهم من الشعوب لم يشاركوهم فى هذه الصفات ، بل أن الشعوب الأخري لا يبعدون كثيراً عن صفات الحيوانات .

وأطلقوا علي غيرهم من الشعوب إسم « البرابرة» أى العبيد الذين خلقوا لخدمة شعب الإغريق وشعب اليونان، وهذا ما قرره مفكرهم (أرسطو) بقوانينه الجائرة الطبقية والعصبية(١) .

ومما سبق يتبين أن اليونان القديمة كان يسودها نظام طبقى ، لامساواة فيه بين جميع البشر ، وأن هنالك أحراراً وأرقاء ، أما الأحرار فلهم كل الحقوق ومركزهم الإجتماعى ، وأما الأرقاء وهم الاكثرية فى المجتمع ليس لهم أدنى الحقوق .

التفاضل عند الرومان

أقام الرومان لأنفسهم الوصاية علي الإنسانية جمعاء ، فبسطوا سلطانهم علي الشعوب بحد السيف ، وإستعملوا لذلك الوسائل الحقيرة ، واستطاعوا السيطرة علي جميع أنحاء العالم ، ولم تكن قوانينهم ودساتيرهم تساوى بينهم وبين سائر الشعوب ، المحكومين تحت سيطرتهم ، وإنما كانوا يعتبرون غير الرومانى طبقة أدني خلق ليكون عبداً لهم ولخدمتهم .

التفاضل عند أهل فارس

كذلك لم يكن أهل فارس أقل من الرومان فى نظرتهم للشعوب ، فقد وجدت نظرية (الحق الإلهى المقدس) و التى تجعل الملوك ألهة أو ممثلين للألهة، وتقول بأن دماً إلهياً يجري فى عروقهم دون سائر البشر.

التفاضل عند اليهود

إن الشرائع السماوية كلها دعت إلي المساواة ، ولم تفرق بين أحد من البشر ، بل

---

(١) انظر : الحقوق والواجبات فى الإسلام ، ص ٣٤ – ٣٥.

الكل سواء أمام الأحكام والشرائع التى ارسلها الله عزوجل إلي البشر ، لهدايتهم ولما فيه مصلحة لهم فى الدنيا والأخرة . ولكن الأحكام والمبادئ التى أرسل بها الرسل السابقون لمحمد عليهم السلام ومنهم موسي، لم تسلم من التغيير والتحريف فبدل اليهود ما فى التوارة ، وكتبوا فيها من الخرافات ، وأعتبروا فيها أنفسهم شعب الله المختار، يحق لهم مالا يحق لغيرهم ، والباقى من الأمميين[1] من الناس نوع وضيع.

فأستباحوا لأنفسهم الغش والربا ، فى الوقت الذى يحرمونه علي غيرهم ، وأن الأمميين من الناس لم يخلقوا إلا لخدمة اليهود الشعب المختار [2] والأمر كذلك بالنسبة للمسيحية لم تكن أحسن حال من اليهودية .فقد غيروا وحرفوا فى التوراة والإنجيل ، وتمادوا بالكفر فى حق الله عز وجل وحق نبيهم عيسي عليه السلام .

التفاضل عند العرب في الجاهلية

أما الحال عند العرب قبل ظهور الإسلام ، فالمساواة لم تكن لها أثر فى مجال العلاقات مع غيرهم من القبائل ، حتي عند بعضهم البعض ، فيري العربى فى الجاهلية أنه من أصل مختلف عن القبائل الأخري ، فهو كامل الإنسانية عن غيره من الأعاجم ، فعدم المساواة وضحت من ناحية المصاهرة ، فيرفض العربى مصاهرة غير العربى حتي لو كان متقلداً أسمي المراتب ، وكذلك فى علاقة الرجل بالمرأة ، فأعتبروها إن هى إلا متاع ليس لها أدني الحقوق ، بل كانوا يقتلونها خوفاً من العار أو الفقر . وقد نص القرآن الكريم ذلك : « **وإذا الموؤدة سئلت *بأي ذنب قتلت** » [3] .

---

(١) **الأمميين** : هم من ليسوا من اليهود فلم يخلقوا إلا لخدمة الشعب المختار كما يزعمون .

(٢) انظر : مقارنة الأديان ، أحمد شلبى ،٣/ ١٨٤ ، والحقوق والواجبات فى الإسلام ، ص ٣٦ . وانظر : كيف السبيل إلي الله (الاسلام دين ودولة) ، خير الله طلفاح ،٣/ ٢٢٠ ، مؤسسة المطبوعات العربية – بيروت ، الطبعة الأولى /١٩٧٥م ، وحقوق الإنسان فى الإسلام ، علي عبد الواحد وافى ، ص ١٠-١٤ ، مكتبة نهضة مصر – القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٩م.

(٣) سورة التكوير: الآيتان ٨– ٩.

يتضح مما ذكر سابقا أنه لم يكن هنالك أدني درجة فى المساواة بين أفراد المجتمعات السابقة للإسلام ، فظهرت الطبقية والتمايز بين الأفراد ، فكانوا علي قسمين سادة وعبيد لم تكن للطبقة الأخيرة لها أدني الحقوق والواجبات فى المجتمع .

الإسلام والعنصرية [1] .

إن العنصرية هى أعدي أعداء المساواة ، وقد ذمها القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، وفى ذلك يقول الله عزو جل : « **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة** [2] **من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** » [3] .

وسبب نزول الآية كما ذكر ابن جرير عن أبى العالية * قال : قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، فأنزل الله : « قل إن كانت لكم الدار الأخرة » [4].

قال صاحب كتاب التفسير الكبير : إن هذا نوع آخر من قبائحهم – اليهود – وهو إدعائهم أن الدار خالصة لهم من دون الناس ، وحكى الله عنهم فى كثير من الآيات فى قوله تعالي :« **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ...** » [5] ، وقال عزوجل فى نفس السورة :« **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ...** » [6] ، فإعتقادهم أنهم هم المحقون وأن سائر الفرق مبطلون ،

(١) **العنصرية** : هى الإعتقاد بالتمييز والعلو عن سائر الناس بسبب الجنس أو اللون أو نحوهما ، أى هو مذهب المتعصبين لعنصرهم . انظر: الإسلام وحقوق الإنسان دراسة مقارنة، القطب محمد القطب طبلية، ص ٢١٦ ، دار الفكر العربى – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م . والمنجد ص ٥٣٣ .

(٢) **خالصة** ، أى خاصة بكم . انظر : تفسير الطبرى ، ٤٢٦/١ .

(٣) سورة البقرة : الآيتان ٩٤ – ٩٥ .

* **أبى العالية** : هو رفيع بن مهران الرياحى ، من جلة التابعين وثقاتهم ، قال علماء الحديث والمصطلح أن الأحاديث المرسلة ليست بحجة ولكن إذا أسندها أبو العالية فحجة . انظر : ميزان الاعتدال ، ٥٤/١ ، رقم ٢٧٩٠ .

(٤) تفسير الطبرى ٤٢٥/١ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٨٠ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١١١ .

وإعتقادهم أن إنتسابهم إلي أكابر الأنبياء عليهم السلام ، يخلصهم من عقاب الله ، و إفتخارهم كذلك علي العرب بأنهم شعب الله المختار [1]. كل هذا يجعلهم أنهم علي درجة أعلي وأكمل من غيرهم.

ويقول سبحانه وتعالي فى كثير من الآيات أيضا ، متحدثاً عن اليهود والنصاري وعنصريتهم فنري ذلك فى قوله تعالي : « **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار** [2] **يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين** [3] **سبيل**[4] **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** »[5] .

خانت بعض طوائف اليهود الأمانة ، وحملهم علي ذلك إدعاؤهم أن التوراة تبيح لهم أكل أموال العرب ، إذ هم شعب الله المختار ، فلهم السمو والتفوق العنصرى علي غيرهم ، وأما من سواهم فلا حرمة له عند الله ، فهو مبغوض عنده محتقر لديه ، لا حق له ولاحرمة [6].

فادعي اليهود أن من حقهم أن يظلموا ويعتدوا علي غيرهم ، وأنه لا حرج ولاجناح عليهم فى ذلك والأمر كذلك بالنسبة للنصاري ، بأنهم قالوا أن اليهود ليسوا علي شيء ، فكل فريق ذهب بأن له الحق وإن ما عليه غيره هوالباطل.

ها هى العنصرية بعينها أعدي أعداء المساواة ، وقد ذمها القرآن ، وحاربها الرسول

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازى ، ٣/٢٠٣ ، تفسير ابن كثير ، ١/١٢٧ – ١٢٨ ، والتفسير المنير ، ١/١٣٠.

(٢) **بقنطار** : المراد العدد الكثير أو المعيار الذى يوزن به .

(٣) **اى العرب .**

(٤) **مؤاخذة وذنب** . انظر : التفسير المنير ،٣ / ٢٦٤, ٢٦٧ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٧٥.

(٦) انظر التفسير المنير ، ٣/٢٦٦ ، ٢٦٧ . وانظر : تفسير المراغى ، أحمد مصطفي المراغى ، ١/١٨٨ ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

ﷺ بالقول والعمل والقدوة عندما قال : أبوذر الغفارى* رضى الله عنه ، لغلامه ** يا ابن السوداء ، فلما سمعه الرسولﷺ ، قاله له : (أتعيره بأمة إنك أمرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم -خدمكم- جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليكسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه)[1] حتي استسمح أبوذر غلامه.

ومن المؤسف أن هذه العنصرية البغيضة ، مازالت ذات دولة وصولة حتي اليوم ، ففي أمريكا يحرم دخول الزنوج في المدارس والجامعات والمطاعم التي يدرس فيها البيض ، وكذلك في المركبات العامة . وفي جنوب أفريقيا وفي غيرها مآسي تقع كل يوم بسبب اللون والجنس . وفي البوسنه والهرسك يقتل عشرات ألآلاف من المسلمين لأسباب عرقية ، فهذه هي دساتير العالم المتحضر ، التي تحوي نصوصاً وقوانين في المساواة ، ولكن هذه القوانين والنصوص في واد ، والحقيقة والتطبيق في واد آخر ، وستظل قائمة ما لم يؤخذ بروح الإسلام وتشريعاته التى تقرر المساواة بجميع مستوياتها وصورها المختلفة .

---

* **أبوذر الغفارى** : اختلف فى أسمه والأصح جندب بن جناده بن قيس ، من بنى غفار ، كان من كبار الصحابة ، قديم الإسلام ، أسلم بعد أربعة ، روي عن ابن عباس ، وروي عنه عبدالله بن الصامت ، قال عنه الرسول ﷺ أبوذر فى أمتى علي زهد عيسى ابن مريم ، توفى بالربذة ، سنة إحدي وثلاثين هجرى وصلي عليه ابن مسعود . انظر : الاستيعاب ١٦٥٢/٤- ١٦٥٦ ، رقم ٢٩٤٤ .

** **بلال بن رباح الحبشى** : المؤذن (أبو عبدالله) ، صحابى جليل ، وهو مولى أبى بكر الصديق ، ثم أعتقه ، وقيل فى ذلك سيدنا أعتق سيدنا ، وهو من السبعة الذين أول من أظهروا الإسلام ، مات ودفن بدمشق سنة إحدي وعشرين هجرى، وهو ابن سبعين سنة . انظر : الإستيعاب ١٧٨/١ -١٨٢ ، رقم ٢١٣ .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ١٠٦/١ ، كتاب الإيمان ، ابن ٢٢ ، المعاصى من أمر الجاهلية ولايكفر صاحبها بإرتكابها إلا بالشرك ، لقول النبىﷺ (إنك امرؤ فيك جاهلية) ، حديث رقم ٣٠ ، ومسند أحمد بن حنبل ١٦١/٥ .

فأين أنتم يا دعاة المساواة والحرية والدمقراطية من سماحة الاسلام ؟ أين أنتم يا دعاة العنصرية في الولايات المتحدة ؟ إذ تفرقون بين البيض والسود من أبناء شعبكم ، أين أنتم يا حكام الغرب من سماحة الاسلام ومساواته ؟ وأنتم تستعمرون الشعوب وتحرمونها من حقوقها الانسانية ، وأنتم تقيمون قانون الغاب ، ثم تدعون المساواة والحرية ومقاومة الإرهاب وإعلان حقوق الانسان ... .

المبحث الثاني
مبدأ المساواة في ميزان الإسلام

المبحث الثاني

مبدأ المساواة في ميزان الاسلام

يعد مبدأ المساواة فى الاسلام من المبادئ التى أعلنها القرآن المجيد ، ونادت بها السنة النبوية ، وطبقها المسلمون فى مجتمعهم ، فلم يكن هنالك سادة وعبيد ، وأغنياء وفقراء ، ولا مملوك ولا سوقة[1] ، بل الجميع متساوون أمام مبادئ الاسلام ، وأخوة متحابون ومتعاونون .

والشريعة الاسلامية قد جاءت منذ نزولها بنصوص صريحة وواضحة ، تقرر نظرية ومبدأ المساواة وتفرضها علي الناس جميعا بشعار حاسم طرحه القرآن ، لا يقبل مهادنة ولا مساومة وقد بدي ذلك واضحا وجليا فى قوله تعالي : « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** »[2].

ذكر السيوطى* أن سبب نزول الآية لما كان يوم الفتح رقي[3] بلال علي ظهر الكعبة فأذن ، فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن علي ظهر الكعبة ؟ إن

١- **السوقة :** هم عامة الناس ، أى الرعية ومن دون الملك، ومن لم يكن ذا سلطان ، وفى ذلك الذكر والأنثى علي حد سواء ، وكثير من الناس يظنون أن السوقة هم أهل الأسواق . انظر : لسان العرب ، ١٠/١٧٠ ، مادة سوق .

٢- سورة الحجرات : الآية ١٣ .

* **السيوطى :** هو عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى ، المصرى الشافعى ، نشأ يتيماً وحفظ القرآن وهو فى سن الثامنة ، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأدب واللغة والطب ، له التفسير المشهور (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) ، وكذلك تفسير(الجلالين) من جلال الدين المحلى ، ألف كتب كثيرة وخاصة فى المجال الشرعى ، بلغت حوالي ستمائة مصنفاً ، ولد سنة ٨٤٩هـ ، وتوفى رحمه الله سنة ٩١١هـ . انظر: الأعلام للزركلى ، ٣/٣٠١ -٣٠٢، و تاريخ النور السافر من أخبار القرن العاشرة ، لمحى الدين العيدروسى ، ص ٥٤ - ٦١ .

(٣) **رقى :** الصعود ، يقال فلان رقى إلي الجبل أى صعد . انظر : لسان العرب ، ١٤/٣٣١ مادة رقى .

يسخط الله هذا بغيره ، فأنزل الله قوله تعالي : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي ...» ، وقيل نزلت فى أبى هند عندما أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، بنى بياضة أن يزوجوه امرأة منهم ، فقالوا : يا رسول الله أنزوج بناتنا لمواليينا ؟ فنزلت الآية [١].

وللآية الكريمة عدة أسباب لنزولها ذكرها الواحدى فى كتابه [٢].

والآية أياً كان سبب نزولها فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والمعنى أن الناس أصلهم وجنسهم واحد ، فلا تفاضل بينهم فى الأشياء الشكلية والإعتبارية ، من لون أو جنس أو قوم ، وإنما الإعتبار فى التقوي .

قال الطبرى : يقول تعالي ذكره ، يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال ، وماء أنثي من النساء ، وجعلناكم متناسبين لبعضكم البعض ، سواء من قريب أو من بعيد من أهل الشعوب والبطون ، قال : والشعوب البطون، والقبائل الأفخاذ ، وإن أكرمكم يا أيها الناس عند ربكم أشدكم إتقاء له بأداء فرائضه ، وإجتناب معاصيه ، لا أعظمكم بيتا ولا أكرمكم عشيرة [٦].

وجاء فى تفسير تنوير الأذهان فى تفسير قوله تعالي: (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب هم الجمع العظيم المنتسبون إلي أصل واحد ، وسميت بذلك لأن القبائل تتشعب منها كتشعب أغصان الشجرة ، وذلك ليعرف بعضهم بعضا بحسب الأنساب ، فلا ينتسب أحدهم إلي غير آبائه ، فلا تتفاخروا بالآباء والقبائل ، وتَدَعُوا التفاوت والتفاضل فى الأنساب ، وجاء التعليل للنهى عن التفاخر بالأنساب فى قوله تعالي: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فالأكرم عند الله تعالي هو الأتقي ولو كان عبدا حبشياً[٤].

---

(١) انظر : تفسير وبيان القرآن الكريم للسيوطى ، ص ٣٩٣.

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ٢٧١ ،٢٧٢.

(٣) انظر : تفسير الطبرى ، ١٣ /١٣٩ - ١٤٠ ، و تفسير ابن عباس بهامش الدرالمنثور فى التفسير المأثور ، للسيوطى ،٥/٢٤٥.

(٤) تفسير تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ٤/١٢٥.

ودعما للآية القرآنية الكريمة يكررﷺ هذا المعني ويؤكده فى قولهﷺ : (إن ربكم واحد وأباكم واحد فلا فضل لعربى علي عجمى ولا لأحمر علي أسود إلا بالتقوي) [١] .

ثم بعد ذلك يؤكد عليه الصلاة والسلام هذا المعني فى قوله (إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لأن الناس من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم) [٢] .

والملاحظ من هذه الاستدلالات الشريفة أنها فرضت المساواة بصورة مطلقة ، فلا قيود ولا إستثناءات . إنها المساواة علي الناس كافة ، فلا فضل لفرد علي فرد ، ولا جماعة علي جماعة ، ولا جنس علي جنس ، ولا لون علي لون ، ولا لسيد علي مسود ، ولا حاكم علي محكوم ، إلا بميزان واحد ألا وهو ميزان التقوي.

ورغبة منا فى المزيد من الفائدة ننقل ما أثر من وصايا عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى اشتهرت فى القضاء ، عندما أرسل أبو موسي الأشعرى * حين ولاه القضاء علي البصرة ، يأمره بالمساواة حيث قال له فيها: (أما بعد : سلام عليكم، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أولى إليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له– أى أن الحق لا بد له من قوة لتنفيذه – آس[٣] بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك، حتي لا يطمع شريف فى حيفك [٤] ولا ييأس ضعيف من عدلك) [٥] .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، ٤١١/٥ ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، ٩٨/٦ ، و زاد المسير فى علم التفسير ، لابن الجوزى ، ٤٧٥/٧.

(٢) سن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب التفاخر بالأحساب ، ٣٤٠/٥ ، حديث رقم ٥١١٦ ، وسنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ، ٦٩٠/٥ – ٦٩١ ، حديث رقم ٣٩٥٦ ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ، ٩٨/٦.

* **أبو موسى الأشعرى** : هو عبدالله بن قيس ، صحابى جليل مشهور ، هاجر ثلاث هجرات ، بعثه النبى () إلي اليمن قاضياً ، أستعمله عمر بن الخطاب علي الكوفة والبصرة ، توفى سنة ٥٢ هـ . انظر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ١٦٧٢/٤ – ١٧٦٤ ، رقم ٣١٩٣.

(٣) **آس** : اى ساوى بينهم .

(٤) **حيفك** : من الحيف وهو الظلم والجور ، الحيف فى اللغة الميل فى الحكم ، وهى صفة فى الحاكم الجائر الظالم . انظر القاموس المحيط ، ١٢٦/٣ ، والمصباح المنير ، ٢١٩/١ ، و قاموس الألفاظ والاعلام ، ص ٩٦.

(٦) سيرة عمر بن الخطاب ، لأبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى ، ص ٧٣ – ٧٤ ، ضبط وتشكيل طاهر النعسان الحموى ، وأحمد قدرى كيلانى ، المطبعة المصرية – الأزهر .

الأدلة من القرآن والسنة على المساواة :

خلق الله سبحانه وتعالي الناس بحسب فطرتهم ، متماثلين متكافئين ، أحرارا كما ولدتهم أمهاتهم ، ولكن دخولهم فى مزاحم الحياة الاجتماعية ينزع عنهم لباس التماثل والتساوى ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات ، وقد جمع القرآن هذه الأطوار الثلاثة وهى التماثل والتساوى والترفع فى الدرجات فى قوله تعالي : « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...** » (١).

فقوله تعالي : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثي» رمز إلي فطرتهم الأولي ، وقوله تعالي : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» دلالة علي نشأتهم الاجتماعية ، أما قوله تعالي : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ،تصريح إلي طور التمايز والتفاضل ، وإيذان من الله بالوسيلة التى نبتغيها إلي درجة ومقام الكرامة عنده ، ألا وهى التقوي .

ومن الأدلة أيضا علي المساواة قوله تعالي: «**إنما المؤمنون إخوة ...** » (٢).

وقوله تعالي : « **يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ...** » (٣).

وقوله تعالي :« **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحدا...** »(٤).

والآيات التى تدل علي المساواة كثيرة وسنأتى إن شاء الله ببعضها فى سياق الحديث عن المساواة أما من السنة النبوية الشريفة فلقوله ﷺ :(إن ربكم واحد وأباكم واحد ، لافضل لعربى علي عجمى، ولا أحمر علي أسود إلا بالتقوي) (٥).

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٣) سورة النساء : الآية ١ .

(٤) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

(٥) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

فنجد أن الآية الكريمة والحديث الشريف كلاهما قد وضح أن البشر جميعاً قد جاءوا من مصدر واحد، وهو آدم وحواء عليهما السلام وأن آدم خلق من طين .

ويقول ﷺ : نافياً قضية السادة والعبيد فى المجتمع الواحد :(... إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه) [1].

ويقول ﷺ (لايقولن أحدكم عبدى فكلكم عبيد ولكن ليقل فتاى ...)[2] .

فما سبق عرضة من الأدلة القرآنية والسنة النبوية للمساواة ، يتبين لنا أنها أصل من أصول الإسلام ، ينبثق من أساس العقيدة ، حيث كرم الله بنى آدم وخاطبهم بلفظ واحد ألا وهو الناس وبنى آدم، وفى ذلك بيان إلي وحدة أصلهم .

الأساليب التي قررها القرآن للمساواة

لقد قرر القرآن الكريم مبدأ المساواة بأساليب متنوعة:-

منها ما كان فى سياق تقرير الأخوة بين المسلمين ، فالتقرير لواقع الأخوة بين المسلمين وايجابها وتوطيد أواصرهاهى المساواة بينهم ، فلا يصح أن يكون هنالك أخوة قائمة ومقررة ثم لا يكون بينهم مساواة تجمعهم فى الحقوق والواجبات ، أو أن يكون بينهم تمايز وتفاضل بسبب مال أو جاه أو جنس أو لون أو طبقة .

ومنها مكان كان فى سياق ما فرضه الله ورسوله من تكاليف أو واجبات ، أو إباحة من المباحات ، أو نهي من الأمور المنهى عنها ، أو محظور من المحظورات ، أو ثواب أو عقاب سواء فى الدنيا أو الأخرة . فالإسلام ساوى بينهم فى كل شئ علي إختلافهم ، فلم يميز بين أحد منهم علي أحد ، ولم ينقص من واجب أحد أو يزيد ، إلا

---

(١) سنن أبى داود ٣٤١/٤ ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٥١٥٨ ، وسنن ابن ماجة ، ١٢١٦/٢ ، حديث رقم ٣٦٩٠.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ٢١٠/٥ ، كتاب العتق ، باب كراهية التطاول علي الرقيق وقوله عبدى وأمتى ، حديث رقم ٢٥٥٢ ، ومسند الإمام أحمد ، ٤٩٦/٢.

ما كان مخصصاً بالنسبة لنساء النبي ﷺ في بعض آيات الأحزاب بأمر متصل بثواب الله عز وجل وعقابه في الآخرة ، وإكراماً لهن بشرف الزواج منه ﷺ(١).

قال تعالي مبياً ذلك: «**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً * يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً**»(٢) .

جاء فى تفسير الطبرى أن الله سبحانه وتعالي يخاطب أزواج النبى رضى الله عنهن ، بأن من يزنى منكن الزني المعروف الذى أوجب عليه الحد ، يضاعف لها العذاب علي فجورها فى الآخرة ضعفين علي فجور أزواج الناس غيرهن . وكذلك فى المقابل من يطع الله ورسوله منكن ، ويعمل بما أمر الله يضاعف لها الأجر بما عملت مثل ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس ، فأنتن لستن كأحد من نساء هذه الأمة ، إن أتقيتن الله فأطعنه فيما يأمركن وينهاكن (٣) .

ومن ذلك يتبين أن هنالك تسوية فى التكاليف ، والواجبات والمباحات ، والمحظورات والمكروهات، والترغيب والترهيب ، وفى الثواب والعقاب ، بين المسلم والمسلمة ، إلا علي أزواج النبى ﷺ، لما لهن من التشريف والإكرام .

ومنهاما كان فى سياق هدم التفاوت الطبقى بين الناس ، قال تعالي :« **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...** »(٤) .

(١) انظر : الدستور القرآنى فى شئون الحياة ، محمد عزة دروزة ، ٧٢/٢، عيس البابى الحلبى – القاهرة .

(٢) سورة الأحزاب : الآيات ٣٠ -٣٢.

(٣) انظر : تفسير الطبرى ، ١٥٩/١١ .

(٤) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

قررت الآية وحدة الأصل فى الناس ، ونفت مشروعية التفاضل الطبقى ، أو ما يمكن أن ينشأ من التفاوت فى الفقر والغني من تمايز ، فالناس من أب واحد وأم واحدة ، فالتفاضل والتمايز الطبقى والجنسى أو المالى يتناقض مع المساواة التى قررتها الآية الكريمة .

وكذلك منها ما كان بقصد إزالة الفوارق الحسبية الجاهلية ، كما ورد فى الآية السابقة ، فلقد كان رؤساء قريش من الأسر الرفيعة، يريدون لأنفسهم التمييز عن الناس ، فى بعض مواقف الحج ، فيقفون فى أماكن خاصة بهم ، وحينما يعودون من عرفات أو المزدلفة ، يسلكون طريقاً آخر خاصا بهم[1] .

ومنها ما كان علي سبيل توطيد المركز الإجتماعى للفقراء ، وتسويتهم بسائر المسلمين ، وعنايته بهم ، وإهتمام المسلمين بالفقراء والمستضعفين ، وعدم تفضيل الزعماء والأغنياء عليهم ، وبالتالى هذا يقضى علي دعوي التفاخر بالحسب والمال ، ففى سور عبس والأنعام والكهف ثلاث مجموعات تحوى عتاباً وتوجيهاً للرسولﷺ فى شأن الفقراء المسلمين و وتتصل بفكرة القضاء علي التمييز الطبقى فى الإسلام ، وتوجب للفقراء مرتبتهم الإجتماعية ، واحاطتهم بما يشعرهم بالكرامة والعزة ، قال تعالي :« **عبس وتولى**[2] * **أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى* فأنت عنه تلهى**»[3]

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة .أنها نزلت فى ابن أم مكتوم ، آتي إلي النبىﷺ وهو يناجى ويدعو عتبه بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ، وعباس بن عبدالمطلب ، وأمية بن خلف ، يدعوهم إلي الله ويرجو إسلامهم .فقال له ابن ام

---

(١) انظر : الدستور القرآنى فى شئون الحياة ٢ /٧٣ -٧٥.

(٢) **عبسي وتولي** : أى أعرض بأن قبض وجهه تكرهاً ، انظر : تفسير الطبرى ١٥/ ٥٠

(٣) سورة عبس : الآيات ١ -١٠ .

مكتوم : يارسول الله علمني ما علمك الله ، وجعل يناديه ويكرر النداء ولايدرى أنه منشغل مع غيره ، حتي ظهرت الكراهية فى وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه ، فعبس رسول الله فى وجهه وأعرض عنه و أقبل علي القوم من عظماء قريش ، فنزلت الآيات ، وكان بعد ذلك عندما يلقاه عليه السلام يكرمه ويقول له مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى [1] .

يبين سيد قطب * فى ظلال القرآن ، أن هذه الآيات توجيه ربانى بشأن هذه الحادثة ، إلي رسول البشرية ﷺ، ليعلم الناس من بعده هذه الحادثة كيف يعامل فرد من الناس ، وكيف يزن الناس كل أمور الحياة ، ومن أين تستمد هذه القيم ؟ والحقيقة المستهدفة فى هذا التوجيه ، هى أن يستمد الناس فى الأرض قيمهم وموازينهم من إعتبارات سماوية إلهية بحتة آتية لهم من السماء ، غير مقيدة بملابسات أرضهم ، ولا بمواصفات حياتهم المنبثقة من أحوال معاشهم ، وموروثات بيئتهم ، ورواسب تاريخهم وسائر أرضهم ، ولا بمواصفات حياتهم المنبثقة من أحوال معاشهم ، وهو روثات بينهم ، ورواسب تاريخهم وسائر الظروف الأخري، التى تشدهم إلي الأرض شداً ، إن الميزان الذى أنزله الله للناس مع الرسل ليقوموا به القيم كلها هو : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، فلانسب ولاقوة ولامال أو جاه، أو أى تفاوت مادى يذهب القيم المثالية ، التى يقاس بها بين فرد وآخر ، ألا وهى التقوي ، فالأكرم والأتقي فى

---

(١) انظر: تفسير الطبرى ، ١٥/٥٠ -٥١ ، والدر المنثور للسيوطى ٦/٣١٤، وانظر: أسباب النزول للواحدى ، ص ٣٠٤.

* **سيد قطب** : هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلى ، معاصر من صعيد مصر ، ولد عام ١٩٠٦م ، أصله من الهند ، تتلمذ أدبياً علي يد عباس العقاد ، له كتب إسلامية ، وفكرية ، وتفسيرية ، منها (التصوير الفنى فى القرآن) ، (فى ظلال القرآن) ألفه فى السجن ، كان منتظماً لدعوة الإخوان ، ثم اصطدم مع عبدالناصر فأعدمه يوم ١٩٦٦/٨/٢٨م، رحمه الله . انظر : مدخل إلي ظلال القرآن . د . صلاح عبدالفتاح الخالدى ، ١/١٧-٢٧ ، الكتاب رسالة جامعية منشورة ، نال صاحبها درجة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود ، قسم التفسير ، دار المنار – جدة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م . وانظر : الاعلام للزركلى ،٣/١٤٧ -١٤٨ .

هذه الحادثة هو الذى يستحق الإهتمام والرعاية والإحتفال ، ولو تجرد من كل المقومات والاعتبارات الأخري التى يتعارف عليها الناس ، تحت ضغط واقعهم الأرضى، فهذه لاوزن لها حين تتجرد من الإيمان والتقوي [1] .

جاء فى التفسير المنير مانصه : (الآية دليل واضح علي وجوب المساواة فى الإسلام ، فى شأن الإنذار وتبليغ الدعوة دون تمييز بين فقير وغنى)[2] .

يقول تعالي فى سورة الأنعام موضحاً إلاهتمام بمراكز الضعفاء والفقراء ، وتسويتهم بسائر المسلمين : « **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون * ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** »[3] .

أنكر زعماء العرب من قريش علي النبىﷺ مبدأ المساواة الذى بدأ تطبيقه ، فقالوا له : كيف نجلس معك يامحمد وأنت تجلس إلي مثل بلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وصهيب الرومى ، وعمار وسواهم من العبيد وعامة الناس ؟ أطردهم ونحن نجلس معك ونستمع إلي دعوتك، فأبى رسول اللهﷺ ذلك فقالوا : إجعل لنا يوماً ولهم يوماً ، فكاد أن يجيب رغبتهم ، فنزل عليه الوحى بالآيات الكريمة[4] .

ويقول تعالي : « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً** »[5] .

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن ٨/٤٥٤ – ٤٦٠ .

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلى ، ٣٠/٦٢ ، دار الفكر المعاصر– بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤١١هـ –١٩٩١م .

(٣) سورة الأنعام : الأيتان ٥١ –٥٢ .

(٤) انظر : تفسير الماوردى (النكت والعيون) ، ١/٥٢٦ .

(٥) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

هذا وقد كان النبىﷺ فى العهد المكى حريصاً علي إقناع الزعماء والأغنياء ، وهدايتهم ، وكان البعض منهم يعيرون النبى ﷺ بالفقراء والصعاليك الذين أسلموا والتفوا حوله ، والبعض يطلب إبعادهم عندما يحادثهم أو يجلس معهم ، فبدا بعض الميل من النبى ﷺ ، أملاً فى كسب هؤلاء إلي الإسلام ، فنزلت هذه المجموعات من الآيات القرآنية السابقة ، تعاتب النبىﷺ وتوجه له الاهتمام بالذين أسلموا معه مهما كان مركزهم الإجتماعى ، وعدم تفضيلهم علي الكافرين . وهذا الأمر من الرسول ﷺ بمثابة ترك الأحوط ، وترك الأفضل والأولي ، فلم يكن ذلك ذنباً منه البته ، وليس ذلك مصادماً لمبدأ عصمه الأنبياء ، لأن هذا الفعل صادر عن الجبلة الإنسانية ، كالرضي والغضب والضحك والبكاء .

المبحث الثالث
الإسلام ونظرته إلى الناس

المبحث الثالث

الإسلام ونظرته إلى الناس

وحدة الجنس البشري

يقرر الإسلام بأن الله وحد لا شريك له ، وأنه الخالق للإنسان والكون والحياة ، ويقرر أن بنى الإنسان من جنس واحد ونشأة واحدة ، فأبوهم واحد وأمهم كذلك واحدة ، ويدل علي هذا قوله تعالي : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** . . . »[1] .

فسر الطبرى قول الله تعالي : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ، أى أحذروا أيها الناس ربكم فى أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم ، ثم وصف تعالي ذكر نفسه بأنه الخالق المتوحد لجميع الناس من شخص واحد ، وعرف عبادة كيف كان مبتدأ إنشائهم بأنهم من نفس واحدة ، ونبههم بأنهم جميعاً من رجل واحد وأم واحدة وأن بعضهم من بعض[2] .

قال الزحيلى * فى تفسيره إن الله يأمر الناس العقلاء بتقوي الله ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه فى كل ما له صله بعبادته وحده لاشريك له ، وبحقوق العباد ، ثم يذكرهم أنه خالقهم منبهاً علي قدرته التى خلقهم بها من نفس واحدة ، منهم من أصل واحد كلهم لآدم وآدم من تراب ، حيث خلق من تلك النفس الواحدة وهى نفس

---

(١) سورة النساء : الآية ١ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ، ٣/٢٢٣ .

* **الزحيلى** : هو الأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفي الزحيلى ، معاصر من دمشق ، رئيس قسم الفقه الإسلامى فى جامعة دمشق ، له تفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ، والذى يتكون من ١٥ مجلداً وله أيضا (أصول الفقه) فى مجلدين ، و (الفقه الإسلامى وأدلته) فى مختلف المذاهب – ثمانية مجلدات ، أمضي فى التدريس زهاء الثلاثين عاماً.

آدم عليه السلام – حواء ، وهو معني قوله تعالي : « الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيرا ونساء...» ، وجعل من تلك الذرية رابطة الأسرة القائمة علي الرحم ، وصلة الدم والقرابة مما يدعوهم إلي التراحم والتعاون ، والقرابة دعم وصلة وتعاطف وود ومحبة ، تشعر الإنسان بالسعادة وتجعله يحس بالقوة المعنوية فى المجتمع . والتذكير بالأصل الأنسانى الواحد دلالة علي وجوب إلتزام الحدود الإنسانية ، وأن الأنسان أخ للإنسان الآخر رضى ام أبى ، والأخوة تقتضى التعاون والمسالمة ونبذ الخصومة[1] .

فالناس إذن متساوون فى النشأة والمصير ، وفى المحيا والممات ، وفى الحقوق والواجبات أمام الله، فليس لأحد أن يفخر علي أحد بنسب أو لون أو جنس .

ويدل علي ذلك أيضا قول الرسولﷺ ، فى حديث رواه الترمذى* من خطبة خطبها الرسول يوم فتح مكة قال : (يا أيهاالناس إن الله قد أذهب عنكم عبية [2] الجاهلية ، وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : بر تقى كريم علي الله ، وفاجر شقى هين علي الله ، والناس بنو آدم ، وخلق آدم من تراب ، قال الله تعالي :(« **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم...** »[3]) [4] .

---

(١) تفسر المنير للزحيلى ، ٤/٢٢٢ –٢٢٥ .

* **الترمذى** : هو محمد بن عيسي بن سورة الترمذى ، الحافظ ، ولد سنة ٢١٩ هـ ، من أئمة علماء الحديث من أهل ترمذ ، التى تقع علي نهر جيحون ، تتلمذ علي يد البخارى ، وكتابه سماه (الجامع الصحيح) ، وهو من أصح الكتب بعد صحيحى البخارى ومسلم ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ . انظر : وفيات الأعيان ، ٤/٢٨٧م ، رقم ٦١٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٣٣ ، رقم ٦٥٨ ، والأعلام ٦/٣٢٢ .

(٢) **عبية** : الكبر . انظر : الفائق فى غريب الحديث ، للزمخشرى ٢/١٠٦ ، ضبط وتعليق ، على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى – القاهرة الطبعة الأولي ، ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .

(٣) سوة الحجرات : الآية ١٣ .

(٤) سنن الترمذى ، ٥/٣٦٣ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ٤٩ ، حديث ، ٣٢٧٠ . قال أبو عيسي ، هذا حديث غريب ، لانعرفه من حديث عبدالله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه ، وتفسير القرطبى ، ١٦/٣٤١ .

فجنس الإنسان كله من تراب والأفراد جميعاً من ماء مهين والجميع متساوون ، يدل علي ذلك قوله تعالي : « **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** »[1].

ويقول جلّ شأنه :« **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً...** »[2].ويقول عز من قائل : « **ألم نخلقكم من ماء مهين** » [3] .

وذلك بيان لأساس وحدة البشر وتوضيح لمبدأ المساواة الذى نادى به الإسلام ، والذى فى ظله يسعد الخلق جميعاً ، و مما يدعم المساواة وإعتبارها ضرورية أن يكون حق التشريع لله وحده لاينالة أحد من الناس ، ولا أحد يدعي أن له سلطاناً علي الناس ، فالإسلام حينما حطم حواجز الجنس ، حطم معها كذلك الحواجز الجغرافية التى تكون سبباً فى ظهور الشعور القومى .

يقول محمد عبدالقادر أبو فارس ** : (... والله سبحانه وتعالي خلق الناس ملوكاً ومملوكين ، حكاماً ومحكومين ، سادة ومسودين ذكوراً وإناثاً ، عرباً وعجماً ، سوداً وبيضاً علي صورة واحدة ، حفاة عراة غرلاً[4] ، ويحشرهم يوم القيامة كذلك علي الصورة التى ولدوا فيها ، حفاة عراة غرلاً ، كما قال تعالي : «... **كما**

---

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ -١٤ .

(٢) سورة فاطر : الآية ١١ .

(٣) سورة المرسلات : الآية ٢٠ .

** د . محمد عبدالقادر أبو فارس : معاصر ، مدرس فى الجامعة الأردنية ، قسم الشريعة الإسلامية ، له كتب عديدة فى الفكر والنظام والاقتصاد الإسلامى .

(٤) **غرلا** : أى غير مختونين كما ولدتهم أماتهم . انظر : القاموس المحيط ، ص ١٣٤١ ، ومختار الصحاح ، ٤٩٦ .

بدأنا أول خلق نعيده ...،[1] ، وكما قال الرسول ﷺ: (تحشرون حفاة عراة غرلاً[2])[3] .

ولقد كانت الشعوب تئن من ضروب الإمتياز التى رفعت بعض الطبقات بغير حق ، وكان من حكمها ألا يقام أدني وزن لشئون ما هم دون ، حتي تعارضت مع شهوات الأعلين ، وكم كانت معاناة الأولين فى سبيل ذلك وذاقوا فى إسعاد الأخرين نكالاً ووبالاً .

فجاء الإسلام ونظر إلي الناس بنظرة المساواة كأنهم أسنان المشط ، وقام هذا المبدأ السامى بين أفراد المجتمع المسلم حقيقة واقعة لايقبل فيها الجدال . فلم يميز بن أفراده لجنس أولون أو عقيدة أو أوضاع إجتماعية أو إقتصادية ، وأن التفاوت والتفاضل بين الناس قائم علي أمور أخري خارجة عن طبيعتهم وخلقتهم الأولي .

المساواة والتفاوت

مما سبق ذكره ، نري أن الإسلام لا يقر التفاوت علي الأشياء الجبلية [4] بين البشر التى لا دخل لهم بها ، فهم أمام الإسلام سواء ، وهذا المبدأ العظيم تطالب به الطوائف جميعاً علي إختلاف عقائدها ومشاربها وطبقاتها ، لأنه فى هذا المبدأ تذوب الفوارق ، فلا وجود مع مبدأ المساواة لنظام الطبقات ولا العنصرية والعصبية والنعرات الكاذبة ، كما قال اليهود أنهم شعب الله المختار . أو أن الأمة الفلانية خير الامم ، أو أن

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٤ .

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه : ٨١ كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر ، ٢٣٩١/٥ ، حديث رقم ٦١٦٢ ، والترمذى فى سننه ، ٣٥ كتاب صفه القيامة ، باب ما جاء فى شأن الحشر ، ٥٣٢/٤ ، حديث رقم ٢٤٢٣ ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) النظام السياسى فى الإسلام ، محمد عبدالقادر أبو فارس ، ص ٤٥ ، الإتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية- الكويت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٤) **الجبلية** : من الجبلة وهى الخليقة والطبيعة ، والجماعة من الناس ، وفيه قوله تعالي : (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين) سورة الشعراء الآية ١٨٤ ، أى المجبولين علي أصولهم التى بنوا عليها . انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٨٥ ، والقاموس القويم للقرآن ، ١١٦/١ ومختار الصحاح ، باب الجيم ، ص ٣٩ .

عنصرها خيرالعناصر ، فلا نجد أمام هذا المبدأ التفرقة بين فرد وآخر أو بين دولة ودولة ... الخ ، بل البشر فى نظر الإسلام كلهم خلق الله وعبادة ، لايفضل أحدهم علي الآخر ، إلا بقدر قربة من الله جلت قدرته .

ويجب أن نعلم أن المساواة التى سعت إليها الشريعة الإسلامية مساواة مقيدة بأحوال يجري فيها التساوى ، وليست مطلقة فى جميع الأحوال ، لأن أصل الخلقة البشرية جاءت علي التفاوت ، فى المواهب والأخلاق ، وليست فى طبيعة الخلق من لون أو جنس ، أو أى شيء آخر لادخل لهم بها، فالناس متفاوتون فى المعاملة علي مع بعضهم البعض .قال تعالي : « **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** »[1] .

وسبب نزول الآية الكريمة أن الوليد بن عقبه بن أبى معيط ، قال لعلى بن أبى طالب : أنا أحد منك سنانا ، وأبسط منك لساناً ، واملأ للكتبية منك ، فقال له علي ، أسكت ، فإنما أنت فاسق . فنزلت الآية ، يعني بالمؤمن علياً ، وبالفاسق الوليد بن عتبه[2] .

قال الطبرى : (يقول تعالي ذكره أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده ، المخالف لأمر الله ونهيه ، كهذا المؤمن بالله والمصدق بوعده ووعيده ، المطيع له فى أمره ونهيه ، كلا لايستوون عند الله)[3] .

فالله سبحانه وتعالي ذكر تفاوت المجرم والمؤمن ، بأنهما لايستويان فى المنزلة والحكم يوم القيامة عملاً بمقتضي عدله و حكمه [4] . هذا ولقد ذكر الغالب من المفسرين أن الوليد بن عتبة فاسق . ولكن نقول فى ذلك أنه تاب بعد فسقه فلا يستمر هذا الوصف عليه .

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٨ .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ٢٤٢ ، وتفسير وبيان القرآن الكريم مع اسباب النزول للسيوطى ، ص ٣٣٣ ، وتفسير الطبرى ، ١٠٧/١١ .

(٣) تفسير الطبرى ١٠٧/١١ ، والكشاف للزمخشرى ، ٢٢١/٣ .

(٤) انظر : التفسير المنير ، ٢١١/٢١ . وانظر: أيضا أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، بهامشه نهر الخير علي أيسر التفاسى ، أبوبكر الجزائرى ، ٢٣٢/٤ . دار السلام للطباعة والنشر – الأزهر، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

وقال تعالي : « ...لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير »[1] .

وقال تعالي فى تفاوت الناس من الناحية العلمية ، سواء كانت الشرعية منها أم الدنيوية ، « ... قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ... »[2].

فلا يستوي العلماء والجهال ، فالمتعظ والمتدبر لآيات الله هو من أهل العقول السليمة ، لا من الجهلاء ، فلا يستوي الفريقان ، لايستوي العالم الذى يدرك الحق ، ويعرف منهج الله ويتبعه ويعمل به، فلايستوي مع الجاهل المتخبط فى المتاهات والضلال .

(فليس للشريعة الإسلامية الحق الكامل بأن تدعو إلي مساواة تدحض جميع الفروق والمميزات الكائنه بين البشر ، فإنها لو دعت إلي ذلك لدعت إلي ما لا يطيقه البشر ، ولا تحتمله الأمة ، وهذا مرفوع عنها قال تعالي : « لايكلف الله نفساً إلا وسعها ... »[3] والذين يتطرقون إلي تنفيذ المساواة علي إطلاقها أو ما يقارب من الاطلاق ، لا يسيرون غير قليل حتي تجابههم السدود والعقبات، فلا يستطيعون إقتحامها ، فمن ذا الذى يحكم بمساواة أبكم بفصيح ، ومساواة معتوه بذكى ، ومن يحكم بمساواة من يعطى العبادات حقها دون تفريط وبين مقصر فى ذلك ؟!)[4] .

فالتفاوت لاينافى المساواة ، ذلك أن الإسلام يقر التفاوت بين البشر فى الطاقات والمواهب ، فالتفاضل بين الناس سنة طبيعية من سنن الحياة ، لا جدوي من إنكارها أو تجاهلها ، فليس من العدل أن يستوي الخلق فى التقدير ماداموا مختلفين ومتفاوتين

---

(١) سورة الحديد ة : الآية ١٠ .
(٢) سورة الزمر : الآية ٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٤) أصول النظام الإجتماعى فى الاسلام ، ابن عاشور ص ١٤٥ .

فى المذاهب والذكاء والعمل ، وهذا ليس تميزاً فى الحقوق والواجبات الأهلية ، بل هو إختلاف فى التقدير والتكريم ، وفى النظرة والمنزلة ، وهنالك قرر القرآن عدة مواطن فى تفاوت البشر فيما بينهم حتي مع الرسل عليهم السلام ، حتى تستقيم النظم التى فيهاصلاح الفرد والمجتمع .

مواطن التفاوت

وللتفاوات مواطن عديدة نذكرها بإيجاز علي النحو التالى :-

تفاوت الأنبياء في درجاتهم

لقد أمتد التفاوت إلي محيط الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ويدل علي هذا قوله تعالي : « **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات...** »[1] .

قال الطبرى : فى قوله تعالي : « تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض... » ، إن هؤلاء رسلى فضلت بعضهم علي بعض ، فكلمت بعضه وهو موسي عليه السلام ، ورفعت بعضهم درجات علي بعض بالكرامة ورفعة المنزلة، وأرسلت محمداً ﷺ كافة) [2] .ومما يدلل علي صحة ذلك قول النبى ﷺ:(فضلت علي الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، و أحلت لي الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجداً ، وأرسلت إلي الخلق كافة ، وختم بى النبيون)[3] .

وقال تعالي : فى آية أخري فى تفضيل الأنبياء : « ... **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** ... »[4].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

(٢) تفسير الطبرى ، ١/٣ ، والتفسير المنير ، ٦/٣ .

(٣) صحيح مسلم ، ٥/٥ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، وسنن الترمذى ، ١٠٤/٤ ، ١٠٥ ، كتاب السير ، باب ما جاء فى الغنيمة ، حديث رقم ١٥٥٣ ، قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٤١٢/٢ ، والدر المنثور للسيوطى ، ٢٠٤/٣ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٥٥ .

تفاوت الناس في الرزق

قال تعالي : «... **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا...** » [1] .

قال سيد قطب في ظلال القرآن : (ورزق المعاش فى الحياة الدنيا يتبع مواهب الأفراد ، ظروف الحياة، وعلاقات المجتمع ، وتختلف نسب التوزيع بين الأفراد والجماعات وفق تلك العوامل كلها تختلف من بيئة لبيئة ، ومن عصر لعصر ، ومن مجتمع لمجتع ، وفق نظمه وإرتباطاته وظروفه العامه كلها . ولكن السمة الباقية فيه ، والتى تختلف أبداً – حتي فى المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجه للإنتاج والتوزيع – أنه متفاوت بين الأفراد .

وتختلف أسباب التفاوت بما تختلف به بين أنواع المجتمعات وألوان النظم ، ولكن سمة التفاوت فى مقادير الرزق لاتختلف أبداً . ولم يقع يوما... أن تساوى جميع الأفراد فى هذا الرزق أبداً .

والحكمة فى هذا التفاوت الملحوظ فى جميع العصور ، وجميع البيئات ، وجميع المجتمعات هى (ليتخذ بعضكم بعضاً سخريا) ليسخر بعضكم بعضاً ... ودولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعضاً حتماً ، وليس التسخير هو الإستعلاء ... والتفاوت فى الرزق هو الذى يجعل هذا ينسخر من ذاك ويسخر ذاك من هذا فى دور الحياة ... فالعامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل ، والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل ، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل علي السواء ، وكلهم مسخرون للخلافة فى الأرض بهذا التفاوت فى المواهب والإستعدادات فى التفاوت فى الأعمال والأرزاق)[1] .

وجاء فى التفسير المنير أن الله هو الذى يقسم الأرزاق والحظوظ بين العباد ،

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٣٢.

(٢) فى ظلال القرآن ، ٣٢٩/٧ – ٣٣٠.

ويفضل بعضهم علي بعض فى درجات القوة والضعف ، والعلم والجهل ، والشهرة والخمول ، والغني والفقر ، لأن الله سبحانه وتعالي لوسوي بينهم فى هذه الأحوال لم يتعاونوا فيما بينهم ، ولم يتمكنوا من إستخدام بعضهم بعضاً ، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض ، وإلا فسد نظام الكون ،وليس السخرية والإستخدام المقصود بهما الذلة والمهانة [1].

ويقوله تعالي : «**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ...** » [2].

التفاوت في العلم

قال تعالـي :« ... **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات...** »[3]. والناس متفاوتون فى العلم ، فمنهم من حباه بعلم غزيرا وفتح عليهم ، ومنهم أقلة درجة فى ذلك ، وهذا لا يعني عدم مساوتهم .

وهناك تفاوت فى العقل ، والصحة والسقم ، والحسن والقبح ، والجهاد والعبادة وغير ذلك.

مقاييس التفاوت

مما سبق يتبين أن تفاضل الناس وتفاوتهم بعد إقرار مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات ، يكون فى العمل والجهد ، ونفع الناس والمواهب والخبرة والعلم وغير ذلك ، مما يصلح ان يكون معياراً للتفاوت والتفاضل ، ويكون ذلك كله بحسب النية المخلصة والتقوي والعمل بما يرضى الله . وأيضا مع ذلك كله يمنع الإسلام الحسد فى التفاوت الذى يكون نتيجة ما يتمتع به فرد من الأفراد ، ممن أوسع الله عليهم فى مجال من مجالات التفاوت ، قال تعالي : « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ...** » [4].

---

(١) انظر التفسير المنير ، ١٤٦/٢٥ -١٤٦ .

(٢) سورة النحل : الآية ٧١ .

(٣) سورة المجادلة : الآية ١١ .

(٤) سورة النساء : الآية ٣٢ .

المبحث الرابع
المساواة في الحقوق والواجبات

المساواة في الحقوق والواجبات

تسوية الإسلام بين الناس في الحقوق المدنية وشئون المسؤولية والجزاء

قرر الإسلام معاملة الناس جميعهم علي قدم المساواة ، فى شؤون المسؤولية والجزاء وفى الحقوق المدنية ، كحق التملك والتعاقد بدون تفرقة بين أمير أو شريف ، وبين وضيع أو صعلوك ، ولا بين غنى أو فقير ولا بين بعيد أوقريب ، فالعدالة الإسلامية لها ميزان واحد ينطبق علي جميع الناس ، وفى هذا يقول تعالي : « **يا أيهاالذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا...** »[1].

وفى هذا الصدد يؤكد الرسولﷺ هذا المعني فيقول : (لا تفلح أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي) [2] ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً : (إنما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[3] .

فلا يستثنى الإسلام فيما يتعلق بممارسة هذه الحقوق وتطبيقها وخاصة فى الحقوق

---

(١) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٢) سنن ابن ماجة ، ٨١٠/٢ كتاب الصدقات ، باب ١٧ لصاحب الحق سلطان ، حديث رقم ٢٤٢٦ .

هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات ، لأن ابراهيم بن عبدالله قال عنه أبو حاتم صدوق .

(٣) صحيح البخارى ، ٦٤/٣ – ٦٥ ، كتاب المغازى ، وصحيح مسلم ، ١٨٧/١١ ، كتاب الحدود ، باب النهي عن الشفاعة فى الحدود . (إنما هلك الذين من قبلكم بأنه إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه) ، وسنن الترمذي ، ٢٩/٤ ، كتاب الحدود باب ٦ ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود ، حديث رقم ١٤٣٠، قال أبوعيسي : حديث عائشة حديث حسن صحيح ، وسنن أبي داود ، ١٣٠/٤ ، كتاب الحدود ، باب في الحد يشفع فيه ، حديث رقم ٤٣٧٣، ومسند أحمد بن حنبل ، ١٦٢/٦ ، سنن ابن ماجة ، ٨٥١/٢ ، كتاب الحدود ، باب ٦ الشفاعة في الحدود ، حديث رقم ٢٥٤٧ .

المدنية إلا الأطفال والمجانين أو السفهاء من الناس ، وذلك رحمة بهم ووقاية لمصلحتهم ومصلحة المجتمع.

فالمجتمع الإسلامى قام علي مساواة الناس بينهم فى الحق والواجب ، ليس لأحد منهم ميزة فى حق ولانكوص [1] عن واجب ، فهم سواء أمام التشريع وأمام التكليف وأمام المنع والحظر ، وهذا الجانب هو المظهر العملى للمساواة ، أو هو المقياس الذى يمكن الحكم علي المجتمع من خلاله بتمسكه لمبدأ المساواة ، وحرصه علي تطبيق هذا المبدأ[2].

أ) المساواة في الواجبات

فرض القرآن علي المسلمين واجبات لابد من أدائها ، وليس من حق أى قوة أن تعفى بعض الأفراد من أداء هذه الواجبات .

ولايعفيه من ذلك جنسه أو لونه أو أصله ، لذلك نري الرسولﷺ أول ما حذر عشيرته من أن يتهاونوا فى أداء ما كلفوا به ، قال عز وجل : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** »[3] .

والرسولﷺ إن هو إلا بشر يوحي إليه ، فعليه الواجبات كباقى أمته ، قال تعالي : « **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ...** »[4] .

فالكل سواء أمام ما شرعه الله من واجبات ، يطالب بها كل فرد صالح لأدائها ، سواء كانت هذه الواجبات حقوقاً خالصة لله كالإيمان والعبادات ، أو كان للعبد فيها شيء و التكاليف الشرعية من صلاة وزكاة وحج وصيام وإحسان إلي الوالدين ، وصلة

(١) **النكوص** : الإحجام عن الشيء ، يقال نكص علي عقبيه ، أى رجع . مختار الصحاح ، ص ٢٨٣ .

(٢) انظر : المجتمع الإسلامى أهدافه ودعائمه و أوضاعه وخصائصه فى ضوء الكتاب والسنة ، مصطفى عبدالواحد ، ص ٧٣ ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م . وانظر : المساواة فى الإسلام علي عبدالواحد وافى ، ص ١٨٠٣ ، نهضة مصر للطباعة - القاهرة .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق فى معاملة الناس ، وغير ذلك مما هو واجب علي كل بالغ قادر عاقل ، لايسقط عنه أحد مهما كانت مكانته . فلا بد من العمل بهذه الواجبات التى يتساوى فيها كل أفراد المجتمع ، ولابد أن يتقوا الله تنفيذاً لأوامره وتكاليفه ، وإجتناب ما نهي عنه ، والخوف منه عز وجل ، حتي تسود السعادة بين أفراد المجتمع ، فلا يعتدي أحد علي الآخر .

٢- المساواة في الحقوق

إن المجتمع الإسلامى مجتمع يتساوي فيه الأفراد فى حقوقهم ، والإسلام كفل للأفراد فى مجتمعهم جملة من الحقوق مثل حق العمل وحق التعليم وغير ذلك .

أ) المساواة في حق العمل

كفل الإسلام لجميع أفراد المجتمع الحق فى أن يسعوا فى تحصيل الرزق ، فلا يمنع أحد من العمل المشروع مهما كان نوعه ، مادام ذلك لايتنافي وقواعد الأخلاق والمثل العليا ، التى ارستها الشريعة الإسلامية ، وكذلك الحق فى الراحة بعد العناء من العمل.

وأعتبر الإسلام العمل الذى فيه خير وصلاح المجتمع وكسب الرزق ، داخلاً فى نطاق العبادة ، بل إن الرسول ﷺ أنكر علي من يتفرغ للعبادة ويترك العمل ، حتي لا يكون عالة علي المجتمع .

فالإسلام دين عملى لا قولى فقط ، فلذلك نري الآيات الكثيرة والأحاديث النبوية التى تحث علي العمل ، وذلك فى قوله تعالي « **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله** [1] **واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**»[2] .

قال القرطبى :(يقول تعالى : إذا فرغتم من الصلاة فأنتشروا فى الأرض للتجارة والتصرف فى حوائجكم ، « وابتغوا من فضل الله ، أى من رزقه ، وكان (عراك بن مالك) إذا صلي الجمعة انصرف فوقف علي باب المسجد فقال : اللهم إنى أجبت

(١) أى أطلبوا الرزق .

(٢) سورة الجمعة : الآيتان ٩ -١٠ .

دعوتك ، وصليت فريضتك وأنتشرت كما أمرتنى ، فأرزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين ...) [1].

فيباح للفرد عقب الفراغ من الصلاة الانتشار فى الأرض ، للتجارة والتصرف فى الحوائج والابتغاء من رزق الله وفضله ، لقوله تعالي : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » كقوله تعالي : « ... **وإذا حللتم فاصطادوا** ... » [2] فهذا أمر بعد الحظر ، فهو للإباحة [3] . فلا يطلب من الإنسان الخروج من المسجد بعد الصلاة إلي العمل لاوجوباً [4] ولاندباً [5])[6].

ومما يؤكد التساوى فى حق العمل قول الرسول ﷺ : (لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتى الجبل، فيأتى بحزمة من الحطب علي ظهره فيبعيها ، فيكف الله بها وجهة ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) [7] . وحديث آخر اورده المقدام بن معد يكرب* رضى الله عنه عن النبى ﷺ : (ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[1] .

---

(١) تفسير القرطبى ، ١٠٨/١٨ -١٠٩ . وانظر : تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ٢٢٧/٢٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٣) **الإباحة** : هى الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفعل ، أو هو ما خير الشارع المكلف فيه بين الفعل والترك ، وقد عرفه الشوكانى (بأنه ما لا يمدح علي فعله ولاعلي تركه) . أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، ص ٤٦ ، دار الفكر العربى ، والتعريفات ، للجرجانى ص ٣٠ .

(٤) **الوجوب** : هو ما يكون تاركه مستحقاً للذم والعقاب ، والواجب عما ثبت وجوبه بدليل فيه شبهه العدم ، كخبر الواحد ، وهو أيضا ما يثاب بفعله ويستحق بتركه عقوبة ، وهو بمعني الفرض كرأى الجمهور . انظر: المرجع السابق والتعريفات للجرجانى ، ص ٣٢٢ .

(٥) **الندب** : أي المندوب ، وهو ماطلب الشارع فعله طلباً غير لازم ، أو هو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه ، أو هو ما يمدح فاعله ولايذم الشارع تاركه ، والمندوب يسمى النافلة والسنة والتطوع والمستحب والاحسان. انظر : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٦) انظر : التفسير المنير ، ٢٠٧/٢٨ .

(٧) أحمد بن حنبل ، ٣٦٥/٢ ، سنن ابن ماجة ، ٥٨٨/١ ، كتاب الزكاة ، باب ٢٥ . كراهية المسئلة ، حديث رقم ١٨٣٦ .

إذن فالباب مفتوح لكل فرد ليعمل ، ويستمتع بما أكتسب من عمله ، بعد أن يؤدى حق الله فيما أمره وفيما نهاه ، وحق المجتمع فيما أكتسبه من مال ، فبهذا لايضيع فقير ولايحرم مسكين، ولايطغي صاحب مال ولا أحد يحرم من ثمرة عمله .

والآيات القرآنية كثيرة فى حثها علي العمل ، حتي فى نطاق العبادات ، قال تعالي : « **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام...** »(٢).

قال المفسرون إن في هذه الآيات حثاً على الأخذ بأسباب الرزق ومزاولة أعمال التجارة في مواطن الحج .

ب) تسوية الإسلام بين الناس في حق التعليم

إن حق التعليم والثقافة مباح لجميع الناس ، ولقد ظهر فى التاريخ الإسلامى علماء من الموالى والعبيد وأهل البلاد التى فتحت من قبل المسلمين ، فلم يحرمهم الإسلام من العلم بسبب لونهم أو جنسهم ، فبرزوا فى مجالات العلم وفروعه ، فنأخذ مثلاً الطبرى المفسر الكبير من طبرستان ، والليث بن سعد* من الفرس من أصبهان ، وابن حنبل ** من مرو ، وابن جريج *** رومى المنبت ، وسيبويه **** فارسى الأصل ، وكذلك لا منافاة فى صنعتهم ، فلم تكن تصرفهم أو تمنعهم حقهم فى

---

* **المقدام بن معد يكرب** : الكندى أبو كريمة صحابى ، وهو أحد الوفد الذين وفدوا علي الرسول () ، من كنده ، ومعد من أهل الشام ، روي عنه سليم بن عامر الجنائزى والشعبى ، مات بالشام سنه سبع وثمانين هجرى ، وهو ابن إحدي وتسعين سنة . انظر : الإستيعاب ١٨٢/٤ ، ١٨٣ ، رقم ٢٥٦٢ .

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣٥٥/٤ ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل عمله بيده ، حديث رقم ٢٣٠٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٨.

** **الليث بن سعد** : هو الليث بن سعد الفهمى ، أبو الحارث أحد الأعلام والأئمة الأثبات ، ثقة حجة بلا منازع ، كان من أهل المعرفة . انظر : ميزان الاعتدال ، ٤٢٣/٣ رقم ٦٩٩٨ .

العلم والمعرفة فكان من العلماء الأفذاذ البقال أو القفال ، والجصاص أو العطار ، أو الصابونى أو الدقاق . فلقد سوي الإسلام بين الناس جميعاً ، فاعطي كل فرد الحق فى أن ينال من العلم والثقافة ما يشاء ، وما تتيحه له الفرص والإمكانيات ، بل جعله فرضاً عليه فى الحدود اللازمة فى شئون دينه ودنياه ، وفى هذا يقولﷺ : (تعلم العلم فريضة علي كل مسلم) [1].

ويمدح سبحانه وتعالي فى كتابه الكريم العلم والعلماء ، فيقول تعالي : « ... **قل هل يستوي الذين يعلمون واللذين لا يعلمون** ... » [2] ويقول عز من قائل : « ... **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء** ... »[3] .

ولعظمة العلم وتشريفه وأنه من نعم الله علي الإنسان ، نزلت الآيات الأولي علي الرسولﷺ بقوله تعالي : « **إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** »[1] .

** **ابن حنبل** : هو أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبدالله الشيبانى الوائلى ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة ، محدث وفقيه . انظر : الأعلام ، ٢٠٣/١ ، شذرات الذهب ، ٩٦/٢ ، وفيات الأعيان ٦٣/١ – ٦٦ ، والبداية والنهاية ، ١٠ /٣٢٥ –٣٤٣.

*** **ابن جريج** : هو جبير بن تفير ، الحضرمى الحمصى ، ولد فى حياة النبى () ، وهو من الطبقة الثانية ، حدث عن أبى بكر وعمر وأبى ذر وجماعة ، وعنه ابنه عبدالرحمن بين جبير ، وخالد بن معدان ومكحول وآخرون ، وكان من أجلة العلماء، وحديثه فى الكتب سوي صحيح البخارى ، وماذلك للين فيه ولكنه ربما ودلس عن قدماء الصحابة ، ويعد من كبار التابعين بالشام . انظر : تذكرة الحفاظ ، ٥٢/١ ، رقم ٣٢ ، الإستيعاب ، ٢٣٢/١ ، رقم ٣١٤.

**** **سيبويه** : هو أبو بشر عمر بن عثمان ، ولد فى البيضاء قرب شيراز ، وتوفي فيها نحو ٧٩٦هـ ، كان منشأة فى البصرة، تعلم على يد الخليل ، يعد إمام مذهب البصريين ، وكتابه في النحو (الكتاب) . انظر : المنجد في الأعلام ، ص ٣٧٥.

(١) سنن ابن ماجة ، ٨١/١ ، المقدمة ، باب ١٧ ، فضل العلماء والحث علي طلب العلم ، حديث رقم ٢٢٤ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

ويقول تعالي فى العلماء ومكانتهم المرموقة السامية ورفعتهم عند الله : « ... **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ...** »[٢] .

وما اهتمام الإسلام بالعلم إلا لأهميته فى أنه هو قمة الهداية التى يبلغها الإنسان ، فما الإيمان إلا نوع من العلم بالله وتصحيح النظرة إلي الكون والحياة ، والله سبحانه وتعالي جعله مقابلاً للكفر الذى هو الجهل والضلال ، والعلم قيمة عليا من قيم المجتمع المسلم .

تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة في جميع هذه الحقوق

نري أن اعداء الإسلام وأذنابهم يلوكون بألسنتهم الكذب ، والافتراء علي الإسلام ، بأنه فرق بين الرجل والمرأة ، ولم يساوى بينهما . ولم يطالبوا بذلك إلا لأن الرجل تخلي عن الرأة ، فخرجت إلي العمل ، وفقدت أنوثتها وعفتها ، واليوم نري واقعاً ملموساً حاصلاً للمرأة فى دول الغرب من إمتهانها وتحقيرها وإذلالها ، وعدم صون عفتها ، وفقدان صفتها الأهلية ، وقبل ذلك ما حدث فى القرون السابقة للإسلام من مكانة المرأة فى هذه المجتمعات ، وأوجزنا بعض الحديث عن ذلك فى التمهيد من هذه الرسالة .

فالإسلام قد ساوي بين الرجال والنساء ، فالمرأة كالرجل فى سائر تلك الحقوق ، وان كان لها من الأعمال ما يناسب أنوثتها ورقتها ، فساوي بينهما وبين الرجل فى أمور :

أمام التكاليف والجزاء الدنيوى والأخروى

ويدل علي هذا قول الله تعالي : « **من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** »[١] .

---

(١) سورة العلق : الآيات ٣-٥ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١١ .

قال ابن كثير :(إن هذا وعد من الله تعالي لمن عمل صالحاً ، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالي ، وسنة نبيهﷺ من ذكرٍ أو أنثي من بنى آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة فى الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله فى الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحه من أى جهة كانت)[٢].

ويقول تعالي :«... **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ...** »[٣].

ويقول تعالي : «**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً** »[٤] ويقول تعالي : « **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ...** »[٥] ويقول الله تعالي : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ...** »[٦] .

قال القاسمى فى تفسيره : (والسارق) أى من الرجال ، (والسارقة) أى من النساء ، (فاقطعوا أيديهما) يعني يمين كل منهما كما بينته السنة ، والسرقة معهودة من النساء كالرجال . وصرح بالسارقة ، مع أن المعهود فى الكتاب والسنة إدراج النساء فى الأحكام الواردة فى شأن الرجال بطريق الدلالة ، وذلك لمزيد الإعتناء بالبيان والمبالغة فى الزجر وبدأ بالسارق لما كانت غلبة السرقة فى الرجال وقوتهم فى السرقة

(١) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢/٥٨٥ . انظر : تفسير أبى السعود المسمي(إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم) ، لأبى السعود محمد بن محمد العمادى (ت ٩٥١هـ) ، ٥/١٣٩ ، دار احياء التراث العربى – بيروت ، والتفسير المنير ، ١٤/٢٢٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ٣٢ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٢٤ .

(٥) سورة النور : الآية ٢ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

، كمان أن الزني غلبته للنساء ولفرط شهوتهن) [1] .

أمام الحقوق والأحوال المدنية

لقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية بمختلف أنواعها ، سواء كانت المرأة متزوجة أم غير متزوجة ، فلم تفقد أهليتها ولأكرامتها ولاشخصيتها في التعاقد والتملك قبل الزواج وبعده .

أما قبل الزواج إن كان بالغة فلها أن تتحمل الالتزامات من تملك ، وتتصرف فيما تملك فلايحق لوليها أن يتصرف فى شيء من أموالها إلا بإذنها وأجاز لها الإسلام أن تختار الزوج الذى ترتضيه ، فإن كانت ثيباً فلابد من رضاها فى صورة صحيحة وواضحة ، أو سكوتها عند أخذ رأيها إن كان بكراً لأنه قد يغلت عليها الحياء والخجل ، وفى هذا يقول ﷺ : (تستأمر النساء فى أيضاعهن ، الثيب يعرب عنها لسانها ، والبكر تستأمر فى نفسها فإن سكتت فقد رضيت) [2] .

أما بعد الزواج فلها أيضا شخصيتها الكاملة ، فتظل محتفظة بإسمها وإسم أسرتها ، وتحتمل الالتزامات أيضا من ملل أوتعاقد أو غير ذلك ، ولها ثروتها الخاصة فلايجوز للزوج أن يأخذ من مال زوجته إلا بإذنها قال تعالي : « **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم مثياقاً غليظاً** » [3].

يذكر الطبرى فى تفسيره للآية الكريمة ، إن أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة طلقتموها ، وقد أعطيتم التى تريدون طلاقها من المهر قنطاراً ، وهو المال الكثير

---

(١) انظر : تفسير القاسمى المسمي محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمى ، ١٩٧٦/٦ -١٩٧٧م ، علق عليه وخرج أحاديثه ، محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء الكتاب العربى ، فيصل عيسي البابى الحلبى - القاهرة.

(٢) فتح البارى ، ٣٣٤/١٢ ، كتاب الإكراه ، باب لايجوز نكاح المكره ، حديث رقم ٦٩٤٦ .

(٣) سورة النساء : الآيتان ٢٠ -٢١ .

، فلا تأخذوا منه شيئاً ، أى فلا تضروا بهن إذا أردتم طلاقهن ليفتدين منكم بما أتيتموهن .وهذا من قبيل ظلم الزوج لزوجته إن أخذ مالها . وعلي أى وجه تأخذونه من نسائكم إذا أردتم طلاقهن وقد أفضي بعضكم إلي بعض وتباشرتم وتلامستم ، وقد أخذن منكم عهداً إما بإمساكهن بمعروف ، أو تسريحهن بإحسان(١).

وقال تعالي مبيناً عدم أخذ مال الزوجة ، وأن لها حق التملك فى ثروتها ، فلا يجوز لأحد أن يتصرف فيها : « ... **ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً** ... » (٢).

ومن هنا لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة فى هذه الحقوق إلا من حيث مراعاة الطبيعة الجنسية، التى تدعو إلي التفرقة أو مصلحة المرأة والأسرة .

تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة في التعليم

حث الإسلام علي التعليم لكل من الذكر والأنثي ، بشرط ألا يكون هنالك إختلاط بينهما، وأن يكون لكل نوع من التعليم خاص بما يتفق مع التكوين الجسدى والنفسانى بالنسبة للجنسين . فأعطي الإسلام للمرأة الحق بأن تتعلم وتتأدب ، حتي يصلح النصف الآخر من المجتمع ، ولقد طالب الرسول ﷺ بطلب العلم ، وحث علي الأخذ به ، وجعله فريضة علي كل مسلم ومسلمه .

فما أوصد الإسلام أمام المرأة بابا من أبواب العلم ، وما حطّ قدرها فى شأن من الشؤون مادامت هى والرجل من نفس واحدة .

وعلي هذا الأساس مضي المجتمع الإسلامى فى موقفه من المرأة واستفادته بجهدها، فنري فى المجتمع الإسلامى الأول مجتمع المدينة مجتمع الرسول ﷺوصحبه ، أن المرأة تعلمت فيه من علوم الدين ما تعلمه الرجل ، وحسبنا فى ذلك الأمثلة الشهيرة ، فعائشة* أم المؤمنين رضى الله عنها كانت تحظي بقسط وافر من

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ، ٣/٣١٣ -٣١٥ ، وتفسير القاسمى ، ٥/١١٦٤/١١٦٥ ، وتفسير المنار ، ٤/٤٥٨ -٤٥٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

الفقه فى الدين والعلم به . وقد روت من الأحاديث والأحكام الكثيرة ، ولم تكن تغيب كثيراً عن شؤون السياسة والأحداث فى المجتمع ، وكانت تشارك فى الشعر والأدب والطب .

ولم يكن ذلك مقتصراً علي عهد النبوة ، ففى كل أطوار ومراحل المجتمع الإسلامى يتضح دور المرأة ، حتي أن بعض النساء فاق كثيرا من الرجال ، فقد شاركن فى رواية الحديث ليؤدين واجباً عليهن فى حفظ تراث الأمة الإسلامية ، فنجد كثيراً فى القرن السادس الهجرى من أئمة الحديث يكثر الرواية عن شيخات لهن دراية فى الحديث ورايته ، وفى عصور كثيرة نري المرأة لها من العلم ما يرفع شأنها عن غيرها فى المجتمعات الأخري .

يري الإسلام أن المرأة خلقت لتقوم بدور هام فى المجتمع ، وهو أن تكون شريكة الرجل فى حفظ أمانة الحياة ورعاية الأجيال ، لتمضي الحياة إلي غايتها ، وتحقق المرأة مهمتها ، وما يكون ذلك إلا بالعلم .

ويتضح مما سبق أن المجتمع المسلم لا يعفى المرأة من التفكير والبحث فى أحوال مجتمعها ، وأن تكون متعلمة ومثقفة حتي تكون متضامنة مع الرجل فى تحقيق غايات المجتمع ، والوصول إلي أهدافه.

مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة في العمل

إن نظرة الإسلام إلي عمل المرأة نظرة موضوعية ، فهو يجعل أساس عملها أولاً وأخيراً البيت وتربية الأولاد ، حيث يقوم الزوج بالعمل وينفق علي أولاده ، فتكون له بذلك القوامة علي الأسرة ولكن إذا ما حدث أن طلقت الزوجة ، أو فقدت زوجها

* **عائشة** : هى عائشة بنت أبى بكر الصديق ، زوج النبى () ، كانت أحب نسائه ، متفقه ومحدثه كثيرة الرواية ، كان الصحابه يرجعون إليها فى المسائل ، وتفقه علي يديها بعض الصحابة ، وكانت زاهدة ، فصيحة عالمة بالأنساب ، غزيرة فى العلم ، كثيرة العبادة ، ت ١٧ رمضان ٥٨هـ ، وعمرها ٦٦ عاماً ، صلي عليها أبوهريرة صلاة الجنازة . انظر : صفوة الصفوة ، لابن الجوزى ، ١٥/٢ – ٣٨ ، رقم ١٢٧ ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لابى نعيم الأصفهانى ، ٤٣/٢ – ٥٠ ، دار الكتب العلمية – بيروت .

وليس لها من عائل كأب أو أخ ، فالإسلام فى هذه الحالة لايحرمها من العمل خارج منزلها بقدر ما يسد حاجتها ويسد حاجات أسرتها ، بحيث لا تخرج عن مبادئ الدين وما تعارف عليه المجتمع المسلم .

ويدل علي ذلك ما حدث لبنتى الشيخ الكبير ، عندما عجز أبوهما عن القيام بأعباء الحياة ، فخرجتا إلي العمل مع المحافظة علي حدود الأدب والعرف الدينى .

والمجتمع الصالح هو الذى يحاول فيه الرجال مساعدة النساء إلي العمل إذا اضطررن ، يقول تعالي عن موسي عليه السلام : « **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة** [1] **من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان**[2] **قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء** [3] **وأبونا شيخ كبير * فسقي لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير*فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سيقت لنا ...** » [4].

قال القرطبى : (إن قيل كيف ساغ لنبى الله الذى هو شعيب عليه السلام أن يرضي لأبنتيه بسقى الماشية قيل له : ليس ذلك بمحظور والدين لايأباه ، وأما المروءة فالناس مختلفون فى ذلك والعادة متباينة فيه ، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ، ومذهب أهل البدو غير مذهب الحضر، خصوصاإذا كانت الحالة حالة ضرورة)[5] .

ونستنتج مما سبق أن عمل المرأة خارج البيت فى الإسلام يكون استثناء وليس قاعدة . وأما ما تحاول به المرأة المسلمة اليوم من تقليد المرأة الغربية بالعمل فى كل

---

(١) **أمة** : جماعة من الناس كثيرة ، مشاربهم مختلفة ، يسقون مواشيهم . انظر : تفسير القرطبى ، ٢٦٨/١٣ .

(٢) **تذودان** : تمنعان وتطردان أغنامهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء ، المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) **يصدر الرعاء**: اى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء ، والرعاء جمع راع . انظر : التفسير المنير ، ٨١/٢٠.

(٤) سورة القصص : الآيات ٢٣ -٢٥

(٥) تفسير القرطبى ، ٢١٣ /٢٦٩ .

المجالات ، فإن طبيعة المجتمع المسلم تختلف كل الاختلاف عن طبيعة المجتمع الغربى .

(والمجتعات الإسلامية لا تشكوا النقص فى الرجال أو فى الشباب كما تشكوا المجتمعات الغربية من هذا النقص بسبب ما فقدته هذه المجتمعات فى الحربين العالميتين سنة أربع عشرة وتسعمائة وألف ، وتسعة وثلاثين وتسعمائة وألف . ومعني ذلك إذا علمت المرأة فى المجتمعات الغربية ، فإنها تعمل تحت ضغط حاجة العمل إلي الأيدى العاملة من جانب ، وتحت حاجة المرأة إلي الكفالة من جانب آخر) [1].

أما الحديث عن المرأة المسلمة فى المجتمعات الإسلامية يجب أن تعمل ، لتتساوي مع الرجل ،وتستقل اقتصادياً فإن هذا الإستقلال كما يقول محمد البهي * : يعرضها إلى عدة أزمات نفسية وهي : -

١- أزمة ضعف الإحساس بالأنوثة .
٢- أزمة فقد الإحساس بالأمومة .
٣- أزمة الشك والتراخى فى العلاقة الزوجية إن كانت متزوجة.
٤- أزمة العزلة عند ما يتقدم بها السن ولم توفق فى اختيار زوج ، أو أن يكون لها ولدا يشاركها الحياة[2].

مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة في الحياة الزوجية

لقد أوجب الإسلام المساواة بين المرأة والرجل فى حياتهما الزوجية من واجبات

---

(١) الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ، محمد البهى ، ص ٧ ، مكتبة وهبة ، القاهرة - الطبعة الأولي ،١٩٨٣م.

* **محمد البهى** : الدكتور محمد البهى رحمه الله ، عالم معاصر ، مفكر إسلامى ، كتب فى الفلسفة الإسلامية ،. وفى العقيدة والسلوك ، والمجتمع والفكر الإسلامى من النواحى السياسية والاقتصادية والإجتماعية والأخلاقية ، له عدة كتب منها (رأي الدين بين السائل والمجيب) ، أربعة أجزاء ، (والتفسير الموضوعى للقرآن الكريم) ، (وطبقية المجتمع الأوروبى)، (الدين والدولة من توجيه القرآن) ، بلغت مؤلفاته ٤٧ مؤلفاً .

(٢) انظر : الإسلام و إتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ، ص ٣١ .

وحقوق، كما جاء فى الكتاب والنسة وتعارف عليه المجتمع المسلم .

يقول تعالي :« ... **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** »[1] .

وذلك لأن المرأة لها قيمتها الإنسانية كالرجل تماماً ، غير أن الإسلام جعل القوامة للرجل عليها ، لتمام عقله ودينه وكمال إنفاقه عليها ، ومع هذا جعل الله الأمر فى الأسرة شوري ، أى أن تكون هنالك مساواة فى الرأى بين الزوج والزوجة والأولاد .

يقول تعالي : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**»[2] .

ولقد حدد الرسولﷺ مسؤولية كل فرد فى الأسرة وفى المجتمع ، فعن عبدالله بن عمر * رضى الله عنهما قال : قال رسول اللهﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الذى علي الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع عن أهل بيته وهو مسؤول عن رعتيه والمرأة راعية علي بيت زوجها وولده وهى مسؤولة عنهم ...)[3] .

ومما ذكر فى هذا الصدد أنه من السفة أن يظن الجاهلون أن الإسلام يلقى بالنساء وراء جدران البيوت ، ويجعلهن أدوات للمتاع واللهو ، ليس لهن أى دور فى الحياة

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

(٢) سورة الشوري : الآية ٣٨ .

* **عبدالله بن عمر** : عبدالله بن عمر بن الخطاب ، الصحابى الجليل عالم زاهد عابد ، توفى بمكة سنة ٧٣هـ . انظر : ترجمته فى الإستيعاب ، ٣٣٣/٢ ، والإصابة ٣٣٨/٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ، للحافظ النووى ، (ت ٦٧٦هـ) ، ٢٧٨/٧ ، الطبعة المنيريه . بمصر ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ، ٤٧٦هـ) ، ص ٩ تحقيق : احسان عباس ، دار الرائد العربى – بيروت ، ١٩٧٠م .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، ٢١٥/١ ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة فى القرآن ، وفى الاستقراض ، باب العبد راع فى مال سيده ، ٨٤٨/٢ ، وفى ٤٩ العتق ، باب كراهية التطاول علي الرعية ، ١٢٥/٣ ، وفى ١٦٧ النكاح ، باب قووا أنفسكم وأهليكم نارا ، ١٤٦/٦ ، وفى باب المرأة راعية فى بيت زوجها ١٥٢/٦ ، ومسلم فى صحيحه ، ١٤٥٩/٣ ، ٣٣ كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، حديث رقم ٢٠ ، أبو داود فى سننه ، ٣٤٢/٣ كتاب الخراج والإمارة ، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية ، حديث رقم ٢٩٢٨ ، والترمذى فى سننه ١٨٠/٤ ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء فى الإمام ، حديث رقم ١٧٠٥ ، والإمام أحمد فى مسنده ٥٢/٢، ٥٤ ، ٥٥، ١٠٨، ١١١، ١٢١ .

وفى بناء المجتمعات ، فالمستقرئ للتاريخ الإسلامى يشهد ما بلغته المرأة فى عصوره الزاهية من رفعة وسناء ، وليس ذلك فى نظر الإسلام إلا إقراراً لحكم الفطرة، وحقيقة التكوين ، وليس افتعالا أو محاباة فهاهى مساواة الإسلام للمرأة التى منحها لها كتاب الله ، لا تدانيها مساواة فى وقتنا الحاضر فى أى مجتمع ولا فى المجتمعات السابقة ، فنري أن لها الحق فى التعليم ، والحق فى العمل ، والحق فى الميراث والحق فى اختيار الزوج ، والحق فى التملك والتعاقد والتصرف فى مالها ، وفى كافة الحقوق والواجبات [1].

مساواة الإسلام بين المسلمين وغير المسلمين

ساوى الإسلام فى تطبيق هذه المبادئ بين المسلمين وغير المسلمين ، فيقرر أن الذميين من اليهود والنصاري فى المجتمع الإسلامى لهم ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ما علي المسلمين من القوانين القضائية التى تطبق على هؤلاء ، إلا ما يتعلق بشؤون الدين فتحترم عقائدهم ، فلا توقع عليهم الحدود الإسلامية فيما لا يحرمونه ، ولا يدعون إلي القضاء فى أيام أعيادهم . لقوله الرسول ﷺ : (انتم يهود عليكم خاصة الا تعدوا فى السبت)[2] .

ولقد وصفهم الإسلام بأهل الذمة . لأنه منحهم الحماية ، وكفل لهم الحقوق فى مختلف المجالات ، من تأمين لحريتهم الشخصية ، وحرية الرأى وحرية العقيدة ، إلي حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وبهذا أصبحوا فى ذمة المسلمين .

(١) لمزيد من الفائدة راجع المجتمع الإسلامى مصطفي عبدالواحد ص ٢٤٧ وما بعدها وحقوق الإنسان فى الإسلام علي عبدالواحد وافى ، ص ٢١ وما بعدها ، منهج القرآن فى تربية المجتمع عبدالفتاح عاشور ، ص ٤٨٧ – ٤٨٨ ، ونظام الإسلام ، محمد المبارك ، ص ١١٣ ، والمساواة فى الإسلام على عبدالواحد وافى ، ص ٢٢ – ٢٧ ، ومكانة المرأة فى المجتمع الإسلامى . د. عمارة نجيب ، ص ٢٢ –٢٣ ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية – القاهرة ، الطبعة الأولي، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٢) سنن الترمذى ، ٢٨٦/٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ من سورة بنى إسرائيل ، حديث رقم ٣١٤٤ ، ومسند أحمد بن حنبل ، ٢٤٠/٤ ، سنن النسائى ، ١١١/٧ ، كتاب تحريم الدم ، باب ١٨ السحر ، حديث رقم ٤٠٧٨ .

والأمر لا يقف علي معاملة الذميين فى حدود النصوص الشرعية والقانونية ، بل علي الحاكم المسلم أن يجاملهم ويعاملهم معاملة حسنة .

العبادات ودورها في ترسيخ مبدأ المساواة

الدارس لأحكام الإسلام يجد أن المساواة منبثقة من العبادات والمعاملات والحدود وغيرها ، فما من عبادة إلا ولها دور تبرزه فى معني المساواة بين الناس ومن أمثلة ذلك .

الصلاة : نجد أن الصلاة فيها مظهر واضح لمبدأ المساواة ، فعندما يقف المصلون بين يدى الله خاشعين ، متراصين مع بعضهم البعض ، لا يفرق بينهم لون أو جنس أو جاه أو مال أو نسب ، بل تكون الصفوف علي حسب القدوم والأسبقية ، فنجد الحاكم جنب المحكوم ، والشريف جنب الوضيع ، والغنى بجوار الفقير علي حد سواء ، فلا إعتبار بالأمور السابقة من مادة أو جاه أو غيرذلك ، وقد يؤم القوم أفقرهم ويكون من خلفه الأغنياء والحكام . فما أجمل هذه العبادات التى تعلمنا معني المساواة ، وتطبقه علي الواقع دون نظريات قوليه فقط !

الزكاة : فرض الله سبحانه وتعالي الزكاة علي القادرين دون تمييز واستثناء ، وبنصاب محدد يخرجه الجميع ، الغنى والفقير والحاكم والمحكوم ، ولمن أراد الزيادة يكون تطوعاً ، وما الزكاة إلا لتطهير النفوس من الآثام ، وتطهير الأموال ولنمائها ، وحتي تكون عوناً للفقراء قد بين سبحانه وتعالي الحكمة منها فى قوله تعالي : « ... **كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم...** »[1].

الصوم : فرض الله الصوم علي الغنى والفقير من الذكور والإناث ، وعلي الحكام والمحكومين ، فلم يعفى منه أحد إلا من كان له العذر الشرعى ، فيتساوون فى صيامهم لهذا الشهر ، ويفطرون فى وقت واحد مع الفارق فى الأوقات ، وينهون صيامهم فى يوم واحد ، أيضا مع الفارق فى رؤية الهلال . وبهذا الشهر يتساوي الجميع فى الإمتناع عن الأكل والشرب ، حتي يشعر الأغنياء بالفقراء .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

الحج : إن موسم الحج الذى يعقد مرة كل عام ، هو خير مثال لترسيخ مبدأ المساواة ، حيث نري الحجاج لابسين ملابس الإحرام بزى واحد ، متجردين زاهدين يقفون جميعاً بين يدى ربهم ، الواحد ، داعين مستغفرين وملبين بصوت واحد .

ففى هذا الموسم تذوب الفوارق كلها، فلا يتفاضل أحدهم علي الآخر إلا بالتقوي وإخلاصه لله سبحانه وتعالي .

أمثلة تطبيقية لمبدأ المساواة فى المجتمع الإسلامى

إن الإسلام قول وفعل ، فلم يقر الإسلام المساواة وجعلها مبدأ فقط ، وإنما أراد أن يطبق هذا المبدأ وغيره علي أرض الواقع ، فالمساواة طبقت من أول يوم بُنِيَ فيه المجتمع ، فهى إحساس بالإخاء الإنسانى من أعماق القلوب ، الذى يربط بين قلوب البشر ، وعلي هذا الأساس كان بلال الحبشى رضى الله عنه مؤذناً للرسول الله ﷺ ، ومن منبع هذا الإخاء آخي الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، أحراراً وعبيداً وموالى ، وتزاوج الفقراء مع الأغنياء ، والعبيد مع السادة ، وقلد منهم قيادة الجيوش . ورسول الله ﷺ طبق المساواة علي نفسه ، وذلك فى غزوة بدر ، عندما كان يساوى الصفوف ، فقال لسواد بن غزية : (إستو ياسواد ، وطعنه فى بطنه ، فقال له سواد : أو جعتنى يارسول الله وقد بعثك بالحق والعدل ، فكشف الرسول من بطنه الشـــريف وقـــال له :(استَقِدْ منى) فقبله سواد [1].

وذلك ليعلم الناس أنه ليس لأحد فيهم إمتياز علي أحد ، فالحقوق فى المجتمع الإسلامى مكفولة الأداء حتي من الحاكم نفسه ، فهذه ذروة لايرتقى إليها إلا مجتمع قام علي أساس الإيمان بالله ، وطبّق العدل بين جنباته .

بل نري أكثر من ذلك عندما دافع القرآن عن المساواة فى الحقوق ، حين تعرض رجل من اليهود للعقوبة ظلماً ، فأتهم بالسرقة وهو برئ ، فكاد هذا الإتهام يلقي قبولاً

---

(١) انظر : الروضى الآنف ، فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبى القاسم عبدالرحمن الخثعمى السهيلى ، (٥٠٨ هـ - ٥٨١هـ) ، ومعه السيرة النبوية ، لأبى محمد عبدالملك بن هشام المعافرى ، (ت ٢١٣ هـ) ، ٣٨/٣ ، تعليق طه عبدالرووف سعد ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

فى نفس الرسول ﷺ عندما شهد عليه بعض المسلمين ، ولكن بادر الوحى بأمر من الله إلي حماية مبدأ المساواة ، وتقرير العدل فى الجزاء دون الميل لهوي ، وفى وضوح يهتف القرآن بالرسول ﷺ أن مهمته الأولي أن يقيم مبدأ المساواة ، ويرعي الحق فى مجتمعه ، ويرفع راية العدالة . قال تعالي : « **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لايحب من كان خوانا أثيماً** »[1] .

روي السيوطى والواحدى ، أن سبب نزول هذه الآيات ، أنها نزلت فى شأن طعمه بين أبيرق وهو رجل من الأنصار ، سرق درعاً من جار له ، يقال له قتادة بن النعمان ، وكان الدرع فى جراب فيه دقيق ، فجعل الدقيق ينتشر من خرق فى الجراب حتي إنتهي إلي الدار وفهيا أثر الدقيق ، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين ، فألتمسوا الدرع عند طعمه فلم يجدوها ، وحلف بالله ما أخذه وماله به من علم ، فساروا فى أثر الدقيق حتي انتهوا إلي منزل اليهودى فأخذوها فقال : دفعها إليّ طعمة ، وشهد له ناس من اليهود بذلك ، ولكن طعمه أنكر ذلك فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة : أنطلقوا بنا إلي رسول الله ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم ، وقالوا : إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى : فهَمّ النبى ﷺ أن يفعل وكان هواه معهم ، وأن يعاقب اليهودى فنزلت و هذا قول جماعة من المفسرين [2] .

قال النسفى * فى تفسير قوله تعالي :« لتحكم بين الناس بما أراك الله » ، (بما عرفك وأوحي به إليك ، قال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر فى أصول المنزلة ، وفيه دلالة جواز الإجتهاد فى حقه ، « ولا تكن للخائنين » لأجل الخائنين ، «

---

(١) سورة النساء : الآيات ١٠٥ -١٠٧ .

(٢) انظر: اسباب النزول للواحدى ، ص ١٢٣ -١٢٤ ، وتفسير وبيان القرآن الكريم ، للسيوطى ، ص ١٥٨ .

* **النسفى** : هو عبدالله بن أحمد بن محمد النسفى (أبو البركات) ، فقيه حنفى ومفسر من أصبهان بلاد السند ، له مصنفات جليلة منها: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، ٣ مجلدات (وكنز الرقائق) فى الفقه ، توفي رحمه الله سنه ٧٠١ هـ وقيل ٧١٠ والأرجح ٧٠١ هـ . انظر : الأعلام ، ٦٧/٤ -٦٨ .

خصيما، مخاصماً أي ولا تخاصهم اليهود لأجل بنى ظفر)[1] .

وجاء فى التفسير المنير أن الله أمر رسوله أن يقضى بين الناس بالحق والعدل، دون محاباة لأحد ولاإلحاق ظلم أحد ولو كان غير مسلم، ولاتجادل يا محمد عن هؤلاء الذين يخونون أنفسهم بتعديهم علي حقوق الغير، ولاتساعدهم عند التخاصم[2] .

فعلي الحكام أن يبحثوا فى حيثيات القضية من جميع جوانبها ، ويدققوا النظر فى شكلها وموضوعها ، ولا ينخدعوا لبلاغة الخصم ولحنه فى القول ، ولا تأخذهم العاطفة الدينية أو الجنسية فيميلوا مع أهوائاهم [3] .

ومثال آخر من تطبيق المساواة فى المجتمع المسلم ، حينما حاول بعض الناس أن يشرعوا فى المجتمع الإسلامى مبدأ الإستثناء ، والشفاعة فى العقوبات ، وأن لا يتحمل البعض تبعات أعمالهم ، فينجو من العقاب ، فغضب الرسول ﷺ ورد من حاول الشفاعة عنده بقوله :(أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامه * إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) [4] .

والأمثلة كثيرة لتطبيق المساواة ، وبعنينا أن هذا المبدأ نفذ ادق تنفيذ فى عهد الرسولﷺ ، وفى عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، أى فى الفترة الذهبية للمجتمع

---

(١) تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي بركات ، عبدالله النسفي (ت ٧٠١هـ) ، ٢٤٩/١ ، دار الفكر .

(٢) انظر : التفسير المنير ٢٥٨/٥ .

(٣) انطر : التفسير الواضح ، د . محمد حجازى ٥٨/٥ ، دار الجيل –بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م

* اسامة : هو أسامه بن زيد بن حارثة ، صحابى جليل ، ولد بمكة ونشأ علي الإسلام ، هاجر مع النبى إلي المدينة ، أمره الرسول () قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، له ١٢٨ حديثاً ، إستعمل أسامه علي جيش فيه أبوبكر وعمر . انظر : طبقات ابن سعد ٤٢/٤ ، والأصابة فى تميز الصحابة ٢٩/١ . والأعلام ٢٩١/١ ، والإستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر . ٧٥/١ – ٧٦ ، والطبقات الكبري ، لابن عبدالله محمد بن سعد ، دار صادر – بيروت ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٧م.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٨٦/١١ ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ، والنهي عن الشفاعة فى الحدود .

الإسلامى التى تمثلت مبادئه أصدق تمثيل ، فقد نقل إلينا التاريخ مئات الحوادث القاطعة علي دلالة تقيد أولياء الأمور فى هذا العهد لمبادئ المساواة وقد تابع مبدأ المساواة وتطبيقه مسيرته فى المجتمع الإسلامى ، من عصر إلي عصر ، مما يؤكد أنه إتجاه طبيعى لذلك المجتمع الذى ينبع من عقيدته وبوائم نظمه [1].

أثر المساواة على الفرد والمجتمع

جعل الله سبحانه وتعالي الناس من أصل واحد ، فلا لإحدٍ أن يدّعي علي الآخرين بالسمو والرفعة والمكانة إلا بما فضله الله فلقد كان للمساواة تأثير علي الفرد بأن جعلته يتصف بصفة الأخوة مع باقى المجتمع ، فأوجب ذلك التعارف والتألف والتوادد والتعاون علي تذليل عقبات الحياة .

وقد أثر الشعور بالمساواة علي النفس البشرية فجعلها تنبذ العصبية التقليدية ، من الإدعاء بالأولية بالزعامة والأحقية بالكرامة ، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهلية ، فلم يكن فى المجتمع سادة وعبيد.

وللمساواة أثر واضح علي المجتمع إذ سوت بين الناس فى إعطاء كل ذى حق حقه ، فلم يطمع شريف فى وضيع ، لم ييأس ضعيف من أخذ حقه ، فالكل سواء فى الحقوق والواجبات .

لم يخف الفرد فى الله لومة لائم مادام يتساوي مع الحاكم ، فلم يحاب ولم ينافق .

هدمت التمايز والتفاوت الطبقى بين الناس، ونفت مشروعيته ونبذت الإستثناءات فى إقامة العقوبات ، فالكل سواء أمام الجزاء ، وما التفاضل إلا بالتقوي ومواهب الفرد ذاته .

---

(١) راجع السيرة النبوية ، لابن هشام ، وسير الخلفاء الراشدين ، والمجتمع الإسلامى ، مصطفي عبدالواحد ، ص ٧١ ، وما بعدها ، والحكومة الإسلامية ، محمد حسين هيكل ، ص ٩٣-٩٤ ، دار المعارف – القاهرة ، ط/٢ ، وقواعد البناء فى المجتمع الإسلامى ، د . محمد السيد الوكيل ، ص ١٢٤ – ١٢٥ . ، المنهج الإسلامى فى بناء المجتمع الإنسانى ، السيدعبدالمقصود عسكر ، ص ١٠٣ ، دار النشر –القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ ، والإسلام وحقوق الإنسان ، القطب محمد القطب طبلية ص ٣٤٠ ، والمساواة فى الإسلام ، على عبدالواحد وافى ، ص ٥-٢٨ ،٢٩ .

جعلت المجتمع الاسلامى متماسكا قوي الترابط ، ونبذت عزلة الفرد ما دام متساوياً مع الجميع.

جعلت الفرد فى المجتمع فى غاية الكرامة الإنسانية ، و اقتضت العدالة الإجتماعية للأفراد.

بالمساواة حققت العدالة فى تكافؤ الفرص، فمنعت الرشوة، والكسب غير المشروع ، والحث علي العمل ، فلايعاب أحد من عمله ما دام شريفاً وفق الأطر المشروعة.

وبالمساواة أخذ الفرد حقه فى التعليم وازدهر المجتمع الإسلامى ، فأصبح مرموقاً ذا رفعة بين المجتمعات الأخري .

وفى المجتمع الإسلامى تساوت المرأة مع الرجل فأعطى لها حقها دون نقص . وأيضا بالمساواة حفظت حقوق رعايا المجتمع الإسلامى وكفلت لهم حرياتهم .

والمساواة جعلت الفرد يتقرب إلي الله أكثر ، فالكل متساوون فى العبادات والقربات إلي الله

وكذلك كان للمساواة الأثر فى أخلاق الأفراد المجتمع المسلم ، فأبتعدوا عن الرذيلة وأقتربوا من الفضيلة .

وعم الخير والرخاء جنبات المجتمع الإسلامى ، فأرتقي المجتمع إلي إفق عالى .

جعلت المساواة الميزان العادل الذى يتعامل به أفراد المجتمع ، فإن اختل هذا المبدأ اختل معه الكثير من مبادىء المجتمع و أوضاعه .

إنّ من عوامل إنيهار المجتمعات تخليها عن مبدأ المساواة ، فلن تفلح أمة لا يؤخذ فيها للضعيف حقه من القوي .

لهذا كان مبدأ المساواة نوراً جديداً أضاء به الإسلام جنبات المجتمع الإسلامى ، وكان لهذا المبدأ الأثر القوي فى إنشاءه .

هكذا يتبين إن إقامة مبدأ المساواة له عظيم الأثر علي أفراد المجتمع ، فالناس إذا ما شعروا بالمساواة شعروا بالعدل ، فتطمئن نفوسهم ويستقر حالهم ، ويعمهم الخير والأمان والسلامة.

الفصل الرابع
الحرية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول :

معنى الحرية لغةً وإصطلاحاً .

المبحث الثاني :

قيود الحرية في الإسلام.

المبحث الثالث :

مظاهر الحرية وألوانها في الإسلام .

توطئـــــة

بعد أن خلصنا آنفاً من بيان الدعامة الثالثة فى المجتمع الإسلامى ، وبينا فيها وحدة الأصل فى الجنس البشرى ، وأنه لافضل لبشر علي أخر إلا بالتقوي والكفاءة والمواهب ، وبينا مظاهر المساواة وتطبيقها فى المجتمع ، وآثار هذه الدعامة علي الفرد والمجتمع ، فكان بديهياً أن نبين الدعامة التى تأتى بعد المساواة ألا وهى الحرية . لأن المجتمع الذى تفقد فيه المساواة تفتقد بالتالى الي الحرية بجميع أشكالها ، ودامت هنالك مساواة فى المجتمع يكون بإمكان الفرد إبداء رأيه وطرح فكره ، فالحرية بأشكالها المتعددة تنبع من صحة العقيدة الإسلامية ، وهى المؤسسة علي الحق والعدل بعد سلامة العقيدة ، وهى منطلقة من الإخاء ومن تمسك الفرد بالمساواة ، ومما يدل علي ذلك قول عبادة بن الصامت * : (بايعنا رسول الله ﷺ علي السمع والطاعة ، فى المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم) [1] .

وإذا كانت الحرية فى الإسلام تجد نبعها من عقيدة التوحيد ، بأن العبودية لله وحده ومن دونه عبد طائع له ، فلا يكون الفرد عبداً لسواه ، ويظل حراً أمام ماعداه .

---

* **عبادة بن الصامت** : هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد ، صحابى من الموصوفين بالورع ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد بدراً وسائر المشاهد ثم حضر فتح مصر ، وهو أول من ولى القضاء فى فلسطين ، مات بالرملة أو بيت المقدس ، روي ١٨١ حديثاً . انظر : تهذيب التهذيب ، ١١/٥ ، والإصابه ٤٤/١٨ ، وخلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، لصفى الدين الخزرجى ، ص ١٥٩ ، تحقيق محمود فايد ، مكتبة القاهرة

(١) فتح البارى ، ٧/١٣ ، كتاب الفتن ، باب قول النبى ﷺ – ترون بعدي أموراً تنكرونها ، حديث رقم ٧٠٥٦ ،وجاء الحديث بصيغة أخري . انظر : فتح البارى ٢٠٤/١٣ ، كتاب الأحكام ، باب ٤٣ كيف يبايع الإمام الناس ، حديث رقم ٧١٩٩ – ٧٢٠٠ ، وصحيح مسلم ٢٢٨/١٢ ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ، وسنن ابن ماجة ٩٥٧/٢ ، كتاب الجهاد باب ٤١ ، باب البيعة ، حديث رقم ٢٨٦٦ ، ومسند وأحمد بن حنبل ٤٤١/٣ ، وسنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندي ١٣٧/٧ – ١٣٨ ، كتاب البيعة ، باب ١–٥ ، البيعة علي السمع والطاعة ، حديث رقم ٤١٤٩ –٤١٥٥.

ولقد بينا فى الفصل السابق أن المساواة بين الناس تجد أيضا أساسها من ذات النبع ، لأن الإسلام يصون عزة الفرد وحريته فى الجماعة الإسلامية ، بما قرره مبدأ المساواة بين الجميع ، علي إختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وبما أن ميزان الحق أقيم علي العدل فى الأحكام ، القوى فى المجتمع الإسلامى ضعيف حتي يؤخذ الحق منه، والضعيف فيه قوى حتي يؤخذ له الحق ، وبما أن الإسلام دين العزة ، عزة الفرد وعزة المجتمع ، وأصل عزة الفرد المسلم أن دينه الحق رفض عنه الذل وحرره من الخضوع والاستذلال ، وما الخضوع والذلة إلا لله وحده ليتحرر الإنسان من كل سلطان إلا سلطان الله عز وجل .

وبما أن المجتمع الإسلامى قائم علي أسس ودعامات ومرتكزات متينه ومن هذه الأسس والمرتكزات مبدأ الحرية ، فحرية الفرد أهم من مأكله وملبسه ، فالعبد عند سيده يأكل ويشرب ، ولكنه لا يملك أغلي وأثمن شيء فى الوجود وهى الحرية.

ونخلص مما سبق من هذه التوطئة أن الحرية أصل من أصول الدين الإسلامى وقاعدة من قواعده ، والحرية فيه بمنزلة الحياة كما أن الرق فيه بمنزلة الموت .

المبحث الأول
معنى الحرية لغة وإصطلاحاً :

المبحث الأول

معنى الحرية لغة وإصطلاحاً :

والحرية في اللغة كما ذكر ابن منظور * : هي مصدر من حررت تحر . وحر يحر حراراً إذا عتق ، وحر يحر ، حرية ، من حرية الأصل وقال آخرون : إن الحرية مصدر من حر يحر إذا صار حراً والإسم الحرية . والحر بالضم نقيض العبد ، والجمع أحرار وحرار ، والحرة نقيض الأمة ، والجمع حرائر ويقال حرره أي أعتقه ، والمحرر أي المعتق [1] .

يتضح من خلال التعريف اللغوي لكلمة الحرية أن اللفظ وما أشتق منه يفيد المعني المضاد للرق والعبودية ، فالحر من ليس بعبد ، والعبودية والعبد إسم للآدمي المملوك لآخر .

والحرية في الإصطلاح تشمل عدداً من الوجوه :-

فقد فسر كثير منهم الحرية أسوأ تفسير وأولوها علي معني إمتثال داعية الهوي ، بإطلاق وتنفيذ الإرادة حتي وإن مسّ غيره بأذي ، أو حجز علي أحد له حق ثابت فلا يعترضه منازع ، وكثير منهم لا يتصور لها معني سوي حمل السلاح تحت لواء القوة ، وإعمال هذا السلاح في اغتصاب أي شئ ، أو يخيل للبعض أن الحرية حق يبيح لصاحبه أن يجهر بكل ما يرتأيه فكره من آراءٍ أو نشر كل ما يؤلفه في مقاله بما فيه من سوء وهجاء وأوصاف شائنة [2] فجعلوا مفهومها الإنطلاق بلا قيود أو عوائق .

---

* **ابن منظور** : هو محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى الرويفعى الإفريقى ، صاحب (لسان العرب) ، ولد بمصر وقيل فى طرابلس سنة ٦٣٠هـ ، وهو إمام وحجة فى اللغة ، توفى رحمة الله سنه ٧١١ هـ. انظر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الكامنة ، ٥/ ٣١ -٣٣ ، رقم ٤٥٨٨ لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، مطبعة المدنى – القاهرة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م ، والأعلام للزركلى ٧ /١٠٨ ، وفوات الوفيات ٢/ ٥٢٤- ٥٢٧ ، رقم ٤٥١.

(١) انظر : لسان العرب ، ٤/ ١٧٨ – ١٨١ ، ومختار الصحاح ص ٥٥ .

(٢) انظر : الحرية فى الإسلام ، محمد الخضر حسين ص ١٧ ، ١٨ ، دار الإعتصام – القاهرة .

فالحرية في أبسط معانيها هي (قدرة الفرد علي عمل كل ما لا يضر بالغير) أوهي (أن يكون للفرد الحق أن يقول ويعمل ما يشاء مما لا ينافي العدل والقانون ولا يضر بالغير) .[1]

المعنى العام للحرية :

والحديث عن الحرية بالمعني المتداول في هذا العصر وهي(فعل الانسان ما يريد فعله دون مدافع بمقدار إمكانه) [2] .

فالحرية في هذا المعني حق للبشر ، لأن الله لما خلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيه القدرة علي العمل ، فقد أو جد فيه حقيقة الحرية ، وسمح له بإستخدامها بالإذن التكويني المستقر في خلقه . والحرية كثيراً ما تحدد بإختيار صاحبها بما يلتزم من الإلتزامات والعهود والعقود والأعراف ونحوها مما يلجئه الي تقييد حرية أقواله أو أعماله ، أو كبت حرية تفكيره وإخفائه علي حسب إلتزامها [3]

والحرية في الاسلام لا تتصور إلا مقيدة ، لأنها ليست إنطلاقاً من القيود ، بل هي معني لا يتحقق في الوجود الا مقيداً ، ومن هنا كان معني الحر ، وهو الشخص الذي تتجلي فيه المعاني الإنسانية العالية ، والذي يضبط نفسه ، ويتجه بها إلي معالي الأمور ، فلا تنطلق أهوائه ورغابته ، ولا يكون عبداً لشهواته بل سيداً لنفسه .

وإذا كان الحر هو الذى يضبط نفسه ولايذل ولا يأنف [4] من أن يهضم حقه ، فهو بالتالي لا يعتدي علي أحد ، لإمتلاك السيطرة علي نفسه من أهواء ورغبات وشهوات.

---

(١) من أسس التربية الإسلامية ، د . عمر محمد التومي الشيباني ، ص ٢٨١ ، منشورات الجامعة المفتوحة ، الطبعة الثانية،١٩٩٣م.

(٢) أصول النظام الإجتماعي ، ابن عاشور ، ص ١٦٩.

(٣) انظر المصدر السابق / نفس الصفحة .

(٤) أنف : يقال أنف من الشيء من باب تعب ، وأنف منه تنزه عنه . المصباح المنير ١/ ٣٠ ، والمقصود هنا ألا يذل ، ويقال الجمل الأنف – الذليل المؤاتى الذى يأنف من الزجر ومن الضرب . كذلك المؤمن لايحتاج إلي زجر ولاعتاب ومالزمه ، من حق صبر عليه وقام به . بمعني أن الحر لا يخضع ويكسر أنفه للغير فى أن يهضم حقه . انظر : لسان العرب ، ١٣/٩ ، مادة أنف .

فالحرية الحقيقة لا يمكن تصورها إنطلاقاً من قيود وضوابط ، لأن الإنطلاق من جانب تقييد من جانب اخر ، فمخطئ من كان يتصور أو يفسر الحرية إنطلاقا من القيود الإنسانية و الأدبية .

وإذا كانت هذه هى معانى الحرية وما تقتضيه من صفات فى الحر ، فإن الحرية لا تتصور إنطلاقاً من القيود ، ولا تحكماً فى الناس ، ولا إعتداءً علي العباد ، بل لا تتصور الحرية إلا مقيدة غير مطلقة ، فلا شيء فى الوجود يكون مطلقاً من أى قيد[1] .

والحرية بهذا المفهوم ليس ترك الحبل علي الغارب ، دون قيود أو شروط أو حدود ، بل هى مقيدة بما ينظمها ويجعل منهاعامل خير وسعادة ، وبناء للفرد والمجتمع علي حد سواء ، بدلا من أن تكون عامل شر وشقاء وهدم .

مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي

للحرية فى كل فلسفة مفهوم ، ولها فى الفكر الإسلامى أرقي مفهوم وأعمق مضمون ، فالحرية بمعناها الشامل القائم علي حماية حريات الأخرين فى مفهوم الشريعة الإسلامية هى القدرة علي عمل كل شيء دون إضرار بالغير .

والحرية حريات

حرية ضد الرق ، فلا يكون الإنسان مسترقاً أو مملوكاً لغيره ، ولا تكون الأمة محتلة أو مستعبدة بل تملك حريتها ، وحرية فى حق الدفاع عن النفس أمام القضاء ، وحرية الرأى ، هى التفكير والحكم علي الأشياء .

وما يراه البعض لمعني الحرية من عدم استغلال الإنسان للإنسان ، هو جانب من جوانب مفهوم الحرية فى الإسلام ، ولكنها ليست الحرية كلها، وما أطلقه البعض من أن الحرية تكون بغير حدود ، لايقبله الفكر الإسلامى لأن ذلك دعوة لتحطيم قيم المجتمع التى تحميها الحرية .

والتوحيد فى مفهوم الإسلام ما هو إلا أعلي مفاهيم الحرية ، حيث تتحرر النفس

---

(١) انظر : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام ، محمد أبو زهرة ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ، وتنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبو زهرة ، ص ١٨١ –١٨٢ .

البشرية والعقل الإنسانى من القيود الوثنية وعبادة الفرد والعبودية لغير الله . إذن فالحرية فى الإسلام هى ضد العبودية ، وضد الرق والوثنية والظلم ، وهى حرية الفرد والمجتمع علي حد سواء ، فلا حرية للفرد علي حساب المجتمع ، ولاحرية للمجتمع علي حساب الفرد ، فهى حرية الفكر المنطلق إلي طريق الحق وإلي الإبداع والتجديد والإجتهاد . ويأتى مفهوم الحرية فى الفكر الإسلامى منطلقاً من أن الإسلام أشار لتحرر الفرد من كل خوف وإعلاء عن كل شرك ، فجاء الإسلام ليحرر الناس من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد ، فكان تحطيم للشرك والإلحاد ، وسراج منير لسبل التحرر الإنسانى من ذل الرق والعبودية ، فأول ما يثير إليه حرية الإنسان فى اعتقاده ما يشاء ، ويؤمن بما أراد دون جبر أو اكراه . ومع ذلك لم يتركه يتخبط ويضل ، بل حباه بما أكرمه الله به من إنارة الطريق له ، وبيان سبل الرشاد وطريق الشرك ، ليفكر ويحكم عقله ، ثم يختار أى طريق يسلك[1] . قال تعالي : « **إنا هديناه السبيل** [2] **إما شاكراً وإما كفوراً**»[3] .

وما تضمنته الشريعة الإسلامية من أحكام يعد من أعظم صور ممارسة الحرية ، فهى فى الإسلام مكفولة ما دامت لاتحض علي الشر أو تنشر الشرك والإلحاد ، وما دامت تحقق السلام والأمان للجميع والصالح العام بين أفراد المجتمع الواحد .

وقد استند الإسلام فى تقريره للحريات علي نصوص خالدة ، وأحكام شاملة صالحة لكل زمان ومكان ، فلا تخضع هذه النصوص والأحكام لهوي ، ولا تتغير بقانون ، وهذه هى أحكام ضمانات الحرية التى تضمنتها آيات القرآن وأشار إليها الرسول ﷺ .واتجه علماء الأصول والفقه الإسلامى إلي تقسيم الحرية إلي عامة وشخصية واجتماعية ، وهذا التقسيم جاء من خلال تقدير أصول الحياة فى المجتمع وإمكانياته ، وحقوق الفرد وتحقيق ذاته [4].

(١) انظر : أصول النظام الإجتماعى ، للطاهر بن عاشور ، ص ١٧٠ وما بعدها .
(٢) بينا له طريق الهداية والضلال ، كلمات القرآن تفسير وبيان ، ص ٣٩٦ ، حسنين مخلوف ، دار الفكر – القاهرة .
(٣) سورة الانسان : الآية ٣.
(٤) انظر : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام ، محمد أبو زهرة ، ١٨٩٨ .

والحرية بعد هذا هى العنوان البارز للعدالة والإخاء والمساواة التى تربط أجزاء المجتمع بأوثق الروابط من محبة وألفه وتعاون.

لفظ الحرية فى القرآن : المتتبع للقرآن الكريم يري أن لفظ (الحرية) لم يرد علي الإطلاق ، وإنما ورد لفظ (الحر) مرة واحدة فى سورة البقرة ، وليدل علي وضع إجتماعى معين ، وليس علي وضع نفس أو علي ما يدل عليه لفظ الحرية فى حياتنا المعاصرة ، وذلك فى قوله تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ...** » [1] . قال الطبرى فى تفسيره للآية الكريمة إن الآية نزلت فى قوم كانوا إذا قتل الرجل منهم عبد من قوم آخرين ، لم يرضوا من قتيلهم بدم قاتله من أجل أنه عبد حتي يقتلوا به سيده ، وإذا قتلت المرأة من غيرهم رجلاً لم يرضوا من دم صاحبهم بالمرأة القاتلة ، حتي يقتلوا رجلاً من رهط المرأة وعشيرتها [2] .

كذلك ورد لفظ (التحرير) ثلاث مرات إلا أنه لا يأتى مطلقاً بل يأتى مرتبطاً « ... **وتحرير رقبة مؤمنة ...** » [3] .بمعني عتق نفس بشرية ، كذلك ورد إسم المفعول من الفعل (حرر) مرة فى قوله تعالي : « **إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم** » [4] .

وقد ورد فى تفسير لفظ (محرراً) بمعني خالصاً لخدمتك وعبادتك ، وكذلك ورد خالصاً لربها محرراً من كل قيد ، ومن كل شرك ، ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه [5] .

ومماسبق ذكره يتضح أن كلمة الحرية فى القرآن لم ترد مثل كلمة العدل والمساواة ، وإنما جاءت بدلا من العبودية لله .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٨ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ، ١٠٣/٢ ، وتفسير الماوردى (النكت والعيون) . لأبى الحسن الماوردى ، ١٩٠/١ .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٢ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٣٥.

(٥) تفسير الطبرى ، ٢٣٥/٣ ، والكشاف ، ١٨٥/١ .

المبحث الثاني
قيود الحرية في الإسلام

المبحث الثاني

قيود الحرية في الإسلام

إن أول القيود المنظمة للحرية فى الإسلام استشعار الفرد لمسؤليته فى كل ما يقول وما يفعل ، لأنه لاحرية بدون مسئولية .

وثاني هذه القيود عدم الإضرار بالغير وبحقوق الأخرين وحرياتهم ، لأن من مبادىء الإسلام ومن قواعده الفقهية (لاضرر ولاضرار) [1] .

وثالث هذه القيود أن يكون التمتع بالحرية فى إطار الصالح العام ، وبما يتمشي مع مقدساته وأخلاقه ، فالصالح العام هو المعيار الذى تقاس به الحرية الحقة ، وهو الحكم فى أى تعارض بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع ، كذلك لا إحترام فى حرية تنتهك فيها حرمات الدين والعقيدة والأخلاق المستمدة منها.

وبعد أن استعرضنا القيود التى فرضها الإسلام علي الحرية ، نبين فى هذا المبحث تقرير الحرية للمسلم وخاصة فى شؤونه وصلاته بالناس ، فكل ماليس محرماً عليه فى كتاب الله وسنه رسولهﷺ فهو مباح له يتمتع به بحرية تامة ، سواء كان ذلك فى مأكله أم مشربه ، أم زينته أم نفقته أم كسبه ، أو ترحاله أو حله . أم فى قوله وكتابته وخطابته ، أم فى اجتماعاته ، فليس لحرية المسلم حدود إلا ما حرمه الله ورسوله عليه من محرمات واوجبه من واجبات متنوعة .

أما من جهة ما حرمه الله ورسوله من محرمات ، فتتناول كل خبث وفاحش ورجس وفسق وظلم ، ومنكر وعدوان وإثم ، وباطل ودس وإسراف وكيد.

---

(١) **الضرر :** هو إلحاق مفسدة بالغير مطلقاً ، والضرار مقابلة الضرر بالضرر ، أو إلحاق مفسدة بالغير علي جهة المقابلة، وهذه القاعدة من أركان الشريعة ، وتشهد لها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة ، وهى أساس لمنع الفعل الضار ، وعلي هذه القاعدة قامت الكثير من أبواب الفقه . ونص هذه القاعدة ينفى الضرر فيوجب منعه مطلقاً ، ويشمل الضرر العام والضرر الخاص . انظر : غمز عيون البصائر ، حاشية الحموى أحمد بن محمد على أشباه ابن نجيم ، ص ١١٨ ، دار الطباعة – القاهرة ، إستنبول ، ١٢٩٠ هـ ، والوجنير فى ايضاح قواعد الفقه الكلية ، د . محمد صدقى البورنو ، ص ٧٨ –٧٩ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ –١٩٨٣م.

وأما من جهة الواجبات التى أوجبها الله ورسوله ، فتتناول القيام بأركان الإسلام ،والدعوة إلي سبيل الله ، والزود عنها وعن من يتبعها ، وإطاعة الله ورسوله ، وطاعة أولي الأمر ، وإلتزام الحق والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن وسع النفس وطاقتها [1] .

فهكذا يكون حق الحرية للمسلم مقرراً فى القرآن علي أوسع نطاق ، ومقيداً أيضا بأنفع ما يمكن من قيود الحق ، والمصلحة العامة والخاصة المشروعة .

وهنالك آيات عديدة فيها إباحة للمسلمين وحرية لهم بممارسة أمور متنوعة ، نزلت فى مناسبات وإستفتاءات وأسئلة ، فمن هذه الأمثلة :-

قول الله تعالي : « **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** » [2]

أورد النسفى فى تفسيره لقوله تعالي :(« يا أيها الناس كلوا » أمر إباحة ، « مما فى الأرض » من للتبعيض ، لأن كل ما فى الأرض ليس بمأكول ، « حلالاً طيباً » طاهرمن كل شبهة) [3] .

ورغبة منا فى المزيد من الفائدة ، ننقل ما كتبه صاحب الظلال : (وهذا الأمر بالإباحة والحل لما فى الأرض إلا المحظور القليل الذى ينص عليه القرآن ، وهذا يمثل طلاقة العقيدة وتجاوبها مع فطرة الناس ، فالله خلق ما فى الأرض للإنسان ، ومن ثم جعله له حلالاً ، لا يقيده إلا أمر خاص بالحظر ، وألا تتجاوز دائرة الإعتدال والقصد ، ولكن الأمر فى عمومه أمر طلاقة واستمتاع بطيبات الحياة ، وإستجابة للفطرة بلا حرج ولاتضييق ... كل أولئك بشرط واحد هو أن يتلقى الناس ما يحل لهم وما يحرم عليهم من الجهة التى ترزقهم هذا الرزق، لامن إيحاء الشيطان الذى لا يوحي بخير لأنه عدو للناس بيِنْ العداوة) [4].

---

(١) انظر : الدستور القرآنى فى شئون الحياة ، ص٦١ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٨ .
(٣) تفسير النسفى ، ٨٧/١ .
(٤) فى ظلال القرآن ٢١٩/١ .

ففى هذه الآية الكريمة أباح الله للناس جميعاً بأن يأكلوا مما فى الأرض ، فى حال كونه حلالاً من الله طيباً ومستطاباً فى نفسه ، وغير ضار للأبدان والعقول ، ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر ، والآية تدل أيضا علي مجاهدة النفس وتحريرها من الهوي واتباع خطوات الشيطان الداعية للشر والسوء والمنكر و العصبان .

ويقول تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون *إنما حرم عليكم الميتة** (١) **والدم** (٢) **ولحم الخنزير و ما أهل به لغيرالله** (٣) **فمن اضطر** (٤) **غير باغ** (٥) **ولا عاد** (٦) **فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم** »(٧)

هذا وتربط هذه الآية بالآية السابقة(٨) بأن الله أباح لنا الطيبات مما رزقنا به ، وأن نشكره علي هذه النعم ، لأنه لم يمنع عنا طيباً من الطيبات .

ثم بين بعد ذلك المحرمات من المأكل نصاً وتحديداً ، و التى هى من ضمن خطوات الشيطان ، إلا لضرورة يخشي فى عدم الأكل منها علي الحياة ، فلصاحبها أن يتفادي هذا الحرج بتناول المحظور ، فى الحدود التى تندفع بها هذه الضرورة .

علي أن فى هذه المسألة خلافاً فقهياً لاداعي للخوض فيه .

---

(١) **الميتة** : ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح ، ومأليس بمأكول ، فذكاته كموته كالسباع وغيرها .والآية فيها العموم، ودخلها التخصيص فى قول الرسول() (أحل لنا ميتتان الحوت والجراد ، ودمان الكبد والطحال) . انظر : سنن ابن ماجة ١١٠٢/٢ كتاب الأطعمة ، باب الكبد والطحال ، حديث رقم ٣٣١٤ ، ومسند أحمد بن حنبل ٩٧/٢ .

(٢) **الدم** : هو ما سال من الحيوان أو غيره عند الذبح أو بطريقة أخري ، فهو محرم ونجس لا يؤكل ولا ينتفع به ، ولكن هنالك دمان أحلا لنا كما سبق فى حديث الرسول () .

(٣) **ما أهل به لغير الله** : ، ما توجه به صاحبه لغير الله فهو محرم ، لالعلة فيه ولكن للتوجيه به لغير الله . والمعني أى ذكر عليه غير إسم الله وهذه ذبائح المجوس والوثنيين .

(٤) **فمن أضطر** : أى أحوج إليها أو أكره علي أكلها .

(٥) **غير باغ** : فى أكلها فى شهوة و التلذذ بها ، أو أن يأكل فوق حاجته ، غير طالب للشىء المحرم ذاته .،

(٦) **ولاعاد** : أى أن يحد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها ، وأن لا يتجاوز قدر الضرورة . انظر : تفسير القرطبى ٢١٦/٢ و ما بعدها .

(٧) سورة البقرة : الآيتان ١٧٢ – ١٧٣ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .

ويقول تعالي بالنسبة للزواج وتعدده : « **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا** »[1]، فهذه حرية فى الزواج وتعدد الزوجات ، ولكن تكون مقيدة فى الخوف من عدم العدل .

ذكر المفسرون فى سبب نزول الآية أنها نزلت فى قريش ، كان الرجل يتزوج العشرة فأكثر، فإذا ضاق عليه الحال فى إنفاقه عليهن أخذ يتيمته فتزوج منها ، فلعله ينكحها لمالها وهى لا تعجبه ثم يضربها ويسئ صحبتها [2] .

فيستدل من الآية الكريمة أن الزواج مشروع ، وفيه حرية لتعدد الزوجات للقادر والعادل لما فى ذلك من مصالح جمة ، ومنها تكثير النسل ، وإعانة كفالة النساء ، ولتضييق الزنا ، ولما يجر إليه من الفساد فى الأخلاق ، ولما فى التعدد من قصد الإبتعاد عن الطلاق إلا للضرورة ، ومع هذه الحرية إلاّ أنها قيدت إذا فقد العدل بين الزوجات ، ولحق بهن الظلم والضرر ، فيقتصر علي زوجة واحدة .

وقوله تعالي : « **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آيتموهن أجورهن محصنين[2] غير مسافحين [4] ولا متخذي أخدان [5] ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين** »[6] .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٣/٢٣٢, ٢٣٣ ، وأسباب النزول للواحدى ، ٩٨ ، ٩٩ ، والتحرير والتنوير ٤/٢٢٢ ، وتفسير المنير ٤/٢٣٢ .

(٣) **محصنين** : من الإحصان ، وهو العفاف ، يقال أحصنت فرجها فهى محصنة بكسر الصاد ، أى عفيفة وأحصنها زوجها أى أعفها فهى محصنة بفتح الصاد ، والإحصان عبارة عن إجتماع سبعة أشياء : البلوغ والعقل والحرية والنكاح الصحيح والدخول والتكافؤ بين الزوجين فى صفة الإحصان والإسلام. وعند الشافعى وأبو يوسف أن الإسلام ليس بشرط، والأول أرجح . انظر: الكليات ،ص ٥٥

(٤) **غير مسافحين** : غير مجاهرين بالزنا ، المصدر السابق ، ص ٨٧٧.

(٥) **آخدان** : أخلاء فى السر مصاحبيهم للزنى . المصدر السابق . ص ٦٥ ، وتفسير وبيان القرآن الكريم للسيوطى ، ص ٨٦.

(٦) سورة المائدة : الآية ٥ .

أحل الله لنا جميع الطيبات فى الأرض ، وكذلك طعام أهل الكتاب من يهود ونصاري ، وبالمقابل طعامنا حل لهم ، وكذلك العفيفات من نسائهم حل لنا ، فهذه حرية فى أكل طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم ، ولقد قيد هذا بإيتائهن أجورهن ، وذلك فى وقوله تعالي : « إذا آتيتموهن أجورهن» أى مهورهن ، أو إن قصدتم عدم العفة بهن، أى أن هذا المباح قُيد بالزواج من الحرائر والعفيفات عن الزني بقصد الإحصان والعفاف ، لا سفح الماء عن طريق الزني العلني أو الزني السري أو اتخاذ الأخدان .

وقال تعالي فى حرية أخذ الزينة وأكل ما أبيح من طعام وشراب وقيد ذلك بعدم الإسراف والتبذير : « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** [1] **وكلوا واشربوا ولاتسرفوا** [2] **إنه لا يحب المسرفين *قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة** [3] **يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * قل إنما حرم ربي الفواحش** [4] **ما ظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** »[5] .

وهنالك من الامثلة الكثيرة منها قوله تعالي : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ...** » [6] .

---

(١) **خذوا زينتكم عند كل مسجد** : إلبسوا ثياب زينتكم المعتادة عند كل عبادة ، تفسير وبيان القرآن الكريم . ص ١٢٢ .

(٢) **لا تسرفوا** : المسرف من ينفق المال الكثير فى الغرض الخسيس . التعريفات . ص ٧٣ .

(٣) **خالصة** : خالية من مشاركتهم لغيرهم يوم القيامة (تكون لهم وحدهم) ولايخالطها ما يكدرها ، تفسير وبيان القرآن الكريم ، ص١٢٢

(٤) **الفواحش** : المعاصى المستقبحة وقول وفعل ، وهي جمع فاحشة وهى التى توجب الحد فى الدنيا والعذاب فى الأخرة ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ ، والتعريفات ، ص ٢١١ .

(٥) سورة الأعراف : الأيات ٣١ -٣٣ . .

(٦) سره البقرة : الآية ، ١٨٧ .

وقوله تعالي: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ...»[1].

وقوله تعالي: «يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ...»[2].

وهنالك أحاديث تصح أن تكون ضابطة ومقررة لحرية المسلم ، من ذلك ماروواه الترمذى وأبوداود * أن النبى ﷺ سئل عن السمن والجبن والفراء فقال : الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه [3].

ويقاس علي هذا الحديث كل شيء وكل عمل ، مما أحله الله فى كتابه لأنه طيب ومفيد ونافع وصالح ، وما حرمه هو كل خبيث وفحش وإثم وظلم وضرر وبغى وعدوان ، والقرآن قد سكت عن أمور كثيرة لا تدخل فى نطاق ما حرم .

ومنها ما يدخل فى نطاق ما أحل وأبيح فيكون للمسلم الحرية فى هذه الأمور .

وقد روي عن النبى ﷺ حديثاً يعتبر ضابطاً للأوامر والنواهى النبوية ، فعن أبى هريرة* عن النبى ﷺ قال : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأفعلوا منه ما

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤ .

* **أبو داود** : هو سليمان بن الأشعث ابن اسحاق بن بشير الأزدى السجستانى ، ولد سنة ٢٠٢ هـ ، إمام أهل الحديث فى زمانه ، رحل كثيراً فى طلب العلم والحديث ، توفي بالبصرة ، له كتاب (السنن) جزءان وهو أحد الكتب الستة ، وكتاب الزهد وكتب أخري ، حدث عنه الترمذى والنسائى وابنه أبوبكر وأبوبشر الدولابى وغيرهم ، وقيل عنه لين لأبى داود الحديث كما لين لداود الحديد انظر تذكرة الحفاظ ٢/٥٩١ ، رقم ٦١٥ ، والأعلام ٣/١٢٢ .

(٣) سنن الترمذى ٤/١٩٢ ، كتاب اللباس ، باب ٦ ، ما جاء فى لباس الفراء ، حديث رقم ١٧٢٦ . قال أبوعيسى وفى الباب عن المغيره وهذا حديث غريب لانعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه . وسنن ابن ماجه ٢/١١٧ ، كتاب الأطعمة ، باب ٦٠ أكل الجبن والسمن ، حديث رقم ٣٣٦٧ .

* **أبو هريرة** : هو عبدالرحمن بن صخر ، صحابى جليل ، أسلم عام خيبر سنة ٧ هـ- كان ملازما للرسول () كان من المكثرون للحديث رغم تأخر إسلامه ، توفى بالمدينة سنة ٥٧ ه . أنظر : الإصابة ٧/٤٢٥ - ٤٤٥ ، رقم ١٠٦٧٤ ، والإستيعاب ٤/١٧٦٨ - ١٧٧٢ ، رقم ٣٢٠٨ ، وتهذيب التهذيب ١٢/٢٦٢ - ٢٦٧ ، وتقريب التهذيب ٢/٤٨٤ .

استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم وإختلافهم علي أنبيائهم) [1] .

و الأحاديث كثيرة فيها أوامر ونواه نبوية فى مختلف الشؤون من طعام وشراب وملبس ومعاملات وأعمال وتصرفات لم ترد فى القرآن أمرنا بها أن نطيع الرسول فى ذلك ، لأن هذه وسيلة لحب الله .

قال تعالي : « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم...** » [2] فيكون بناءاً علي ذلك أن كل ما ثبت عن الرسول ﷺ من أمر أو نهى واجب الإتباع ، فهى كأوامر ونواهي القرآن ، فما أوامره ونواهيه ﷺ إلا ضوابط لحرية المسلم ، وما سكت عنها أيضاً يكون المسلم حراً فيها بطبيعة الحال .

الإسلام وتحرير الإنسان والمجتمع

الإسلام وتحرير الإنسان :

إن كل إنسان يشتهي ويرغب فى الحرية ولذالك يضحى من أجلها ، والحرية ليست شعارات ترفع

ولكنها إحساس نابع من داخل المرء ، والإسلام عندما بدأ ينشئ مجتمعه الجديد وفق التعاليم الربانية والهدي الإلهى بدأ بتحرير الإنسان من داخله ، فحرره من العبودية لغير الله ، وجعل العبودية لله وحده ، ووفق ذلك لايهون ولايذل ما دامت عزته بالله ، فمن أراد العزة بغير الله فقد أذله الله ، فهذه الحرية هى الأساس لعزة المؤمنين المستمدة من عزة الله سبحانه وتعالي .

---

(١) فتح البارى بشرح البخارى ، ١٣ / ٢٦٤ ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب ١٢ ، الاقتداء بسنه رسول الله ﷺ ، حديث رقم ٧٢٨٨ ، بلفظ مقارب للفظ الحديث المذكور . وصحيح مسلم ١٥/١٠٩ ، كتاب الفضائل ، باب وجوب إتباعه ﷺ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٤٨٢ ، وتفسير القرطبى ٥/٢٦٢ . سورة النساء .

(٢) سورة آل عمران : آية ٣١ .

وفى ذلك يقول عزوجل : « ... **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون**»[1] .

قال الطبرى فى تفسره للآية الكريمة ، إن الله ردّ علي الذين يقولون لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وهم المنافقون ، أى وصفوا أنفسهم بالقوة والشدة ، قال إن ردّ الله إن الشدة والقوة له ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون ذلك[2] .

وذكر ابن كثير إن هذا السياق نزل فى رأس المنافقين (عبدالله بن أبى سلول) عندما كان يألب أهل المدينة (الأنصار) علي المهاجرين عندما إقتتل نفر منهما[3].

وجاء فى تفسير التحرير والتنوير (والمعني أن الله كان الأعز ويخرج الأذل ، فإن المؤمنين هم الفريق الأعز وعزتهم بكون الرسولﷺ فيهم ، وبتأييد الله ورسوله وأوليائه ، لأن عزة الله هى عزة الحق المطلقة، عزة غير ناقصة، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يقهرون إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به ووعده الحق فإن كان إخراجهم من المدينة حتمي فإنما الواجب أن تخرجوا منها أنتم يا أهل النفاق)[4].

وكذلك يقول عز من قائل : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً** ... »[5] .

وحرره من الحرص علي الحياة والخوف من الموت . وفى ذلك يقول تعالي: «**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**[6] ...»[7] .

---

(١) سورة المنافقون : الآية ٨ .
(٢) انظر : تفسير الطبرى ، ١٤ /١١٢
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ، ٤/ ٣٧٠.
(٤) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ، ٢٤٩/٢٨ .
(٥) سورة فاطر : الآية ١٠ .
(٦) **فى بروج مشيدة** : أى فى حصون منيعة ، وقيل هى المطوله ، وقيل المبنية بالشيد و الجص ، تفسير ابن جزى ،١٤٩/١ .
(٧) سورة النساء :الآية ٧٨ .

وأيضا حرره من أن يذل لقوته ، فلم يطلب منه لتحصيل رزقه إلا أن يسعي ويجد ... أما إن كان فى الرزق سعة أو ضيقا فمرده إلي الله عز وجل .

قال تعالي : « **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إنّ الله بكل شيء عليم** »[1].

ذكر الشوكانى فى تفسيره بأن المشركين عندما قالوا للمؤمنين لو كنتم علي حق لم تكونوا فقراء ، فدافع سبحانه علي ذلك بقوله :« الله يبسط الرزق لمن يشاء ... ، فى أن التوسيع فى الرزق والتقتير هو من الله الباسط القابض ، يبسطه لمن يشاء وكيف يَشاء ، ويضيقه علي من يشاء علي حسب ما تقتضيه حكمته ، فهو أعلم مافيه صلاح عباده وفسادهم [2].

ويقول تعالي أيضا فى صدد هذه القضية : « **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** »[3] .

وحررة من التملق والتزلف والتفاق للغير، من أجل مكانة أو منزلة ، قال تعالي: «**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير * وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير** » [4] .

وقال تعالي : « **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم** »[5] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٢.
(٢) انظر : تفسير فتح القدير ، ٢١١/٤ .
(٣) سورة هود : الآية ٦.
(٤) سورة الأنعام : الآيتان ١٧ –١٨ .
(٥) سورة يونس : الآية ١٠٧ .

ذكر صاحب تيسير الكريم الرحمن أن هذه الآية من أعظم الأدلة علي أن الله وحده هو المستحق للعبادة ، فإنه النافع الضار المعطى المانع ، الذى إذا مس بضر ، كفقر أو مرض ونحوها (فلا كاشف له إلا هو) ، لأن الخلق لو إجتمعوا علي أن ينفعوا بشيء لم ينفعوا إلا بما كتبه الله ، ولو إجتمعوا علي أن يضروا أحدا لم يقدروا علي ضرره إذا لم يرد الله سبحانه وتعالي ، فلا راد لفضله وإحسانه أحد ، وهو سبحانه وتعالي يختص برحمته من يشاء من خلقه ، والله ذو فضل عظيم [1]

وكذلك حرره من الإستعباد لوضع إجتماعى فاسد ، فأمره ودعاه إلي النظر والتأمل ، وبالمقابل عاب علي المقلدين ووصف الذين يقلدون غيرهم دون وعى أو إدراك ، ليميزوا بين الحق والباطل بأسوأ وصف فقال : « **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لايعقلون** »[2] .

والشاهد من الآيات الكريمة قوله تعالي :« بل نتبع ما ألفينا عليه أباؤهم أولو كان أباءهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » ، قال الطبرى : بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه من تحليل لما كانوا يحلون ، وتحريم ما كانوا يحرمون ، أو لو كان أباء هؤلاء الكفار الذين مضوا علي كفرهم لايعقلون شيئاً من دين الله وفرائضه وأمره ونهيه، فيتبعونهم علي ما سلكوا دون تكفير واهتداء لدين الله [3].

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ، ١٤٧/٢ ، عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، (١٣٠٠ هـ – ١٣٧٦هـ ، تقديم محمد زهدى النجار ، دار المدنى – جدة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، وفى ظلال القرآن ٤٨٤/٤ ، والتفسير المنير ٢٨٢/١١ .

(٢) سورة البقرة : الآيتان ١٧٠ –١٧١ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٧٩/٢ ، وفى ظلال القرآن ٢١٩/١ .

قال ابن عطيه * : (إن غاية الفساد فى الإلتزام أن يقولوا : نتبع آباءنا ولو كانوا لايعقلون ، فقرروا علي إلتزامهم هذا ، إذ هذه حال أبائهم ، وقوة ألفاظ هذه الآية تعطى إبطال التقليد ، وأجمعت الأمة علي إبطاله فى العقائد) (١) .

وأيضاً لم يتركه عبداً لنفسه ، وإتباع شهواتها ورغباتها وملذاتها ، فتؤتى به إلي المهاوى والطغيان . إنما حرره من هذه الشهوات ودعاه إلي الزهد مع القدرة دون العجز ، وبالمقابل أباح له الإستمتاع بالملذات الدنيوية المباحة ، ولكن بين له أن هذا المتاع قليل بمقابل متاع الأخرة ، وهذا لمن إتقي ربه وعقل ذلك، قال تعالي: « **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها و ما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** »(٢).

ووازن سبحانه بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة ، لتحرير نفس الإنسان من شهواتها ، فقال تعالي: « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** »(٣)

---

* **ابن عطيه** : هو أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسى ، مفسر وفقيه من أهل غرناطه ، ولد سنة ٤٨١هـ ، عالم بالأحكام والحديث والتفسير ، له تفسير (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) ، توفي رحمه الله سنة ٥٤١ هـ وقيل سنة ٥٤٦هـ . انظر : طبقات المفسرين للداوودى ١/ ٢٧١ ، وطبقات المفسرين للسيوطى ص٥٠ رقم ٥٤٩، والأعلام ٣/ ٢٨٢ ،

(١) تفسير المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٨٠ ، لأبى محمد عبدالحق بن عطيه الغرناطى ٤٨١هـ – ٥٤١هـ ، تحقيق وتعليق أحمد صادق الملاح ، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية – القاهرة ، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م.

(٢) سوة القصص : الآية ٦٠.

(٣) سورة آل عمران : الآيتان ١٤ –١٥.

فالآيات الكريمة تدل علي أن نظرة الإنسان فى الغالب آنية وقتية ، لاينظر إلي المستقبل البعيد ، ولايقارن بين الباقى الدائم والمنطقع المؤقت ، فالخالد المستمر أفضل من الزائل بسرعة ، فجاء الخطاب فى هذه الآيات لمعاصرى محمدﷺ من اليهود وغيرهم ، وبما فيها من توبيخ لهم ، لأن الأهواء والشهوات صرفتهم عن اتباع دعوة الإسلام ، والشهوات التى ذكرت فى الآية الكريمة هى التى يحدث فيها الإفراط والمغالاة ، أو تكون سبباً للتفريط فى الواجبات الدينية ، فإن قصدت ضمن الحدود المعتدلة والمعقولة لم تكن وبالاً علي صاحبها ، وقد تكون سبباً للثواب وزيادة الأجر إن قصد بها الخير والصون والعفاف وتسخيرها فى مرضاة الله ، فلابد من الموازنة بين متاع الدنيا ومتاع الأخرة حتي تتحرر النفس من الشهوات فلايطغى جانب علي الآخر[1] .

كذلك حرره من العلو والتكبر ، ففرض عليه الصلاة تدريباً علي التواضع والخشوع ، وفرض عليه الزكاة ليحرره من عبودية المادة ولتطهير نفسه من لوثة طبقات المال وحبه ، وفرض الصيام لكسر شهوة الجسد والطعام ولتعويد نفسه علي التحمل وقوة العزيمة ، وغرساً للخشية والمخافة من الله ومراقبته فى السر والعلانية ، وفرض عليه الحج ليجمع هذا الخير كله . وبين له أن الفلاح حامل فى تزكية النفوس وتطهيرها وتحريرها من كل الماديات والطغيان والفسوق والعصيان فقال تعالي : « **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** »[2] .

فبعد هذه العجالة فى دور الإسلام فى تحرير الإنسان والنفس البشرية، فلم يكن ذلك إلا لبناءه من الباطن حتي يرتفع ويسمو إلي القمة العالية ، فلا يركع أمام الطغاة والظلمة ، ولايركع أمام الشهوات والرغبات ، ولايستعبد لمنزلة أو مكانهة .

الإسلام وحرية المجتمع

من الضرورى أن يكون المجتمع الإسلامي حراً ، وأن يشعر الفرد بحريته ليس

---

(١) انظر : التفسير المنير ، ١٦٩/٣ .

(٢) سورة الشمس : الآيتان ٩ – ١٠ .

داخل المجتمع فحسب بل لابد أن يشعر أيضا أن مجتمعه الذى يعيش فيه حراً ، فحرية الفرد من حرية المجتمع كلاهما متلازمان ، فالمجتمع الذى يعيش تحت وصاية دخيل أو تسلط أجنبى لا تكون إرادة أبنائه نابعة من أنفسهم .

إن المجتمع الإسلامى فى طبيعته لايقبل العيش تحت ضغط مستبد ، أو تحت قبضة سلطان جائر، فإن ذلك يشله ويخرجه عن رسالته وعن الصبغة التى أرادها الله له وميزه بها عن سائر المجتمعات ، فالمجتمع الإسلامى يحقق رغبات أبنائه وسعادتهم و أمنهم . فكيف يعيش فى خضوع وخنوع وتحت سيطرة وعبودية الآخرين ؟! وهو قائم لتحقيق الحرية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتأسيس الكرامة الإنسانية ومما يعزز هذا قول الله عز وجل : « ... **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً** »(١) .

أشار الفخر الرازى * فى تفسيره للآية الكريمة أن فيها جملة من الأقوال (الأول : وهو قول علي ** كرم الله وجهه وابن عباس رضى الله عنهما : أن المراد به فى القيامة ، بدليل أنه عطف علي قوله « .. **فالله يحكم بينكم يوم القيامة** ... » (٢) .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤١ .

* **الفخر الرازى** : هو محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين بن علي ، الشهير بالفخر الرازى ، إمام عصره فى العلوم العقلية والنقلية ، له أثر كبير فى التفسير ، وكان متكلماً وزاهداً ، وهو من أئمة الأحناف فى عصره ، ومن أهم مصنفاته (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) ،(وشرح الأسماء الحسني) ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي رحمه الله سنة ٦١٦هـ . انظر : البداية والنهاية ١٣/٥٥ ، والأعلام ٦/٣١٣ ، وشذرات الذهب ٥/١٢١ ، وتذكرة الحفاظ ٣/٣٥٩ ، وطبقات الشافعية ٨/٨١ -٩٦ .

** **علي بن طالب** : هو أبو الحسن على بن أبى طالب بن عبدالمطلب الهاشمى القرشى ، أميرالمؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ابن عم وصهر رسول الله () ، ولد بمكة فى حجر النبىﷺ ، روي عن النبى ٥٨٦ حديثاً . انظر : الاعلام ٤/٢٩٥ ، وتاريخ الطبرى ٦/٨٣ ، وصفوة الصفوة ١/١٨ ، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣/١٠٨٩ ، رقم ١٨٥٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤١ .

الثانى : أن المراد به فى الدنيا ولكنه مخصوص بالحجة ، والمعني أن حجة المسلمين غالبة علي حجة الكل ، وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة والدليل . الثالث : هو أنه عام فى الكل إلا ما خصه الدليل وهو الأرجح – والله أعلم – وللشافعي* رحمه الله مسائل : منها أن الكافر إذا إستولي علي مال المسلم وأحرزه بدارالحرب لم يملكه بدلالة الآية ، ومنها أن الكافر ليس له أن يشتري عبداً مسلماً بدلاله هذا الآية ، ومنها أن المسلم لايقتل بالذمى بدلالة هذه الآية)[1].

إن حرية المجتمع الإسلامى واقعه وملموسة وحقيقة ، فلا يمكن تصوره بدونها، بمعني أن المجتمع بفقده لحريته وإستسلامة لغاصبيه لايصدق عليه الوصف بخصائص المجتمع الإسلامى ولقد عانت المجتمعات الإسلامية فى القرون الأخيرة مثل ذلك ، حينما تحكم فيها الطغاة وانتهب الأعداء خيراتها وتشتت أفرادها وقتلوا ، فلم يكن ذلك إلا فى غياب الوازع الدينى والإيمان الحي ، حيث ضعفت العقيدة وقلت آثارها فيهم ، فالطغاة والمستعبدين الغاشمين ما هم إلا طعنة مسمومة لحرية المجتمع الإسلامى ، ولولا دوافع الجهاد ونبذ الخضوع والإستبعاد وعزة الفرد المسلم بالله وبرسوله لظل الإستعباد فوق رؤوسهم ، ولاستطاع أن يحقق أهدافه ومراميه حتي تنسلخ العقيدة من نفوس أفراد المجتمع ، وينسلخ المجتمع عن مبادئه ، وللأسف الشديد والحزن الذى تتقطع له النفوس والقلوب أن ظلال الطغاة وإن خرجوا عسكرياً باقية آثارهم فى المجتمعات الإسلامية ، فذهب الإستعمار العسكرى وبقى الإستعمار الخلقى والإجتماعى والإقتصادى ، يحاولون دائما بإصرار شديد تقويض دعائم المجتمع الإسلامى وزلزلة قواعده ، ومانراه من الكثيرين فى المجتمع الإسلامى اليوم بإستعارتهم وبأخذهم مبادئ وشعارات وفلسفات ودخيلة علي المجتمع ، وماذلك إلا

---

* **الشافعى** : هو أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى ، يلتقى نسبه مع () وذلك فى عبد مناف ، ولد فى غزة بفلسطين، تفقه فى مكه ثم رحل إلي العراق ثم إلي مصر ، أحد الأئمة الأربعة ، أخذ الحديث عن سفيان بن عيينه ومالك ، توفي رحمه الله سنه ٢٠٤هـ . انظرتهذيب التهذيب ٩/ ٢٥ ، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١ ، وتذكرة الحفاظ ١٠/ ٣٢٩.

(١) تفسير الفخر الرازى ١١/ ٨٤.

لينحوا القيم الإسلامية الأصلية ، فمن واجب المسلمين اليوم الذين يحرصون أشد الحرص علي حرية المجتمع المسلم أن يقاوموا تلك الدسائس والمحاولات ، وأن يحفظوا لمجتمعهم مبادئه وقيمة ونظمه وغاياته ، وأن لايجعلوا المجتمع تابعاً لشرق أو لغرب ، حتى يبقي حراً يؤدي رسالته على أكمل وجه.

الوسائل الإسلامية في تدعيم الحريات

جعل الإسلام لتدعم الحريات سواء كانت حرية فى الفكر أو الرأى أو العقيدة أو غير ذلك ، وسائل وسبل منها الجهاد والصبر علي الأذى ورفض الظلم ، فبذل الغالى والنفيس وسالت الدماء الذكية حتي يتحرر الفرد من الضغوط والقيود . فنذكر بعض الوسائل والأمثلة فى ذلك لتحقيق الحرية منها:-

١- إن القرآن الكريم ذكر نماذجاً حية من كفاح الأنبياء عليهم السلام فى جهادهم لأقوامهم ، وصبرهم علي آذاهم فى سبيل توطيد الحرية ، فهذا نوح * عليه السلام لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم لعبادة الله فآذوه ومن معه وحرموهم حق الحياة الآمنة . وقالوا ما حكي الله عنهم : « **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولوشاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين * إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين** »[1] .

والشاهد فى الآيات الكريمة قوله تعالي : « إن هو إلا رجل به جنة ... » .

جاء فى تفسير الطبرى أن الله تعالي يخبر عن الملأ الذين كفروا من قوم نوح إن هو إلا رجل به جنون فتلبثوا به وتنظروا به حتي وقت ما[2] .

---

* **نوح عليه السلام** : هو نوح و بن لامك بن متوشلخ ... ابن شيت بن آدم ، أبى البشر عليه السلام ، كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين ، وكان بينهما عشرة قرون ، وبعثة الله لما عبدت الأصنام وشرع الناس فى الكفر ، ولبث فى قومه حوالى الألف سنة ، فلم يؤمن معه إلا القليل فأرسل الله عليهم الطوفان .انظر البداية والنهاية ١/١٠٠ و ما بعدها ، وقصص الأنبياء لابن كثير ،ص ٧٤ ومابعدها ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١) سورة المؤمنون : الآيتان ٢٤ -٢٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٠/١٦ .

ذكر ابن كثير (أى مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم وأختصه من بينكم بالوحى ، فتربصوا به حتي حين ، ، أى أنتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتي تستريحوا منه)[1]، فصبر نوح عليه السلام بما أتهموه بالجنون فى سبيل دعوة الله وفى سبيل الحرية التى أرادها الله .

ولقد ذكر صاحب تفسير النووى فى تفسير قوله تعالي :« إن هو الارجل به جنة ، أى ما نوح إلا رجل فيه جنون ، ومن كان مجنوناً فكيف يجوز أن يكون رسولاً ، فتربصوا به حتي حين ، أى أنتظروه إلي زمن موته ، أو المراد أنه مجنون فاصبروا إلي زمان تظهر عاقبة أمره فيه فإن أفاق فذاك واضح وإلا فأقتلوه)[2].

وقال تعالي : « ... **وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون** » [3] ، وما حدث لنوح عليه السلام ولأتباعه نسخة تتكرر دائما فى تاريخ المرسلين ... .

قال تعالي : « ... **كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون** »[4] .

فكلما جاء لأمة من الأمم رسول كذبوه ، وسلكوا فى تكذيب أنبيائهم مسلك من أهلكوا .

ونتوقف ونحن نستعرض ما لقيه الأنبياء عليهم السلام من أذى ، فصبروا وأحتملوا فى سبيل تحرير الإنسان ، من عبودية الطاغوت والماديات إلي عبودية رب العباد عز وجل ، فتتوقف عند جهاد الرسولﷺ صاحب الرسالة الخاتمة ، لنري عون الله لها ولرسولها ، وكيف لم يعجل سبحانه وتعالي بمن بعث فيهم رسولﷺ ، كما عجل

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٤٤ .

(٢) تفسير النووى المسمى (مراح لبيد)، ٢/٦٤ ، للشيخ محمد النووى الجاوى ، وبهامشه كتاب إلوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى ، (ت٤٦٨هـ) ، دار احياء الكتب العربية – عيسي البابى الحلبى .

(٣) سورة هود : الآية ٣٨.

(٤) سورة المؤمنون : الآية ٤٤ .

بالأمم السابقة مع طول الأمد وقسوة التعذيب ، وشدة المطاردة التى لحقت بالرسول وصحبه رضوان الله عليهم .

فقد بعث الرسولﷺ إلي هذا العالم ، مبتدأ دعوته بعشيرته الأقربين ، ثم بأهل مكة ، ثم بسائر العرب ، إلي أن إستقر دين الله ، ودانت الجزيرة كلها فأرسل إلي ملوك الأرض يدعوهم إلي الإسلام وفى سبيل ذلك إحتمل النبىﷺ وأصحابه أصناف وألوان العذاب من أهل قريش وغيرهم ، فوقفوا فى وجه دعوة الله ، وحاولوا أن يطفئوا مصدر النور ، تارة بالتضييق علي الرسول وتارة بإيذائه ثم بإغرائه بمفاتن وأعراض الدنيا وهو ثابت ، وتارة بالحصار فى شعب أبى طالب * . وحرموه من الطعام والشراب ، وأبعدوا ونفروا منه القبائل ، ومرة أخري بإجتماعهم علي قتله ، حتي هاجرﷺ ونفر من أصحابه بعد ذلك لتكوين المجتمع الإسلامى الأول فى المدينة المنورة ، فلاحقوه بالعدوان ولكن ثورة الحرية سارت فى دربها ، إلي أن بلغت هدفها المنشود ولم ترهبها قوة الباطل فأنطلقت فى كل مكان .

٢- ومن الوسائل أيضا ذكر القرآن الكريم فى سبيل الحرية رفضه للظلم ، وجعل من يرضى به شريكاً فيه يستحق العذاب ، فمن الواجب علي المسلم أن يدفع الظلم عن نفسه بكل قواه ، فإن قتل فهو شهيد وإن عاش يكون حراً كريماً ، وإن ضاقت به الأرض فليهاجر فأرض الله واسعة .

إن من يرضي بالذل ويرضي بالخنوع فهو ظالم لنفسه لم يعطها حقها من الحرية ، وفى هذا يقول تعالي : « **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** »(١) .

ذكر أن سبب نزول الآية فى أناس من المنافقين ، تخلفوا عن رسولﷺ ولم

---

* **أبو طالب** : هو عبد مناف بن عبدالمطلب عم رسول الله () ، كان مجيراً ومساناً للرسول وخاصة فى شعب مكة ، مات ولم يسلم . انظر : الأعلام ٢١٨/٣ .

(١) سورة النساء : الآية ٩٧ .

يهاجروا معه إلي المدينة ، وخرجوا مع قريش إلي بدر ، فقتل منهم من قتل فنزلت الآية . وقال مجاهد ** أنها نزلت فيمن قتل يوم بدر من الضعفاء من كفار قريش ، وقال عكرمة * إن ابن عباس أخبره أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم علي عهد رسول الله ﷺ ، يأتى السهم يرمى به فيصيب أحدهم ويقتله فأنزل الله هذه الآية (١) .

يذكر الطبري عند تأويله للآية، أن الملائكة التي تقبض أرواح من كسب لنفسه غضب الله وسخطة ، تقول لهم : في أي شيء كنتم من دينكم ؟ أى ماذا عملتم لدينكم وأنتم في هذه الحالة مستضعفين في دولة الشرك؟ ، و المقصود بها في هذه الأية مكة حينذاك . فيرد عليهم المقيمون في دار الكفر رداً ضعيفاً وواهياً ، بأنهم كانوا مستضعفين في الأرض ، يتضعفهم أهل الشرك في أرضهم ، بكثرة عددهم وعتادهم ، فيمنعون من الإيمان بالله وإتباع رسوله ﷺ ، فهذه مقدرة ضعيف وحجة واهية فيرد عليهم الملائكة علي هذا القدر الضعيف ، قالوا ألم تكن أرض الله ، واسعة فتهاجروا فيها، فهذا تبكيت لهم ، أي فلم لم تهاجروا من دياركم وأرضكم التي يمنعكم أهلها من توحيد الله، وتقيموا في أرض الله الواسعة شعائر التوحيد وإتباع الرسول (٢).

** **مجاهد** : هو مجاهد بن جبر ، وقيل ابن جبير موسي عبدالله بن السائب ، تابعى وإمام جليل مشتهر بالزهد ، فقيه وورع ، حدث عن ابن عباس وعن عائشة ، ، وحدث عن عكرمة وقتادة وغيرهم . ولد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة ١٠٢ هـ ، بمكة وعمره ٨٣ سنة. طبقات المفسرين للداوودي ٢/٣٠٥ – ٣٠٨، رقم ٦١٧، وحلية الآولياء ٣/٢٧٩ ،رقم ٢٤٣. وميزان الإعتدال ٣/٤٣٩ رقم ٧٠٧٢

* **عكرمة** : هو أبو عبدالله عكرمة بن عبدالله الحبر العالم ، البربرى ثم المدنى الهاشمى ، مولى ابن عباس ، روى عن مولاه وعن عائشة وأبى هريرة ، وحدث عنه خلق كثير منهم أيوب ، وأبو بشر ، قال عنه الشعبى ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة ، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير ، لم يكذبه أحد ، مات رحمه الله سنة ١٥٤هـ بالمدينة . انظر : مذكرة الحفاظ ١/٩٥ ، رقم ٨٧ ، وطبقات المفسرين للداوودى .١/٣٨٦ ، رقم ٣٣١ .

(١) انظر: تفسير ابن كثير . ١/٥٤٣ ، وتفسير البحر المحيط لابن حيان ١/٣٣٣، دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، وروح المعانى للألوس ، ٥/١٢٥ ، وتفسير أبى السعود ، ٢/٢٢٠ ، وتفسير البيضاوى ، ص ١٢٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٥/٢٣٣ –٢٣٦ .

ولعل العلة في النهي عن ذلك تتمثل فى أمور منها :-

أ- أن الله سبحانه وتعالي لا يرضي الذل والهوان لعباده ، لأن الإسلام فيه عزة للنفوس.

ب- أن المسلم لا يستطيع ممارسة حريته في العبادة في ظل السلطة الكافرة الظالمة.

ج- أن الجيوش لن تجيش إذا بقي المسلمون علي حالهم في ظل الدولة الظالمة وبالتالي لا تقام

دولة الإسلام.

٣- وفي سبيل الحرية حتي تأخذ المجتمعات نصيبها الأوفي منها ، سنّ القرآن من التشريعات مايضمن الحفاظ عليها ، فجعل للأمة الحق في الأمن من إعتداء الآخرين، وتقرير المصير. قال تعالي : « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**»(١).

وتقرير المصير يثبت حتي في ميدان القتال. (يروي أن قتيبه ** بن مسلم فتح بعض أقاليم سمرقند* من غير أن يخيرهم بين القتال والإسلام أو المعاهدة ، فشكا أهل هذا الإقليم إلي الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز ** أن قتيبه لم يخيرهم بذالك

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٠.

** **قتيبة ابن مسلم** : أبو حفص قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى ، (٤٩ - ٩٦هـ ، ٦٦٩ - ٧١٥م) ، فاتح بلاد ما وراء النهر ، كان ذلك فى زمن عبدالملك بن مروان ، وكان بطلاً دمث الأخلاق ، راوى للشعر عالماً به . انظر : وفيات الأعيان ٤٢٨/١ ، والأعلام ١٨٩/٥ .

* **سمرقند** : مدينة من خراسان ويقال لها بالعربية سمران ، بلد معروف ومشهور وهى من بلاد ما وراء النهر ، فتحت علي يد قتيبة بن مسلم سنة ٨٧ هـ . انظر : معجم البلدان ٢٤٦/٣ ، ، لأبى عبدالله ياقوت الحموى الرومى ، دار صادر - بيروت ، ١٣٨٨هـ -- ١٩٦٨م .

** **عمر بن عبدالعزيز** : أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، الخليفة الصالح والملك العادل، يعد من خامس الخلفاء الراشيدين تشبهاً بهم . لم تطل مدة خلافته ولكن إنتشر العدل فى حكمه ، توفى مسموماً . انظر صفوة الصفوة ٦٣/٢ ، وفيات الأعيان ١٢٨/٢ ، وحلية الأولياء ٢٥٣/٥ - ومابعدها ، و الأعلام ، ٥٠/٥.

التخيير ليقرروا مصيرهم، فأرسل إلي القاضى ليستمع إلي هذه الشكوي ويحققها ، فتبين له صدقها فأصدر أوامره .إلي جند المسلمين بأن يخرجوا من البلد الذى فتحوه ويعودوا إلي ثكناتهم ، ويخيروا، أولئك بين هذه الأمور الثلاثة ويقرروا مصيرهم ، فأختاروا العهد ومنهم من إختيار الإسلام دينا،[1].

وحرم السخرية من الناس ، والتعالي والتكبر عليهم ، وحرم الهمز واللمز ، كما حرم التجسس وهتك العورات، والظن السئ بالغير ، ونهي عن الغيبة ونقل الأسرار ، إلي غير ذلك من المبادئ التى ترسم حدود الأدب مع الغير ، والمحافظة علي حقوقهم ومنع الإعتداء عليهم ، وكلها إنفرد بها المنهج القرآنى فى بناء المجتمع المسلم حتي يكون حراً ، يقدر للناس حرياتهم ويحافظ عليها بالتشريع الحكيم[2]

٤- وفى سبيل الحرية مضي القرآن بفرض الجهاد فى سبيل الله ، لتحرير المجتمع الإنسانى من الإستبداد وتضييق علي الطغاة . ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة والتى تعد الخلاصة علي مدار التاريخ الإنسانى فى قوله تعالي : « ... **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** »[3].

أورد أبو السعود فى تفسيره للآية ، (« ولولا دفع الله الناس بعضهم ، الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخرمنهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالي من القتل ... ، لفسدت الأرض، وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل ، وسائر ما يعمر الأرض ويصلحها ، وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين علي الكافرين لفسدت الأرض بعبثهم وقتلهم المسلمين ، ولكن الله منّ عليهم بفضله بأن نصرهم)[4].

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع ، أبو زهرة ، ١٩٩ .

(٢) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، ص ٤٥ وما بعدها ، والمجتمع الإسلامى أهدافه ودعائمه ، ص ٩٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥١.

(٤) تفسير أبى السعود ٢٤٥/١ . وانظر : تفسير القاسمى ٦٤٩/٣ ، والتفسير المنير ٤٣٣/٢ .

وجاء فى تفسير صفوة التفاسير ، لولا دفع الله شر الأشرار بجهاد الأخيار لفسدت الحياة ، لأن الشر إن غلب كان الخراب والدمار ، فتفضل سبحانه علي البشر بأنه لم يمكن الشر من الإستعلاء فجعل الخير هو الغالب[1] .

والآية الكريمة تبرز حكمة الله تعالي فى الأرض من إصطراع القوي وتنافس الطاقات . فالحياة كلها تتأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، وهنا يمضى الله أمره وينفذ قدره بأن يجعل كلمة الحق والخير والصلاح هى العليا ، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس والتواضع فى يد القوي الخيرة [2] .

فخلاصة القول أن الآية الكريمة تعطينا العبرة من كل معارك التاريخ الانسانى فى سبيل الحرية ، ويساند هذه الآية الكريمة ما أعلنه القرآن الكريم فى تشريع القتال للجماعة الإسلامية دفاعاً عن حقها فى الحرية ، والحق فى الحياة بعد أن عانت من الطغيان ما عانت علي مدار ثلاثة عشر عاماً فى مكة . قال تعالي : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا...** » [3] ، أذن الله سبحانه وتعالي للمؤمنين الذين يقاتلون فى سبيله ، بقتال المشركين الذين ظلموهم بقتالهم وطردوهم من ديارهم ، تعذيبهم وأخذ حقوقهم بغيرحق .

قال ابن زيد فى قوله تعالي : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» أذن لهم فى قتالهم بعدما عفي عنهم عشر سنين ، وقرأ « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق » قال : هؤلاء المؤمنين . وعن مجاهد رضي الله عنه ذكر فى قوله تعالي : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » أناس مؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلي المدينة ، فكانوا

---

(١) انظر : صفوة التفاسير ، ١٥٩/١.

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ، ٣٩٦/١١.

(٣) سورة الحج : الآيتان ٣٩ – ٤٠ .

يمنعون من دخول مكة لأجل الحج ، كما منع الرسول ﷺ وصحبه من الحج إليها ، فإذن الله للمؤمنين بقتال الكافرين ، فقاتلوهم ، فالله قادر علي نصر من يقاتل فى سبيله وإهلاك أعدائهم [١].

ذُكر فى سبب نزول الآية ، أن المفسرين قالوا : بأن المشركين من أهل مكة كانوا يؤذون أصحاب الرسول ﷺ فلا يزالون يجيئون من مضروب ومشجوج ، فشكوهم إلي رسول الله ﷺ فيقول لهم: أصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال حتي هاجر الرسول ﷺ، فأنزل الله تعالي هذه الأية [٢] .

جاء فى ظلال القرآن أن الشعائر والعبادات لابد لها من حماية تدفع عنها الذين يصدون عن سبيل الله ، وتمنعهم من الإعتداء علي حرية العقيدة وحرية العبادة وعلي قداسة المعابد وحرمة المقدسات والشعائر ، ومن ثم إذن الله للمسلمين بعد الهجرة فى قتال المشركين ليدافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم من إعتداء المعتدين الذى بلغ أقصاه ، حتى يتحقق لأنفسهم ولغيرهم حرية العبادة والعقيدة فى ظل دين الله . فالمعركة مستمرة بين الخير والشر ، والهدي والضلال ، و الصراع قائم بين قوي الطغيان منذ أن خلق الله الإنسان [٣] .

فالمجتمع الإسلامى منذ نشأته الأولي خاض المعارك من أجل الحرية ، وذاق المعاناة ماذاق فى سبيل النجاة من غطرسة الطغيان والجبروت ، مما جعل الحرية عزيزة عليه ، ليس سهلاً أن يفرط فيها بعد أن ذاق صنوف العذاب فى سبيلها .

ففى سبيلها قاتل المسلمون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلي ، وما كانت إنتصاراتهم فى المعارك إلا إنتصاراً للحرية وتأكيداً علي حق الإنسانية فى حريتها .

التدافع ميزان الكون

إن الله سبحانه و تعالي عندما أذن للمظلومين فى قتال الظالمين ليعلم الناس أن

(١) انظر : تفسير الطبرى ، ١٧/١٧١-١٧٣ .
(٢) انظر : أسباب النزول ، للواحدى ، ص٢٣٢ ، وتفسير البيضاوى ، ص ٤٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/٢٢٥ ، وتفسير أبي السعود ، ٦/١٠٨ ، والكشاف ، للزمخشرى ، ٣/٣٤.
(٣) انظر : فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤/٢٤٢٤ .

ذلك سنة من سننه فى الكون والذى تقوم عليه ركائز العمران والإستقرار ، ففى كل جيل وأمة وعصر يتدافع الكون مع أهل الخير وأهل الشر والفساد .

ففى الآية الكريمة «...**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً...**»[1] أى فلولا أذن الله تعالي للمظلومين بقتال الظالمين ومدافعتهم بالقوة لإستشري الفساد فى الأرض وإنتهكت الحرمات ، وضاعت معالم الخير بضراوة أهل الظلم والطغيان[2].

جاء فى تفسير التسهيل لعلوم التنزيل أن هذه الآية تقوية لآية الإذن فى القتال واظهار المصلحة فى الإذن بقتال الظالمين ، فكأنه يقول لولا القتال والجهاد لاستولي الكفار علي المسلمين وذهب الدين[3].

فما الحروب فى الإسلام إلا للتحرر لا للإستعباد ، فليس لها مطمع دنيوى من إستغلال للأرض وغير ذلك .

إن المعابد لا تهدم ولاتخرب إلا إذا إنتشرت صور الفساد والطغيان ، فإذا ما خربت المساجد والمعابد فذلك دليل علي هتك الحريات الفردية والجماعية فى أقدس مقدساتها. ، وهذا ما نراه اليوم. فكم من بيوت الله دنست وهتكت حرماتها ودمرت ، وعلي رأس هذه المساجد المسجد الأقصي ، ما ذلك إلا لتعطيل الجهاد والرضي بالخنوع والتذلل والإستكانة ، فأصبحوا عبيداً ومملوكين عند سادتهم من غرب أوشرق.

وقال تعالي : « **ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه**

---

(١) سورة الحج : الآية ٤٠.

(٢) انظر: القرآن العظيم هداية وإعجازه ، محمد الصادق عرجون ، ص ٢٩٨ ، الكليات الأزهرية ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

(٣) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزى ، ٤٢/٣.

القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً» [1] .

قال القرطبى فى تفسير للآية : (إنّ الآية فيها حض علي الجهاد ، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدى الكفرة المشركين ، الذين يسومونهم سوء العذاب ، ويصدونهم عن الدين ، فأوجب تعالي الجهاد لإعلان كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده ، وإن كان فى ذلك تلف للنفوس)[2].

فماأكرم هذه الجهاد فى سبيل الله لأن تكون الحرية ... واما أجدر بهذه الحرية التى أرداها الله لعباده أن يضحي من أجلها وفى سبيلها بالأرواح والدماء وبالغالى و النفيس .

ومن هنا فعلي المسلمين اليوم فى سبيل حريتهم أن يبادروا إلي معركة الحرية ، وألاّ يغمضوا رمشة عين عما يحاك ضدهم ، فلا يركنوا إلي الراحة أو أن يجنحوا إلي السلام الهزيل ، بإسم الحصول علي الحرية ، فبذلك تسلب حريتهم و يغشاهم الذل والخوف بدلاً من الحصول عليها .

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٥ .

(٢) تفسير القرطبى ، ٢٧/٥ .

المبحث الثالث
مظاهر الحرية وألوانها في الإسلام

المبحث الثالث

مظاهر الحرية وألوانها في الإسلام

يقتضى الأمر ونحن بصدد الكتابة عن الحرية أن نتحدث عن مظاهر وألوان الحرية فى الإسلام بأشكالها المختلفة والمتعددة ، والنابعة فى الأصل من صحة العقيدة التى أوضحها الإسلام ، وتعدد جوانب الحرية التى أعطاها القرآن لمجتمعه عميقة الجذور باسقة الأغصان ممتدة الفروع ، شملت الحريات بكل أشكالها وألوانها وظلالها .

فالحرية إذن واسعة فى مفهومها ، ومتعددة فى جوانبها وأبعادها ، وهى ما يسمي بالحريات العامة التى من بينها الحرية الشخصية ، وحرية التفكير والحرية الدينية ، وحرية التملك .. وما إلي ذلك .

أولا: الحرية الشخصية (حرية الذات)

الفرد فى المجتمع الإسلامى يصبح بهذه الحرية طليقاً فى تصرفاته الشخصية ، وفى مزاولة أعماله الحياتية ، التى تتفق مع حاجاته ويدرك وإمكانياته المادية والفكرية ، وفى التمتع بالمتع الحلال بأن يأكل ويشرب ويتزوج ويلبس متقيدا بقانون الخير والحق والعدل الذى أمر به الشرع الإسلامى المساير للفطرة السليمة ، ولذلك نري الإسلام أول ما جاء به أن حرر النفوس من الأهواء والشهوات وتبعات الغير، وندد بمن تسيطر أهوائهم علي عقولهم وإرادتهم ، وعبر عن هؤلاء الذين يخضعون لأهوائهم بأنهم يتخذون آلهتهم هواهم قال تعالي : « **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** »[1].

ويقول تعالي فى سورة أخري : « **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم...** »[2] .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٤٣ .

(٢) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

ولقد أعتبرﷺ معيار القوة فى الرجل القوى تملك نفسه عند الغضب قال ﷺ :(ليس الشديد بالصرعة - أى الذى يصرع الرجال - إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) [1] .

وقال أيضاﷺ فى الحث علي حرية الذات وعدم التبعية للغير (لا يكن أحدكم إمعة يقول أحسن أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم)[2].

فالإسلام لا يطمع من وراء الحرية الشخصية الإنطلاق وراء الشهوات ، من غير قيد من حكم العقل والإيمان الصادق .

الشخصية الإنسانية فى إطارها العام بالنسبة للفرد فى المجتمع لا تكون إلا مع الحرية ، فمما سبق يتبين أن أول مظهر من مظاهر الحرية هوالحرية الشخصية ، وهى تتضمن حرية الشخص فى المعتقد بما يراه حقاً ، وفى القول بمايراه صدقاً وحقاً وفى التصرف فى شؤونه ودائرة شخصه بما يعود عليه من النفع والخير ، دون تدخل من أحد ولا تحكم من سلطان فى إرادته ، وأن يكون له الحق فى إبداء رأيه فى كل ما يتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه ، فهى أساس الحريات فى الإسلام .

ومن أهم مظاهر الحرية الشخصية التى أعطي الإسلام للفرد الحق فى ممارستها والتى تشتمل علي حرية المسكن والبلد والعمل ، وطريقة حياته الخاصة ، والكسب وكيفية تحصيل المال وتملكه وحيازته والإستفادة من مواهب الفرد ما دام ذلك فى الإطار الشرعى .

أ) حرية المسكن والمأوي

جعل الإسلام للفرد الحرية فى مسكنه ومأواه دون ضرر بالغير ، وفرض علي الحاكم إيجاد المأوي والمسكن لمن لا مأوي ولا مسكن له ، وحرم إنتهاك أو كشف ستر

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٥٣٥ ، كتاب الأدب ، باب ٧٦ ، الحذر من الغضب ، حديث رقم ٦١١٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦/١٦٢ ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، مسند الإمام أحمد ٢/٢٣٦-٢٦٨ .

(٢) سنن الترمذى ٤/٣٢٠ ، كتاب البر والصلة ، باب ٦٣ ، ما جاء فى الإحسان والعفو ، حديث رقم ٢٠٠٧ . قال أبوعيسي : فهذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

المأوي والمسكن سواء كان بالتلصص أو التجسس ، وجعل لها آداباً سنذكرها فى الباب الثانى إن شاء الله .

قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم** ... » [1] .

وقال ﷺ فى حديث رواه أبوهريرة : (من اطلع فى دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه)[2] . فالسكن له حرمته ومكانته ، فهو يعنى الراحة والهدوء وفيه معني الإستقرار ، وبداخله يتحرر الإنسان من كل ما يجب أن يراه عليه الناس ، وفيه مأمنه وسترعورته . فأوجب الإسلام عدم مداهمة البيوت أو الإعتداء عليها .

ب) حرية الإنتقال

وهذه حرية كغيرها من الحريات التى ضمنها الإسلام للفرد فى المجتمع ، وأكد وحث عليها ووضع لها الضوابط حتي تكون فى صالح الجماعة بحيث لا تؤذى الآخرين . وسند هذه الحرية قوله تعالي : « **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا** [3] **فامشوا في مناكبها** [4] **وكلوا من رزقه وإليه النشور** » [5] .

---

(١) سورة النور : الآيتان ٢٧-٢٨ .

(٢) فتح البارى بشرح البخارى ٢٥٣/١٢ ، ٢٥٤ ، كتاب الديات ، باب من أطلع فى بيت قوم ففقأوا عينه فلادية له ، حديث رقم ٦٩٠٢ وهنالك ألفاظ أخري للحديث ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٣٨/١٤ ، كتاب الأداب ، باب تحريم النظر فى بيت الغير ، وسنن النسائى ٦١/٨ ، كتاب القسامة ، باب ٤٨ ، من أختص وأخذ حقه دون السلطان ، حديث رقم، ٤٨٦٠ - ٤٨٦١ . وسنن الدارمى ١٩٧/٢ ، ١٩٨ ، كتاب الديات ، باب ٢٣ ، من أطلع فى دار قوم بغير إذن .

(٣) **ذلولاً** : سهلة منقادة لينة يسهل لكم السير فيهاوالإنتفاع بها ،

(٤) **المناكب** : المرتفعات أو الجوانب والطرق وهو فى الأصل مجتمع ما بين العضد والكتف .

(٥) سورة الملك : الآية ١٥ . وانظر : الآيات من سورة الجمعة ١٠ ومن سورة قريش آية ١-٢ .

أَذِنَ الله المشى فى مرتفعاتها وسهولها وبطاحها ، فالله سبحانه وتعالي سخر لكم الأرض وذللها لكم ، وجعلها سهلة لينة قابلة للإستقرار عليها ، لا تميل ولاتضطرب مع وجود الجبال ، فسيروا فى جوانبها وأقطارها وأرجائهاحيث شئتم بحثا عن المكاسب والتجارات والأرزاق وهذا من فضل الله ونعمته علي عبادة [1] .

ومن أراد أن يكسب لعيشته أو أراد لالخروج لدعوة فى سبيل الله أو سفر فى طلب العلم أباح له الإسلام الحرية فى التنقل كيفما شاء ، لكن قد ترد علي هذه الحرية بعض القيود لدواعى المصلحة العامة ، كأن يكون مرض من الأمراض المتفشية منتشراً فى بلد المسافر ، فلا خروج حتي لا ينتشر المرض إلي بلد آخر . لقولهﷺ :(إذا ظهرالطاعون فى بلد فلا تدخلوا ولاتخرجوا منه) [2] . أو أن يكون أهل الشوري فى بلد ما يعوزهم الحاكم فلا خروج من هذا البلد [3] .

أما ما نراه اليوم فى البلاد والمجتمعات الإسلامية من قيود وعراقيل توضع علي حرية التنقل بين أبناء المسلمين ، بحجج واهية أو بدعوي وجود خلافات مع الدولة المجاورة ، أو بوصف أبناء الأمة الإسلامية بأنهم أرهابيين أو متشددين أو أصوليين أو متطرفيين . فهذه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وما أريد بهذه الأوصاف إلا الإساءة للإسلام وأهله .

وخلاصة القول إن الإسلام قد كفل للإنسان حرية التنقل داخل أو خارج البلد، ما

---

(١) انظر: التفسير المنير ٢٩ /٢٢ ، والتحرير والتنوير ٢٩/٣١-٣٢ ، وفى ظلال القرآن ٨/١٩٣ و ما بعدها .

(٢) راوى الحديث إسامه ابن زيد وله صيغة أخري (إذا وقع الطاعون بأرض ، ورواية ثانية إذا سمعتم بالطاعون فى أرض ...) فتح البارى بشرح البخارى ، ١٠ /١٨٩ وكتاب الطب ، باب ٣٠ ، ما يذكر فى الطاعون ، حديث رقم ٥٧٢٨ ، ٥٧٢٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٤/٢٠٥ ، كتاب الطب . باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها . ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١/١٧٨ ، ١٨٠ .

(٣) للأستزاده فى هذه القضية راجع كتاب السلطة والحرية فى النظام الإسلامى (دراسة مقارنة) ،ص ١٣١ وما بعدها، د . صبحى عبده سعيد ، دار الفكرالعربى – القاهرة ، وضمانات الحرية فى النظام الإسلامى وتطبيقها ، ص ٢٩ ، د. منيب محمد ربيع، سلسلة البحوث الإسلامية – والأزهر ، السنة الرابعة عشر ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م ، والمجتمع المتكافل فى الإسلام ، عبدالعزيز الخياط ، ص ٦٨ –٦٩ .

دام ذلك فى حدود الأوامر والنواهى والنظام العام للمجتمع ، فإذا تعارضت هذه الحرية مع تلك الضوابط قيدت بالقدر المناسب لها .

ج) حرية اختيار العمل

للفرد المسلم فى مجتمعه الحرية فى إختيار ما يشاء من العمل لكسب قوته ، فلا يحق للدولة تقييده إلا فى نطاق حق الدولة فى تقييد المباحات ، إذا كان فى ذلك دفع للضرر عن الناس ، أو لضرورة عامة أو مصلحة واجبة ولكن حرية العمل مقيدة بما حرمه الله من أعمال كصنع الخمور أو الإتجار بها أو أن يعمل الفرد عملاً منافياً للشرع والأخلاق والآداب .

وإذا كان الإسلام يدعو إلي العمل ، فقد ترك للشخص الحرية فى هذا العمل بقدر استطاعته ، وقد ضمن هذه الحرية بأمرين . أولاً: عدم التضييق علي الفرد فى الحصول علي العمل ونتائج ما يعمل ، فى أنه أباح لمن يحيى أرضاً ميتاً أن يمتلكها ، فيقول ﷺ :(من أحيا أرضاً ميتة فهى له) [1] .

ثانيا : منع المسلم من أن يحقر عمل أخيه المسلم ، فقد نهي الإسلام عن ذلك وإعتبر العمل اليدوى من خيرالأعمال ، قال ﷺ : (ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً من عمل يده وإن نبى الله داؤد كان يأكل من عمل يده) [2] .

د) حرية التعليم

دعا القرآن فى كثير من آياته إلي العلم والحث عليه قال تعالي :« **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** »[3].

(١) فتح البارى ٢٣/٥ كتاب الحرث والزراعة ، باب ١٥ من أحيا أرضا مواتاً ، سنن الترمذى ٢٦٢/٣ – ٢٦٣ ،٢٦٤ ، كتاب الأحكام ، باب ٣٨ ، ما ذكر فى إحياء أرض الموات ، حديث رقم ١٣٧٨/١٣٧٩ ، قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح ، وسنن أبو داود ٣/ ١٧٤. –١٧٥ ، كتاب الخراج والأمارة ، حديث رقم ٣٠٧٣ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٣٨/٣/٣٨١.

(٢) سبق تخرج هذا لحديث فى الفصل السابق المبحث الرابع .

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

قال الطبرى فى معني قوله سبحانه وتعالي : « فلولا نفر من كل فرقة ... »، قال بعضهم هم نفر فى قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول ﷺ يعلمون الناس الإسلام فلماخرجوا قال الناس لهم ما نراكم إلا تركتم أصحابكم وجئتمونا ، فوجدوا فى أنفسهم حرجاً فنزلت الآية [1] . وذكر صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالي : « ليتفقهوا فى الدين ، ليتكلفوا الفقاهة فيه ، ويتجشموا المشاق والصعاب فى أخذها وتحصيلها ، وهذا أمر للوجوب علي الجميع وإن لم يكن واجباً عليه بعضهم القيام عن باقيهم علي طريق وجوب الكفاية [2] .

وفى الآية وجوب طلب العلم والتفقه فى القرآن والسنة ، وهو فرض علي الكفاية لاعلي الأعيان بدليل قوله تعالي :« ... **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**» [3] ، وآية « ليتفقهوا فى الدين) وإن اقتضت فى الحث علي طلب العلم والندب إليه دون الوجوب والإلتزام فقد لزم طلب العلم بأدلة أخري بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة [4] .

والشاهد من ذلك أن طلب العلم فريضة وفضيلة عظيمة ، ومرتبة شريفة لايوزايها عمل . فالإسلام حث علي طلب العلم ، سواء كان العلم الدنيوى النافع ، أم العلم الدينى المجزى عليه بالثواب الدال إلي الحق والصواب . قال تعالي : « ...**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ... »[5] .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٦٦/٧ .

(٢) انظر تفسير الكشاف ١٧٨/٢ . وتفسير القرطبى ٢٩٥/٨ ، وفى ظلال القرآن ٣٤٣/٤ ، وما بعدها .

(٣) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٣) انظر : التفسير المنير ٧٨/١١ – ٧٩ ، وتفسير تنوير الأذهان ١١٧/٢ .

(٤) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٥) فتح البارى ١٩٧/١ ، كتاب العلم ، باب ١٣ ، من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين ، حديث رقم ٧١ ، وأيضاً فى فتح البارى ٢٥٠/٦ ، ٢٥١ ، كتاب فرض الخمس ، باب ٧ ، إنما أنا قاسم وخازن والله يعطى ، حديث رقم ٣١١٦ ، وسنن الترمذى ٢٨/٥ ، كتاب العلم ، باب إذا اراد الله بعبد خيراً ، حديث رقم ٢٦٤٥ ، قال أبوعيسي : حديث حسن صحيح ، وصحيح مسلم ٦٧/١٣ ، كتاب الإمارة ، وسنن ابن ماجة ٨٠/١ ، باب فضل العلماء .

قال ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين) [1] .

وهذا الحث بمثابة دفعه للمسلمين إلي ميادين العلم ليبدعوا ويجتهدوا فيه ، وينتشروا فى بقاع الأرض لإنشاء المعاهد والجامعات ، يؤلفون الكتب المفيدة لمصلحة الإنسانية .

فتاريخ العلم فى الإسلام يشهد علي أن المجتمع الإسلامى يتسع لدراسة كل فلسفة ومذهب وعقيدة ورأى ، وثار النقاش فى أرجائه ، وإتسعت الخلافات والمذاهب ، ولم يكن فى ذلك حرج علي العقيدة الإسلامية ولابأس علي المجتمع .

فاسطاع المجتمع أن يرفع ويحتفظ بمشعل الثقافة الإنسانية ، حتي ما نراه من تحضر في الحضارة الغربية للمجتمع الإسلامى السبق والفضل في أثره ، وما نريد أن نصل اليه أن لكل فرد في المجتمع الاسلامي الحرية في أن يختار أي نوع من الثقافة ، وأن يفكر بأخذه من العلوم ما يريد ، علي ألا يكون ذلك مسخ للثقافة الإسلامية و ألا تكون ثقافة هدامة لا يقرها الاسلام ، إذ يجب أن يكون العلم علم نافع ، غير العلم الضار كالسحر أو غيره ونختتم هذا المطلب بقول الرسول ﷺ ﴿ الحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها)[2].

ثانيا : حرية الإعتقاد (حرية التدين)

حث الإسلام علي حرية الإعتقاد ، وجعل الأساس فى ذلك أن يختار الفرد الدين الذى يرتضيه دون إكراه . وأن يكون هذا الإختيار قائماً علي أساس التفكير السليم ،. وأن يحمى دينه الذى إرتضاه ، ويقاتل لأجل هذه الحرية ، واعتبر الفتنة فى الدين أشد من القتل .

والناظر للتاريخ يري أن الناس منذ منتصف القرن السابع الميلادى إعتنقوا الإسلام ، وأخذوا يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وحتي اليوم لم يصادفهم أى نوع من أنواع

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، ٤٣٥/١ ، حديث رقم ١١٥٩ ، حكم العلماء علي هذا الحديث بأنه غريب .

(٢) انظر : الآيات من سورة ق الآية ٤٥ ، وسورة الأنعام : الآية ٦٦ ، ١٠٧ وسورة يوسف الآية ١٠٨ ، وسورة الزمر : آية ٤١ و سورة الكافرون : الآيات ١-٦ .

حرية العقيدة وإخلاصها لرب السماوات والأرض كما صادفوا ذلك فى الديانة الإسلامية و تلك هى الحقيقة الكبري ، فالشريعة الإسلامية هى الشريعة الوحيدة التى نادت بحرية العقيدة ، حيث يترك لكل إنسان إختيار الحرية الكاملة فى إعتناق ما يشاء من العقائد السماوية ، وأن يقيم شعائرها وليس بكائن من كان أن ينكر عليه ذلك ، أو يكرهه علي ترك العقيدة التى أعتنقها .

ومما سبق يتبين لنا أن حرية الإعتقاد تتكون من ثلاثة عناصر .

١- أن يفكر الإنسان فيما يعتقد وحرية ما يعتنق دون إرتباط بجنس أو تقليد .

٢- منع الاكراه علي شئ يريد إعتقاده بوسيلة من الوسائل ، كالقتل والتهديد أو نحوه

٣- العمل علي مقتضي ما يعتقده ويتدين به .

وقد حمي الإسلام هذه العناصر الثلاثة ، فدعا إلي التحرر من ربقة التقليد ، ودعا الناس إلي التفكير بالدليل والبرهان ، والتعرف علي الحقائق الإلهية من آيات بينات فى السملوات والأرض ، والآيات الكريمة فى القرآن كثيرة فى هذا الشأن [١] .

وهذا ما ينطق به القرآن فى وضوح وذلك فى قوله تعالي : « **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...** »[٢].

قال السيوطى فى تفسير الآية : (لايكره أحد علي التوحيد من أهل الكتاب والمجوس بعد إسلام العرب ، وقد تبين الإيمان من الكفر والحق من الباطل) [٣] .

وقد بين الفخر الرازى تأويل الآية من عدة وجوه فذكر الأفضل والأحسن منها فقال : إن الله سبحانه وتعالي ما بني الإيمان وأمره علي الإجبار والقسر ، وإنما بناه علي التمكن والإختيار ، أما فى حق أهل الكتاب وفى حق المجوس فلأنهم إذا قبلوا الجزية سقط عنهم القتل . وقوله تعالي « لاإكراه فى الدين » مخصوصاً بأهل الكتاب ، وقوله تعالي : « وقد تبين الرشد من الغى » يقال بأن الشئ إذا وضح أو ظهر ، والرشد

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢) تفسير الدر المنثور ١/١٣١ .و انظر : تفسير ابن كثير ، ١/ ٣١٠.

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازى ١٧/١٥، ١٦ .

إصابه الخير ، والغى نقيض الرشد ، فقد تبين ووضح الحق من الباطل ، والإيمان من الكفر ، والهدي من الضلالة بكثرة الحجج والبراهين الدالة [1] .

وقد جاء فى تفسير أيسر التفاسير أن الله أخبر بعد ذكر صفاته جل وعلا أنه لا إكراه فى دينه ، وذلك حينما أراد بعض الأنصار إكراه من تهود أو تنصر من أودلاهم علي الدخول فى دين الإسلام ، ولذا فإن أهل الكتاب ومن شابههم كالمجوس تؤخذ منهم الجزية ويقرون علي دينهم ، فلا يخرجون منه إلا باختيارهم وإرادتهم . أما الوثنيون والذين لادين لهم سوي الشرك والكفر فيقاتلون حتي يدخلوا فى الإسلام لئلا تكون فتنة ، وإنقاذاً لهم من الجهل والكفر ، وملاذا لهم من الضلال والشقاء [2] .

وقوله تعالي إلي رسولهﷺ : « **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** »[3] .

جاء فى تفسير الطبرى عند تأويله للأية الكريمة يقول تعالي ذكره لنبيه ولو شاء يا محمد لجعل ربك الناس كلهم مؤمنين ومصدقين ، إنك رسول لى وأن ما جئتهم به حق ، وأن ماتدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص فى العبودية حق ، ولكن لايشاء ذلك لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولاً أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدي والنور ، إلا من سبقت له من الله السعادة فى الكتاب الأول قبل أن يخلق السماوات والأرض وما فيهن ، ولايضل إلا من سبق له الشقاء فى الذكر الأول فإنه لايصدقك ولن يتبعك ويقر بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدقك ، لا بإكراهك إياه ، ولايحرصك علي ذلك ، أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين لك مصدقين علي ما جئتهم به من عند ربك [4] .

قال ابن عاشور فى قوله تعالي : « أفأنت تكره الناس » إستفهام إنكاري فنزلت علي النبى ﷺ لحرصه علي إيمان أهل مكة ، وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلة صالحة ،

---

(١) انظر : أيسر التفاسير ، أبوبكر الجزائرى ، ٢٤٦/١ .

(٢) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ، ١٧٣/٧ - ١٧٤ .

(٤) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٢٩٣/١١ .

منزلة من يحاول إكراهم علي الإيمان ، حتي ترتب علي ذلك التنزيل إنكاره عليه ، وهذا تعريض الثناء علي النبى ومعذرة له علي عدم إستجابتهم أياه ، ومن بلغ المجهود حق له العذر ، وأما ما ذكره الكشاف فى تفسيره بأن هذا علي وجه الإختصاص والقصر فغير وجيه ، لأن المقام غير صالح لإعتبار القصر [1] .

والرسول ﷺ لم يكره أحداً علي الإيمان ، ولكن إن كانت هذه الآية موجهة له د إلا أن الحكمة منها لمن بعده فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب.

ويقول تعالي جل ذكره :« **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر...** »[2] .

وقوله تعالي : « **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر** »[3] .

بين الطبرى فى تفسيره للآية أنك يا محمد لست عليهم بمتسلط ولا أنت بجبار ، تحملهم علي ما تريد ، فكلهم إلىّ ودعهم وحكمى فيهم ، فإنما أرسلتك مذكراً لهم بنعمتى وواعظاً لهم ، والإستثناء فى قوله تعالي : « إلا من تولي وكفر » إستثناء من اللذين كان التذكير عليهم وإن لم يذكروا ، فذكر يا محمد قومك ، إلا من تولي عنك وأعرض عن آيات الله فكفر [4].

وقال تعالي : « **قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** » [5].

فما الإيمان إلا أمان وإطمئنان ، فكيف يكون التخويف والترهيب والاكراه سبيلا إلي الإيمان والأمان ؟! فكره الإسلام الاكراه فى الإعتقاد حتي ولو كان الدين

(١) سورة الكهف : الآية ٢٩.
(٢) سورة الغاشية : الآيات ٢١ -٢٣ .
(٣) انظر : تفسير الطبرى ١٥/١٦٦ - ١٦٧.
(٤) سورة هود : الآية ٢٨ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٦.

الإسلامى . ومما سبق من الآيات الكريمة يتبين لنا أن الحرية العقائدية مكفولة فى المجتمع الإسلامى ، وليس معني كونه مجتمعاً إسلامياً أن يصبح كل فرد فيه مسلماً بل المجتمع الإسلامى يتسع لكل فرد فيه حتي لمن يختار غير دين الإسلام مادام الأمر لاكيد ولا فتنه فيه .

بل إن الإسلام يأمر النبىﷺ وكل مسلم من بعده ألا يغلق بابه فى وجه مشرك إستجارة ، بل عليه أن يجيره ويحميه ولا يتخلى عنه حتي يبلغ بر الطمأنينة والأمان « **وإن أحدٌ من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ...** »[1] .

ذكر الطبرى أن هذه الآية خطاب لرسول الله ﷺ فيقول له : (وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد إنسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك ، وهوالقرآن الذى أنزله الله عليك ، فأجره ، يقول : فأمنه ،حتي يسمع كلام الله ، وتتلوه عليه ، ثم ابلغه مأمنه ، ثم رده بعد سماع كلام الله إن هو أبي أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله ، فيؤمن إلي مأمنه ، أى إلي حيث يأمن منك وممن فى طاعتك ، حتي يلحق بداره وقومه من المشركين) [2] .

وذكر فى التفسير المنير أنه بالرغم من نزول أية السيف الشديدة الوطأ علي مشركى العرب ونظراً لأن الإسلام يحرص علي نشر دعوته بالطرق السلمية ، وبالحجة والإقناع وبالبراهين ، وإن الهدف من الحرب وتشريع الجهاد ليس لسفك الدماء . وإنما للوصول إلي الإيمان ، وترك الجحود وقبول الدين ، والإقرار بالتوحيد بالرغم من كل ذلك لأسباب مشروعية القتال ، أرشد الله سبحانه وتعالي رسوله ومن معه أنه إن جاءه أحد من المشركين الذين نقضوا العهد ، بعد إنقضاء مهلة السياحة فى الأرض بحرية مطلقة ، وهى الأشهر الأربعة الحرم ، يطلب الأمان ليسمع كلام الله ويتدبره ، فيجب تأمينه وحمايته ، ويحرم قتله والإعتداء عليه ، ومتي أراد العودة

---

(١) تفسير الطبرى ٦/٧٩ ، وتفسير القرطبى ٨/٧٥ ، والكشاف ٢/١٤٠ .

(٢) انظر : التفسير المنير ١٠/١١٢ ، وتفسير تنوير الأذهان ٢/٤٨ .، وفى ظلال القرآن ٤/١٤٢ .

إلي بلاده يجب أيضا منحه الأمان حتي يعود ، وإن شئت أن تقاتله بعد ذلك فقاتله .دون غدر أو خيانة .

وهذا الحكم ثابت إلي يوم القيامة ، وفى هذه الآية ما فيه من سماحة الإسلام وكريم معاملته ، حتي مع الكفار ، وهو دليل علي إيثاره للسلم [١] .

ولقد كانت عهود النبى ﷺ وخلفائه للذميين دليلا قاطعاً علي كفالة الحرية الشاملة لهم وخاصة حرية الإعتقاد ، وذلك كما نري فى عهد النبىﷺ لنصاري نجران [٢] ، ذلك العهد الذى أكده ووثقه خلفاؤه الأربعة رضى الله عنهم . فنري فى عهد أبى بكر * رضى الله عنه ينص لهم العهد علي أنه أجارهم بجوار الله وذمة النبىﷺ وعلي أنفسهم وأرضهم وأموالهم وحاشيتهم ، وعبادتهم وغائبهم، وشاهدهم ، وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم [٣] .

وحينما فتح المسلمون إيلياء (القدس) كتب عمر رضى الله عنه كتاباً سنة خمس عشرة من الهجرة نص فيه علي أنه (... أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبرئيها وسائر ملتها ، وأنه لا تسكن كنائسهم ولاتهدم ، ولا

---

(١) انظر : التفسير المنير ١١٢/١٠ ، وتفسير تنوير الأذهان ٤٨/٢ .، وفى ظلال القرآن ١٤٢/٤ .

(٢) كان ذلك فى العام العاشر للهجرة . انظر: نص العهد فى تاريخ الطبرى ١٢٨/٢ ، والخراج لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم (١١٣ -١٨٢ هـ) ص ١٤٩ ، دار الإعتصام ، القاهرة ، ١٩٨١م ، والروض الآنف فى تفسير السيرة النبوية ، لابن هشام ٣/٣

*أبو بكر : هو عبدالله بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنه ، كان إسمه فى الجاهلية عبدالكعبة فسماه الرسول ﷺ عبدالله، صحابى جليل ، أول الخلفاء الراشدين ، هاجر مع الرسولﷺ وشهد بدراً ، وهو أول من أسلم من الرجال وأول من صلي مع الرسول ، وسمي بالصديق لأنه أول من صدق بالرسول ، وسمى عتيق لأن الرسول قال : من سره أن ينظر إلي عتيق من النار فلينظر لأبى بكر ، روي بعض الأحاديث ، توفى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وغسلته زوجته ،وصلي عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين . انظر الاستيعاب ٩٦٣/٣-٩٧٨ ، رقم ١٦٣٣ .

(٣) انظر: الخراج لأبى يوسف ، ص ١٤٩ ، وما بعدها .

ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ، ولايكرهون علي دينهم ، ولايضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ...) [1].

فإختلاف العقيدة لم يمنع المسلمين من رعايتهم للذميين ، وأن يوفوا بعهودهم معهم ، وأن يحموهم كما يحمون أنفسهم ، حتي عاش أهل الذمة يتمتعون بالعدل والرحمة والحرية ، بل كان لبعضهم المناصب والنفوذ والثروات أكثر من المسلمين فى بعض الأحايين ، فلا يتسع المقام لشرح وضرب الأمثلة .

ويدخل مع حرية العقيدة حرية المناقشات الدينية ، فالحوار البناء فى الشئون العقائدية بين المسلمين وغير المسلمين علي سواء يكفله الإسلام ما دام ذلك لا يؤدى الي الفتنة وإحداث الشقاق ، والإسلام يدعو إلي مقارعة الحجة بالحجة للوصول إلي الحقيقة ، ومن ثم كانت مهمة الرسل عليهم السلام مبشرين ومنذرين ، معلمين ومبينين ليهلك من هلك عن بينه ويحيي من حيّ عن بينة فهاهو سيدنا إبراهيم ** عليه السلام قام ليبطل دعوي ألوهية البشر بوسائل الإقناع ، وينقل القرآن الكريم لنا هذا المشهد الذى جرى بين ابراهيم عليه السلام وبين الملك النمروذ* ، . قال تعالي :« **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت**

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبرى ، ٦٠٩/٣ ، دار المعارف –القاهرة ، ١٩٧٧م.

** **إبراهيم عليه السلام** : هو ابراهيم خليل الرحمن بن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو ابن فاغ بن عابر ... بن سام بن نوح عليه السلام ، أبو الأنبياء عليهم السلام ، تزوج سارة وهاجر وولده اسماعيل عليه السلام (الذبيح) من هاجر ، جاء إلي أرض الكنعانين ، وهى بلاد بيت المقدس ورأيضا جاء إلي أرض الجزيرة ، فكانوا يعبدون الكواكب والأصنام . انظر : البداية والنهاية ١٣٩/١ وما بعدها ، قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٥١ و ما بعدها .

* **النمروذ** : هو النمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح عليه السلام ملك زمانه ، عارض إبراهيم عليه السلام فى ربوبية لله ، وتجبر وإدعي الربوبية ، وهو ملك بابل وملك الدنيا بأجمعها ، وهو صاحب النار والبعوضة ، وهلك بالبعوضة التى دخلت فى دماغه عليه لعنة الله . انظر: تفسير ابن كثير ، ٣١٣/١.

بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين »[1].

جاء في تفسير البحر المحيط أن الله لما ذكر فيما سبق أن الله وَلِيُّ الذين آمنوا وأن الطاغوت وَلِيُّ الكافرين ، أعقبة بذكر نموذج للإيمان والطغيان ، ليبين تلك القضية ويشهد علي صدقها وصحتها ، وهو أن إبراهيم وفقه الله للأدلة التى تدحض الشبهات ، وأن الملك لم يبصر نور الحق ، فكانت حجته متهافته متساقطة ، فصار ذلك مثلاً للمؤمن والكافر[2] .

وذكر الفخر الرازى أن المقصود من الآية (بيان كمال حال إبراهيم عليه السلام فى إظهار الدعوة إلي الدين الحق)[3] .

ومادام الإسلام قد سمح وكفل حرية العقيدة وحرية ممارسة شعائرها ومظاهرها من مناقشات وغير ذلك ، فإن السماحة والإباحة ليست علي إطلاقها ، وإنما بقيود أوجبها الإسلام حتى يكفلها الكفالة الصحيحة التى لا عوج فيها ، ومن ثم لا يسمح لهذا الحرية أن تتعدي حدودها وتنتشر فيها الفتنة والإضطراب ، ونشر الإلحاد والزندقة والكفر ، فإن حدث مثل ذلك وجب علي الحاكم المسلم تأمنيا للدين الإسلامى وإقراراً للسكينة أن يمنع ذلك ، ولو أدي إلي قتالهم ، قال تعالي : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلاعدوان إلا على الظالمين** »[4][5].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٨ .

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط ٢/٢٨٦ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ٧/٢٤ ، وتفسير ابن كثير ١/٣١٣ ، وأيسر التفاسير ١/٢٤٨ ، والدر المنثور ١/١٣٣

(٤) سورة البقرة : الآية ١٩٣ .

(٥) لمزيد من الفائدة راجع : السلطة والحرية فى النظام الإسلامى ص ١٣٨ ، د . صحبى عبده سعيد . وانظر :المجتمع الإسلامى ، مصطفي عبدالواحد ص ١٠٦ ، والمعارضة فى الإسلام بين النظرية والتطبيق ص ٣٠ -٣٣ ، د . جابر قميحه ، دار الجلاء – القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٨م . والإسلام وحقوق الإنسان (ضرورات – لاحقوق)، ص ٢٣ ، د . محمد عمارة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – والكويت ، شعبان – ١٤٠٥ – مايو ١٩٨٥م ، وضمانات الحرية فى النظام الإسلامى ص ٣٠ ، منيب محمد ربيع . انظر: أيضا المجتمع المتكافل فى الإسلام ص ٧١ -٧٢ عبدالعزيز الخياط ، والحرية فى الإسلام ، ص ٦٣ – محمد الخضر حسين ، وتنظيم الإسلام للمجتمع أبو زهرة ، ص ١٨٢ وما بعدها.

شبهة والرد عليها

إن العقوبات التى وضعها الإسلام للجنايات والمخالفات الشرعية كالقتل والزني ، تعتبر تقييداً لحرية الإنسان ، بل ومصادرة لحريته فى التعبير عن إرادته ، فإذا ما تم الزنا فلماذا العقاب ؟ وإذا إرتد المسلم فلماذا العقاب ؟ والله يقول « **لا إكراه في الدين ...** » [1] . وفى هذا مجال لفتح باب النفاق .

الرد على ذلك

إن الحرية الشخصية لايصح أن تكون سبباً فى إلحاق الضرر بالمجتمع ، فتنتهى حدودها عندما تتحول إلي أداة هدم وضرر بالمجتمع ، فإحترام الحرية الشخصية ولو مست بالآخرين هومنطق الأطفال بل السفهاء والمجانين ، الذين يطلقون لأنفسهم العنان بأن يفعلوا ما يشاؤون ولو ألحقوا الأذي بأنفسهم . وبيان ذلك أن الزانى عندما يزنى فإنه يقدم علي أفحش جريمة ، فالزني جريمة وعدوان علي الخلق والشرف والكرامة ، وفيه تقويض لنظام الأسرة والبيت والأفراد والمجتمعات ، فكان من الواجب لإتقاء هذا الشر وضع العقوبة الصارمة لهذا العمل الفاحش ، فهذا من العدل فى معاقبة الزانى الذى يزنى ويعتدى علي المجتمع ، وإنصاف للمجتمع نفسه منه .

أما بالنسبة للمرتد فعقابه القتل [2] ، لأن المؤمن الحق لايرتد عن الإسلام الذى أعطاه الحرية فى التفكير والإختيار قبل إعتناقه ، فهو لا يعتنقه إلا عن إعتقاد وتعقل ، و أما الآية فإنها تتحدث عن الإكراه علي الدخول فى الإسلام إبتداءً لا فيمن يرتد ، فإن إرتد بعد ذلك فقد مسخ عقله ورجع بعدما عرف الحقيقة ، فيعاقب بالحد قتلا حماية لعقيدة الأمة . ولئلا يتهاون فيمن يدخل الإسلام بالعقيدة الإسلامية ، ثم يخرج منها حسب أهوائه . وقتل المرتد رادعاً لمن تسول له نفسه البلبلة والفتنة والتشكيك فى

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

(٢) الإسلام لا يقتل المرتد حال إرتداده ، وإنما يعطيه وقتاً يحاسب فيه نفسه ويستتاب منه، وعلى الراجح أنها ثلاثة أيام فإذا لم يتب ويرجع إلى صوابه قتل .

عقيدة الإسلام ، وكذلك الذى يولد مسلماً لايجوز له الإرتداد ، لأن ذلك تبديل لنعمة الله عليه [١] .

ثالثا : الحرية في الفكر [٢] .

مفهوم حرية الفكر في الإسلام

تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمي وتربيته علي الإستقلالية فى الإرادة ، وتحريره من عبادة الأهواء ، ودعوته إلي الإقتناع بالدليل ، وتحريره من الجهل والظن ، فإن الإنسان لم يخلق إلا ليعبد الله الواحد الذى لاشريك له ، لأن الله سبحانه وتعالي خلقه وكرمه وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل ليميز ويختار . والفكر هو إعمال للعقل فقد حث الإسلام عليه ، ودعا الناس جميعاً ليصلوا به إلي الحقائق والنتائج المؤدية إلي الإقتناع الكامل بالعقيدة الإسلامية . يقول تعالي : « **ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين** »[٣].

فالمتدبر لآيات القرآن الكريم يتضح له أن القرآن جاء دعوة للناس ليتدبروا ويعقلوا ويفقهوا ويتبصروا ويفكروا ، فهو دعوة لإعمال العقل والفكر بكامل الحرية دون حجر أو جمود وفى ذلك يقـــول تعالـــي : « ... **قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** »[٤] .

ويقول تعالي : « ... **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** »[٥] ، « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** »[٦] .

---

(١) انظر : حرية الإعتقاد في الشريعة الإسلامية ص ١١٠ - ١١٢ ، عبدالله ناصح علوان ، دار السلام - القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م

(٢) **الفكر** : هو ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول ، والإنسان عند ما يفكر يتعرف على أشياء مجهولة . انظر : التعريفات ، ص ٢١٧

(٣) سورة البلد : الآيات ٨ - ١٠ .

(٤) سورة الحديد : الآية ١٧ .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٩٨ .

(٦) سورة محمد : الآية ٢٤ .

أشار الطبرى فى تفسيره للآية الكريمة من سورة محمد فقال : (أفلا يتدبرون هؤلاء المنافقون مواعظ الله التى يعظم بها فى آى القرآن الذى أنزله علي نبيه عليه الصلاة والسلام ، ، ويتفكرون فى حججه التى بينها لهم فى تنزيله فيعلموا بها خطأ ماهم مقيمون عليه)[1] .

ووسائل أعمال الفكر فى القرآن الكريم متعددة الجوانب ، وتكون إما عن طريق المحسوسات والملموسات ، ومن ذلك قوله تعالي :« **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت** » [2].

قال الطبرى فى تفسيره للآيات الكريمة : أفلا ينظرون هؤلاء المنكرون لقدرة الله علي هذه الأمور من الإبل وكيف خلقها وسخرها لهم ، وذللها وجعلها تحمل حملها باركة ثم تنهض به . أفلا ينظرون إلي السماء كيف رفعت بلاعمد ، وإلي الجبال قائمة لاتسقط فتبسط الأرض ، وإنما مثبته لها ، وإلي الأرض كيف بسطت . فهذه قدرة الله فى آياته فعلي الإنسان أن يتفكر ويتدبر ، ويعمل فكره ولايجعله مغلقاً [3] .

أو تكون عن طريق السبب والمسببات ، ومن ذلك قوله تعالي « **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وماذرألكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**»[4].

---

(١) تفسير الطبرى ٥٧/١٣ . وانظر : فى ظلال القرآن ، ٤٥٨/٧ ، وتفسير القاسمى ٥٣٨٧/١٥ .

(٢) سورة الغاشية : الآيات ١٧- ٢٠ .

(٣) تفسير الطبرى ١٦٥/١٥ ، والتحرير والتنوير ٣٠٣/٣٠.

(٤) سورة النحل: الآيات ١٠- ١٣.

وقد تكون وسيلة الإقناع جامعة ، ومن ذلك قوله تعالي : « **وفي الأرض آيات للموقنين* وفي أنفسكم أفلا تبصرون**» (١) .

جاء فى التفسير القرآنى للقرآن ، أن قوله تعالي «للمؤمنين» إشارة إلي أنه لا ينتفع بتلك الآيات الكونية ، ولا يقع علي مواقع الهدي منها إلا أهل اليقين ، الذين يطلبون العلم والمعرفة بالبحث الجاد والنظر المتفحص ، ومن هذه الآيات الأرض والنفس التى بين جنبى الإنسان ، يكفى أن تنظروا إلي أنفسكم فهى عالم رحيب وكون فسيح ، فهذه مشاهد للقدرة الألهية (٢).

كما أن هنالك طرق أخري للفكر تجمعها آية واحدة هى قوله تعالي : « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ...** » (٣) .

ولم تكن حرية الفكر مضمونة ومكفولة فى الإسلام ، إلا لأن العقيدة الإسلامية مبنية براهينها علي النظر فى الكون ، ودراسته دراسة واعية ، حتي يتبع الإنسان الهداية الربانية التى يهتدى بها عن عقل وإقناع ، فلا يمكن دراسة هذا الكون دراسة علمية إلا إذا كانت حرية الفكر سليمة .

فمن حق الفرد أن يتمتع بهذه الحرية التى حررته من الأوهام والخرافات والوقوع فى أسر التقليد الأعمي .

والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا فى مقام التعظيم والتنبيه إلي الوجوب بالعمل به والرجوع إليه ، وفى عشرات من الآيات القرانية ، بل مئات منها تتكرر فى كلمة (العقل) وما أرتبط بها من ألفاظ (الفقه) و(العلم) و(التفكير) علي النحوال الآتى :-

١- (عقل) ومشتقاته - عقلوه - تعقلون - تعقل - يعقلون ... إلخ ذكرت ٤٨ مرة .

---

(١) سورة الذاريات : الآيتان ٢٠ - ٢١ .

(٢) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، عبدالكريم الخطيب ٢٦ /٥٠٨ ، دار الفكر العربى . والتفسير الواضح ٣/٨٦ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

٢- (علم) ومشتقاته - علم - يعلم - يعلمون -.... إلخ ذكرت ٨٦٦ مرة .

٣- (فقه) ومشتقاته - تفقهون - تفقه - يفقهوا - يفقهون -.... إلخ ذكرت ٢٠ مرة

٤- (فكر) ومشتقاته - فكر - تتفكروا - يتفكرون-... إلخ ذكرت ١٩ مرة .

٥- (وعي) ومشتقاته - تعيها - أوعي - واعية - ...إلخ ذكرت ٤ مرات [١] .

والإسلام يقرر للإنسان أن يفكر فيما شاء وكما يشاء ، وهو آمن من التعرض للعقاب علي هذا التفكير .

أما إذا فكر الإنسان فى أعمال تحرمها الشريعة و لم يأت بها فلا شيء عليه ، لأن العلة فى ذلك أن الشريعة لا تعاقب الإنسان علي أحاديث نفسه ، ولا تؤاخذه علي ما يفكر فيه من قول أوفعل محرم ، وإنما يؤاخذه علي ما آتاه من قول أوفعل محرم ، وذلك معني قول الرسولﷺ: (إن الله تجاوز لأمتى عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم [٢])[٣] .

وخلاصة ذلك أن الإسلام جعل للفرد حرية الفكر والتفكير والتدبر والنظر ، وحرية الفكر فى الإسلام حرية شاملة تشمل المسلم وغير المسلم .

والمجتمع الإسلامى كفل هذه الحرية ليميز الفرد فى مجتمعه بين الحق والباطل ، وبين الغث والسمين حتي يصل إلي الحقيقة ، ولتكون المصلحة لمجتمعه ، ولتزدهر الحياة الثقافية التى تضمحل دائما فى حكم الإستبداد كيفما كان لونه .

فحرية الفكرفى الإسلام مصونة ، وعلي الدولة أن تتكفل بحمايتها من كل إعتداء عليها ، إلا أن هذه الحرية مرهونة بشرطين أساسيين هما :-

---

(١) انظر : المعجم المفهرس ، محمد فؤاد عبدالباقى ص ، ٤٦٨ ،٤٦٩ وما بعدها ، وص ٥٢٥ - ٧٥٦ ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٥/ ١٩٠ ، كتاب العتق ، باب ٦ ، الخطأ والنسيان فى العتاقة والطلاق ونحوه ، حديث رقم ٢٥٢٨ . واللفظ مختلف بعض الشيء وسنن ابن ماجه ٢/ ٦٥٩ ، كتاب الطلاق ، باب ١٦ ، طلاق المكره والناسى ، حديث رقم ٢٠٤٤ .

(٣) انظر : التشريع الجنائى الإسلامى عبدالقادر عودة ، ١/ ٣١ ، دار الكتاب العربى - بيروت .

– عدم التفكير فى ذات الله ، لأن حرية الفكر والتفكير قاصرة علي ما أظهره الله لخلقه من آيات، ولأن العقل محدود فى العلم والتغير من هذه الناحية ، ومن ثم يجب أن يقف الفكر عند حدود علمه وقدرته .

– منع الفكر المؤدى إلي هدم المجتمع والدولة أوأصل من أصول الدين .

رابعاً : حرية الرأي[1].

يطلق الرأى علي النظر العقلى لأجل المعرفة ، كما يطلق علي ما يتوصل إليه العقل من إعتقاد بعد النظر[2] .

وحرية الرأى هى : حرية الإنسان فى طرق النظر العقلى وأساليبه دون أن تفرض عليه قيود أو موانع ، أو هى حق الشخص فى التعبير عن أفكاره ومشاعره بإختياره وإرادته ما لم يكن ذلك إعتداء علي حق الغير .

ولا قيمة لحرية الفكر وحرية الإعتقاد والتدين مالم يكن هنالك حرية التعبير ، فالفكر والإعتقاد من الأمور الخفية ، والتعبير عنهما هو المظهر العملى التطبيقى للحرية بأشكالها المختلفة ، فالرأى هوالثمرة التى ينتجها الفكر السليم ، والإتجاه المستقيم إلي طلب الحقائق وإعلانها ، وإذا كانت حرية الرأى والفكر هى السبيل الوحيد لدراسة الكون وما يجرى فيه ، فإن الله قد حث المسلمين عليها ودعا إليها ونهي عن التقليد لأنه علي تمام النقيض لحرية الرأى فلا يجتمعان ، والأدلة القرآنية علي حرية الرأى كثيرة منها قوله تعالي : « **أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى* أو أمر بالتقوى** »[1] .

---

(١) **الرأي لغة** : هو الإعتقاد ، والرأي اسم لامصدر ، والجمع آراء ، وقيل بمعنى المشاورة يقال إسترأيت الرجل في الرأي بمعنى استشرته ورآءيته ، وهو يرائيه أي يشاوره . ويقال فلان له رأي بمعنى له مشورة في القول . وواهل الحديث يسمون أصحاب القياس بأصحاب الرأي ، يعني أنهم يأخذون بآرائهم فيما يشكل من الحديث ، أو مالم يأت فيه حديث ولا أثر . انظر : لسان العرب ١٤/٣٠٠ –٣٠٢ . ولقد عد صاحب قاموس القرآن لمادة رأي خمسة وجوه ، وهي العلم والمعاينة والنظر والإعتبار والخبر . انظر قاموس القرآن ، ص ١٨٨.

(٢) القاموس المحيط ، ٤/٣٢٥.

(٣) سورة العلق : الآيات ٩ – ١٢ .

ففى هذا القول تعجب إنكارى يتضمن التوبيخ والنهى لذلك الذى ينهي النبى ﷺ عن الصلاة ، فيعطل حريته فى الإعتقاد والعبادة ، وينهاه عن أن يهدى الناس بالمعتقد الجديد ، ويدعوهم إلي مقتضياته من التقوي ، فيحول دون حرية تبليغ الرأى والإقناع به [1] . ويكفى أن هذه الآيات التى تتضمن حرية الرأى أدرجت ضمن أول القرآن نزولاً [2] ، للدلالة علي مكانة حرية الرأى فى سلم التشريع الإسلامى . وقد تكرر فى التعاليم الإسلامية أن حرية الرأى هى المدخل المعبر إلي الحق ، فلا يكون الإ يمان بالعقيدة إيمانا كاملاً فى ميزان الدين إلا إذا بنى علي حرية فكرية تتيح التدبر الذاتى بغير توجيه من مؤثرات خارجية ، كموروثات الآباء أو توجيهات الآخرين [3] .

إن الفرد فى المجتمع الإسلامى له حرية الرأى ، فكل فرد يستطيع أن يعلن برأيه ويجهر به وبحجته دون أن يصاب بأذي ، أو يلحقه خوف حتي ولو كان رأيه خاطئ.

فالمجتمع الإسلامى ليس مجتمع إجبار و لامكمما للأفواه ، بل هو مجتمع قائم علي رعاية المبادئ التى يؤمن بها كل فرد عن إقتناع وإختيار .

ولقد أمر سبحانه وتعالي رسوله أن يشاور المؤمنين فى الأمر ، وأن يستمع إلي كل رأى ثم يتبع ما هو راشد من هذه الآراء . قال تعالي : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** » [4].

---

(١) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٨٠٤ ، والتحرير والتنوير ٣٠ /٤٤٧ .

(٢) لم تكن هذه الآيات نازلة مع الآيات الخمس الأولى من سورة العلق التى كانت أول القرآن نزولا ، ولكنها علي الأرجح أنها نزلت بعد فترة من نزول الآيات الأولي. انظر: التحرير والتنوير ، ٣٠/٤٤٤ .

(٣) انظر : دور حرية الرأى فى الوحدة الفكرية بين المسلمين ، ص ٤٦ ، د . عبدالمجيد النجار ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى – الولايات المتحدة ، الطبعة الأولي ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(والشوري من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، من لايستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، هذا ما لاخلاف عليه)[1] ، فواجب علي الولاه مشاورة العلماء فيما لايعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين ، حتي لا يكثر غلطهم فإن من إستشار يقل خطأه .

ومما سبق يتبين أن هذا دليل واضح علي كفالة حرية الرأى فى مجتمع الإسلام ، وذلك من السفه والحماقة أن يقال أن الإستبداد من خصائص الحكومة الإسلامية ، لأنها تطبق نظماً ونصوصاً وأحكاماً لا مجال فيها للرأى ، والحقيقة أن المجتمع الإسلامى قد قام علي أرسخ القواعد فى حرية الرأى وإتسع للنقاش المخلص والحجة السليمة ، ولو كان هنالك الرأى الخاص أو الإستبداد فى الرأى لما كان الوحيعليه السلام ينزل علي الرسولﷺ ويرشده إلي الصواب ، فلقد كان عليه الصلاة و السلام ذو حظ وافر من السداد فى الرأى ، وذو حظ عظيم من العقل ورجاحة الذهن بدرجة الكمال البشرى ، ومع ذلك بما أتصف به عليه الصلاة والسلام من هذه الصفات إلا أنه كان يستمع إلي الآراء و ينتقبل الصواب منها وهذا كله فى الأمور الدنيوية وليست فى الأمور الدينية والتى هى أصل من أصول الدين .

فهكذا نري أن الإسلام وقف من حرية الرأى موقفاً مشرفاً ، وذلك فى سبيل نشر الدعوة ونصرة الحق وإزاحة الباطل ، لأجل أن يستمر المجتمع فى تقدمه وإزدهاره ، والحرية فى الرأى وسيلة أيضا للتعبير عن الذات وإصلاح الحكم .

والإسلام أمر بأن تعلن حرية الرأى صراحة فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالي : «**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...**»[2]

أورد صاحب تفسير إرشاد العقل السليم ، أن الله أمر فى هذه الآية بتكميل الغير وإرشاده وتهذيبه من أوامر ونواهى ، وفى هذا ردع عن الإخلال . والخطاب توجيه للكل مع إسناد الدعوة إلي البعض لتحقيق معني فرضيتهاعلي الكفاية وأنها واجبة علي الكل ، لكن إن قامت من البعض سقطت عن الأخرين ، ولو أتي بها الكل لأثموا جميعاً[3].

---

(١) تفسير القرطبى ، ٢٤٩/٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٣) انظر: تفسير أبى السعود ٦٧/٢ .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أقسام القول والكلام ، فالمكلف به هو بيان المعروف والأمر به ، وبيان المنكر والنهي عنه ، أما إمتثال المأمورين والمنهيين لذلك ، فموكول إليهم أو إلي ولاة الأمور الذين يحملونهم علي فعل ما أمروا به ، والمعروف والمنكر إن كانا ضرورين كان لكل مسلم أن يأمر وينهي فيهما ، وإن كانا نظريين فإنما يقوم بذلك أهل العلم [1] .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الإسلام وتحقيق ذلك يستلزم بداهة الرأى والتعبير، وكذلك النصيحة من حرية الرأي قالﷺ: (الدين النصيحة: قلنا لمن يارسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة – الحكام – المسلمين وعامتهم)[2]. فهذه حرية التعبير والنقد وإبداء الرأى فى معرض الإصلاح لا النقد الهدام لذات النقد

وقال تعالي آمراً المظلوم بأن يبدى رأيه فى مظلمته ويتشكي بأى وسيلة من وسائل التظلم : « **لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً** »[3].

ذكر الواحدى فى سبب نزول الآية أن رجلاً تَضَيَّفَ قوماً فأساءوا قراه فأشتكاهم ، فنزلت الآية رخصة فى أن يشكو المتظلم مظلمته . ومثل ذلك ذكر فى تفسيره [4] ، وقال قتادة * : أنها نزلت فى رجل شتم ابابكر الصديق رضى الله عنه ، وعندما رد

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ٤/٤١ .

(٢) صحيح البخارى ١/ ٣٠ ، كتاب الإيمان ، باب قول النبى صلي الله عليه وسلم الدين النصيحة ، حديث رقم ٥٧ ، وصحيح مسلم ١/ ٧٤ ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٥٥ / ٩٥ ، والترمذى فى سننه ٤/ ٢٨٦ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى النصيحة حديث رقم ١٩٢٦ . قال عنه الترمذى: حديث حسن صحيح ، والنسائى ٧/ ١٥٦, ١٥٧ ، كتاب قسمة الفئ ، حديث رقم ٤١٩٧ ، ٤١٩٨ ، ٤٢٠٠ (٣) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

(٤) أسباب النزول للواحدى ، ص ١٣٨ ، وانظر كتاب الوجيز فى تفسير القرآن العزيز للواحدى أيضا ١/ ١٨١ ، وانظر : تفسير البحر الميحط ٣/ ٣٨١.

* **قتادة** : هو قتادة بن دعامة السدوسى ، عالم بالتفسير ثقة ثبت تتلمذ علي يد . عبدالله بن سرجس ٥ من تلاميذه شعبة و أبو عوانة وغيرهم ، ومن مصنفاته تفسير قتادة الذى رواه عنه شيبان عبدالرحمن التميمى ، توفى رحمه الله بالطاعون . سنة ١١٨هـ و قيل ١١٧ هـ ، وعمره ٥٧ سنة . انظر : تهذيب التهذيب ، ٨/ ٣٥١ ، رقم ٦٣٥ ، وطبقات المفسرين للداوودى ٢/ ٤٧ – ٤٨ ، وميزان الإعتدال ٣/ ٣٨٥ ، رقم ٦٨٦٤ .

أبوبكر علي ذلك الرجل بعد أن تمادي فى شتمه لأبى بكر ، غضب الرسولﷺ من ذلك فنزلت [1] .

وقد فسر السوء بالشتم ، وفسر بالدعاء علي الظالم ، وعدم المحبة فى الآية بمعني السخط .

بين ابن كثير أن ذلك رخصة للمظلوم فى أن يدعو علي ظالمه ، أو يجهر له بالسوء فإن صبر كان ذلك خيراً له [2] .

والآية الكريمة وإن كانت تدعو ضمناً إلي الجهر بالسوء من القول لمن ظلم ، وإبداء الرأى الصواب والخير ، فإنها قررت أيضا مبدأ حرية الرأى الذى لم يصل إليه تشريع حتي الآن وحتي الغد ، وهو أنه إذا استشعر الإنسان بالظلم ، له أن يجهر بصوته ولو بسيء القول . فهذه هى حرية الرأى التى أنفرد بها الإسلام ، حتي يلفت إليه النظر إلي مظلمته ، ما دام قد إنصرفت عنه آذان من يجب عليهم الإستماع إلي شكايات الناس . وحرية الرأى فى القول ضد الظالم تعتبر جهاداً فى سبيل الله فيقول ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[3] .

فالإسلام أباح للفرد أن يبدى رأيه بالقول أو بغيره ما يشاء دون المساس لمشاعر الآخرين ، فلا يصح أن تستخدم الألفاظ البذيئة للإستخفاف بالشريعة أو نبذها ، أو لاثارة الشغب والفتن ضد الحكومة الإسلامية ، أو للدعوة إلي الرذيلة أو الإستهتار بالآداب العامة بإسم حرية الرأى، سواء كان ذلك بالكتابة أو بالخطابة أو بالنقد ، فلا تعني حرية الرأى ماذهب إليه البعض بأن يعلن إلحاده ويتباهي به ، أو أن يهاجم العقيدة الإسلامية بحجة تحرير الفكر من الجمود أو الخرافة أو الطغيان .

فإن كانت حرية الرأى والفكر قادت المجتمعات الغربية إلي الإلحاد والإنحلال الخلقى عند سيطرة الكنيسية علي المجتمع ، فالمقابل إن حرية الرأى قادت الأمة

---

(١) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ١٣٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٥٧٠.

(٣) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٢٩، كتاب الفتن ، باب ٢٠ ، الأمر بالمعروف النهى عن المنكر ، حديث رقم ٤٠١١ ، وسنن النسائى ٧/ ١٦١ ، كتاب البيعة ، باب ٣٧ ، فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر، حديث رقم ٤٢٠٩ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٢٥١ ، راوى الحديث أبو سعيد الخدرى .

الإسلامية إلي الإبداع والإستكشاف ، والتقدم العلمى ونشرالحضارة وحل المشكلات المعضلة ، دون إلزام للناس أو إكراه لهم علي رأى معين.

ومما سبق نجمل القيود التى فرضها الإسلام علي حرية الرأى .

- عدم نشر الآراء المنحرفة والزندقة بين المسلمين .
- ألا يتجاوز الرأى حده بالإعتداء علي حدود الفضيلة والأخلاق والآداب .
- منع الإسلام وحذر من نهش الأغراض وسباب الناس ورميهم بالسوء وإذاعة سرهم وفضح شرهم قال ﷺ : (ليس المؤمن بالطعان و لا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ)[1].

وعدم جواز المراء [2] والمجادلة[3] ، قال تعالي : « **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير** »[4] . فالمجادلة والمخاصمة بغير علم وبيان وبغير كتاب من الله لايأتى بصحة القول ، إنما يكون ذلك عن جهل وتكبر .

قال الطبرى : (يقول جلّ شأنه ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وإقراره بالألوهية بغير علم منه بما يخاصم به ، ولاهدي ، يقول : وبغير بيان لما يقول ولابرهان ، ولاكتاب منير ، يقول : وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول ، منير ، يقول ينير عن حجته وإنما يقول ما يقول من الجهل ظنا منه وحسبانا)[5] .

---

(١) سنن الترمذى ٣٠٨/٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ٤٨ ، ما جاء فى اللعنة ، حديث رقم ١٩٧٧ ، قال أبو عيسي : هذا حديث حسن غريب ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٠٥/٥ -٤١٦ .

(٢) **المراء** : هو الإعتراض علي كلام الغير والطعن فيه ، بإظهار خلل فيه إما فى اللفظ أو المعني أو قصر الكلام . إحياء علوم الدين ١٠١/٣ ، أبى حامد الغزالى ، مكتبة عبدالوكيل الدروبى - دمشق . والتعريفات للجرجانى . ص ٢٦٦ .

(٣) **المجادلة** : هى قصد أفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه ، بالقدح فى كلامه وسبقه إلي القصور والجهل فيه . المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) سورة الحج : الآية ٨.

(٥) تفسير الطبرى ، ١٢٠/١٠ .

خامساً : الحرية السياسية

كما أن الحريات السابقة التى تحدثنا عنها مكفولة للفرد وللجماعة ، فكذلك الحرية السياسية مكفولة أيضا فى المجتمع الإسلامى ، فقد أباح الإسلام للأفراد وللجماعات أن يبدوا آرائهم فى الحكم ماداموا لايخرجون عن طاعة الله ، ولا يسعون فى الأرض فساداً.

(والحرية السياسية فى مفهومها ، هى إحترام رأى الفرد فى الحكم ، بحيث لا تضيع شخصيته فى شخصية الحاكم ، بل يكون لرأيه سلطان فيما يراه ولو فى شخص الحاكم متي يسير الحاكم عن الطغيان والظلم) [1] .

والإسلام صان الحرية السياسية بأمور ثلاثة :-

- أن جعل أمر المسلمين شوري بينهم ، وهذا يجعلهم شركاء فى الحكم ، يتحملون اختيارهم للحاكم .

- وأنه ليس فى الإسلام من ذاته مصونة ، بل الجميع أمام الشرع سواء ، وكل يخطئ ويصيب وما إضطهاد الحاكم بآراءه إلا لإعتقاده أنه منزه فى نفسه عن الخطأ ، وتزيين المنافقين له.

- وما أوجبه الإسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا الواجب سهل علي الناس فى إبداء آرائهم فى أعمال الحكام من غير فتنة ولاتحريض علي الفساد ، ولقد كان بعض الناس يتطاولون علي مقام النبىﷺ ، ويعترضون علي ما يقوم به من أعمال ومع ما أنطوت نفوسهم عليه من مرض النفاق . كما كان الرسول ﷺ يلومهم ، حتي لا يتخذ بعض الأمراء من بعده مسوغاً لمنع الناس من إبداء آرائهم ، فكانﷺ يتحملهم مع مرارة ذلك ، ويأخذهم بالرفق ، ولقد سجل القرآن ذلك فأشار إلي ما كان يقوله المنافقون [2] .

قال تعالي : « **ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**»[3].

---

(١) حرية الفكر فى الإسلام ، عبد المتعال الصعيدى ، ص ٨ ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية.

(٢) انظر المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام ، محمد أبو زهرة ، ص ٢٠٢.

(٣) سورة التوبة : الآية ٥٨.

قال القرطبى فى تفسيره لهذا الآية : (وصف الله تعالي قوماً من المنافقين بأنهم عابوا النبى ﷺ فى تفريق الصدقات وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم)[1].

ذكر أن سبب نزول الآية الكريمة ، أنه جاء (حرقوص بن زهير) أصل الخوارج ، كان رسول الله ﷺ يقسم مالاً فقال له : اعدل يارسول الله فقال (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل) ، فنزلت الآية[2]

ومن الحرية السياسية ظهرت المعارضة [3] فى ظل الدولة الإسلامية ، المعارضة المشروعة التى لا تخرج فى وسائلها وأهدافها عن منطق الدين والعقل والمصلحة ، بعيدة عن هوي النفس . كما حدث ذلك فى عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر من هذا النوع ، لا المعارضة غير المشروعة التى هى لذات المعارضة فقط ، وهى التى يصاحبها تحقيق المصلحة الذاتية ولو علي حساب الإضرار بالدين وإفساد العقيدة ، ومنها معارضة المرتدين فى عهد الصديق رضى الله عنه ، حينما أمر علي عدم التفريق بين الصلاة والزكاة ، ومنها المعارضة التى قامت فى وجه عثمان * رضى

---

(١) تفسير القرطبى ١٦٦/٨ ، وفى ظلال القرآن ٢٤٠/٤ - ٢٤١ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدى ص ١٧٢ ، وتفسير القرطبى ١٦٦/٨ وقد ذكر الماوردى فى تفسيره أن حرقوص هو ابن ذى الخويصره التيمى . انظر : تفسير الماوردى ١٤٥/٢ .

(٣) **المعارضة** : هى مخالفة ومواجهة رأى أو موقف برأى آخر علي طرفى النقيض ، والمخالفة تمثل الوقوع فى الخطأ الذى يوجب العقاب أو اللوم ، فهي فى الغالب أمر غير مشروع ، أما المعارضة السوية فأمر مشروع يستمد قوته من طبيعة الإسلام وقيمة ، وهذا التفريق ليس علي إطلاقه ، فمن المخالفات ما هو مشروع بل هو واجب فى الدنيا ، كمخالفة الباطل والشيطان . والمعارضة تختلف عن النقد الفردي والإجتماعي فهو يعني إبراز الخطأ في فعل أو قول بقصد التوجيه إلى ما هو أسمى و أفضل انظر:المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق ص ٩٠ -٩١ ، د. جابر قميحه.

* **عثمان** : هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القريشى الأموى ، يكني بأبى عبدالله ، ولد فى السنة السادسة بعد عام الفيل ، هاجر إلي الحبشة مع زوجته رقية بيت رسول الله ﷺ ، ثم هاجر الي المدينة ولم يشهد بدراً ، ثم تزوج أم كلثوم بنت رسول الله () وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وثالث الخلفاء الراشدين كان ينفق كثيرا فى سبيل الله ، قتل بالمدينة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة . انظر : الإستيعاب ١٠٣٧/٣ - ١٠٥٣ رقم ١٧٧٨ .

الله عنه وإنتهت بإستشهاده .والأمثلة التطبيقية للحرية السياسية كثيرة فى المجتمع الإسلامى فكانت مع الرسول الله ﷺ وصحبه ، ومع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ورعيتهم ، لنضرب مثالاً واضحاً علي ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما كان صاعداً علي المنبر وطلب بألاتزاد المهور ، وحددها بأربعين أوقية ، فاعترضته إمرأة ، فقال عمر رضى الله عنه : أمرأة أصابت وأخطأ عمر [1] .

سادساً : الحرية الإقتصادية

جعل الله سبحانه وتعالي للإنسان نعماً كثيرة أسبغها عليه ، فجعل له الأرض ليمشى فى مناكبها ويأكل من رزقه ، وجعل له فيها فراشاً ، وسخرله هذه الدنيا لتكون نفعاً له وعونا لمعيشته ، وجعلة مستخلفاً فى الأرض ، وله الحرية فى التملك . ومع ذلك علي الإنسان ألا ينسي أن الرازق والمالك هوالله سبحانه وتعالي و إن أيده بالإستخلاف ، فعليه أن يؤدى حقوق الغير من هذا التملك ، سواء كانت صدقات أم زكاة أم دفع أجور الناس ، ولبيان ذلك نوضح حرية التملك فى الإسلام .

حرية التملك

إعترف الإسلام بحرية التملك ، سواء كان منها التملك الفردى أم التملك الجماعى ، دون تصادم أو تعارض ، علي أن يكون هذا التملك عائدا فى النفع علي الفرد والمجتمع بالصلاح والخير . أما بالنسبة للملكية الفردية ، فقد نظر إليها الإسلام علي أنها فطرة انسانية ، و أن المال ضرورى لحياة البشرية ، ودعامة لقيام المجتمع وبنائه ، والقرآن الكريم زاخراً بالآيات الدالة علي شرعية التملك فقال تعالي : « **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ...** » [2] .وقال تعالي : « **... وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم** » [3] .

---

(١) انظر: سيرة عمر بن الخطاب ص ٣٦ ، لابن القيم الجوزى ولمزيد من التفصيل فى ضرب الامثلة علي الحرية السياسية فى المجتمع الإسلامى – راجع تاريخ الطبرى ١٢١/٣ –١٢٩ ، وسيرة ابن هشام ٣٠٨/٢ –٣١٧ و ما بعدها

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٩ .

(٣) سورة محمد : الآية ٣٦ .

قال ابن كثير فى تفسيره للآية :« وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم »: (أى هو غنى عنكم لا يطلب منكم شيئاً وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لإخوانكم الفقراء ، ليعود نفع ذلك عليكم ويرجع ثوابه إليكم)[١] .

وقال القاسمى فى تفسيره للآية : (قال بعض المفسرين : أن لا يسألكم جميع أموالكم ، بل يقتصر منكم علي جزء يسير كربع العشر وعشره ، إشارة إلي إفادة الجمع المضاف إلي العموم ...ومعني الآية إن تؤمنوا لا يسألكم الجميع ، أى لا يأخذه منكم كما يأخذ من الكفار جميع أموالهم ... والظاهر أن المراد بيان غناه تعالي عن عباده ، وإن طلب إنفاق الأموال منهم لعود نفعه إليهم لا إليه ، لإستغنائه المطلق ، فإن فى الصدقات دفع أحقاد صدور الفقراء عنهم) [٢] .

فنري من خلال التفسير للآية أن المال فى الأصل هو مال الله ، والله غنى عن عباده ، وجعل هذا المال مستخلفا لعباده فأعطاهم حرية التملك من هذا المال علي أن يعطوا حقه .

وبالاضافة إلي إقرار حرية التملك ودور المال فى حياة البشر ، دعا الإسلام الي حماية هذه الملكية. قال تعالي : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ... » [٣].

يقول إبن جرير فى تفسيره للآية ، يعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل فيما بينكم ، والأكل بالباطل يكون بغير الوجه الذى أباحه لآكليه[٤] . فمع هذه الحرية فى ملكية الأموال ، إلا أنها قيدت هذه الملكية بألا يكون المالقد أخذ بالظلم والباطل ، كالرشاوى والسرقة والقمار وغير ذلك .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٨١/٤ -١٨٢ ، وتفسير التحرير والتنوير ١٣٣/٢٦-١٣٤ .

(٢) تفسير القاسمى ٣٩٢/١٥ ٥.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ، ١٨٣/٢ ، وتفسير البيضاوى ص ٤٠ ، الدر المنثور للسيوطى ٢٠٣/١ ، وتفسير البحر المحيط لابن حيان ٥٧/٢، ٥٨.

قال تعالي : «**ولا تؤتوا السفهاء [1] أموالكم التي جعل الله لكم قياما ...** »[2].

ولذلك وضعت الشريعة الاسلامية رقابة علي الصغير والسفيه والمجنون ، لأنهم ليسوا أهلا للتصرف ، وذلك حماية لملكيتهم من الضياع .

الملكية الجماعية : فكما أن الفرد له الحرية فى التملك ، فكذلك أقر الإسلام الحرية فى الملكية الجماعية فى المال العام ، الذى هو شركة للناس جميعا فيتساوون فى أخذه . فهنالك أموال شائعة لا يجوز للفرد إحتجازها ، بل علي جميع الأفراد الإشتراك فيها مثل الكلأ [3] والماء والنار ، وهى مصادر الطاقة الأساسية . ويندرج تحتها البترول والحديد وكل ما فى باطن الأرض من نعائم وخيرات ، قال تعالي : «**...وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ...**»[4].

قال صاحب التفسير المنير : (وفى الحديد أيضا منافع كثيرة للناس فى شؤون معايشهم ، وتحقيق حاجياتهم فى المنازل والمصانع والمبانى والمعامل والأسلحة ، وأدوات وآلات الزراعة ووسائل النقل والمواصلات البرية والبحرية والجوية)[5].

فحرية التملك فى الإسلام مرتبطة بالقيود الشرعية والمصلحة العامة ، فتختلف عن المجتمعات الأخري ، سوء كان منها المجتمعات الرأسمالية الغربية أم المجتمعات

---

(١) ذكر صاحب قاموس القرآن أن السفه علي وجهين ، منها الجهل والخسران ، والمعني هنا هم الجهال ، وقال القرطبى عن السفهاء : هم اليتامي وقيل هم الأولاد الصغار ، وقيل هم الجهال بالأحكام ، وقال ابو موسي الأشعرى : هم كل من يستحق الحجر عليهم إما لصغره أو لجنونه . وهذا هو الجامع لمعني السفهاء . انظر : قاموس القرآن ، للدامغانى ، ص ٢٣٩ ، وتفسير القرطبى ٢٨/٥

(٢) سورة النساء : الآية ٥ .

(٣) **الكلأ** : هو العشب الكثير الذى ينبت لوحده دون تدخل إنسان فيه . انظر : القاموس المحيط ٢٦/١ مادة كلأ.

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

(٥) التفسير المنير ٣٣٤/٢٧.

الاشتراكية الشرقية . ومن القيود الشرعية فى حرية التملك عدم الإضرار بحق الآخرين ، أو عدم أخذ حقوقهم بغير حق .

وننتهى من ذلك بأن حرية التملك حق ثابت للفرد والمجتمع إذا أخذت بأسبابها المشروعة .

الرق : ونحن فى معرض الحديث عن حرية الفرد فى المجتمع الإسلامى نستوقف عند مشكلة الرق وموقف الإسلام منها، وذا بدء نتعرف علي مفهوم الرق لغة واصطلاحاً .

الرق لغة : الضعف ومنه رقة القلب . وفى عرف الفقهاء : عبارة عن عجز حُكمى شرع فى الأصل جزاء عن الكفر [1] .

والرقيق كلمة عامة تطلق علي من فقد حريته من الناس وأصبح ملك غيره .

فوضع الإسلام الأسس التى تكفل التخلص من نظام الرق ، وأبطل إستعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، فلا عبودية إلا لله الواحد الفرد الصمد . قال تعالي :« **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون** »[2] . أى وإن دينكم دين واحد يا معشر الأنبياء وملتكم ملة واحدة ، وهى الدعوة إلي عبادة الله وحده لاشريك له ، وما إختلاف الشرائع والأحكام إلا بحسب الأزمان والأحوال، فإن الدين أصله واحد وهو الإسلام [3] .

ونستخلص من التفسير أن لاعبودية لغير الله ، ولا إستعباد للبشر مع بعضهم البعض .

وقد يسأل سائل إذا كان الإسلام دين الحرية والمساواة فكيف أباح نظام الرق ؟ ذلك ما تلوكه ألسنة الباحثين مما لايدينون بهذا الدين الحنيف . ونرد علي هؤلاء بإيضاح الظروف التى أدت الي الرق .

---

(١) التعريفات للجرجانى ، ص ١٤٨ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

(٣) انظر : تفسير المراغى ٦/ ٣٠ .

ظروفه الرق وروافده : ظهر الإسلام فى مجتمع تعددت فيه جنسيات الأرقاء زنجاً وروماً وفرساً ... الخ .

والرق تعددت روافده وظروفه عندما وجدت الحروب القبلية التى جعلت الرقيق مصدراً للغنيمة ، ووجد الفقر المتفشى ، فكان مصدراً آخر من مصادر الرق ، فظهر وضعاً إجتماعياً سائداً فى أنحاء الأرض ، وإقتصاداً قائماً علي الرقيق . الرق وجد قبل ظهور الإسلام فى المجتمعات السابقة كالمجتمع الرمانى وغيره ، فالفيلسوف (أفلاطون) قد إعتبر نظام الإسترقاق ملازماً للجمهورية الفاضلة ، أو للحكومة الإنسانية فى مثلها الأعلي ، وحرم علي الرقيق حقوق المواطنة والمساواة، والفيلسوف (أرسطو) جعل الرق نظاماً من الأنظمة الملازمة لطبائع البشرية ، فلا يزال فى العالم أناس مخلوقين للسيادة ، وأناس آخرون خلقوا للطاعة والخضوع ، ولما ظهرت المسيحية فى بلاد اليونان كتب القديس (بولس) إلي أهل (إقسس) رسالة يأمر فيها العبيد بالإخلاص فى إطاعة. السادة ، كما يخلصون فى إطاعة السيد المسيح ، وجرت الكنيسة علي منهجه وقبلت نظام الرق .

فهكذا كان نظام الإسترقاق أصلاً معترفاً به ، ولم يكن إلغاؤه دفعة واحدة ، لأن ذلك يؤدى إلي توقف عجلة الحياة نفسها [1] .

والإسلام مع هذه الظروف جاء فواجه الواقع وأغلق كل المصادر والروافد التى تمد نهر الرقيق ، ولم يبق منها سوي الحرب المشروعة ، بل وحتي هؤلاء شرع لهم الفداء سبيلاً لحريتهم ، ثم ذهب فوسع المَصَّابْ التى تؤدى إلي تجفيف هذا النهر بالعتق والتحرير .

قال تعالي : « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها**

---

(١) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، د . عبدالفتاح عاشور ، ص ٤٦٠ -٤٦١ ، و نظام الرق فى الإسلام ، عبدالله ناصح علوان ، ص ١٧ ، دار السلام - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م والإسلام وحقوق الإنسان ، د . محمد عمارة ، ص ١٨ .

والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم» [1] .

جاء فى تفسير القرطبى عند قوله تعالي « وفى الرقاب » أى من فك الرقاب ، فيجوز للإمام أن يشتري رقاباً من مال الصدقة يعتقها للمسلمين ويكون ولاؤهم لجامعة المسلمين ، إن يشترهم صاحب الزكاة ويعتقهم فهذا جائز ، والمراد أن الله عندما ذكر الرقبة دل علي أنه أراد العتق الكامل ، ففك المسلم رق مسلم آخر عبادة آمر بها القرآن ، فأحري وأولي ان يكون ذلك فى فك المسلم عن رق الكافر وذلة [2] .

وقال سيد قطب رحمه الله فى قوله تعالي « وفى الرقاب» : (ذلك حين كان الرق نظاماً عالمياً ، وتجري المعاملة فيه علي المثل فى إسترقاق الأسري بين المسلمين وأعدائهم ، ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتي يتعارف العالم علي نظام آخر غير الإسترقاق ... وهذا السهم من المال كان يستخدم فى إعانة من يكاتب سيده علي الحرية فى نظير مبلغ يؤديه له ، ليحصل علي حريته بمساعدة قسط من الزكاة ، أو شراء رقيق وإعتقاهم بمعرفة الدولة من هذا المال)[3] .

بل ذهب القرآن ليعلم المسلمين أن البر الحقيقى ليس فى إستقبال المشرق والمغرب فى الدعاء والصلاة ، ولكنه فى أمور عديدة وأعمال كثيرة من بينها تحرير الأرقاء ، إما بشرائهم من مالكيهم أو إعتاقهم من الإسترقاق .

قال تعالي مبيناً ذلك :« **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين و آتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ...** » [4] .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٠ .
(٢) انظر : تفسير القرطبى ١٨٢/٨ -١٨٣ ، والكشاف ، ١٥٨/٢ .
(٣) فى ظلال القرآن ٢٤٤/٤ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

قال الفخر الرازى عند تفسيره للآية الكريمة مبيناً معني الرقاب ومفردها رقبة ، وهى مؤخرة أصل العتق ، وأن مكانها البدن مكان الرقيب المشرف علي القوم ، وبهذا المعني يقال أعتق الله رقبته ولايقال أعتق الله عنقه . وإختلف الناس فى الرقاب المذكورة فى آية الصدقات ، فمنهم من قال : أنه يدخل فيه من يشتريه فيعتقه ، ومن يكون مكاتبها فيعينه علي أداء كتابته ، فهؤلاء أجازوا شراء الرقاب من الزكاة المفروضة ، وقال آخرون : لايجوز صرف الزكاة إلا فى إعانة المكاتبين ، ومن حمل هذه الآية علي غير الزكاة أجاز الأمرين . ومن الناس من حملها علي وجه ثالث وهو فداء الأساري [1]

قال الماوردى فى تفسيره لقوله تعالي « وفى الرقاب » فيهم قولان : أحدهما أنهم المكاتبون، والثانى أنهم عبيداً يشترون بها السهم [2] .

ومما سبق يتبين أن الرقاب فى عتقها لها روافد كثيرة ، وما ذلك إلا لسد باب الرق وتضييق روافده .

والناظر للقرآن الكريم يجد أن المصطلح القرآنى جاء عند تناوله للرقيق بمصطلح الرقبة وليس العبد ، وأن هذا المصطلح دائم الإقتران بالتحرير . بدلل علي ذلك قوله تعالي : « **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما** » [3] .

إن المتأمل للقرآن الكريم يري أن التشريع الإسلامى جعل كفارة القتل الخطأ تحرير

(١) انظر : تفسير الفخر الرازى ٤٦/٥ ، وتفسير القاسمى ٣٩١/٣ .
(٢) تفسير الماوردى (النكت العيون) ، ١٤٨/٢ .
(٣) سورة النساء : الآية ٩٢ .

رقبة ، فيدرك من هذا تساوى الحرية بالحياة ، ففى مقابل إعدام حياة إنسان بالقتل يكون إحياء نفس مسترقة بالحرية، لآن رقة يساوى موته بينما تحريره هو الحياة . وقد لاحظ الإمام النسفى هذا الملحظ فقال فى تفسيره للآية : (... انه – أى القاتل – لما أخرج نفساً مؤمنه من جملة الأحياء ، لزمه أن يدخل نفساً مثلها فى جملة الأحرار ، لأن إطلاقها من الرق كأحيائها ، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات إذ الرق أكثر من آثار الكفر ، والكفر موتا حكماً «**أو من كان ميتاً فأحييناه** ...»[1]...)[2].

والأمثلة الشاهدة علي ذلك كثيرة منها قوله تعالي : « **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام...** »[3] .

إختلف فى سبب نزول الآية ، والراجح منها ما ذكره القرطبى فى تفسيره ، أنها نزلت فى قوم[4] حرموا علي أنفسهم الطيبات من الطعام واللباس والمنكح ، فلما نزل قوله تعالي « ... **لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ... »[5] قالوا : كيف نصنع بأيماننا ؟ فنزلت هذه الآية[6].

هذا وقد بين صاحب تفسير المنار أن تحرير الرقبة أعلي الثلاثة فى حنث اليمين وكفارته ، وأن سبب التعبير عن المملوك والأسير بكلمة الرقبة هو ما فيها من الدلالة علي معني الخضوع . فإن المملوك يكون بين يدى السيد منكس الرأس عادة ، ويكون

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

(٢) تفسير النسفى ٢٤٣/١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨٩.

(٤) عثمان بن مظعون حينما حرم علي نفسه الطعام والنساء بيمين حلفه، فأمره النبى () بالحنث فيه ، وأيضا نزلت فى عبدالله بن رواحة عندما حلف ألا يأكل من طعام شيئاً ، وذلك لما تأخرت زوجته عن تقديم الطعام لضيفه . انظر : تفسير الماوردى ، ٤٨١/١ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٨٧.

(٦) انظر : تفسير القرطبى ٢٦٤/٦ .

هذاالتنكيس بحركة الرقبة ، وكذلك الأسير توضع الأغلال فى عنقه ، وإذا أمر السيد عبده بأمره بأن يحنى رقبته إذعاناً لأمره [1] .

والمراد من تفسير الآية الكريمة أن من ضمن كفارة اليمين والحنث فيها إعتاق رقبة ، أى تحريرها من العبودية لغير الله ، لقول الرسولﷺ كما جاء فى الصحيح : (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتي يعتق فرجه بفرجه)[2] . وأيضا من الآيات الكريمة التى تحث علي عتق الرقبة قوله تعالي : « **والذين يظاهرون [3] من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير** »[4].

بين سبحانه وتعالي أن من يظاهر إمراته فكفارة ذلك تحرير رقبة [5] .

وقوله تعالي : « **وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة** »[6] .

فيتضح من هذه الآيات الكريمة موقف الإسلام من الرق حين يجعل القرآن (فك الرقاب) تجربة الإنسان الكبري التى تدل علي إيمانه بالحق وإثيارة ما عند الله وإستحقاقه لرضوانه .

هكذا رأينا أن الإسلام سد منافذ الرق ، ووصد أبوابه أشد إيصاد ، وإن كان بعض

---

(١) انظر : تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) ، محمد رشيد رضا ٣٨/٧ ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥١/١٠ ، كتاب العتق ، باب فضل العتق.

(٣) **معني الظهار** : وأن يقول الرجل لأمرأته أنت علي كظهر أمى أو غير ذلك من الفاظ كأن يقول أنت علىّ كظهر أختى أو إبنتى فهذا يعد ظهراً وإن إختص بالأم لأن الأم من المحاورم و، كذلك الأخت والبنت .

(٤) سورة المجادلة : الآية ٣.

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣١٨/٤ ، وتفسير الفتح القدير ١٨٤/٥ و التفسير الواضح ٤/٣–٥.

(٦) سورة البلد : الآيات ١٠ –١٣.

الرقيق وجدوا فى ظل المجتمع الإسلامى ، فحظيت هذه الزمرة بنسائم الحرية ، وبتكريمهم وإحترام إنسانيتهم ، . وذلك من أن الإسلام منع الأحرار فى المجتمع القرآنى من أن يقول أحد منهم عبدى وأمتى لقوله ﷺ : (لايقل أحدكم عبدى وأمتى بل فتاى وفتاتى)[1] .

ومنع تكليفه فوق طاقته وأن يطعمه ويلبسه مما يأكل ويلبس ، وأن يكرمه لانه لافرق بين حر ومملوك إلا بالتقوي ، وأن تكريم الرقيق فى المجتمع الإسلامى نلمس ذلك فى قوله تعالي: « **ومن لم يستطع منكم طولاً** [2] **أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ...** »[3].

شبهة والرد عليها

قد يقول قائل أما كان الأولي أن يمنع الإسلام الرق مادامت الكرامة الإنسانية حقاً ثابتاً لكل إنسان من غير النظر إلي لونه أو جنسه أو دينه ؟.

نقول : إن القرآن كما وضحنا سابقاً لم يرد فيه نص يبيح الرق أو يقرر عليه ، وكانت غالب الآيات القرآنية التى تحدثت عن هذا الموضوع جاءت بصيغة العتق ، وكذلك لم يثبت عنه ﷺ أن أقر إنشاء رق علي حر لا فى الحرب ولا فى السلم ، وما كان فى الحروب من رق إلا من قبيل المعاملة بالمثل تطبيقاً لقوله تعالي : « ... **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين** »[4] ، وقد كان الأعداء الذين يحاربونهم يسترقون ، فكانت المعاملة بالمثل ، فإن لم يسترقوا فلا يجوز للمسلمين أن يسترقوا ، . لأن ذلك إعتداء والله يقول ، ولاتعتدوا ، ونري الإسلام فى أحكامه وتشريعاته قد فتح باب العتق علي مصراعيه ، فكما رأينا آنفا من تفسير لبعض الآيات القرآنية الكريمة

---

(١) سبق تخريجه فى الفصل السابق – المبحث الرابع ص

(٢) **طولاً** : غني وسعة . وأصل الطول الفضل والسعة ، لأن المعني كالطول فى أنه ينال به معالى الأمور . انظر : تفسير الماوردى ، ١/٣٧٩.

(٣) سورة النساء : الآية ٢٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٤ .

أن المسلم إذا حلف يميناً وحنث فيه وجب عليه عتق رقبة ، وإذا أفطر فى شهر رمضان متعمداً وجب عليه عتق رقبة ، وإذا ظاهر إمرأته وحرمها علي نفسه وجب عليه عتق رقبه حتي يقرب منها ، وإذا قتل مؤمناً خطأ وجب عليه عتق رقبة مؤمنة ، وإذا لطم السيد مملوكة كانت كفارة ذلك إعطاءه حريته ، وهكذا لو نفذت هذه الأمور علي وجهها الأكمل لم يبق ارقاء الحروب .

وفى نهاية الحديث عن الرق فى المجتمع الإسلامى ودور الإسلام فى تقليصه وسد روافده، فالمجتمع الإسلامى وإن إضطر لنظام العالمية فى الأسر والرقيق إلا أنه أذاب الفروق الشاسعة التى كانت بين الأحرار والرقيق ، وحارب هذا الرق وسد منافذه ، وعامله بكل تكريم لإنسانيته ، فله حق الكرامة والحياة ، ومتساوى فى الجنس البشرى مع غيره فى الحقوق والواجبات .

وها نحن ولله الحمد والمنة أن مجتمعاتنا خالية من الرقيق ، وإن كان فى المقابل فى المجتمعات الأخري منتشرة هذه الظاهرة ، مثل رق الخطف والسطو والنخاسه ، أوتجارة الرقيق الأبيض، فيبيعون الأطفال إلي بلاد أخري بعد خطفهم ، ولاننسي العنصرية فى أمريكا وغيرها من البلاد الإستبدادية [1] .

أثر الحرية على الفرد والمجتمع

إن صون الحريات وحماية الملكيات أشاع فى المجتمع وفى حياة الأفراد الطمأنينة فإذا ما سادت الحرية المطلقة فى المجتمع تدب الفوضي ، فلا يسعد أفراده ولا يأمن المجتمع نفسه .

الحرية أساس المجتمع فى بنيانه السليم ، فكلما كانت الحرية مصونة ومكفولة ولها

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : القرآن والمجتمع الحديث ، عبدالرازق نوفل ،ص ٨ ، ٣٦ – ٤٠ و ما بعدها ، ونظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر ص ٩١-٩٢ ، د. على سالم الدباهين ، دار الفكر العربى – القاهرة ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية التربية جامعة طنطا ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م –١٩٨١م ، والدستور القرآنى فى شئون الحياة – ٧٨/٢ –٨٣ ، والنظم الإسلامية ، ص ٢١٨ –٢٢٠ أنور الرفاعى – دار الفكر ، والمجتمع الإسلامى ، مصطفي عبدالواحد ، ص ١٢١ –١٢٨ .

حدودها وقيودها إزدهر المجتمع وتقدم فى مدار الرقى ، وإذا مُست الحرية إهتزت ثقة الفرد فى مجتمعه ، ولا يكون المجتمع بالمعني المعهود إذا كانت غالبية أفراده ليسوا أحراراً ، فلا مجتمع بدون حرية ، فالحرية هى حق أساسى للفرد والمجتمع ، يتمتع بها فى تحقيق ذاته ، وإبراز قدراته ، وسلب الحرية من المجتمع سلب لأهم مقوماته فهو أشبه بالأموات فلهذا الأثر فى انحطاطه وتأخره وشتاته وإندثار المجتمع بأكمله .

قضت الحرية علي الإسترقاق والإستعباد ، وحررت الإنسان من العبودية والتذلل ، فأنقذت كرامته من الإمتهان بها .

للحرية الأثر فى الفكر الفردى وإبداء لرأيه ، فأنتشرت العلوم وظهرت المواهب الفذة ، وبالحرية أحترمت شخصية الفرد وبها وصل الفرد إلي الحقيقة التى جعلته يسير علي الطريق السوى .

بالحرية رجعت الحقوق لأصحابها ، فلا يهضم حق ولم يكن للظالم مكاناً فى مبدأ الحرية ، فتكسرت شوكة الطغاة المتجبرين .

للحرية أثر فى العبادات ، فأصبح الفرد يؤديها بكل إطمئنان علي كامل وجهها ، فلا أداء للعبادات بكاملها فى ظل الإستبداد والقهر والجبروت .

إن الحرية فى الإسلام إشعاع داخلى ملأ جنبات النفس الإنسانية بإرتباطهابالله ، فإرتفع الإنسان بهذا الإرتباط إلي درجة السمو والرفعة ، فأصبحت النفس تواقه لفعل الخير وإقامة العدل وإحقاق الحق .

قامت العلاقة بين الأفراد علي أساس من التفاهم والمودة والمحبة ، فما دام الأفراد مختارين فى إقامة العلاقات فيما بينهم غير مكرهين علي ذلك فينشأ التفاهم الذى لايشوبه شائبه . وبعد ... فإن الحديث عن الحرية فى المجتمع الإسلامى كدعامة من دعائمه حديث طويل وعميق ، حسبنا أننا وقفنا علي ملامحه الأصيلة ، وتأملنا ركائز الحرية وحدودها فى المجتمع المسلم ، ويكفى لهذا المجتمع فخراً بأنه لا يحقق حريته علي حساب حريات الآخرين ففى الوقت الذى يحرص على حريته يحرص أيضا علي حرية غيره ، فلا يصح صنيع المجتمعات الأخري التى تقدس الحرية لنفسها ، وتستهين بحرية الآخرين، ضاربة عرض الحائط بكرامتهم وإنسانيتهم.

الفصل الخامس

التكافل الإجتماعي

ويتكون من ستة مباحث :-

المبحث الأول :

معنى التكافل لغةً وإصطلاحاً .

المبحث الثاني :

الدليل الشرعي والعقلي على مبدأ التكافل .

المبحث الثالث :

مصدر التكافل و آفاقه .

المبحث الرابع :

صور التكافل الإجتماعي وأنواعه.

المبحث الخامس :

السبل والوسائل لتحقيق التكافل الإجتماعي.

المبحث السادس :

المستحقون للرعاية في المجتمع الإسلامي .

المبحث الأول
معنى التكافل لغةً وإصطلاحاً

المبحث الأول
معنى التكافل لغةً وإصطلاحاً

توطئة :

بعد التحدث فى الفصل السابق عن الدعامة الرابعة ، والتى يقوم ويرتكز عليها المجتمع الإسلامى ، ألا وهى الحرية وقيدوها ومظاهر وألوان الحرية فى الإسلام وأثر ذلك علي المجتمع المسلم . نتحدث فى هذ الفصل عن التكافل الإجتماعى فى المجتمع الإسلامى ، فقد و جدنا الرسول ﷺ يقيم مجتمعه الأول فى المدينة المنورة علي التكافل الإجتماعى إنطلاقا من مبدأ الإيمان بالله ، حيث وجد فى المدينة الأنصار ، أصحاب الثراء والمال ، إذ يفد عليهم المهاجرون ، وقد خلّفوا ما يملكون فى مكة المكرمة ، ولم يحملوا معهم إلا زاد الإيمان ، ومن منطلق القرآن الكريم الذى دعانا إلي أن نكفل فئات من الناس أن نحوطهم بالعناية والرعاية ، بحيث نفرح لفرحهم ، ونأسي لمآسيهم ، وإن أهم من نوليهم إهتمام رعايتنا هم الوالدين قال تعالي : « **واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا...** »[1] .ثم يأتى بعد ذلك القرابة ، ويريد الإسلام بذلك أن ينظر إلي الأسرة ، التى هى النواة فى المجتمع الإسلامى ، حتي تكون أسرة متحابة مترابطة قوية التماسك .

فما المجتمع الإمجموعة من الأسر يقوي بقوتها وبمقدار ترابطها . والإسلام يتدرج فى ربط المجتمع مع بعضه البعض ، عن طريق الإحسان والتعاون والتراحم والتواحد والإخاء .

وسنبين إن شاء الله فى هذا الفصل مفهوم التكافل وألوانه ومظاهره ، وأثره علي الفرد والمجتمع .

معنى التكافل لغة :

قال صاحب القاموس المحيط : إن الكَفَلُ بفتح الكاف بمعني العجز ، والجمع

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٦ .

أكفال، وبالكسر الضعف والنصيب واحظ ، والكفيل بمعني المثيل ، والكافل العائل ، يقال كفله وكفّله والضامن هو الكفيل يقال ، كفله ضمنه ، والكافل المجاور والمحالف والمعاقد والمعاهد . وإكتفل بكذا أولاه كفله[1].

وقال صاحب لسان العرب مثل ذلك وزاد بعض التعريفات لمادة كفل [2] . ومادة (كفل) لها في اللغة إشتقاقات كثيرة نذكر منها مايلى :-

١- الكفل: بمعني الضعف والنصيب ، ومن قوله تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله ، يؤتكم كفلين من رحمته ...** »[3] . أى ضعفين ونصيبين من الأجر .

٢- **الكفيل** : بمعنى الشاهد والرقيب ، ومنه قوله تعالي : « **... وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ..** »[4] .، بمعني شاهداً ورقيبا ، ويأتى الكفيل بمعني الضامن للشيء إذا كفله .

٣- **الكافل** : بمعني العائل والضامن، ومنه قوله تعالي: «**... إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ...** »[5]. أى مَنْ منكم يعيلها ويضمن لها معيشتها[6] .

ومما سبق من التعريفات اللغوية وإشتقاق الكلمة يتضح لنا أن التكافل من الكفْل وهو المثيل والضعف ، وأن الكافل بمعني العائل والضامن ، ومنه تكافل أى تضامن أو تعاقل .وكلها تأتى بمعني التساند وهو المراد هنا .

معنى الإجتماع لغة :

أصل الكلمة من إجتمع بمعني ألَّف المتفرق وهو ضم الشيء بتقرب بعضه من بعض ، تأتى بمعني الجمع ضم لشيء لبعضه [7] .

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، ٤٤/٤ مادة كفل .

(٢) انظر : لسان العرب ، ١١/ ٥٨٨-٥٩٠ مادة كفل . والزيادة التى أوردها ابن منظور لمادة كفل لا تهم البحث .

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٨ ، وانظر : سورة النساء : الآية ٨٥ .

(٤) سورة النحل : الآية ٩١.

(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٤ .

(٦) انظر : لسان العرب ٥٨٩/١١

(٧) سبق تعريف كلمة المجتمع فى التمهيد ، ص ١

الإجتماع إصطلاحاً :

هو علم يبحث فى نشوء الجماعات الإنسانية ، ونموها وطبيعتها وقوانيها ونظمها .

يقال رجل إجتماعى بمعني أنه مزاول للحياة الإجتماعية ، وكثير المخالطة للناس [1] .

التكافل الإجتماعي إصطلاحاً :

التكافل بمعني التساند والتضامن ، والإجتماع بمعني تقريب الشيء لبعضه البعض ، أى أن الإلتقاء ، والتكافل يقوم بين مجموعة من الناس حتي يكون مجتمعاً بعدُّ من حيث الواقع جزءاً من الامة التى تشملها عادات منشأ بين أفرادها تضامن وترابط وتعاضد لكى تكون حياتها أكثر سعادة وتألفاً وتساندا .

وعلي ضوء ذلك يكون المعني الإصطلاحى للتكافل الإجتماعى هو تضامن أبناء المجتمع الواحد ، وأن يتساندوا أفراداً وجماعات فيما بينهم ، سواء كانوا حكاماً أم محكومين ، بحيث لا تطغي وتذوب مصلحة أحدهم علي الآخر ، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته ، فيعيش الأفراد فى كفالة الجماعة ،كما تكون الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد لدفع الضرر عنهم ، بحيث يكون هنالك تآزر بين الأفراد والجماعات متعاونين ومتضامنين لإيجاد مجتمع أفضل .

إذن فالتكافل الإجتماعى فى الإسلام يعنى مسئولية الفرد المسلم والجماعة المسلمة والمجتمع المسلم إزاء بعضهم البعض.

الفرق بين التأمين والضمان والتكافل الإجتماعي

يُطلق بعض العلماء علي إصطلاحات التأمين الإجتماعى والضمان الإجتماعى و التكافل الإجتماعى كما لو أن بينهما ترادف ، فى حين أنه يوجد بينهما فروق أساسية وذلك علي النحو التالي:-

أ) **فالتأمين الإجتماعى** : تتولاه السلطة والمؤسسات الخاصة ، وهو يتطلب مساهمة المستفيد بإشتراكات يؤديها فتمنح له مزايا التأمين الإجتماعى إياً كان نوعها . والأخذ بالتأمين الإجتماعى فى الإسلام من قبيل العمل بالمصلحة .

---

(١) المعجم الوسيط ١/١٤٠.

ب) **أما الضمان**[1] **الإجتماعى** : فهو إلتزام الدولة نحو مواطنيها ، وهذا لايتطلب تحصيل إشتراكات مقدماً ، بل أن الدولة ملتزمة بتقديم المساعدات للمحتاجين ، فالحالات الموجبة لذلك كالمرض أو العجز أو الشيخوخة ، إذا لم يكن لهم مورد رزق يوفر لهم حد الكفاية .

ج) **أما التكافل الإجتماعى** : فهو إلتزام الأفراد فيما بينهم بالتعاون والتساند والتضامن ودفع الضرر ، كإلتزام الغنى بالإنفاق علي قرابته من الفقراء والمحتاجين ، من أصوله وفروعه ، وهذا ما يسمي بحق القرابة [2] .

المفهوم العام لمعنى التكافل الإجتماعي :

ولعل أبلغ تعريف جامع لمعني التكافل الإجتماعى قول الرسول ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[3] ، ثم شبك بين أصابعه . فمن الأمور التى يشد فيها المؤمن علي يد أخيه المؤمن تفقد أحواله فى صحته وسقمه والمعاونة علي أمور الدنيا بمعاونته ومساعدته إن كان محتاج ، و المعاونه علي أمور الأخرة

---

(١) ذكر صاحب الفروق اللغوية الفرق بين الكفالة والضمان ،أن الكفالة تكون بالنفس ، والضمان يكون بالمال ، فتقول : كفلت زيداً يريد إذا إلتزم بتسليمه ، وضمنت الأرض إذا إلتزامت أداء الإجره عنها ، ولايقال كفل بالأرض لأن عينها لاتغيب ، فيحتاج إلي إحضارها ، فالضمان إلتزام شيء مضمون والكفالة إلتزام بشيء مكفولة به ، يقال : كفلت الغلام إذا ضممته إليك لتعوله ، ولايقال ضمنته ، لأنك إذا طولبت به لزمك تسليمه ، وفى القرآن « كفلها زكريا » ، سورة آل عمران الآية ٣٧ ، ولم يقل ضمنها . انظر : الفروق اللغوية لأبى الهلال العسكرى ص ١٧١ .

(٢) انظر : الإسلام والتأمين الإجتماعى ، د . محمد شوقى الفنجرى ، ص ٢١ وما بعدها ، عالم الكتب – القاهرة ، ١٩٧٩م ، والإسلام والضمان الإجتماعى ، للمؤلف نفسه ص ٣٠ –٣١ ، دار ثقيف – السعودية – الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ. – ١٩٨٢م . وطبعة ثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٠م

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٤٦٤ ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، حديث رقم ٦٠٢٦ ، وصحيح البخارى ٢/٨٦٣ ، كتاب المظالم ، باب نصر المظلوم ، حديث رقم / ٢٣١٤ ، صحيح مسلم ٤/١٩٩ ، كتاب البر والصلة والأدب ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم ٢٥٨٥ ، وسنن الترمذى ٤/٢٨٧ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى شفقة المسلم ، حديث رقم ١٩٢٨ ، وقال أبوعيسي : هذا حديث حسن صحيح ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/٤٠٤ .

بنصحهوتذكيره بتقوي الله عز وجل وطاعته . وبيان تشابك الرسول ﷺ بين أصابعه ليكون الشد مثل هذا التشابك ، وهذا أوقع فى نفس السامع . فالتكافل الإجتماعى فى معناه ومغزاه ، أن يعتقد كل إنسان فى المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع ، يجب أن يؤديها دون تقاعس ، ويوجب علي العاملين والقائمين توزيع الأعمال بقدر المواهب والقوي ليعمل الجميع ، ويتساوى الكل فى الحقوق والواجبات وسد حاجات من لا يتسطيع أن يعمل .

والإسلام جاء لإيجاد مجتمع فاضل ، تتعاون فيه قوي الخير علي قوي الشر والطغيان ، وقد يظن البعض أن التكافل الإجتماعى قاصر علي الإحتياجات الضرورية للفرد أو الجماعة ، أو أن وجوده مرتكز علي وجوه محدودة من البر والإحسان ، والصدقة لفئات الفقراء والعاجزين والمحتاجين ، ولكن ليس هذا هو المعني المقصود للتكافل الإجتماعى فى الإسلام . وإنما هو أشمل من ذلك ، فيشمل ترسخ وتربية العقيدة فى الفرد ، وتكوين شخصيته وسلوكه الإجتماعى ، ويشمل علي ترابط أفراد الأسرة وتنظيمهم مع بعضهم البعض ، و تنظيم العلائق بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات ، وتنظيمهم العلاقات والمعاملات المالية والاقتصادية . ويمكن القول أن التكافل الإجتماعى فى الإسلام يكاد يحتوي علي التشريع الإسلامى كله ، لأن الغاية من التكافل إصلاح أحوال الناس والعيش حياة آمنة مطمئنة فى عقائدهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم [1] .

إن التكافل الإسلامى نظام متكامل بكل ما تحمله الكلمة من معاني ، لا يقتصر علي وجه من وجوه البر فقط ، وليس مساعدة مالية كما يعني الضمان والتأمين الإجتماعى ، فالمساعدات المالية هى نوع من أنواع المساعدات التكافلية ، التى يعنيها التكافل فى الإسلام .

وفى هذا الفصل لانبحث نظام التكافل من جميع جوانبه وحيثياته ، إنما نقتصر علي الجانب الهام من التكافل الإجتماعى (التكافل المعيشى) ألا وهو جانب تأمين الحياة المعيشية والضرورية لكل من الفرد والأسرة فى المجتمع .

---

(١) انظر : المجتمع المتكافل فى الإسلام . د . عبدالعزيز الخياط ، ص ٦٢ و ما بعدها .

المبحث الثاني
الدليل الشرعي والعقلي على مبدأ التكافل

المبحث الثاني

الدليل الشرعي والعقلي على مبدأ التكافل

المجتمع الإسلامى يقوم علي التكافل ، ولا يكون مجتمع إسلامى بغير تكافل ، لأن المجتمع يشمل الأفراد والنظام الذى يحكمهم ، ويشمل العادات والأعراف السائدة ، وكل ذلك راجع إلي مفاهيم الإسلام عن الحياة وأفكاره ونظامه وأعرافه لإقرار التضامن والتكافل فى المجتمع (١) .

والأدلة علي التكافل كثيرة ، منها ماذكره القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومنها ما جاء بالإجماع والمعقول .

أ) الدليل من الكتاب :

١- قوله تعالي : « **واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً * والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ...** » (٢) .

قال الطبرى فى تفسيره لهذه الآية بما معناه: إن الله أمر عباده ، بأن يذلوا ويخضعوا له بالعبادة ، ويبروا والديهم ، و كذلك ذوى قرابتهم من عم أو أخ أو خال أو نحو ذلك ، بصلتهم والتودد إليهم ، أو اليتامي والمساكين وجيرانهم من الأقرباء والبعيدين فى النسب من المسلمين . فسر البعض بالجار الجنب هو اليهودى أو

---

(١) انظر المجتمع المتكافل فى الإسلام ، د . عبدالعزيز الخياط ، ص ٦٢ .

(٢) سورة النساء : الآيات ٣٦ – ٣٨.

النصرانى ، وكذلك ممن يشملهم البر الصاحب الصالح فى السفر ، أو الرفيق للشخص ، والضعيف ، والأرقاء وهم المملوكين . فجميع هؤلاء أوصي الله تعالي عباده بالإحسان إليهم وصلتهم والعطف عليهم [1].

جاء فى تفسير القاسمى إن الله أمر بالإحسان إلي الوالدين إيفاءاً بحق تربيتهما ، فإن شكرهما يدعو إلي شكر المولي عز وجل ، مع ما فيه من صلة أقرب الأقارب الموجب لوصل الله عز وجل الله وقطعها قطع لله عز وجل ، ثم جاء بالعطف والإحسان إلي القرابات من الرجال والنساء بقوله ، وبذى القربي ، أى الأقارب[2] .

ذكر الزحيلى فى تفسيره : أن الله سبحانه وتعالي بعد أن أرشد الزوجين إلي المعاملة الحسنة وأمر الحكام بإزالة أسباب الخلاف ، أرشد بعد ذلك الناس جميعاً إلي بعض خصال الخير والإحسان، ودلهم علي أنواع من الأخلاق الحسنة فى معاملة بعضهم بعضاً[3].

وهذه الآية الكريمة كما قال الأكثرون من المفسرين دليل واضح علي التكافل الإجتماعي ، ويشمل هذا التكافل الوالدين والإحسان اليهم ، وذوي القربي والجيران والمسافرين والمساكين والأيتام وغيرهم من الناس ، فيجب علينا أن نعطف عليهم ونودهم ونصلهم ، لأن ذلك تقرب من الله وعبادة له ، كما نري أن الآية الكريمة بدأت بالامر بعبادته وقرن سبحانه وتعالي بها التكافل والإحسان للوالدين وغيرهم ، وما ذلك إلا للدلالة علي أهمية هؤلاء في الإحسان اليهم .

ذكر سبحانه وتعالي فى آية أخري عدد فيها سبل التكافل كما فى الآية السابقة مع اضافة نوع جديد من سبل التكافل وهو القول الحسن وإيتاء الزكاة ، قال تعالي: « **وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً**

---

(١) انظر: تفسير الطبرى ، ٤/٧٧-٨٤ ، وتفسير أبى السعود ٢/١٧٥-١٧٦ .

(٢) انظر : تفسير القاسمى ، ٥/١٢٢٧ .

(٣) انظر : التفسير المنير ، ٥/٦٤.

وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ». [1] .

جاء في تفسير المنار في تفسير قوله تعالي « وبالوالدين إحساناً » أي وتحسنون بالوالدين إحساناً، والإحسان نهاية البر ، فيدخل فيه جميع ما تجب لهم الرعاية والعناية ، وهذا الإحسان يكون عن علم وإختيار ، بل مع الشغف الصحيح والحنان العظيم ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فداعية التراحم والتعاطف والتعاون إنما تكون علي أشدها وأكملها في الفطرة بين الوالدين والأولاد، ثم بين سائر الأقربين فمن فسدت فطرته في تجاه أقاربه ، فلا يرجي منه خير للأبعدين من باب أولي، ومن لا خير فيه للناس لا يصلح أن يكون جزءاً بنية لأمة لأن من لم تنفع فيه اللحمه [2] النسبية التي هي أقوي لحمة طبيعية تصل بين الناس ، فأي لحمة بعدها تصله بغير الأهل ؟ فتجعله جزءاً منهم ، يسره ما يسرهم، ويؤلمه ما يؤلمهم ، ويري منفعتهم عين منفعته ، ومضرتهم عين مضرته ، وهو ما يجب علي كل شخص نحو أمته من حيث رابطة الدم ، أما رابطة العقيدة فهى فوق كل رابطة . ثم ذكر حقوق أهل الحاجة من سائر الناس . وأما قوله تعالي :« قولوا للناس حسناً» فذلك ايضاً من الإحسان والتكافل فليس معناه مجرد التلطف في القول ، أو المجاملة في الخطاب ، فالحسن هو النافع في الدين و الدنيا ، وفي ذلك إصلاح للنفوس ، ثم أمر سبحانه وتعالي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، لما في الزكاة من إصلاح لشئون الإجتماع [3] .

وتأكيد الإحسان إلي الوالدين وذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، والأمر بالإنفاق فى سبيل الله ، والقول بالحسني والتحذير من

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

(٢) **اللحمة** : بالضم هى القرابة والولاء ،يقال لحمة النسب ، أى قرابة فى النسب . المصباح المنير ٦٦٧/٢ مادة لحم.

(٣) انظر : تفسير المنار ، ٣٦٥/١ -٣٦٨ .

الشح والبخل ، وبيان أن طاعة الله ليست مقصورة علي العبادة بل هي شاملة للمنهج الإلهى ، والذي منه إيتاء المال علي حبه وذوي القربي واليتامي ، كل ذلك يؤكد أن الاسلام جاء ليحقق مبدأ التكافل العام بين جميع أفراد الأمة وأبناء المجتمع ، ليعيش الجميع فى أمن ورخاء وسلام وتعاون وعيش كريم أفضل ، وهذا ما نلمسه في الآية السابقة والآية التالية ، وذلك في قوله تعالي: « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين و آتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفى الرقاب وأقام الصلاة و آتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**»(١).

وقال تعالي شاملاً لتلك الأشياء بكلمة البر والتقوي :« ... **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** »(٢).

قال ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة (يأمر الله تعالي عباده المؤمنين بالمعاونة علي فعل الخيرات وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوي)(٣).

وذكر البيضاوي نحو ذلك فقال :(تعاونوا علي العفو والإغضاء (٤) ومتابعة الأمر ومجانبة الهوي)(٥)

فالتعاون علي البر علي كل خير أمر به الشرع أو نهي عنه ، وهذا ما فيه من التكافل الذي نحن بصدد الإستدلال عليه من الآيات الكريمة.

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ١/٦ ، والتفسير المنير ٦٩/٥ .
(٤) **الإغضاء** : من أغض الرجل عينيه ، قارب بين جفنيهما . ثم إستعمل فى الحلم بكسر الحاء ، وهو الطمأنينة عند الغضب . انظر : المصباح المنير، ٥٣٧/٢ ، و التعريفات ، ص ١٢٥ .
(٥) تفسير البيضاوى ، ص ١٤٠ .

ب- أما الدليل من السنة :

فالأحاديث أكثر من أن تحصي ، ونورد هنا بعض ما جاء منها :-

روي البخارى* فى صحيحه عن رسول الله ﷺ :(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذااشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمي) [1] .

يبين الرسول ﷺ أن من كان إيمانه كاملاً تراه يظهر التراحم والتوادد والتعاطف ، أما التراحم فالمراد منه أن يرحم بعضنا بعضاً بأخوة الإيمان ، لا بسبب شئ آخر ، وأما التوادد ، فالمراد به التوصل الجالب للجنة ، كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف فيعني به إعانة بضعنا البعض كما يعطف الثوب علي جميع أعضاء الجسد وهنا وجه التشبيه والتوافق في التعب والراحة ، كالجسد الواحد إن أصيب منه عضو فلا يمنع ذلك بقية الأعضاء من الألم والسهر والحمي ، قال القاضى عياض* تشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح ، وفيه تقريب للفهم ، وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين ، والمضي علي تعاونهم وملاحظة بعضهم بعضاً [2].

---

* **البخارى** : هو الإمام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، أبو عبدالله البخارى ، ولد ١٣ شوال ١٩٤هـ ببخارى، وتوفى سنة ٢٥٦ هـ عن ٦٢ سنة ، من شيوخه الإمام مالك وأحمد بن حنبل ، ومن تلاميذه مسلم والترمذى ، له عدة منصفات أهمها (الجامع الصحيح) ويعتبر أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل . انظر : طبقات المفسرين للداوودى ،٢/١٠٠-١٠٤ ، والأعلام ٣٤/١٦ ، وتذكرة الحفاظ ،٢/٥٥٥-٥٥٦ ، رقم ٥٧٨.

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب الأدب ، ٤٥٢/١٠ ، باب رحمه الناس والبهائم ، حديث رقم ٦٠٠٨ وصحيح مسلم ، شرح النووى ، ١٤٠/١٦ ، كتاب البر باب ١٦ .

* **القاضى عياض** : هو أبو الفضل عياض بن موسي بن عياض السبتى الغرناطى ، الأندلسى الأصل ، المالكى المذهب ، ولد سنة ٤٧٦هـ ، إمام أهل الحديث فى زمنه ، حجة ثقة ، بحر زاخر وخطيب بليغ وكاتب قدير ، له مؤلفات نحو ثلاثين مؤلفاً من علوم شتي ، توفى رحمه الله سنة ٥٤٤ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٤٨٣/٣ .

(٢) انظر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٥٣/١٠ -٤٥٤.

وأخرج البخاري في صحيحه أيضاً : (والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1].

وروي مسلم ** وأبو داود أن رسول الله ﷺ كان فى حال سفر وشده فقال:(من كان معه فضل ظهر- أى مركوب - فليعد به علي من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به علي من لازاد له...)[2].

قال أبو سعيد الخدرى *** راوي الحديث : فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتي رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل [3] .

وقال ﷺ فى حديث جامع لمعني التكافل ، و فيه إشارة ودلالة علي إلتزام أفراد المجتمع ببعضهم البعض ، وإن لم يأخذوا بأيدى بعضهم هلكوا وهلك المجتمع : (مثل القائم علي حدود الله والواقع فيها كمثل قوم إستهموا - أى إقترعوا - علي سفينة فى البحر ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علي من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم ومأأرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا علي أيديهم نجو ونجوا جميعاً[4].

---

(١) صحيح البخارى ، ١٤/١ ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب المسلم ما يحب لنفسه من الخير حديث رقم ٧١، ٧٢ ، دار ابن كثير اليمانية - دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، والترمذى فى سننه ٥٧٥/٤ ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٥٩ ، حديث رقم ٢٥١٥ . وسنن النسائى ١١٥/٨ ، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان ، حديث رقم ١٦ ٥٠ ، ٥٠١٧ وسنن ابن ماجة ٢٦/١ ، المقدمة باب الإيمان ، حديث رقم ٦٦ .

** **الإمام مسلم** : هومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ، أبو الحسن النيسابورى ، صاحب الصحيح ، (٢٠٤ -٢٦١هـ) أحد تلاميذ البخارى ، كتابه أصح كتب الحديث ، بعد صحيح البخارى . انظر : وفيات الأعيان ١٩٤/٤ -١٩٦، رقم ٧١٧ ، والأعلام ، ٢٢٢/٧ ، وتذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢-٥٩٠ ، رقم ٦١٣ ، وتهذيب التهذيب ، ١٢٦/١٠ .

(٢) صحيح مسلم ، ١٢ /٣٣ ، كتاب اللقطة ، باب الضيافة ونحوها ، وسنن أبى داود ، ١٢٩/٢ ، كتاب الزكاة ، باب فى حقوق المال ، حديث رقم /١٦٦٣ ،ومسند أحمد ابن حنبل ، ٣٤/٣ .

*** **أبو سعيد الخدري** : هو سعد بن مالك الأنصاري ، من أعيان الصحابة وفقهائهم ومحدثيهم ، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما ، توفى سنة ٧٤هـ . انظر : شذرات الذهب ٨١/١ ، والبداية والنهاية ٣/٩، والإستيعاب ٦٠٢/٢ رقم ٩٥٤.

(٣) انظر : المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) فتح البارى ، ٥٧/٥ ، كتاب الشركة، باب ٦، هل يقرع فى القسمة ؟ والإستهام فيه ، حديث رقم ٢٤٩٣ ، وللحديث صيغ أخري جاءت تؤدى نفس المعني .

والحديث أيضا يشير الي عدم إطلاق الحرية دون قيود ، لأنه إذا كان كل فرد فى المجتمع كل همه أن يعيش لوحده ، ويترك الأخرين دون الإهتمام بهم ، ودون تكاتفهم مع بعضهم البعض تهدم المجتمع وإنهار بنيانه .

والحديث أيضا يصور تشابك المصالح وتوحدها ، ورسم دقيق لواجب الفرد إزاء الجماعة ، وواجب الجماعة باتجاه الفرد ، فليس هنالك فرد معفى عن المصلحة العامة ، فكل فرد راع فى المجتمع متعاون ومكلف بتغيير المنكر . والجماعة كذلك ينتابها الإثم والعقاب إذا لم تأخذ علي يد الفرد بإرتكابه المنكر ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه فئ[1] قسمه من يومه، فأعطي المتزوج حظين، وأعطي العزب حظاً واحداً[2] .

وعندما وضع رسول الله ﷺ يده علي فئ بني النضير ، قسمه بين المهاجرين خاصة ، ولم يعط الأنصار منه شيئا، إلا ثلاثة نفر منه ، هم أبو دجانه * وسهل بن حنيف ** والحارث بن الصمة *** ، وأعطاهم لفقرهم[3] .

---

(١) **الفئ** : هو ما أخذ من المال صلحاً مع الأعداء ، قال صاحب كتاب الكليات : الفئ هو كل ما يحل أخذه من أموال الحرب . الكليات لأبى البقاء ، ص ٦٧٥ .

(٢) انظر : كتاب الأموال ، لابى عبيد القاسم بن سلام . ت (٢٢٤ هـ) ، ص ٢٣٧ ، طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ .

* **أبو دجانه** : هو سماك بن أوس بن خرشه ، (أبو دجانه) الأنصاري ، مشهور بكنيته ، شهد بدراً ، وكان أحد الشجعان ، وهو من كبار الأنصار ، إستشهد يوم اليمامة . انظر : الإستيعاب ٦٥٢/٢ ، رقم ١٠٦٠ ، والأعلام ٣٣٧/٢ .

** **سهل بن حنيف** : هو سهل بن حنيف بن واهب ، يكنى بأبا سعد وقيل بأبا الوليد ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، وثبت مع الرسول () يوم أحد وبايعه علي الموت ، صحب علياً رضى الله عنه وولاه علر فارس . انظر:الإستيعاب ، ٦٦٢/٢ ، رقم ١٠٨٤ .

*** الحارث بن الصمة : ابن عمر بن عامر ، يكنى أبا سعد ، آخي رسول الله () بينه وبين صهيب بن سنان ، شهد بدرا وأحدا ، وفيه يقول الشاعر :

يارب إن الحارث ابن الصمة ..... أهل وفاء صادق وذمة . انظر : الإستيعاب ، ٢٩٢/١ ، رقم ٤١١ .

(٣) انظر : تفسير القرطبى ١١/١٨ .

فهذا التوجيه النبوى فى التواد والتراحم والمحبة والتعاون ، وقسمته للفئ والغنائم ، مما يدل دلالة واضحة علي حرصه ﷺ علي إيجاد مجتمع متوازن ومتكافل ، ولتحقيق التعاون بين أبناء المجتمع الواحد ، أفراداً وجماعات ، وحكاماً ومحكومين ، رجالاً ونساء ، أغنياءاً وفقراء .

وأما الاجماع (١) : فإتفاق الصحابة رضوان الله عليهم علي تعاونهم وتساندهم وحمايتهم للضعيف ومساعدة الفقير، وتكاتفهم علي الخير والصالح العام ، وتكافلهم فى الشدة والرخاء ، كما حدث ذلك فى عام الرمادة (عام المجاعة) فى زمن الخليفة الفاروق رضى الله عنه ، وهو القائل : (والله الذى لا إله إلا هو ما أحد إلا وله فى هذا المال حق أعطيه وأمنعه ، وما أحد أحق به من أحد ، وما أنا فيه إلا كأحدكم ، ولكنا علي منازلنا من كتاب الله عز وجل ، وقسمنا من رسول الله ﷺ ، فالرجل وتلادته (٢) فى الإسلام ، والرجل وغناؤه فى الإسلام ، والرجل وحاجته فى الإسلام ، والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه)(٣) .

ومما يدلل علي ذلك ، أن الأمة الإسلامية مجمعة علي تحقيق التكافل فى جميع العصور عبر التاريخ الإنسانى أن الرجل كان يخرج بزكاة أمواله ، فلا يجد مستحقاً لها يأخذها منه ، وهذا ما حصل فى عهد عمر بن العزيز رضى الله عنه ، فعدم وجود فقراء فى عهده رضى الله عنه يدل دلالة واضحة علي أن الناس كانوا فى زمنه متضامنين ومتكافلين يسعي بذمتهم أدناهم ، ويعطف غنيهم علي فقيرهم ، ويساعد قويهم ضعيفهم ، وهم يد علي من سواهم (٤) .

---

(١) **الإجماع لغة** : العزم والإتفاق ، **وفى الإصطلاح** : إتفاق المجتهدين من أمة محمد () فى عصر علي أمر شرعى ، والعزم التام علي أمر جماعة أهل الحل والعقد .المستصفي من علم الأصول ، لأبى حامد الغزالى ، ٢/٢١١ ، ومعه كتاب فواتح الرحموت ، لعبد العلى محمد الأنصارى ، دار الفكر ، الطبعة الأولي ، ١٣٢٤هـ / طبعة الأميرية ، بولاق – مصر . انظر : التعريفات للجرجانى ، ص ٢٤ .

(٢) **تلادة** : من تلد والتالد المال القديم الذى ولد عندك ، والتليدة هى التى ولدت ببلاده العجم النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/١٩٤ . انظر : لسان العرب ٣/٩٩، باب تلد .

(٣) سيرة عمر بن الخطاب ، لابن الجوزى ، ص ٨٧ ، طبعة المكتبة التجارية – مصر .

(٤) انظر : التكافل الإجتماعى فى الإسلام ، عبدالله علوان ، ص ١٨ .

(د) **أما الدليل العقلى لمبدأ التكافل** فإنه من المعلوم بالبداهة أن المجتمع القائم علي التعاون والتكافل بين أفراده مجتمع يسوده المحبة والإيثار والأخوة [1] ، مجتمع حصين متين متماسك ، لا تأثير عليه من المعاول الهدامة ولا تزعزعه النكبات والجائحات والكوارث. .

فمن الضرورى أن يكون مبدأ التكافل دعامة مهمة فى بناء المجتمع ، حتي يسوده العدل وتنتظم المساواة بين أفراده ، وبذلك يعلو شأنه .

---

(١) **معني الأخوة لغة** : ذكر فى المعاجم اللغوية أنها قرابة الأخ ، أو أن الأخ هو المشارك لآخر فى الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع ، ويستعار فى كل مشارك لغيره فى القبيلة أو فى الدين أو فى الصنعة أو فى المعاملة أو فى المودة . انظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، للإمام اللغوى السيد محمد مرتضى الزبيدى ، ١١/١٠ ، دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازى ، وتهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ٦٢٦/٧ ، تحقيق د . عبدالسلام سرحان ، مراجعة محمد علي النجار ، دار الكتاب العربى – الدار المصرية للتأليف ، والمفردات للأصفهانى ، ص ١٣ . **أما فى الإصطلاح** فتطلق علي معنيين أحدهما : أن يراد بها الأخوة فى النسب ، وهو المراد به فى قوله تعالي : ، فإن كان له أخوة فلأ مه السدس ، النساء: آية ١١ ، وثانيهما : الأخوة فى الدين ، لقوله تعالي : ، إنما المؤمنون أخوة ، الحجرات : آية ١٠ ، وهذا أثبت من المعني الأول .

وقد عرفها كثير من الكتاب بتعريفات شتي أهمها : (أنها قوة إيمانية نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام والثقة المتبادلة ، مع كل من تربطه وإياه أواصر العقيدة الإسلامية ووشائج الإيمان والتقوي) ويقول إيضاً : (منحة قدسية ، واشراقة ربانية ، ونعمة إلهية ... يقذفها الله فى قلوب المخلصين من عباده والأصفياء من أولياءه ، والأتقياء من خلقه) . الأخوة الإسلامية ، عبدالله ناصح علوان ، ص ٥ ، مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة الأولي ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م . وانظر : تربية الأولاد فى الإسلام ، عبد الله علوان ، ٣٦٢/١ –٣٦٣ ، دار السلام للنشر – القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

المبحث الثالث
مصدر التكافل و آفاقه

المبحث الثالث

مصدر التكافل و آفاقُه

أشرق نور الإسلام وضياء القرآن علي العالم ، ووجد ما فيه من تقاطع وتدابر ، وعصبيات قائمة علي رابطة الدم والنسب ، ووجد الأقوام والجماعات قد تحزبوا تحت شعارات مزيفة ، مرتبطة باللون تارة ، وبالجنس تارة أو اللغة تارة أخري ، ولهذا عندما أراد القرآن أن يبنى المجتمع جنَّب الإنسانية هذا التمزق والتشرذم ، فحرر الإنسان من كل هذا العصبيات ، وربطهم بعقيدة التوحيد القائمة علي الفكر الواحد والشعور الواحد ، فكانت الأخوة الإيمانية القائمة علي هذه الفكرة التى يحتضنها مجتمع الإسلام ، ومن هنا نبع التكافل الإجتماعى من عدة مصادر أهمها مصدر الأخوة الإيمانية النابعة من العقيدة السليمة ، التى لا تعرف للون أو الجنس أو الوطن أو اللغة رابط فقط ، وإنما جميع المسلمين كلهم أخوة فى الدين ، فتعطى هذه الأخوة مقومات الشخصية الإجتماعية المستقلة ، التى تجعله رائد البشر إلي طريقة الله ، بعيداً عن أمراض النفوس وأهوائها .

والقرآن يقدم هذه الفكرة طاهرة نقية ويرتفع بها إلي الآفاق ، فيجعل الإيمان بالله أسمي عقيدة ينطوى تحت لوائهاالبشر جميعاً ، إذ هى عميقة أصيلة ممتدة مع الزمن ، تحيط بالأولين والآخرين، والكل ممن حمل هذه الراية ينادى ربه « ... **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم**[1]»[2] .

والأخوة الإيمانية ، تفوق أخوة النسب والدم والعصبية . قال تعالي مذكراً المؤمنين بنعمة الأخوة ، وأنه ألف بين قلوبهم ، بعد أن كان بينهم من الحقد والعداوة والقتل ، فلم يبقي بينهم إلا التناصر والمحبة والإخاء : « **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين**

(١) سورة الحشر الآية ١٠ .

(٢) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، ص ٥٤ .

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »[1].

قال الطبرى فى تفسير للآية : (وأذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التى أنعم بها عليكم ، حيث كنتم أعداءً أى بشرككم يقتل بعضكم بعضاً ، عصبية فى غير طاعة الله ولاطاعة رسوله ، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم ، فجعل بعضكم لبعض إخوانا بعد إذ كنتم أعداءً ، تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه)[2].

إن قوة الرابطة فى المجتمع الإسلامى متمثلة فى استمساكه بالمبادئ الواحدة ، التى تجمع القلوب وترشدها نحو الهدف الأسمي وما التناحر والخلافات والانشقاق والصراع حول المبادئ والغايات إلا إذهاب لريح الجماعة ، فيوهن أمرها ويؤدى بها إلي البوار والخسران .

والله سبحانه وتعالي فى هذه الآية يذكر المؤمنين بنعمة أسبغها عليهم ، وهى نعمة الوحدة والتجمع بعد التفرق ، والألفة بعد العداوة والخصام و قتل بعضهم بعضاً ، وتسلط القوى علي الضعيف ، والأخوة الإيمانية بعد الكفر والشرك وبعد أن كانوا علي حافة النار من الهلاك ، فصاروا بهذه النعمة سادة للبشر وأنقذهم الله بالإسلام من الدمار والهلاك [3] .

فهذه الرابطة التى قامت علي أواصر الأخوة فى الله يسعي بها لإقامة مجتمع إسلامى نظيف من كل شحناء وبغضاء ، وهذه النعمة لا يتذوقها من كان فى خصام وعداء مع الناس ، فمعني ذلك أنه ينكر هذه النعمة العظيمة وهى نعمة الأخوة والألفة ، ولهذه النعمة أثر علي المجتمع الإسلامى فتجعله مترابطاً متعاوناً متكاملاً ، فإن كان أفراد المجتمع الواحد يتعادون فيكف ينتج ويحصل بنيهم تكافل وتعاون ؟!.

فهاهم الأنصار والمهاجرين ، ضربوا المثل الفذ فى تاريخ الإنسانية ، بتعميق أواصر الأخوة التى جعلها القرآن منهجاً ونظاماً ربانياً فى حياة الناس ، من توارث

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢) تفسير الطبرى ، ٣/٣٣ .

(٣) انظر : التفسير المنير ، ٤/٢٨ .

وتعاون وتناصر وإيثار ، فمن هذا النبع فاض خير الأنصار علي إخوانهم المهاجرين ، وبقيت لهم شهادة الحق والشرف والإفتخار إذ قال تعالي فيهم :« **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** »[1].

وحقيقة الإخاء عبّر عنها القرآن فى جملة واحدة إذ يقول تعالي: «**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**»[2] .

جاء فى تفسير النسفى أن هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة والإقتتال من المؤمنين ، وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهلة من ناحية النسب وأن أخوة الدين تعلو علي إخوة النسب إن لم تكن هذه الإخوة صالحة ، فإن بين المؤمنين رباطاً روحياً ، يتمثل فى إيمانهم بالله الواحد ، وأن غايتهم واحدة ، ومصيرهم واحد ، ومن ذلك فهم إخوة تزيد علي علاقة الدم والنسب وتفضلها [3] .

وقد عبر عن المتخاصمين منهم بالأخوة ، إشعاراً بأن من شأن العلاقة التى أساسها الإيمان ألا تنفصم ، وألا تخرج بحال عن علاقة الأخ بأخيه ، والرفيق برفيقه والمشارك لمشاركة فى الحياة، وأن النزاع الذى يحدث هو شيء طارئ مصيره إلي الزوال[4].

فهذه الأخوة التى اشتلمت علي التراحم والتعاطف والإحساس بما للأخ علي أخيه من واجبات ، خاض الإسلام فيها معركة الحياة فانتصر علي ما فيها من بؤس وشقاء الذى أصاب بعض الأفراد فى المجتمع.

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩.

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٠

(٣) انظر : تفسير النسفى ، ٤/ ١٧٠ ، والكشاف ، ٤/ ١٢ والفخر الرازى ٢٨/ ١٢٩ .

(٤) الإسلام فى حياة المسلم ، د . محمد البهى ، ص ٢٨٥ ، طبعة دار الفكر – بيروت .

فالأمة الإسلامية أو الأمة القرآنية ، يبدو فيها المسلم أخا المسلم لايظلمه ولايخذله ، فالكل متعاون ومتضامن ومتكافل فى السراء والضراء ، بل المؤمن لا يكون مؤمناً حقاً ولا يكتمل إيمانه إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فيشعر بحاجة أخيه ويعمل علي إسعاده ، لأن ذلك إسعاد لنفسه وفى ذلك يقولﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1].

ليس بعد نبع الأخوة فى الله والتراحم والمودة والشعور المسيطر علي كيان الإنسان وحسه روحاً وفكراً وعاطفة فى أخيه المؤمن ، ليس بعد هذا من نبع تسعد به الإنسانية وترتقى !! .

إن التكافل القائم علي تلك المبادئ والمثل ذو آفاق واسعة لايقتصر علي توفير الغذاء والمسكن والملبس للمحرومين بل إنما يتسع لألوان لم تعرفها البشرية إلا فى ظل رحاب رسالة القرآن ، حرصاً علي حياة الأخ وعلي حريته وثقافته ومكانته ، وعلي سعادته وفرحة إذا فرح ، وحزنه إذا حزن ، فليس فقط الأمور المادية البسيطة هو التكافل بين الأخوة وأفراد المجتمع المسلم [2].

هكذا يتبين لنا أن الأخوة هى المصدر والنبع الذى ترتوى منه قيم التكافل الإجتماعى والذى من خصائص هذا النبع المحبة والإيثار ، فلا يساعد المسلم أخيه المسلم ويتكفل به ويقدم له كل ما يحب إلا من خلال هذه المعانى السامية ، فيقدم الصدقة والمعونة بحب وتقرب لله عز وجل ويقدمها بطاعة دون إكراه ، فهو يجوع ليشبع أخوه ، ويظمأ ليرتوى ، ويسهر لينام ويجهد ليرتاح . فما أمل هذا النبع وما أجمل التكافل الإجتماعى فى الإسلام الذى ينهل من هذا النبع !.

---

(١) سبق تخريجه فى المبحث الثانى من هذا الفصل ، ص

(٢) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، ص ٣٥٦ -٣٥٨.

المبحث الرابع
صور التكافل الإجتماعي وأنواعه

المبحث الرابع

صورة التكافل الإجتماعي وأنواعه

ينقسم التكافل [1] إلى تكافل روحي « معنوي» وإلى تكافل مادي

أ) أما التكافل المعنوي

يهتم الإسلام ببث دعائم التكافل المعنوى فى مجتمعه ، فهوالأساس الأول الذى يقوم عليه التكافل المادى ، وأول ما نلمسه أن الإسلام يجعل أفراد المجتمع جسماً واحداً ، يشعر الفرد فيه بشعور الآخرين ، والتكافل الروحى أو المعنوى ناتج عن دفع قوتين فى طبيعة الإنسان سلوكاً وعملاً ، ودعوة إليه وقوة الإستجابة لداعى الخير.

يتمثل ذلك فى قول الله تعالي : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويطيعون الله ورسوله...** »[2] .

ويعني التكافل المعنوى فى الإسلام أن يصبح كل فرد معبرا عن أخيه ، وأن تقوي الرابطة بين الجماعة حتي تصبح متماثلة من كل جانب ، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ

---

(١) هناك العديد من أنواع التكافل لم نذكرها فى هذا المبحث ، لأن كل نوع منها يحتاج إلي دراسة مستفيضة ، وبحث خاص ، وسنذكر الأنواع فقط لإتمام الفائدة وهى ١- التكافل السياسى ، ٢ - التكافل الدفاعى ٣- التكافل الجنائى ، ٤- التكافل الأخلاقى ، ٥- التكافل الإقتصادى ، ٦- التكافل العبادى ، ٧- التكافل العلمى ، ٨- التكافل الحضارى ، ٩- التكافل العائلى ، ١٠- التكافل المعيشى ، وهو الذى نحن بصدد دراتسه فى هذا الفصل. لمزيد من الفائدة راجع إشتراكية الإسلام ، د. مصطفي السباعى ، ص ١٠٩ -١٢٩ ، ٣٠٣ -٣٠٤ ، الدار القومية للطابعة - القاهرة ، الطبعة الثانية . انظر : الإسلام فى حياة المسلم ، د . محمد البهى ، ص ٢٧٩ -٢٨٢ ، ومنهج القرآن فى تربية المجتمع ، عبدالفتاح عاشور ، ص ٣٥٨ -٣٨٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٧١ .

: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعي بذمتهم أدناهم ، وهم يد علي من سواهم ، يرد مشدهم علي مضعفهم ، مسرعهم علي قاعدهم)[1] .

فالمسلمون تتساوي دماؤهم . وهذا يدل علي وحدتهم وتكاتفهم . ويشير الرسول ﷺ في هذا الحديث الشرف أن أى فرد فى المجتمع الإسلامى له وزنه ومكانته حتي لو كان وضيعاً فله أن يجير من إستجارة ويعاون القوى الضعيف .

فهذا الحديث فيه الأمر من الرسول ﷺ للجماعة علي ألا يخرج منها خارج ، ولا يشد عن إتجاهها السلم أحد ، و ألا يسعي بعض أفراد المجتمع مسعي بعض ، وأن تقف الجماعة أمام الأعداء وقفه الفرد الواحد أمام العدو ، فلا خيانه ولاغدر بين أبناء المجتمع الواحد .

ولقد حذر الإسلام أبناءه من أن تهون عليهم رابطتهم ، أو ينحسر عنهم ظل التكافل المعنوى ، وهذا ما نلمسه فى قول الرسول ﷺ : (لا تحاسدوا ولاتدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا)[2] .

وفى سبيل هذا يعظم الإسلام كل سعى يؤدى إلي قوة الرابطة بين أفراد المجتمع ، ويثبت ويقوى دعائم التكافل الروحى فى المجتمع .

ونذكر علي سبيل المثال صلاة الجماعة ، لها الأجر المضاعف ، لأنها صورة متكررة توحد وتربط وتدعم علاقة المصلين مع بعضهم البعض ، قال ﷺ : (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[3] .

---

(١) سنن أبى داود ١٧٩/٤ كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم بالكافر ، حديث رقم ٤٥٣٠ ، وسنن ابن ماجة ٨٩٥/٢ ، كتاب الديات ، باب ١٣ ، المسلمون تتكافأ دماؤهم ، حديث رقم ٢٦٨٣/٢٦٨٤ ، وسنن النسائى ١٩/٨ ، ٢٠ كتاب القسامة باب ١٠ ، القود بين الأحرار والمماليك فى النفس ، حديث رقم ٤٧٣٤ ، ٤٧٣٥ .

(٢) فتح البارى ٢٢٥٣/٥ ، كتاب الأدب ، النهى عن التحاسد والتدابر ، حديث رقم ٥٧١٨ ، وصحيح مسلم ١٩٨٣/٤ ، كتاب البر والصلة والأداب ، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ، حديث رقم ٤٢٥٥٩ ، وسنن الترمذى ٢٩٠/٢ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى الحسد ، حديث رقم ١٩٣٥ ، وقال هذا حديث حسن ، وأبوداود فى سننه ٢١٣/٥-٢١٤ ، كتاب الأدب ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم ، حديث رقم ٤٩١٠ .

(٣) صحيح مسلم ١٥١/٥ - ١٥٢ ، باب فضل صلاة الجماعة والتشديد فى التخلف عنها .

فصلاة الجماعة تدريب ناجح تجعل من الجماعة روحاً واحدة ، وتذيب ما بين المسلمين من فوارق الثروة والجاه ، وتؤكد لهم حق الأخوة . وكذلك الأمر بالنسبة للعبادات مثل الحج والصيام تؤكد علي وحدة المسلمين ومساوتهم وعدم تفاضلهم إلا بالتقوي .

ب) التكافل المادي

وهو التكافل المعيشى الذى يكفل للفرد المأكل والملبس والمسكن ، ودعامته المال ، وهذا النوع في الأصل قائم علي التكافل المعنوى ، فليس الفرد فى هذا التكافل مكره أو ملزم أن يقوم بذلك ، وإنما نابع عن طواعية بحب وإيثار .

وسبيل التكافل المادى مد يد المعونة فى حاجة المحتاجين ، وإغاثة الملهوفين وتفريج كرب الكروبين المكروب ، وتأمين الخائفين ، وإشباع الجائعين . وقد دعا القرآن الكريم إلي هذا التعاون المادى وحث عليه وإستنهض فيه الهمم ، وأطلق عليه جملة من العناوين المحببة فيه ، الداعية إليه ، كالإحسان والزكاة والصدقات والحق والإنفاق فى سبيل الله ، وأوجب ذلك فى جميع أصناف المال من زرع ونقد وماشية وغير ذلك .

(وغاية ما يقال فى التكافل المادى فى المجتمع أنه فريضة ، لها أبعادها القريبة والبعيدة وحدودها، التى تحيط بالمجتمع من أطرافه ، لا تترك منه جانباً يفترسه الشقاء . أو يضيع فيه الفرد ولا يأسي عليه أحد ، أو يعيش غريباً يعانى مأساته وحدة ، ولا تمتد إليه أيدى القادرين .

فهناك رباط عام يضمن تحقيق التكافل المادى علي سواء ، وهو فريضة الزكاة التى تختلف أنواعها ومصادرها ، ولكنها تعود فى نهاية الأمر لتمسح آلام البؤس والعوز ، وتظل المجتمع بظل الرحمة والحنان)[1] .

صور التكافل الإجتماعي

ا - تكافل بين الفرد وذاته

إن الفرد المسلم مكلف بأن ينهي نفسه عن الهوي والشهوات ، وعليه أن يزكيها

(١) المجتمع الإسلامى . د . مصطفي عبدالواحد ، ص ١٥٨ .

ويطهرها ، وأن يسلك بها طريق الصلاح والسلامة والنجاة ، ولايلقى بها إلي التهلكة . فتكافل الفرد مع ذاته بداية للتكافل مع المجتمع بأكمله .

قال تعالي : « **فأما من طغى * و آثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى* وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هي المأوى** »[1] .

ذكر ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية ، إن من تمرد وعتا وقدم الحياة الدنيا علي دينه وآخرته ، فمصيره إلي الجحيم . وأمامن خاف القيام بين يدى الله عزوجل وخاف حكم الله فيه ونهي نفسه عن هواها ، وردها إلي طاعة مولاها فمنقلبة ومصيره ومرجعه إلي الجنة الفيحاء[2] . فنهى النفس عن الهوي وطاعة الله تكافل بين الفرد وذاته .

وقال تعالي : « **ونفس وماسواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** »[3] .

فالله سبحانه وتعالي قد أفهم النفس إياها وعرفها حالها من الحسن والقبح ، وما يؤدى إليه كل منهما ، ومكنها من إختيار ماتشاء بعد أن بين لها الطريقين ، فقد فاز من يزكى نفسه بتنميتها بالخيرات والأعمال الصالحة ، ومن يوليها بالتقوي ، فأهل الصلاح يظهرون أنفسهم ويشهرونها بما سطع من أنوار تقواهم ، بخلاف أهل الفسق فإنهم يدسونها فى المواضع الخفية ، فهؤلاء خابوا وخسروا بالفجور ،[4] .

وقال عز وجل « ... **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ... »[5] .

جاء فى تفسير الطبرى عند تفسيره لهذه الآية : إن الأنصار قد إحتبس عليهم

---

(١) سورة النازعات : الآيات ٣٧-٤١ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٦٩ .
(٣) سورة الشمس : الآيات ٧-١٠ .
(٤) انظر : تفسير تنوير الأذهان ٤/٥٥٤-٥٥٥ .
(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

الرزق ، وكانوا قد أنفقوا نفقات ، فساء ظنهم وأمسكوا ، فأنزل الله الآية ، وكانت التهلكة سوا ظهنم وإمساكهم [1] .

والآية وإن كانت مختصة فى سبب نزولها ، إلا أنها عامة لجميع الناس ، فالله سبحانه وتعالي يأمر المسلمين بعدم إلقاء إيديهم إلي التهلكة ومهاوى الردي وإتلاف النفوس . فهى أمانة لابد أن يحافظ عليها ، وهذا فى حد ذاته تكافل للفرد مع نفسه . ويدخل فى إتلاف النفوس وإلقائها إلي التهلكة إتباع الشهوات ، وإرتكاب الفواحش ، فلابد أن يمنع نفسه من ذلك .

وفى ذات الوقت مكلف بأن يمنع نفسه فى الحدود التى لا تفسد فيها فطرته ولايتعدي ما نهي الله عنه . وفى ذلك يقول سبحانه وتعالي : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدينا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين** »[2] .

ذكر صاحب تفسير النووى فى تفسير قوله تعالي : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة » ، (أى أطلب ثواب الله تعالي بسبب المال ، بأن تصرفه إلي ما يؤديك إلي الجنة ، كصدقة وصلة رحم وإطعام جائع وكسوة عار ونفقة محتاج ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا ، أى لا تترك العمل فى الدنيا للآخرة وخذ ما تحتاجه من الدنيا وأخرج الباقى)[3] .

قال تعالي : مبيناً بعض الجوانب فى إمتاع النفس : « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين** »[4] .

وما يفعله الإنسان من خير أو شرفهو له ، ولن يجزي أحد عنه فى الدنيا والآخرة .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢/ ٢٠٠ ، وتفسير أبى السعود ٢/ ٢٠٥ ،والتحرير والتنوير، ٢/ ٢١٣-٢١٦ .

(٢) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٣) تفسير النووى المسمي مراح لبيد ٢/ ١٤٩ -١٥٠ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

قـال تعالـي : « **لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . .** » (١) .

قال البيضاوى فى تفسيرة لهذه الآية ما معناه إن الله لايكلف النفس إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمة ، أو ما دون مدي طاقتها ، بحيث يتسع فيها طوقها أو ما يتيسر عليها ، فلها ما كسبت من الخير وعليها ما أكتسبت من الشر ، لا ينتفع بطاعتها ولايتضرر بمعاصيها(٢) .

هكذا يتبين مما سبق أن الإنسان بتكافله مع نفسه يقف موقف الرقيب ، يسعي إلي هدايتها إن ضلت ، ويمنحها حقوقها المشروعة ، ويحاسبها إن أخطأت ، ويحتمل تبعة ذلك .

٢- تكافل بين الفرد وأسرته

وقيمة هذا التكافل فى محيط الأسرة أنه قوامها الذى يمسكها ، فالأسرة هى اللبنة الأولي فى المجتمع ، فهى تميل إلي الفطرة الإنسانية والعواطف والرحمة والمودة ، ومتقضيات الضرورة والمصلحة ، فالتكافل هنا يسهم فى بناء كيان قوى مؤسس علي الخير والحق فى صالح المجتمع بأسره .

قال تعالي :« **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** » (٣) .

فالآية الكريمة تحكم وتأمر بعباده الله وحده لاشريك له ، وتأمر بالإحسان إلي الوالدين ، فالتوحيد أساس الإيمان ، وترابط الأسرة المسلمة بنية أساسية فى دعامة وبناء المجتمع . فالإحسان إلي الوالدين فرض لازم وواجب ، ومن الإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما . ولا لعقوقهما ، فإن ذلك من الكبائر ، وإذا ما كبر الوالدان أو أحدهما

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوى ، ص ٦٥ -٦٦ ، وتفسير النسفى . ١/١٤٤ .

(٣) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ -٢٤ .

وجبت كفالتهما وبرهما لأنهما أساس الأسرة ، ومن تكافلهما عدم التأفف والتضجر فى وجههما ، والتواضع لهما رحمة بهما وشفقة عليهما ، والدعاء لهما بالرحمة من الله ، فى حال كبرهما أو وفاتهما وفاءاً لتربيتهما لنا [١].

وقال تعالي : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده...** »[٢].

ذكر القرطبى فى تفسيره لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالي لما ذكر النكاح والطلاق ذكر الولد ، لأن الزوجين قد يفترقان ولهما أولاد ، فالآية فى المطلقات اللاتى لهن أولاد من أزواجهن ، فهن أحق برضاع أولادهن من الأجنبيات ، لأنهن أحني وأرق ، وهذا يدل علي أن الوليد وإن فطم فالأم أحق بحضانته إذا لم تتزوج ، وأما قوله تعالي : ، وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لأن المطلقة لا لاتستحق الكسوة إذا لم يكن الطلاق رجعي ،و الآية فى المطلقات اللاتى لهن أولاد ولم يتزوجن فيستحق لهاالنفقة والكسوة ، أرضعت أم لم ترضع ، وفى الآية دليل علي وجوب نفقة الولد علي الوالد لضعفه وعجزه[٣] . فأحكام الرضاعة وكيفية التعامل بين الأزواج من المعاشرة بالمعروف وتربية الأطفال والعناية بهم تكافل للفرد فى أسرته . وقال تعالي « **... واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ...** »[٤] والمراد بالآية أن الأخوة الحقيقيين بعضهم أولي ببعض فى الميراث من ولاية المتآخيين من المهاجرين والأنصار[٥].

فهذا تكافل بين الأقارب بعضهم وبعض ، فالقريب الموسر ينفق علي قريبه المعسر وفق شروط وأحكام مفصلة فى الفقه الإسلامى .

---

(١) انظر : التفسير المنير ، ١٥ / ٥٤ -٥٥.
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .
(٣) انظر : تفسير القرطبى ١/ ١٦٠ -١٦٣ ، وتفسير المراغى ١/ ١٨٥ .
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٦ .
(٥) راجع تفسير الآية من تفسير الماوردى، ٣/ ٢٠٦ .

ونختم هذا المطلب فى الحديث عن تكافل الفرد مع أسرته بما كان يفعله الرسول ﷺ من مساعدة أهله فى بيته عندما سئلت عائشة رضي الله عنها عما كان يصنع النبى ﷺ فى بيته ، قالت : (كان في مهنة أهله، فإذا سمع الآذان خرج)[1].

٣- تكافل بين الفرد والجماعة

علي الفرد والجماعة حقوق وتبعات ، والإسلام يبلغ فى هذا التكافل التوحيد بين المصلحتين ، وحد الجزاء والعقاب علي تقصير أيهما فى النهوض بتبعاته فى شتي مناحى الحياة المعنوية والمادية ، فكل فرد مكلف أن يحسن فى أداء عمله لأن ذلك من العبادة ، ولأن ثمرة هذا العمل الذى يقوم به الفرد ملك للجماعة وعائد عليها بالمنفعة[2] .

ويدل علي هذا قول الله تعالي : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...** »[3] .

بين صاحب تفسير فتح القدير ، أن الآية فيها تخويف وتهديد ، بمعني إن عملكم لايخفي علي الله ولا علي الرسول ولا علي المؤمنين ، فسارعوا إلي عمل الخير ، وأخلصوا فى أعمالكم لله عز وجل ، وفيه أيضا ترغيب وتنشيط ، فإنه من علم أن عمله لايخفي سواء كان خيراً أم شراً ، رغب فى عمل الخير وإبتعد عن عمل الشر[4].

فيتضح مما سبق أن كل فرد مكلف بأن يري مصلحة الجماعة كأنه حارس لها وموكل بها ، وفى هذا يقول ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)[5] .

فعلي الفرد المسلم أن يتكافل مع الجماعة ومع الآخرين بأداء حقوقهم ، وعلي الجماعة أن تيكفلوا بحقوق الفرد .

---

(١) فتح البارى ٤١٧/٩ ، كتاب النفقات ، باب ٨ خدمة الرجل فى أهله ، حديث رقم ٥٣٦٣ .
(٢) انظر : الفرد والمجتمع فى الإسلام ، د . سيد عبدالحميد مرسى ، ص ٣٠٧ -٣٠٩ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٥ .
(٤) انظر : تفسير فتح القدير للشوكانى ،٤٠٠/٢ ، وتفسير البيضاوى ، ص ٣٩٧ ، والتفسير المنير ٢٦/١٢ .
(٥) فتح البارى ، ٦٦/٥ ، كتاب الإستقراض ، باب ٢ من اخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، حديث رقم ٢٣٨٧ .

المبحث الخامس
السبل والوسائل لتحقيق التكافل الإجتماعي

المبحث الخامس

السبل والوسائل لتحقيق التكافل الإجتماعي

سلك الإسلام للتكافل الإجتماعى بين الأسرة وبين الأمة وفى المجتمعات الصغيرة سبلٌ ووسائل ، نبينها علي النحو التالي : -

أ) ما كان على سبيل الإلزام والوجوب . ويشمل الأمور التالية :-

١- النفقات ٢- الزكاة ٣- الكفارات والصدقات

وسنتكلم عن كل واحدة من هذه الأمور بكلمات موجزة من غير إسهاب وتفصيل ، والكلام المفصل فى ذلك ثابت فى موضعه من كتب الفقه .

١- **النفقة** [١] : هى ما يقدم من طعام وكسوة ومسكن لمن وجب له . والمقصود به هنا نفقات الأقارب ، فالأسرة متكافلة متعاونة فيما بينها، فالقوي يعين الضعيف ، والغنى يطعم الفقير .

والنفقة لها عدة أوجه منها :-

- **النفقة علي النفس** ، فالأصل أن ينفق الإنسان علي نفسه من ماله إذا كان معه مال ، فإن لم يكن له مال كانت نفقته علي أقاربه .

- **النفقة علي الأقارب** ، والقرابة هنا هى إما قرابة الأبوين والأولاد المباشرين ، فتجب نفقة الولد العاجز عن الكسب علي أبويه ، ونفقة الأبوين علي الولد إذا كان قادراً وكانا فقيرين وهذا رأى لا يصور التواصل والتراحم الذى دعا إليه الإسلام . وأما

---

(١) **النفقة** : من النفقات ، والإنفاق هو الإخراج ولايستعمل إلا فى الخير . وأسباب وجوب النفقات ، ملك اليمين ، وملك النكاح ، وقرابة الضعيف ، والإنفاق قد يكون فى المال وغيره ، وقد يكون واجباً أو تطوعاً . بين الدامغانى أن لكلمة نفقة سبعة وجوه وهى : ١- الزكاة ، ٢- الصدقة ، ٣- البذل فى نصرة الدين ، ٤- النفقة علي الزوجات ، ٥ - العمارة ، ٦- الفقر ، ٧- الرزق . انظر : قلبوبى وعميرة (الشيخ شهاب الدين القليوبى والشيخ عميرة) ، علي شرح العلامة جلال الدين المحلى علي منهاج الطالبين للشيخ محى الدين النووى ، فى فقه مذهب الإمام الشافعى ، ٦٩/٤٢، دار إحياء الكتب العربية ، عيسي البابى الحلبى . وانظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ،ص ٥٢٣ ، وقاموس القرآن للدامغانى ،ص ٤٦٣ .

المقصود بالقرابة هم الآباء والأجداد والجدات ، فتجب نفقتهم علي فروعهم ، والفروع من الأولاد وأولاد الأولاد تجب نفقتهم علي أصولهم . وهذا الرأى أوسع من سابقه ، ولكن لايعطى معني القرابة كلها ، وإما أن القرابة التى توجب النفقة هى القرابة المحرمية ، مثل الأعمام والعمات والأخوات والخالات ، والقول الراجح فى هذه المسألة هو عموم القرابة بلاإستثناء ، سواء كانت قريبة أم بعيدة ، ويشترط في نفقة الأقارب حاجة القريب للنفقة ، فإن لم يكن محتاجاً لايستحق النفقة ، لأن النفقة تعطي لدفع الهلاك . والفقير العاجز إن لم يكن له أقارب ، تنفق عليه الدولة من بيت مال المسلمين .

نفقة الزوجة : علي الزوج أن ينفق علي زوجته ، سواء كان معها أم بعيداً عنها ، لقول الرسول ﷺ : (ألا حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن) [1] . ولما جاء أيضا عن ابن عمر قال : كتب عمر - عمر بن الخطاب رضى الله عنه - إلي أمراء الأجناد ، ادعو فلاناً وفلاناً ... ناساً إنقطعوا عن المدينة ورحلوا عنها إما أن يرجعوا إلي نسائهم وإما إن يبعثوا بنفقتهن إليهن ، وإما أن يطلقوا ويبعثوا بنفقة ما مضي [2] .

نفقة المعتدة :[3] والمعتدة إما أن تكون من وفاة أو معتدة من طلاق ، أما المعتدة من وفاة فلا نفقة لها إن لم تكن حاملاً بالاجماع . وأما المعتدة من الطلاق فإنها تستحق النفقة سواء كانت حاملاً أم حائلاً ، أما الحامل لقوله تعالي : «... **وإن كُنَّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن** ... »[4] وأما الحائل

(١) سنن الترمذي ٤٦٧/٣ ، كتاب الرضاع ، باب ١١، ما جاء في حق المرأة على زوجها ، حديث رقم ١١٦٣، قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وسنن ابن ماجة ٥٩٤/٢ ، كتاب النكاح باب ٣، حق المرأة على الزوج ، حديث رقم ١٨٥١.

(٢) انظر : المغنى لابن قدامه المقدسى ، ٥٧٣/٧ ،وسنن البيهقى ٤٦٩/٧.

(٣) **المعتدة** : تطلق علي المرأة المطلقة أو من مات زوجها ، أو هى الأيام التى تتربص فيها المرأة المفارقة لزوجها ، فلا تتزوج فيها ولاتتعرض للزوج ، وعدة المرأة هى الأيام التى بإنقضائها يحل لها أن تتزوج . انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن . ص ٣٣٦.

(٤) سورة الطلاق : الآية ٦.

فلأن إحتباسها لحق الزوج لمعرفة براءة رحمها من ولده ، وهى تستحق النفقة سواء كانت مطلقة طلاقاً رجعياً أم طلاقاً بائناً بينونة صغري أو كبري ، والنفقة تكون بالمسكن وسد حاجتها من ملبس ومأكل .

نفقة العبد : تجب نفقة العبد علي سيده ، من مطعم وملبس ومأكل ومعاملة حسنة[1] . لقول الرسول ﷺ : (للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، ولايكلف من العمل ما لا يطبق ...)[2].

والإسلام لم يقدر للنفقة حداً معلوماً ، ولكنه يراعي قدرة المنفق وحاجة المنفق عليه وبكل يسر وسهوله ، وعلي قدر الإستطاعة ، قال تعالي : « **لينفق ذوسعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفساً إلا ما آتاها** » [3].

قال الكيالهراسى * فى تفسيره لقوله تعالي : « لينفق ذو سعة من سعته» : (يدل علي أن النفقة تختلف بأحوال الزوج فى يساره وإعساره ، و أن نفقة المعسر أقل من نفقة الموسر ..) [4] .

ونفقة الأقارب تجب مطلقاً لسد حاجة القريب ، وتكون فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والرضاع ، ويبدأ بالأقرب ثم الأقرب ، بالوالدين ثم بالأبناء ثم من

---

(١) انظر : موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، د . محمد رواسى قلعجى ، مكتبة الفلاح – الكويت ، الطبعة الأولي ،١٤٠١هـ –١٩٨١م.

(٢) صحيح مسلم ١٣٤/١١ ، كتاب الإيمان ، باب صحبة المماليك ، ومسند أحمد بن حنبل ٢٤٧/٣ ، ٣٤٢.

(٣) سورة الطلاق : الآية ٧.

* **الكيالهراسى** : هو على بن محمد على أبو الحسن الطبرى ، أحد فحول العلماء ، درس الفقه والأصول وحفظ متون أحاديث الأحكام ، كان مفسرا له كتاب (أحكام القرآن) ، تتلمذ علي يد أبى الحسن الأشعرى الشافعى ، توفي رحمه الله سنة ٥٠٤هـ . انظر طبقات المفسرين للسيوطى ،ص ٤٠ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٢٣١/٧ ، وطبقات المفسرين للداوودى ٢٣٦/١ .

(٤) أحكام القرآن ، للطبرى – المعروف بالكيالهراسى . ٤٢٣/٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

يأتى بعدهم من ذوى الأرحام . فعن طارق المحاربى قال : قدمنا المدينة ، فإذا رسول الله ﷺ قائم علي المنبر يخطب الناس ويقول : (يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول أمل وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك)[1].

٢- **الزكاة** : لقد كان التكافل الإجتماعى فى الإسلام منبثقاً من عدة روافد ، أساسها العقيدة والمسئولية الجماعية ، والترابط الأخوى ، وجعل الزكاة رافداً أساسياً من روافد وسبل التكافل الإجتماعى.

أ) معنى الزكاة لغةً وإصطلاحاً

الزكاة لغة : الزكاة بالمد : النماء والزيادة ، وسمي القدر المخرج من المال زكاة ، لأنه سبب يرجي به الزكاء . فاصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالي ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية ، وزكاة النفس طهارتها [٢] .

الزكاة إصطلاحاً : إسم لما يخرجه المسلم من حق الله تعالي إلي الفقراء فهى حق معلوم فرضه الله تعالي فى أموال المسلمين لمن أُطلق عليهم فى كتابة من الفقراء والمساكين وسائر المستحقين ، تزكية للنفس والمال ، وشكرا لنعمة الله تعالي وتقرب إليه .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٢٦/٢ ، وسنن النسائى ٦١/٥ ، كتاب الزكاة ، باب أيتهما اليد العليا ، حديث رقم ٢٥٣٢ ، وسبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام (محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى) ، المتوفي (١١٨٢ هـ) ، ٤٥١/٣ ، تعليق وتصحيح وتخريج فواز أحمد زمرلى ، وإبراهيم محمد الجمل ، دار الريان للتراث- القاهرة، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧،

(٢) المصباح المنير ، ٣٠١/١ ، وأنظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٢١٨ . ذكر الدامغانى فى كتاب الوجوه والنظائر أن لكلمة الزكاة سبعة أوجه فى القرآن الكريم : منها بمعني النطق بالشهادة ، كقوله تعالي : فى سورة عبسى آية ٧ :« وما عليك أن يزكي » ، و الزكاة بمعني الزكاة المفروضة ، والزكاة بمعني أصلح ، كقوله تعالي فى سورة فاطر آية ١٨ :« فإنما يزكي لنفسه » ، والزكاة بمعني صدقة الفطر ، كقوله تعالي فى سورة الأعلي آية ١٤ « قد أفلح من تزكى»، وبمعني يبرئ ، لقوله تعالي فى سورة النساء آية ٤٩ : « ألم تر إلي الذين يزكون أنفسهم »، ومثلها فى سورة الكهف آية ٧٤ :« أقتلت نفساً زكية بغير نفس» ،يعني برئية ، والزكاة بمعني أحل ، أى من الحلال، لقوله تعالي فى سورة الكهف آية ١٩« فلينظر يأيها أزكي طعاماً» . والوجه السابع بمعني الصدقة، لقوله تعالي فى سورة مريم ١٣ : (وحنانا من لدنا وزكاة) أى صدقة. انظر: قاموس القرآن ، ص ٢١٨ .

والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة ، قرنت بالصلاة فى إثنتين وثمانين أية ، وقد فرضها الله فى كتابه العزيز وسنة رسول الله ﷺ ، وإجماع أمته رضوان الله عليهم .

قال تعالي : « **... فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ...** » [1] .

وقال تعالي : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ...** » [2] . وهذا خطاب منه عام لكل صغير وكبير وعاقل ومجنون ، وحر وعبد ، لأنهم كلهم محتاجون لطهره تعالي لتزكيته إياهم ، لأنهم كلهم من الذين آمنوا .

وقال سبحانه وتعالي : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة....** » [3] فالزكاة فرض علي الرجال والنساء من المسلمين ولاتؤخذ من كافر. [4] يقول تعالي : « **والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم** » [5].

وقال ﷺ فى حديث رواه ابن عمر (أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم علي الله) [6] .

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ بعث معاذاً* إلي اليمن [1] فقال : (إدعهم إلي

(١) سورة التوبة : الآية ٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

(٣) سورة النور : الآية ٥٦ .

(٤) انظر : المحلي ، لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، (ت ٤٥٦هـ)٥/٢٠١ ، تحقيق أحمد شاكر ، دار التراث – القاهرة .

(٥) سورة المعارج : الآيتان ٢٤–٢٥ . وانظر سورة الليل : الآيات ١٤–٢١ ، والروم : الآيتان ٣٨–٣٩ و ولقمان : الآيات ١–٥ ، سورة المؤمنون : الآيات ١–٤ .

(٦) فتح البارى ، ١/٩٥ ، كتاب الإيمان ، باب ١٧ ، قوله تعالي : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآوتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » ، حديث رقم ٢٥ ، وصحيح مسلم ١/٢٠٦ ، كتاب الإيمان ، باب قبول إسلام من أظهر الإسلام و أسر الكفر

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم خمس صلوات فى يوم وليلة فإن هم أطاعو لذلك فأعلمهم أن الله إفترض عليهم صدقة فى أموالهم ، تؤخذ من أغنياهم وترد إلي فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم)[٢] .

فالزكاة فرضت علي المشهور فى السنة الثانية من الهجرة ، فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال بينها ﷺ بياناً . مفصلاً والهدف من الزكاة هدف روحى وخلقى وعبادى ، ليس كما يتصور البعض من المغرضين أنها ضريبة تدفع لبيت مال المسلمين أوللفقراء أو علي من يستحقونها .

ب) مصارف الزكاة .

تعتبر الزكاة من أهم موارد التكافل الإجتماعى ، لما فيها من ترابط بين المسلمين ولما فيها من تعاطفهم مع بعضهم البعض وسد حاجات بعضهم البعض ، فلها مصارف لمن يستحقونها فى المجتمع المسلم ، وهذه المصارف جاءت فى قوله تعالي :« **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم** »[٣] .

والزكاة فى الإسلام حق أودين فى أعناق الأغنياء للفئات الضعيفة المستحقة .

بين ابن العربى * صاحب كتابة أحكام القرآن أن هذه الآية فيها عدة مسائل .

---

* **معاذ بن جبل** : هو معاذ بن جبل الأنصارى ، أبوعيد الرحمن ، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، صحابى جليل بعثه الرسول قاضياً إلي اليمن سنة عشرة من الهجرة ، توفى فى طاعون عمواس فى فلسطين سنة ١٨هـ . انظر : تهذيب الدووى ٩٨/١ و الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ١٤٠٢/٣ -١٤٠٧ ، رقم ٢٤١٦ .

(١) اى واليا وقاضياً إلي اليمن فى السنة العاشرة من الهجرة.

(٢) فتح البارى ٣٧٧/٣ – ٣٧٨ ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقة ، حديث رقم ١٤٥٨ . وللحديث ألفاظ أخري . وصحيح مسلم ١٧٩/١ -١٨٠ ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٠.

فالمسألة الأولي :أن هذه الآية من أمهات الآيات لأن الله تعالي بحكمته البالغة وأحكامه العالية خص بعض الناس بالأموال دون البعض نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج سهم يؤدونه لمن لامال له ، نيابة عنه سبحانه وتعالي ، لأن المال هو مال الله والإنسان متصرف فيه [1] . والصدقة عندما تطلق فى القرآن فهى صدقة الفرض . ونبين للأصناف المستحقة للزكاة بشيء من التفصيل .

١- الفقراء :

هم الذين لا يملكون قوت عامهم ، ويدخل فى إطارهم الأسرة التى ليس لها مصدر دخل كافى ، والطلبة المنقطعون الذين لايجدون نفقات دراستهم .

جاء فى موسوعة فقه عمر بن الخطاب : (أن الفقير هو الذى يملك أقل من أربعين درهماً فائضاً عن حاجته)[2] .أى أن الفقراء هم الذين يملكون أقل من النصاب ، أو يملكون نصاباً مستغرقاً بالدين.

٢- المساكين :

والمسكين هو الذى تكون نفقته أكبر من حاجته ، أو هو الذى لا يملك قوت يومه ، ولايستطيع أن يكسب ما يكفيه . ويشمل ذلك العاجز عن الكسب لعاهة خِلْقِية أو مرضية ، أو المريض الذى لايجد نفقات العلاج ، وضحايا الكوارث والجوائح [3] .

قال تعالي:«**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً**

---

* **ابن العربى** : هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافرى ، الأشبيلى المالكى أبوبكر العربى ، ولد فى اشبيلية سنة ٤٦٨هـ ، قاضى ومن حفاظ الحديث ، وعالم فى الفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ ، وهو غير محى الدين ابن العربى ، توفى رحمه الله بالقرب من فاس سنة ٥٤٣هـ . انظر : طبقات المفسرين للداوودى ، ١٦٢/٢ ، رقم ٥١١ ، وطبقات المفسرين للسيوطى ، ص ٣٤ ، والأعلام للزركلى ٢٣٠/٥ ، والبداية والنهاية ، ٢٢٨/١٢ ، وشذرات الذهب ، ١٤١/٤ .

(١) انظر : أحكام القرآن ، لأبى بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى (٤٦٨هـ -٥٤٣هـ) ، ٩٥٧/٢ ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، وأحكام القرآن للكياالهراسى ٢٠٥/٣ .

(٢) موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، قلعجى ، ص ٣٦٥

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٣٦٦ .

وأسيراً»[1].

قال الطبرى فى تفسيره : (يعني جل ثناؤه بقوله ، مسكيناً ، ذوى الحاجة الذين أدلنهم الحاجة)[2] .

بالنسبة لتفسير الطبرى فى هذه الآية بأن المسكين هو من أذلته الحاجة فقد جانبه الصواب والله أعلم . لأن الغالب من الفقهاء وغيرهم قد أجمعوا علي أن المسكنة وإن كانت لازمة للفقر فليس. معناها الذل والهوان فإنه ربما كان يغني النفس أعز من الملوك الاكابر ، بل معناها العجز عن إدراك المطالب ، الدنيوية والعاجز ساكن عن الإنتهاض إلي مطالبة [3] .

قال عمر رضى الله عنه : ليس الفقير الذى لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق [4] الكسب [5] .

جاء عن الطبرى وابن العربى وغيرهما بيان للفروق بين الفقير والمسكين ، نفصلها فى الآتي :

- أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين .
- الفقير هو المحتاج المتعفف ، والمكسين هو الفقير السائل .
- الفقير المسلم ، والمسكين الذمى من أهل الكتاب .
- الفقير الذى لاشيء له ، و المسكين الذى له شيء ، أي له متاع وما إلي ذلك .
- أنهما واحد ، وذكر المسكين فى القرآن للتأكيد ، لأنه لافقر إلا ويحسن أن يسمي

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٨ .

(٢) تفسير الطبرى ، ٢٠٩/١٤ .

(٣) انظر : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، محمد بن علي ابن محمد الشوكانى ، المتوفى سنة (١٢٥٥هـ) ، ١٥٨/٤ ، مكتبة التراث – القاهرة .

(٤) **الأخلق** : بمعني اللين الأملس ، ومعني قول عمر رضى الله عنه يعنى الأملس من الحسنات الذى لا يقدم لآخرته شيئا يثاب عليه ، أراد أن الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة ، وأن فقر الدنيا أهون الفقرين . لسان العرب ١٠ /٨٩.

(٥) تفسير الطبرى ، ١٥٩/٦ . وتفسير الماوردى ، (النكت والعيون) ، ١٤٦/٢ .

مسكيناً .

- أن الفقراء هم المهاجرين ، والمساكين الأعراب [١] .

ويري الباحث أن ما ذكر من فروق فيه تقارب لايفى بالمعني المطلوب ، فالفقير من ليس له مال ولاكسب حلال لائق به ليفى حاجته وكفايته من ملبس ومطعم ومسكن وسائر مالا بدمنه لنفسه ، ولمن يعولهمدون إسراف أو تقتير ، أما المسكين من قَدِرَ علي مال أو كسب حلال لائق به ، ولكن لا يسد حاجته وكفالته ومن يعولهم من هذا المال ، وبالجملة الفقر فى ظاهرة أدل علي الحاجة من المسكنة .

٣- العاملون عليها :

وهم جباتها والساعون فى جمعها ثم تفريقها، فهؤلاء وإن كانوا أغنياء يعطون منها جزاء لعملهم ، فمن يعمل فى الجهاز الإدارى والفنى لشئون الزكاة من جباية وصرف ، أو أى أشخاص آخرين يقومون بأعمال جمع وتوزيع الزكاة تحت إشراف ديوان الزكاة فهؤلاء لهم نصيب من الزكاة .

جاء فى تفسير أحكام القرآن : (وأما العاملون فإنهم يأخذون من جهة الفقراء لا من جهة رب المال ، إلا أنه لا يدفع إليهم إلا أجرة سعيهم ، فهم كالوكلاء للفقراء ...)[٢].

قال قتادة : (، والعالمين عليها ، جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها)[٣] .

ولما كانت الزكاة لاتدفع لكافرٍ ، فإن عمرين الخطاب رضى الله عنه ، نهي إستعمال الكفار كمحاسبين وجباة للزكاة ، لئلا يؤول الأمر إلي دفع الزكاة إليهم . فقد أنكر علي أبي موسي الأشعري إتخاذه كاتباً من غير المسلمين [٤].

٤- المؤلفة قلوبهم :

---

(١) انظر المرجع السابق ١٥٨/٦ ، وأحكام القرآن للكياالهراسي ، ٢٠٨/٣ -٢٠٩ ، وأحكام القرآن لابن العربي ،٩٦١/٢.

(٢) أحكام القرآن للكياالهراسى ٢١٠/٣ .

(٣) تفسير الطبرى ١٦٠/٦ . وتفسير الماوردى ، ١٤٦/٢ .

(٤) انظر : نيل الأوطار للشوكانى ، ١٦٤/٤ -١٦٥ ، وموسوعة فقه عمر بن الخطاب، ص ٣٦٤ .

هم الذين كانوا قد دخلوا الإسلام حديثاً لتقوية قلوبهم ، ويراد تأليف قلوبهم بالإستمالة إلي الإسلام أو التثبت عليه أو لكف شرهم عن المسلمين ، أو رجاء تفعهم للدفاع عنهم ، أو نصرهم علي عدولهم ، وقد اختفى هذا القسم فإن وجد صرف له[1] .

قال القرطبى: (،والمؤلفة قلوبهم ، لاذكر للمؤلفة قلوبهم فى التنزيل غير قسم الصدقات ، وهم قوم كانوا فى صدر الإسلام ، ممن يظهر الإسلام ، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم . قال الزهرى * : المؤلفة من أسلم من يهودى أو نصرانى وإن كان غنياً ، وقال بعض المتأخرين :أختلف فى صفتهم فقيل : هم صنف من الكفار يعطون ليتألفوا علي الإسلام ، وكانوا لايسلمون بالقهر والسيف ، ولكن يسلمون بالعطاء والإحسان ، وقيل : هم قوم أسلموا فى الظاهر ولم تستيقن قلوبهم ، فيعطون ليتمكن الإسلام فى صدورهم ، وقيل : هم قوم من عظماء المشركين يعطون لتيألفوا أتباعهم علي الإسلام . قال : وهذه الأقوال متقاربة والقصد بجميعها الإعطاء لمن لا يتمكن إسلامه حقيقة إلا بالعطاء فكأنه ضرب من الجهاد) [2] .

وقال الكياالهراسى : (فقد قيل كان ذلك وزال ، وقد قيل للإمام أن يتألف قوماً إذا رأي فى تأليفهم صلاحاً للمسلمين لمافيه من دفع ضررهم ، أو الضرر بمكانهم ، فله أن يدفع إليهم سهم المؤلفة قلوبهم، فإن الله تعالي لم يخص وقتاً دون وقت)[3] .

يتضح مما سبق أنه يجوز للإمام عند الحاجة أن يؤلف قوماً لايطيعونه إلا للدنيا ، ولا يستطيع إدخالهم تحت طاعته بالقسر والغلبة .

٥- في الرقاب :

---

(١) للإستزادة فى هذه المسألة راجع تفسير الماوردى ، ١٤٧/٢ .

* **الزهرى** : هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، الإمام ، ولد سنة خمسين، حدث عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس ابن مالك وغيرهم من الصحابة وكبار التابعين ، وعنه صالح بن كيسان والأوزاعى وسفيان بن عيينة. وهو من علماء الحديث الأفذاذ ومن حفظة القرآن ، حفظه فى ثمانين ليلة، توفي رحمه الله فى رمضان سنة أربع وعشرين ومائة. انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٨/١-١١٣، رقم ٩٧ .

(٢) تفسر القرطبى ١٧٨/٨ -١٧٩ ، ونيل الأوطار للشوكانى ١٦٦/٤ .

(٣) أحكام القرآن للكياالهراسى ٢١١/٣، وأحكام القرآن لابن العربى ٩٦٣/٢-٩٦٧، ونيل الأوطار ١٦٦/٤-١٦٧.

هم العبيد الذين لا سبيل إلي عتقهم ، ويطلق هذا اللفظ أيضا علي الأسري ، ذكر ابن العربى : إنهم المكاتبون ، والمقصود بذلك العتق ، وذلك بأن يبتاع الإمام رقيقاً فيعتقهم ، ويكون ولاؤهم لجميع المسلمين ، والصحيح فى ذلك بشراء الرقاب وعتقها ، كما هو ظاهر القرآن . وكما سبق الحديث عن الرقيق بأن ما جاء فى القرآن من كلمة الرقبة ، فهى بمعني العتق ، ولو أراد المكاتبين لذكرهم بإسمهم الأخص ، ولأن المكاتب يدخل ضمن الغارمين لما عليهم من دين الكتابة ، فلا يدخلوا فى الرقاب[1] .

وقد زال الرق بحمد الله ، ولم يبق من هذا إلا باب فك الأسري ، بإعطاء فدية مالية ، وإعانتهم علي معيشتهم ، وتسهيل سبل العيش لهم بعد فك إسراهم .

٦- الغارمون:

هم المدينون الذين عجزوا عن الوفاء بديونهم ، ولم يكونوا قد اقترضوها إسرافاً أو أوبتذيراً .

قال الطبري : (وأما الغارمون : فالذين ستدانوا فى غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولاعرض ، فعن مجاهد قال : الغارمون من إحترق بيته ، أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ، ويدان علي عياله -أى الذى يستدين المال حتي ينفق علي عياله - وقال غيره : هم الذين يستدينون فى غير فساد كإصلاح ذات البين ، فينبغى للإمام أن يقضى عنهم[2] .

وتعهد الشرع بسداد الدين عن المدينين تشجيعاً علي القرض الحسن ، لانه لايذهب الدين عن صاحبه بإفلاس المدين أو نحوه ، فإن عجز المدين عن الأداء فيؤدي عنه من الزكاة[3] .

٧- في سبيل الله :

---

(١) انظر أحكام القرآن ، لابن العربى ٢/٩٦٧ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ، ٦/١٦٤ -١٦٥ ، وتفسير القرطبى ٨/١٨٣ -١٨٤ ، ونيل الأوطار ٤/١٦٧-١٦٨ .

(٣) انظر: تنظيم الإسلام للمجتمع، أبوزهرة ،ص ١٥٧ ، والتكافل الإجتماعى فى الإسلام، أبو زهرة ،ص ٩٢ ، والإسلام والضمان الإجتماعى، د . محمد شوقى الفنجرى ، ص ٧٨ ، والدستور القرآنى فى شئون الحياة ، محمد عزة دروزة ١/٢٢٨ ، ومنهاج ، المسلم، أبوبكر الجزائرى ، ص ٢٩٧ ، دار الطباعة الحديثة ، الدار البيضاء - المغرب ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

وهو مصرف عام تحدده الدولة ، ومنه تجهيز المجاهدين ، وعلاج المرض ، وتعليم العاجزين .

قال القرطبى فى تفسير قوله تعالي : « وفى سبيل الله » هم الغزاة ومواضع الرباط يعطون ما ينفقون فى غزوهم ، كانوا أغنياء أم فقراء ، وهذا قول اكثر العلماء [1] .

قال ﷺ: (لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة: رجل عمل عليها، أو رجل إشتراها بماله، أو فى سبيل الله، أو ابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فأهداها له)[2].

٨- ابن السبيل :

وهو الذى يكون فى مكان لايجد فيه المأوي والطعام ، وله مال فى موطنه قد إنقطع عنه ، فمن واجبات المجتمع المسلم أن يحفظه ويتفقد أحواله ، ويقدم إليه يد العون والمساعدة ، ويجوز إعتبار ما ينفق عليه دينا يؤخذ منه إن عاد إلي بلده .

جاء فى تفسير الطبرى فى قوله تعالي : « وابن السبل » يقصد به المسافر من بلد إلى بلد ، والسبيل هو الطريق ، وقال قتادة المقصو به الضيف [3] .

ولقد إعتبر ابن العربى أن الحج من جملة السبيل مع الغزو ، لأنه طريق بر فأعطى منه بإسم السبيل [4])[5].

مما سبق ذكره يتبين أن هذا التفصيل للأصناف الثمانية ممن يستحقون الزكاة

---

(١) تفسير القرطبى ١٨٥/٨ . و تفسير الماوردى ، ١٤٨/٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤٦٦/١ ، وسنن أبى داود ، ١٢٢/٢ ، كتاب الزكاة ، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غنى ، حديث رقم ١٦٣٥ ، وسنن ابن ماجه ٥٩٠/١ ، كتاب الزكاة ، باب ٢٧ ، من تحل له الصدقة ، حديث رقم ١٨٤١ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ١٦٦/٦ ، و أحكام القرآن للكياالهراسى ٣٢١٣/٣ ، نيل الأوطار ، ١٦٩/٤ .

(٤) احكام القرآن لابن العربى ٩٦٩/٢ وتفسير القرطبى ١٨٥/٨ .

(٥) للإستزادة فى هذا الموضوع يراجع المحلى لابن حزم ١٤٤/٦ – ١٥٥ ، وتفسير الفخر الرازى ١٠٢/١٦ –١١٦ فلقد افاض رحمه الله فى شرح الآية الكريمة التى تتحدث عن مصارف الزكاة .

توضح بأن الزكاة أول تشريع منظم فى سبيل عرفته البشرية التكافل الإجتماعى ، والغاية من ذلك تحقيق الكفاية لكل محتاج ، والكفاية تكون فى المطعم والملبس والمسكن، وسائر حاجات الحياة لنفس الشخص أو من يعولهم دون إسراف أوتقصير .

نخلص من ذلك إلي أن الزكاة مظهر تفيض به القلوب المؤمنة من إحساس بالمسئولية الإجتماعية ، وشعور بالتضامن وإلارتباط ، فعن طريقها يتحقق تقريب الفوارق وإشتراك الأفراد فى منابع الثروة ، وتتحقق أهداف الزكاة بنص الإسلام علي تحديد مصارفها كما سبق ذكره ، حتي لا تنحرف عن غايتها الأولي من تحقيق التكافل ، وسد ثغرات الفاقة والهوان . وبعض هذا المصارف قد يختفى فى عصر من العصور ، كالمؤلفة قلوبهم والرقاب ، ولكنها قد توجد بإختلاف الأجيال والأحوال .

أما الذى يبقى دائماً من مصارف الزكاة ، فهى الثغرات المفتوحة فى المجتمع ، للضعف والحاجة ، فتأتى الزكاة لتأسو علي الجراح ، والإسلام فرض الزكاة لأن بها فريضة للتكافل الاجتماعى وحلا ناجحاً لمشكلة الحاجة والضعف ، فهى مصدر متجرد يشمل علي مصادر الكسب والعمل ، ويصب فى مصب واحد ،فلايزال أثرها يمسح آلام المحتاجين والفقراء ، ويقضى علي الثراء الفاحش بما فيه إستعلاء وازدراء لحقوق الضعفاء والمساكين .

والحق أن المجتمع المسلم بفضل الزكاة كان بمنجي من البؤس والحزن والهوان ، وكانت الحياة فيه كريمة علي كل فرد ، وكانت الزكاة حلا يخفف من الأحقاد ويلطف من حده الصراع ، ويحقق التآزر بين القادرين والعاجزين ، والتاريخ يشهد أن المجتمع الإسلامى عن طريق الزكاة قد نجح فى تحقيق السلام بين الطبقات ، وتحقيق الكفاية للمحتاجين ، حتي إنعدمت صور الفقر والمسكنة فى كثير من البلاد . ولننظر إلي عهد عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ، عندما جمعت الزكاة فى إحدي السنوات، فلم يكن لها مصرف للفقراء والمساكين لأنها سُدت حاجة الجميع . فليس هذا عجيباً أو مستنكراً. فإن الزكاة علاج حقيقى للفقر ، وترويض لمشاعر البخل والشح ، وللأسف الشديد أن بعض المجتمعات الإسلامية اليوم لم تهتم لهذه الفريضة الربانية . بل إن البعض أسقطها فلم يكن لها ذكر فى حياتهم ، إلا من رحم ربى من الأفراد

الذين يخافون ويتقون الله. وما نراه من فقر وبلاء وحاجة عند الناس، وظهور للطبقات بين المجتمع، طبقة فاحشة الغني، وأخري مدقعة[1] فى الفقر، وما نضبت[2] مشاعر الخير والرحمة وأنتشرت الأنانية بين الناس ، إلا لأنهم أسقطوا فريضة الزكاة من حسابهم ، فإن عصرنا الحاضر لهو أشد العصور حاجة إلي إقامة فريضة الزكاة والتمسك بتطبيقها ، حتي يشعرالمجتمع الإسلامى بوجود الحياة ووحدته بين الأفراد .

وكما بينا فى بداية الحديث من هذا المبحث أن الإسلام قد سلك عدة طرق للتكافل الإجتماعى أولها (النفقات) ومالها من دور فى التكافل و ثانيها (الزكاة) ومالها من أهمية فى التكافل الإجتماعى، وثالثها الصدقات والكفارات .

٣- الصدقات والكفارات [3] .

أ) **الصدقات** : جمع صدقه وهى ما يعطى للفقراء والمحتاجين من المال . والصدقة إماأن تكون مندوبة وإما أن تكون واجبة . فالمندوبة يتصرف بها المسلم منفرداً متي يشاء أو يصرفها فى أى وجه من وجوه البر والإحسان ، وبالإمكان إعطاؤها للدولة فتنفقها فى وجوه البر وهى صدقة تطوع .

وأما الواجبة : فهى كالزكاة ، فقد تحدثنا عنها سابقاً ، ويمكن أن تعتبر الكفارات من قبيل الصدقات الواجبة ، لأن فيها معني الصدقة ، وإن كانت هى فى الأصل جوابر للذنوب وزواجر للعباد.

والقرآن الكريم حث وشجع علي الصدقة فأعتبرها قرضا حسناً ، وفى ذلك

---

(١) **مدقعة** : من مدقع بالقاف ، والدقعاء التراب أى فقر ملصق بالتراب ويفضى بصاحبة إليه .

(٢) **نضب** : من النضوب ، وهو القلة والنقصان . يقال : نضب الماء من البئر أى نقص منه .

(٣) **الصدقة**: وهى العطية تبتغى بها المثوبة من الله تعالي، الكليات ص ٥٥٧، والتعريفات ص ١٧٤.

- **والكفارة** : عقوبة قدرها الشارع عند ارتكاب مخالفة لأوامر الله تعالي فى حالات خاصة. وهى حق الله تكفيرا للذنب الذى ارتكبه المسلم، وعقوبة له وزجراً لغيره ، والآثام التى تجب فيها الكفارة هى القتل الغير عمد والحنث فى اليمين وعدم إيفاء النذور ، أو نذر معصية ، والظهار ، والإفطار العمد ، ومخالفة أحكام الحج . و الواجب فى الكفارة إما العتق أو الكسوة أو الإطعام أو الصيام أو الدم أو الذبح أو أمور أخري مناسبه. انظر: موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ٥٧٩ - ٥٨٠، وقليوبى و عميرة ٤/ ٢٠ -٢١ .

يقـــول سبحانـــه وتعالـــي: « **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبصط وإليه ترجعون** »[1].

قال الطبرى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة من هذا الذى ينفق فى سبيل الله ، فيعين ضعيفاً أو يقوى ذو فاقة ، فهو يريد الجهاد فى سبيل الله ، ذلك هو القرض الحسن الذى يقرض العبد ربه ، وما هذا الإنفاق والعطاء إلا إبتغاء ما وعده الله للمنافقين من جزيل الثواب يوم القيامة [2] .

ذكرابن كثير فى تفسيره للآية أنه لما نزلت الآية قال أبو الدحداح الأنصارى : يارسول الله أو هل يريد الله عز وجل منا القرض ؟ قال نعم ياأبا الدحداح ، فقال له أبو الدحداح أرنى يدك يا رسول الله، وناوله الرسول ﷺ بده ، فقال له أبو الدحداح : إنى أقرضت ربى حائطا[3] فيه ستمائة نخلة[4] .

والقرآن قد بين أن الصدقات تنمو فى المجتمع ، وأنها تعود علي صاحبها ،وعلي الناس بالخير . قال تعالي : « **ومثل الذين ينفقون أموالهم إبتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل** [5] **والله بما تعملون بصير** »[6].

فهذه الآية الكريمة كما ذكر كثيرٌ من المفسرين أنها جاءت فى الحث علي الإنفاق

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ، ٥٩٢/٢ ، والتفسير المنير ٤١٧/٢ .

(٣) الحائط : هو البستان فيه شتي الثمار.

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ،٩٩/١ ، والتفسير المنير ، ٤١٧/٢ .

(٥) مطل : الطل هو الندي . وفى الصحاح أضعف المطر ، وهو المطر الخفيف (الرذاذ) . أما الندي فتجوز وتشبيه فأراد بضرب هذا المثل أن كثير البر مثل زرع المطر كثير النفع . انظر تفسير الماوردى ، ٢٨٣/١ .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٦٥ .

فى سبيل الله ، لتقوية أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين ، والإكثار من الصدقات المتروكة للتطوع فهى إيضاح لدستور الصدقة والتكافل الاجتماعى ، والإنفاق فى سبيل الله ، فذلك كله إبتغاء مرضات الله ، وينفقه عن ثقة ثابته فى الخير نابعة عن الإيمان ، عميقة الجذور ، فشبه الله تعالي الخير العائد علي المنفق بالجنة التى تؤتى ثمارها مرتين . فكما أن الصدقة تحى قلب المؤمن فيزكوا ويزداد صلة بالله ، ويزكو ماله كذلك ، ويضاعف له ما يشاء ، فكذلك الجماعة المسلمة تزكو حياتهم بهذا الإنفاق وتصلح أمورهم وأحوالهم [1] .

والقرآن الكريم أمر بالصدقات المنشودة وحث عليها فى كثير من الآيات ، واعتبر عدم الإنفاق يؤدى بالأمة إلي الهلاك ، لأنه يحدث خللا فى البنيان الإجتماعى ، إذا أن معاونه الفقير حماية للأمة من الفتن ، وفيها إنشاء قوة بكفالة الصغار الفقراء وغيرهم ، فعسي أن يكون منهم من يقيم دعامات البناء فى مجتمعه .

والصدقة تنفذ ليس عن طريق الوالى أو ولى الأمر كما فى الزكاة ، أى ليس إلتزام دينى وقضائى وإدارى ، بل الصدقة إلتزام دينى خالص ، يرجع تنفيذها إلي العبد نفسه موكول فيها وإلي ضميره .

والصدقات أنواع : منها صدقة الفطر ، وصدقة مناسك الحج، ويقرب منها صدقة الأضحية، والصدقات الإختيارية التى يتطوع بها الفرد تطهيراً لنفسه ، تخليصها عن الذنوب والآثام ، فقد قال ﷺ : (الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءالنار) [2] والصدقة توجد فى المال البركة ، قال ﷺ : (ما نقص مال من صدقة) [3] .

والصدقة تكون من غير تفاخر وخيلاء ، أو منٍ وأذي ، فالله سبحانه وتعالي يقول : « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم** »[4].

والوقف [1] كذلك من الصدقات التطوعية ، فهو غير ملزم ، ولكن هذا النوع

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ /٦٩ ، تفسير الماوردي ، ٢٨٢/١ ، ٢٨٣ ، وتفسير فتح القدير ٢٨٤/١ ، وتيسير الكريم الرحمن ٢١١/١ ، وفي الظلال ٤٥٢/١، ٤٥٣.

(٢) اخرجه أبو داود فى سننه ٢٠٨/٥ ، كتاب الأدب ، باب فى الحد ، حديث رقم ٤٩٠٣ .

(٣) سنن الترمذى ٥٦٢/٤ ، كتا ب الزهد ، حديث رقم ٢٣٢٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٣ .

إختص وتميز عن كل الصدقات ، لأن له صفة الدوام والاستمرارية فى المنفعة ، فلا تنقطع فهى صدقة جارية حتي بعد موت صاحبها ولقد أدي الوقف دوراً كبيراً فى باب التكافل الإجتماعى فى عصور الإسلام ، فى جميع أمصارها .

فكانت أوقاف المساجد ، وأوقاف الخانات ، وأو فاق المقابر ، والأوقاف علي القرض الحسن ، بل تجاوز الأمر فى جلائل الأعمال ، بأن وجد وقفاً للإحسان علي الحيوان . والوقف بصوره الواسعة لم يعرف إلا فى الإسلام [٢] .

إن الصدقة بمعناها الواسع تشمل كل عمل فيه خير ، من إرشاد للضال و إماطة الأذي ، والعدل بين اثنين ، والتبسم فى وجه الأخ ، وغرس الشجر للأكل والتظلل ، وتعليم العلم النافع ، وإصلاح ذات البين ، فكل هذا هو تكافل بين أفراد المجتمع المسلم الواحد .

ب) الكفـــــارات

والكفارة يمكن أن نعدها من الصدقات المالية الواجبة ، لما فيها من الجانب المالى . وهى تعد من سبل ترابط المجتمع وتكافلة ، لما فيها من إيجاد للمحبة بين الناس وتوثيق للعلاقات الطيبة .

أنواع الكفارات :

لقد جعلت الشريعة الإسلامية من خلال فهما للطبيعية البشرية ونزوع هذه الطبيعية إلي الجموح، مخرجا تتطهر من خلاله ما ارتكبته من خطايا وذنوب ، وهذا المخرج هو ما يعرف باسم (الكفارات) ، وهذه لا تخرج عن كونها إنفاقاً لبعض المال فى صورة نقدية أو عينية فى عدة وجوه ، حددتها الشريعة الإسلامية وفقاً وطبيعة الذنب المراد تكفيره ، ومن سماحة الإسلام أن جعل بديلاً عن ذلك لمن لا يجد ولايستطيع الدفع النقدى أو العينى، ويتمثل هذا البديل فى بعض الكفارات فى الصوم .

---

(١) **الوقف** : هو حبس أصل المال وتسبيل ثمرته أى حبس الملك والتصدق به أو بمنفعته . انظر : موسوعة عمر بن الخطاب ، ص ٦٨٠ ، والتعريفات ص ٣٢٨ وقليوبى وعميرة ، ٩٧/٣ ، كتاب الوقف .

(٢) انظر : تنظيم الإسلام للمجتمع ، أبوزهرة ، ص ١٦٨ ، والتكافل الإجتماعى فى الإسلام ، للإمام محمد أبو زهرة ، والمجتمع المتكافل ، د . عبدالعزيز الخياط ١٧٤ -١٧٥ .

وهذا كله فيه من تكافل الفرد مع نفسه ومع مجتمعه .

١- **كفارة اليمين** : قال تعالي :« **لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** [١] **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون**» [٢] . فالله سبحانه وتعالي بعد أن ذكر ان اللغو فى الإيمان لا يؤاخذ عليه العبد، ولكن يؤاخذ بما عقد عليه من القول، فكفارة ذلك إطعام عشرة مساكين مما تطعمون به أهليكم أو كسوة هؤلاء المساكين أو تحرير عبد مملوك، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام [٣] .

جاء فى تفسير روح المعاني : (أن هذه الآية نص فى كفارة اليمين ، فمن حلف علي أمر يريد أن يفعله ثم حنث فى يمينه ، فكفارته أن يطعم مساكين من خير ما يطعم أهله)[٤] .

أو كسوتهم بما يستر عامة البدن ، أو تحرير رقبة أى عتقها ، ويجوز إعطاء القيمة بدل ذلك [٥] وكلمة (أو) فى الآية الكريمة جاءت للفصل بين هذه الثلاثة ، من أطعامهم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فإن لم يقدر علي إحداهما ، صام ثلاثة أيام متتابعات ، و كل نوع من أنواع الكفارات فى الآية الكريمة فيه من التيسير علي

---

(١) **عدم المؤاخذة فى اللغو بالأيمان** : هو ما سبق اللسان به فى الحلف ، كأن يقول : لا والله أو بلى والله فلا إثم علي ذلك .

(٢) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٣) انظر : تفسير أحكام القرآن للكياالهراسى ٣/٨٨-٩٧ ، وتفسيرأحكام القرآن لابن العربى ٢/٦٤٠ ،و ما بعدها ، وتفسير القاسمى ٦/٢١٣٤ -٢١٣٩ .

(٤) تفسير روح المعاني للألوس ٢/٣٧٢ ، الطبعة الأميرية – القاهرة ، سنة ١٣٠١هـ

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢/٥٦٠-٢٦٢١ ، والمطبعة البهية ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ .

الفقراء ونوع من أنواع التكافل .

٢) كفارة الفطر :

وهى التى تجب علي من أفطر فى رمضان عمداً وهوقادر علي الصوم ، فكفارته عتق رقبة مؤمنة[١]، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينا ،. لماورد فى خبر الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلي النبىﷺ فقال : هلكت قال : (ما أهلكك ؟) ، قال واقعت إمرأتى فى رمضان ، قال : (هل تجدما تعتق رقبة ؟) ، قال : لا ، قال : (فهل تسطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟) قال: لا، قال: (فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا؟) قال : لا ، قال: (إجلس) فجلس فأتي النبى ﷺ بعرق فيه تمر ، قال : (خذ هذا فتصدق به) ، قال: علي أفقرمنا؟ فضحك النبى ﷺ حتي بدت نواجذ، قال: (أطعمه علي عيالك)[٢] .

وجاء فى هذا الحديث من السماح بصرف الزكاة لأهله ، فهى خصوصية له لاتتعدي غيره [٣] .

وهذا الكفارة واجبة علي الترتيب عند الجمهور غير مالك * ، فهو يري أن كفارة رمضان تجب علي التخيير بين الإعتاق والإطعام وصوم الشهرين المتتابعين ، وأفضلها الإطعام لأن فيه من إيجاد التكافل والترابط والمحبة [٤] .

٣- كفارة الظهار .

---

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٥٦٠-٢٦٢١ ، المطبعة البهية – القاهرة ، ١٣٤٧هـ .

(٢) لم يشترط الأحناف ان تكون هذه الرقبة مؤمنة .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١١/ ٦٠٤ ، كتاب كفارات الإيمان ، باب من أعان المعسر فى الكفارة ، حديث رقم ٦٧٠٩ ، وللحديث ألفاظ أخري فى مظانها من كتسب السنن .

(٤) انظر : الفقه علي المذاهب الأربعة ، للشيخ عبدالرحمن الجزيرى ١/ ٥٤١ ، الطبعة الثانية

* **مالك** : هو الإمام مالك بن أنس بن مالك ، أبو عبدالله الأصبحى المدنى الفقيه إمام دارالهجرة . قال عنه العلماء : (بوشك الناس أن يضربوا أكباد الأبل فى طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة) له كتاب (الموطأ) فى الحديث ، ولد سنة ست وتسعين وتوفى رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة . انظر : تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٧ – ٢١٣ ، رقم ١٩٩ .

وهى الكفارة التى تجب علي من يظاهر إمرأته فيقول لها : أنت عليَّ كظهر أمى ، فتحرم عليه حتي يكفر عن ظهاره ، لأنه جعلها عليه حراماً . فإذا أراد أن يعود إلي زوجته جعل الشارع عليه جزاء هذا القول أن يقوم بالكفارة ، لعدم صون لسانه عن العبث ، ولعدم إحترامه رابطة الزوجية ، والكفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكينا . والأصل فى هذه الكفارة قوله تعالي : « **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله و تلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم** » (١) .

وسبب نزول هذه الحكم ، ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (تبارك الله الذى أوعي سمعه كل شيء إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفي علىَّ بعضه وهى تشتكي زوجها إلي رسول الله ﷺ وهى تقول : يارسول الله أكل مالى وأفني شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتي إذا كبرت سنى وإنقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إنى أشكو إليه ، قالت: فما برحت حتي نزل جبريل بهذه الآية « **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير**،(٢) (٣) .

فهكذا نري أن الشريعة الإسلامية تري أن من يظاهر زوجته ثم يرجع عن ظهاره ، لابد وأن يدفع تكاليف ذلك من تحرير رقبة مؤمنة ، والتى هى أمراً واجب لا مفر منه فى كفارة الظهار إن كان فى المجتمع عبيداً . وأما إن لم يوجد فيكون الخيار ،

---

(١) انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لمحمد بن رشد القرطبى (ت ٥٩٥ هـ) رحمه الله ، ٣١٣/١هـ راجعه عبدالحليم محمد عبدالعليم ، عبدالرحمن حسين محمود ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ، ١٩٦٦م.

(٢) سورة المجادلة : الآيتان ٣-٤ .

(٣) سورة المجادلة : الآية ١ .

وليس لمن لم يستطع . وهذا فيه من التكافل سواء بتحرير الرقبة أو صيام شهرين متتابعين .

٤- كفارة المتمتع :[١] .

والتمتع هو الترفق بأداء النسكين الحج والعمرة - فى سفر واحد من غير أن يلم بأهله بينهما إلماماً صحيحاً ، أى أن يهل الرجل بالعمرة فى أشهر الحج من الميقات ، وذلك إذا كان مسكنه خارجاً عن الحرم ، ثم يأتى حتي يصل إلي البيت ، فيطوف لعمرته ويسعي ويحلق فى تلك الأشهر بعينها من غير أن ينصرف الي أهله [٢] .

فإذا إرتكب الحاج محظوراً من محظورات الإحرام ، أو لتمتعه بالعمرة إلي الحج ، أو لقرانه بينهما، أو لغير ذلك فعليه كفارة ، و ذلك لقوله تعالي ، فى كفار المتمتع : «**... فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام...**» [٣] .

جاء فى تفسير القرطبى عند تفسيره للآية بعد أن فسر وجوه المتمتع ومايجوز له وما عليه ، قال فى تفسير قوله تعالي : « فمن لم يجد ، يعني الهدى [٤] ، إما لعدم المال أو لعدم الحيوان ، صام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلي بلده ، والثلاثة الأيام فى الحج آخرها يوم عرفة . وقال آخرون: يصومهن ما بين أن يهل الحج إلي يوم عرفة [٥] .

يأمر سبحانه وتعالي عباده المؤمنين أن يتموا الحج والعمرة له ، فيأتوا بهما علي

---

(١) تفسير ابن كثير ٣١٨/٤ ، وأسباب النزول للواحدى ، ص ٢٨٠ .

(٢) **التمتع** : هوالجمع بين أفعال الحج والعمرة فى أشهر الحج فى سنة واحدة فى إحرامين، بتقديم أفعال العمرة من غير أن يلم بأهله إلماما صحيحاً، فالذى إعتمر بلاسوق الهدى عندما يعود إلي بلده صح إلمامه وبطل تمتعه . أوهو أن يأتى الرجل بالعمرة فى أشهر ثم يتبعها بالحج. تفسير القرطبى ٢، ٣٨٦/، والتعريفات للجرجانى، ص ٩١، وموسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ١٧٤، ٢٦٢

(٣) انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ٣٤١/١.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .

(٥) **الهدى** : هو ما ينقل للذبح من الأنعام إلي الحرم .، أو هو ما يذبح فى الحرم قربة أو كفارة فى حج أو عمرة فى الحرم، التعريفات ٥-٣١٩ ، وموسوعة فقه عمر بن الخطاب ص ٦٦٧ .

الوجه المطلوب ، وأن يريدوا بهما الله رضى تعالي ، ويخبرهم أنهم إذا إحصروا ولم يتمكنوا من إتمامهما فالواجب عليهم أن يذبحوا أو ينحروا ما تيسر لهم ، فإذا ذبحوا أو نحروا حلوا من إحرامهم ، وذلك بحلق شعر رؤوسهم أو تقصيره ، كما أعلمهم أن من كان مريضا أو به أذي من رأسه وأضطر إلي حلق شعر رأسه أو لبس ثوب أو تغطية الرأس ، فالواجب بعد أن يفعل ذلك عليه فدية وهى واحدة من ثلاثة علي التخيير ، صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستين مسكين لكل مسكين حفنتان [1] من الطعام ، أو ذبح شاه . كما أعلمهم الله أن من تمتع بالعمرة إلي الحج ولم يكن من سكان الحرم عليه أن يذبح ما إستيسر من الهدى شاة أو بقرة ، فإن لم يجد ذلك صام ثلاثة أيام فى الحج ، من أول شهرالحجة إلي اليوم التاسع منه ، وسبعة أيام إذا رجع إلي بلاده [2].

وهنالك كفارات أخرى عن أمور تقع اثناء الحج والعمرة ، منها قتل الصيد أو مخالفة إحدى شعائر الحج.

يقول تعالي فى كفارة قتل الصيد فى الحج : « **يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مسكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره** . . . »[3].

قال ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : أن الله جعل جزاء من قتل الصيد وهو محرم بالحج أن يذبح النعم مثل ماصاد ويطعمه للفقراء ، أو أن يعطم الفقراء من طعام آخر ، أو يعطيهم قيمة ذلك سواء كان الصيد المقتول مثليا أو غيرمثل ، وهو مخير إن

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ٢/٣٩٩.

(٢) **حفنتان** : الحفنة ملء الكفين من الطعام ، ويجزئ اليوم كيلو رز أو بر أو تمر لكل مسكين ، ولايجوز ألغاء ذلك لحمام الحرم كما يفعل بعض الجهال .

(٣) انظر : ايسر التفاسير ١/١٧٧ ، وتيسر الكريم الرحمن ١/١٠٦ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٩٥.

شاء تصدق بثمنه وإن شاء إشتري به هدياً فذبحه [1] .

فنري فى هذه الآية الكريمة إنها حرمت علي الحاج قتل الصيد أثناء آداء الفريضة من تعمد ذلك فيجازي بذبح بمثل ما قتل من الصيد رأسا برأس ، وفقاً لما يحكم به ذوا العدل من الحجيج لضمان المماثلة فى الفداء ، ثم يوزع بعد ذلك علي الفقراء والمساكين أو يكفر عن ذبنه بإطعام مسكين أو مجموعة منهم بما يعادل قيمة الصيد ، أو عليه صيام عدد من الأيام توازى عدد المساكين الواجب إطعامهم عوضاً عن الذبح .

فالهدف من كفارة الصيد أثناء الإحرام تكافل الفرد مع نفسه بتعويدها علي طبضها عن الشهوات ودرءها ، وطاعة الله عز وجل . وفيها أيضا تكافل الفرد مع مجتمعه بإطعام المساكين والفقراء .

ويلحق بالكفارات الفدية [2] فى الصوم ، أو الإحرام بالحج.

قال تعالي : « ... **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ... » [3] وقال تعالي : « ... **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك...** » [4] .

أباح الإسلام لمن أضطر أن يحلق رأسه وهو محرم لأذي فى رأسه أو لأنه مريض ، أن يخرج صدقة إلي الفقراء والمساكين ، أو أن يصوم ثلاثة أيام أو أن يذبح شاه .

فى خلاصة الحديث عن الكفارات أنها نظام أستهدف بالدرجة الأولي تطهير النفوس من الذنوب والآثام التى لا ترتقى إلي درجة الجرائم والتى تقع ضمن نطاق

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٩٨ ، وكتاب أحكام القرآن للجصاص ٢/٥٨٧ .

(٢) **الفدية** : وجوب الفدية علي المريض الذى مر عليه حول كامل ، ولم يستطيع قضاء ما فطره فى رمضان ، موسوعة عمر بن الخطاب ، ص ٥٢٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٩٦ .

الحدود، حيث لايقبل فيها كفارة ولا فداء ، ولكن وسيلة الكفارات كما رأينا من الآيات الكريمة كانت وسائل مادية من عتق رقبة أو إطعام مسكين أو ذبح يوزع لحمه علي الفقراء والمحتاجين وحتي من لم يجد تلك الأمور بعقوبته مادية أيضا عن طريق الصوم وحرمانه من مستلزات الطعام والشراب، حتي يجد فى ذلك المعاناة ليرتدع مستقبلا .

والكفارات فى حد ذاتها كما رأينا أن الشارع سعي إليها إما وسيلة لرد حرية أحد أفراد المجتمع عند فقدانه لها أو لاطعام وكسوة المساكين، ومن ذلك يتبين أن هذه الكفارات والفدية تعود بالنفع علي المجتمع وتحقق المحبة والتساند والتكافل بين أفراده .

ب) ما كان على سبيل التطوع والإستحباب

تحدثنا فى بداية هذا المبحث عن الموارد والسبل لتحقيق التكافل الإجتماعى ، من الناحية الإلزامية مثل النفقات والزكاة والكفارات والصدقات ، ونتحدث فى هذا المطلب ، أيضا عن القسم الثانى من السبل التى يتحقق بها التكافل ، من الناحية التطوعية وتكون بالأمور التالية :-

١- **الوقف** : وقد تحدثنا عنه في معرض الحديث عن الصدقات ، بإعتباره من النواحي المالية التي لها صفة الدوام والإستمرارية في المنفعة .

والوقف يشمل جميع جهات الخير ومواطن البر ، من مساجد ومدارس ومستشفيات ودور للعجزة وغيرها ، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ : (إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية[١] . وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له) [٢] .

٢- **الوصية** :[١] والدليل علي الوصية قوله تعالي : « ... **وإن كان رجل**

---

(١) **دائمة** : متجددة النفع ، لاينقطع ثوابها .

(٢) صحيح مسلم ١١/٨٥ ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته وسنن الترمذى ٣/ ٦٦٠ ، كتاب الأحكام ، باب ٣٦ فى الوقف ، حديث رقم ١٣٧٦ ، قال أبوعيسي : هذا حديث حسن صحيح ، وسنن أبوداود ٣/١١٧ ، كتاب الوصايا ، باب ١٤ ما جاء فى الصدقة علي الميت ، حديث رقم ٢٨٨٠ .

يورث كلاله [٢] أو إمرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها ... » [٣].

ولقوله عز وجل : « **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين** » [٤].

أما السنة لقوله ﷺ : (ما حق إمرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)[٥] . وهذا التدبير الحكيم فى قضية الوصية من أهم العوامل فى تحقيق التوازن الإجتماعى بين أفراد المجتمع .

٣- **الضيافة** : الضيافة من التقاليد العربية الأصيلة التى أمر بها الإسلام ، فكل من قصر فى إكرام ضيفه وتساهل فى حفاوته فهو من المذمومين فى عرف المجتمع والأخلاق الكريمة ، لأنه خالف آداب الإسلام فى الكرم والحفاوة الإنسانية . ولذلك نجد الرسول ﷺ قد عد إكرام الضيف من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر ، قال ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[١] ، وهذا دليل أن الضيافة

(١) **الوصية** : تمليك مضاف إلي مابعد الموت . التعريفات للجرجانى ، ص ٣٢٦ . ولمزيد من الفائدة راجع الآيات المحكمات فى التوحيد والعبادات والمعاملات ، جمع وشرح ، الشيخ محمد بن أحمد ، الملقب بالده – الشنقيطى ، ص ١٨٨ ، صحح وعلق عليه أبو الفضل عبدالله محمد الصديق ، دار الفكر – الطبعة السادسة .

(٢) **الكلالة** : من لم يرثه أب أو ابن ، وهو مصدر من تكلله النسب، أو هو الميت من لاولد له ولا والد، معجم غريب القرآن ص ١٨٠ . وانظر : تفسير وبيان القرآن الكريم للسيوطى ، ص ٦٢ . وانظر تفسير الماوردى ، ١/ ٣٧٠ .

(٣) سوة النساء : الآية ١٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨٠ .

(٥) فتح البارى ٥/ ٤١٩ ، كتاب الديات، باب الوصاية وقول النبى () (وصية الرجل مكتوبة عنده) ، حديث رقم ٢٧٣٨ . وسنن الترمذى ٤/ ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، كتاب الوصايا ، باب ٣ ما جاء فى الحث علي الوصية، حديث رقم ٢١١٨ ، قال أبوعيسي هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي عن الزهري عن سالم عن ابن عمر عن النبى () ، أخرجه فى كتاب الجنائز باب ، ما جاء فى الحث علي الوصية ٣/ ٣٠٤ ، حديث رقم ٩٧٤ .

أمر لازم ، تعد فى عرف الإسلام من أهم الآداب الإسلامية ، والضرورات الإجتماعية ، ومن أهم رسائل التكافل الإجتماعى بين الأفراد فى المجتمع الإسلامى .

٤) **العارية** [٢] : ومن وسائل التكافل الإنتفاع بحاجات الغير دون مقابل ، كأن يستعير الجار من جاره شيئاً يلزمه لمنفعة ما ، ثم يرده دون أخذ مقابل ، وهذامن أعمال البر والخير ، لأن الناس لاغني عن بعضهم البعض ، فكل محتاج للآخر ، والكل فى حاجة لأخيه أن يساعده ، وقد أمر سبحانه وتعالي بذلك فقال :«... **وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان...** »[٣].

وقال تعالي منددأ ومتوعداً لمن يمنع الخير عن الناس : «**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون** » [٤] .

ذكر ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : « ويمنعون الماعون » أى لايحسنوا عبادة ربهم ولايحسنوا إلي خلقه ، حتي ولابإعارة ما ينتفع ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم . قال مجاهد أن الماعون الزكاة وقال غيره: هو ما يتعاوره الناس بينهم من فأس وقدر ، أو هو كل ما ينتفع به من شؤون البيت وغيره من دلو ومتاع [١] . وهذا ما فيه من توطيد لدعائم العطف والتراحم والألفة فى المجتمع .

---

(١) سنن أبى داود ٣٤١/٤ ، كتاب الأدب ، باب فى حق الجوار ، حديث رقم ٥١٤ . وانظر : سنن ابن ماجة ١٢١١/٢ ، حديث رقم ٣٦٧٢ .

(٢) **العارية** : هى تمليك المنفعة بلا بدل ، وهى بتشديد الياء . والتمليك أربعة أنواع : ١- تمليك العين بعوض وهو البيع . ، ٢- بلا عوض وهى الهبة ، ٣- تمليك المنفعة بعوض وهى الإجارة ، ٤- تمليك بلا عوض وهى العارية. انظر : الكليات ،ص ٦٥٢ ، والتعريفات ، ص ٨٨ ، والآيات المحكمات لمحمد بن أحمد الشنقيطى ، ص١٥٧ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٤) سورة الماعون : الآيات ٤- ٧.

٥- **الإيثار** : هو تقديم الغير علي حظوظ النفس الدنيوية رغبة فى الأجر والثواب . وقد إمتدح القرآن الكريم صحابة رسول الله ﷺ بخلق الإيثار والمحبة . قال تعالي :« **والذين تبوءو والدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...** » (٢) .

قال أبو السعود * فى تفسيره لقوله تعالي :« ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، أى يقدمون المهاجرين علي أنفسهم فى كل شىء من أسباب المعاش ، حتي أن من كان عنده إمرأتان كان ينزل عن إحداهما ويتزوجها واحداً منهم ، ولو كان بهم حاجة أو ضيق الحال (٣) . وقد روي فى سبب نزول الآية عن أبى هريرة أن رجلاً جاء إلي رسول الله ﷺ فقال : (إني تعب فأرسل إلي بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، فقال رسول الله ﷺ: من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجال من الأنصار : أنا يارسول الله ، فأنطلق إلي إمرأته . قال لها : أكرمى ضيف رسول الله ، وفى رواية قالت ماعندى إلا طعام صبيانى ، فقال نوميهم ، وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج ، وأريه أننا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا جائعين ، فلما أصبح الرسول قال : لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة (٤) .

فعلي مثل هذه المآثر من التضحيات ونكران الذات ، قام التكافل الإجتماعي فى المجتمع المسلم ودولة الإسلام .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ٥٥٥/٤ . وقد ذكر الماوردي في معنى قوله تعالى : (ويمنعون الماعون) تسع التأويلات : وهي الزكاة أو المعروف أو الطاعة أو المال أو الماء أو ما يتعاوره الناس أو منع الحق من الأموال أو منع المعونة بما خف فعله وقل ثقله . انظر : تفسير الماوردي ، ٥٣٠/٤.

(٢) سورة الحشر : الآية ٩ .

* **ابى السعود** : هو محمد بن حمد بن مصطفي العمادى . مفسر وشاعر من علماء الترك المستعربين ، من مصنفاته : تفسيره المسمي (إيثار العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) إشتغل بالتدريس ، ولد بالقرب من القسطنطينية ٨٩٨ هـ ، توفى رحمه الله سنة ٩٨٢هـ وكان عمره ٨٤ سنة . انظر : الأعلام للزركلي ٥٩/٧ ، وشذرات الذهب ، ٣٩٨/٨ - ٤٠٠ .

(٣) انظر : تفسير أبى السعود ، ٢٢٩/٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبرى . ٤٣/١٤ ، وأسباب النزول للواحدى ،ص ٢٨٨ .

٦- **الهدية والهبة** : [١] والهدية والهبة من وسائل التكافل الإجتماعى ، حض الإسلام عليهما ، فهما من العوامل التى تغرس فى النفوس والقلوب أواصر المحبة ، وتحقق فى المجتمع روابط الود والألفة ، وبل هى من موارد التكافل التى تظهر العطية بمظهر العزة والكرامة ، فلا يخجل الفقير بأخذها لايتحرج الغنى بقبولها، قال ﷺ: (تهادوا تحابوا) [٢] وعن عائشة رضى الله عنهـــا أنهـــا قالت : (كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها) [٣] .

وحتي لا تتولد الشحناء والبغضاء فى النفوس ، جاءت الشريعة الإسلامية محرمة الرجوع فى الهبة، ومنفرة بالعود فى الهدية ، فقال ﷺ : (العائد فى هبته كالكلب يقيء ثم يعود فى قيئته)[٤] .

وما ذلك إلا ليكون المجتمع فى بنيانه قوياً متيناً متراصاً ، لا تعمل فيه عوامل الهدم والتخريب [٥].

ونختم هذا المبحث بقولنا : أن تلك الوسائل من أهم الأشياء التى جعلت سبيلاً للتكافل الإجتماعى بين الأفراد ، فإن طبقت ونفذت تكافلوا وتعاونوا علي إقامة حياة كريمة رحيمة فيما بينهم ، وما تطبيق هذه الوسائل إلا تأكيداً علي أنها نابعة من

---

(١) **الهدية** : هى مايؤخذ بلاشرط الإعادة . **والهبة** فى اللغة : التبرع . وفى الشرع : تمليك العين بلاعوض . انظر : التعريفات، ص ٣١٩ .

(٢) موطأ الإمام مالك ٢/٩٠٨ ، كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء فى المهاجر ، حديث رقم ١٦ .

(٣) فتح البارى ٥/٢٤٩ ، كتاب الهبة ، باب ١١ المكافأة فى الهبة ، حديث رقم ٢٥٨٥ ، وسنن الترمذى ٤/٢٩٨ ، كتاب البر والصلة ، باب ٣٤ ما جاء فى قبول الهدية والمكافأة عليها ، حديث رقم ١٩٥٣ . وقال أبوعيسي : هذا حديث حسن غريب صحيح ، لا نعرفه من هذا الوجه إلا من حديث عيسي بن يونس عن هشام . وسنن أبى داود ٣/٢٨٩ ، كتاب البيوع والإجارات ، باب فى قبول الهدايا ، حديث رقم ٣٥٣٦ .

(٤) المرجع السابق ٥/٢٧٨ ، كتاب الهبة ، باب لايحل لأحد أن يرجع فى هبته أو صدقته ، حديث رقم ١٦٦٢ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١١/٦٢-٦٣ ، كتاب الهبات ، باب كراهية شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه .وسنن الترمذى ٣/٦٥٩٢ ، كتاب البيوع ، باب ما جاء فى الرجوع فى الهبة ، حديث رقم ١٢٩٨ .

(٥) لمزيد من الفائدة : راجع التكافل الإجتماعى فى الإسلام ، عبدالله علوان ،ص ٧٩ - ٨٤ ، دار السلام - القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الوجدان والضمير والشعور بالاحساس ، ومتعلقة بثواب الأجر من عند الله . فماأحوجنا إلي ذلك حتي ترجع عزتنا وكرامتنا بين الأمم التى تكالبت علينا كما تتكالب الأكلة علي قصعتها .

المبحث السادس
المستحقون للرعاية في المجتمع الإسلامي

المبحث السادس

المستحقون للرعاية في المجتمع الإسلامي

سبق وأن ذكر فى المباحث السابقة من هذاالفصل ألوان التكافل وأنواعه وصورة فى المجتمع المسلم، وبينا السبل والموارد التى يكون بها التكافل الإجتماعى ، وسنبين فى هذا المبحث ان شاء الله من هم الذين ينطبق عليهم التكافل فى المجتمع المسلم ، ويستحقون العطف والرعاية .

ا - الأطفـــــال

أوجب الإسلام علي الآباء والأمهات تربية أبنائهم وإرضاعهم وحضانتهم والنفقة عليهم ، دون إهمال أو تقصير فى ذلك .

أما فيما يتعلق بجانب التربية ومسؤوليتها فتكون من الناحية الإيمانية والعقلية والجسمية والخلقية والنفسية . والأصل فى ذلك قوله تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » (١).

أما من ناحية الرضاعة والحضانة ، فالأم أحق بطفلها ، لأنها أشفق عليه ، لما أودع الله فى قلبها من الرحمة والحنان والعطف قال تعالي : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ...** » (٢).

والمدة التى يبقي فيها الطفل عند أمه بعد الفراق سبع سنين للذكر وتسع للأنثي علي القول الراجح. أما فيما يتعلق بالنفقة ، فالإسلام فرضها علي الأب فى حال حياته وقدرته لقوله تعالي : «... **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف...** »(٣).

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .
(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٣٣ .
(٣) نفس السورة : الآية السابقة .

وقد بلغت رعاية الإسلام بالصغار حداً منع الآباء بسببها أن يوصوا بعد موتهم بأكثر من الثلث، ولقد علل الرسول ﷺ، ذلك حين قال لسعد رضى الله عنه : (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون [1] الناس)[2] .

٢- اليتيم [3] .

واليتيم هو من مات أبوه وتركه صغيراً ضعيفا يحتاج للمساعدة والرعاية والكفالة ، والإسلام إهتم باليتيم أيما إهتمام من ناحية تربيته ومعاملته ، وضمان معيشته، حتي يكون عضواً فعالاً ينهض بواجباته فى المجتمع .

ونلمس هذا من القرآن الكريم بالنهي عن قهره والغض من شأنه والحط من كرامته ، قال تعالي :« **فأما اليتيم فلا تقهر** » [4] .

جاء فى تفسير البيضاوى « فأما اليتيم فلا تقهر » (فلا تغلبه علي ماله لضعفه ، وقرأ فلا تكهر أي فلا تعبس فى وجهه) [5] ، والكهر هو الزجر .

وقال عز من قائل : « **أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم** »[6] .

---

(١) يتكففون: من التكفف : وهو أن يمد كفه ليسأل الناس ، وهو ضد التعفف . انظر مختار الصحاح ،ص ٢٣٩ ، مادة كفل .

(٢) فتح البارى ٥/٤٢٧ ، ٤٢٨ ، كتاب الوصايا ، باب ، أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ، حديث رقم ٢٧٤٢ ، وكتاب الجنائز ٣/١٩٦ باب ٣٦ ، رثاء النبى () سعد بن خولة ، حديث رقم ١٢٩٥ ، وصحيح مسلم ١١/٧٧ ، كتاب الوصية ، وسنن الترمذى ، ٤/٣٧٤ ، كتاب الوصايا ،. باب ما جاء فى الوصية بالثلث ، حديث رقم ٢١١٦ ، قال أبو عيسي : حسن الصحيح .

(٣) **اليتيم** : هو المنفرد عن الأب ، لأن نفقته عليه لا علي الأم ، وفى البهائم : اليتيم هو المنفرد عن الأم ، لأن اللبن والأطعمة منها . التعريفات ،ص ٣٣١ . وإذا بلغ اليتيم الحلم زال عنه هذا الإسم ولايحتاج إلى ولي . انظر : الكليات ، ص ٩٧٨.

(٤) سورة الضحي : الآية ٩ .

(٥) تفسير البيضاوى ، ص ٨٠٢ . وانظر : تفسير النسفى ، ٤/٣٦٤ . وتفسير الماوردى ، ٤/٤٧٣-٤٧٤ .

(٦) سورة الماعون : الآيتان ١-٢ .

ومن اهتمام القرآن باليتيم أمر سبحانه وتعالي بالمحافظة علي ماله وعدم الإقتراب منه إلا بالتى هى أحسن [1] . قال تعالي : « **ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . . .** »[2] .

واعتبر أن من يأكل أموال اليتامي ظلماً فكأنما يأكل فى بطنه ناراً ، قال تعالي : « **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** »[3] .

فالآية الكريمة خصصها الله سبحانه وتعال بعدم أكل أموال اليتامي لأن ذلك من الظلم الشديد ، يوضح الإمام الطبرى فى تعليقه علي الآية « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» يعني بغير حق . « أنما يأكلون فى بطونهم ناراً » وذلك فى يوم القيامة ، بأكلهم أموال اليتامي ظلماً فى الدنيا ، فكأن فى بطونهم ناراً وسيصلون فى الأخرة سعيراً .

فعن السدى قال : إذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلماً ، يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فمه ، ومن مسامعه ، ومن أذنيه ، ومن أنفه وعينيه ، فيعرف من رأه علي ذلك أنه آكل مال اليتيم [4] .

ذكر ابن كثير فى تفسيره ، عن سبب نزول الآية ، أنها نزلت فى رجل من غطفان ، ولىّ مال يتيم، وكان اليتيم ابن أخيه فأكله ، وكذلك ذكر أنها لما نزلت هذه الآية إنطلق من كان عنده يتيم ، فعزل طعامه وشرابه من طعام وشراب اليتيم [5] .

---

(١) يجوز للوصى علي مال اليتيم إن كان فقيراً أن يأخذ جزءاً معقولا من الربح مادام يستثمر أمواله ويستصلحه ، أما الغني فليستعفف لقوله تعالى :« ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف ...» سورة النساء : الآية ٦.

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٢ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٠

(٤) انظر : تفسير الطبرى ، ٤/٢٧٣ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٥٦ ، ٤٥٧ ، والفتح القدير ، للشوكانى ١/٤٢٩ ، وتفسير أبى السعود ، ٢/١٤٨ .

ومن المفسرين من ذكر سبباً آخر لنزول الآية مثل صاحب تفسير البحر المحيط ، قال أنها نزلت فى المشركين ، فى رجل إسمه حنظلة بن الشمردل أكل مال يتيمه [١] .

والحق أنه مهما تعددت الأسباب فى نزول الآية ، فإن لفظها ليس من الخصوصية ، وإنما هو لفظ فيه العموم فى أكل مال اليتيم بغير حق ، لأنه كما قال العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب.

وجاء فى تفسير القاسمى معلقاً علي تفسير الرازى لهذه الآية ، أن الرازى رحمه الله قال [٢] :إن من الجهال من قال بأن هذه الآية منسوخة ، وهذا بعيد ، لأن هذه الآية جاءت فى المنع من الظلم وهذا لايصير منسوخاً ، بل المقصود أن مخالطة أموال اليتامي إن كانت علي سبيل الظلم فهو من أعظم الذنوب والآثام [٣] .

يؤكد الكياالهراسى ذلك فيقول: (الآية محكمة ، لانسخ فيها لأن الظلم ما أبيح قط)[٤].

ومن إهتمامة عليه الصلاة والسلام بشأن اليتيم فقد حضّ علي كفالته ، ووجوب رعايته ، وتبشيره لمن فعل ذلك أنه سيكون معه فى الجنة ، وهذا ما يشير إليه النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه الترمذى ، حينما قال ﷺ :(أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين)[٥] وأشار بأصبعيه الشرفيين ، يعني السبابة والوسطي .

والأصل فى رعاية اليتيم واجبة علي ذوى الأرحام والأقرباء ، أما إذا لم يجدوا ، فالدولة ترعاهم ، فيجب علي المسلمين أن يفتحوا دوراً لرعاية الأيتام ، تشرف عليها المؤسسات الإسلامية علي تربيتهم والإنفاق عليهم خوفاً من ضياعهم وتشردهم ، لئلا يكونوا عالة فى المجتمع .

---

(١) انظر : تفسير البحر المحيط ١٧٨/٣ -١٧٩ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازى ٢٠٩/٩ .

(٢) انظر : تفسير القاسمى ١١٣٦/٥ .

(٤) احكام القرآن للكياالهراسى ٣٣٦/٢ .

(٥) رواه الترمذى ٢٨٣/٤ ، كتاب البر والصلة، وباب ما جاء فى رحمة اليتيم وكفالته ، حديث رقم ١٩١٨ . قال أبوعيسي : حديث حسن صحيح .

٣- اللقيط [١]

واللقيط فى الشرع : هو المولود الذى لايعرف له أب ولا أم ، فيجب علي من رآه أن يلتقطه إن علم هلاكه إن لم يأخذه ، ولاسيما إن كان فى مكان نائى أوبئر لايمر فيه أحد ، وفى ذلك إحياء لنفسه وإغاثة لإنسان . قال تعالي : « ... **ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ... »[٢] .

والإسلام بتشريعه العادل لم يأخذ اللقيط وإن كان ولد زني بجريمة والديه ، لأن المبدأ القرآنى السامى الذى سنه القرآن يقول : « ... **ولاتزر وازرة وزر أخرى** ... » [٣] .

وإعالة اللقيط وكافلته تكون علي الدولة الإسلامية ، ومن أراد من المسلمين أن يقوم برعايته وكفالته فله فى ذلك الأجر العظيم ، والإسلام قد راعي نفسية اللقيط ، فأعطاه الحقوق الممنوحة للولد الشرعى دون تمييز أو تفريق ، فيجب تربيته وتعليمه وإسناد الوظائف إليه وقبول شهاداته ، حتي لايشعر أنه مهمل وليس له دور فعال فيصبح بذلك كباقى أفراد المجتمع .

٤- اصحاب العاهات :[٤]

إن الناظر للواقع الذي نعيش فيه يري كثيراً من المنكوبين في جميع المجتمعات ، فهؤلاء أصابهم العجز في أجسادهم وحواسهم ، بأمراض مزمنة وعاهات مختلفة ، فأصبحوا في حالة يرثي لها من العجز والضعف ، وعدم القدرة علي العمل وتكاليف الحياة ، فعلي أفراد المجتمع المسلم وعلي الدولة أن ترعي هؤلاء تحقيقاً لقول

---

(١) **اللقيط** : هو فى الآدمى ، يقال : صبى منبوذ إعتباراً بمن طرحه ، ولقيط وملقوط أيضا إعتباراً بمن تناوله . واللقطة فى غير الآدمى . واللقاطة ما كان ساقطاً لاقيمة له ، وكل طفل ضائع ولا كافل له يسمي لقيط ، الكليات ص ٧٩٩ . انظر : قليوبى وعميرة ١٢٣/٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٢.

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٥.

(٤) **العاهة** : الآفة والبلاء : يقال رجال مَعِيهٌ أومَعُوهٌ فى نفسه أومماله : أصابته عاهة . انظر : لسان العرب ، ١٣/ ٥٢٠.

الرسول ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (١)

فيجب أن تتضامن جهود المجتمع والدولة في تحقيق الخير والتكافل والعيش الأفضل لهؤلاء ، حتي يشعروا بالعطف والرحمة والحنان ، وأنهم ليسوا كماً مهملاً بل لهم دورهم ومكانتهم في المجتمع .

وأهم هذه الفئات هم :-

١ - العميان

أما الرعاية لهم فتكون بتوجيهم نحو الدراسات النافعة والمفيدة ، سواء كانت شرعية أم أدبية أم عليمة . وما يدرينا أن يخرج منهم عظماء كالمعري * الذي ملأ ذكره الدنيا وشغل أدبه الناس ، وقد جعل الإسلام في صدره الاول وقفاً لهؤلاء باستئجار الرجال ليقودوهم . فبذلك نراه قد سبق الغرب بتوصيل العميان بكلاب تسحبهم !!

٢- ضعاف البصر والصم والبكم وضعاف العقول

فهؤلاء تكون رعايتهم بفتح معاهد لهم خاصة ، لتدريبهم علي الصنائع اليدوية ، وجعل كل الوسائل الإيضاحية والحسية تحت تصرفهم ليشعروا بكرامتهم وكيانهم ، حتي تزول من أذهانهم عقدة النقص والشعور بالضعف ، فيصبحوا لبنات صالحة

---

(١) صحيح البخارى ١٦٥/٨ ، كتاب التوحيد ، باب ١٢ . وسنن الترمذى ٢١٧/٣ ، كتاب البر والصلة ، حديث رقم ١٩٨٩ ، قال الترمذى ، حسن صحيح ، وسنن أبو داود ، ٢٨٥/٤ ، وكتاب الأدب ، حديث رقم ٤٩٤١ ، مع إختلاف فى اللفظ (لايرحم الله من لا يرحم الناس) .

* **المعري** : هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى المعرى (أبو العلاء) ، ولد سنة ٣٦٣هـ - ٩٧٣م ، شاعر وفيلسوف ، أصيب وهو صغير بالجدرى فعمى فى السنة الرابعة من عمره ، قال الشعر وهو فى الحادية عشر من عمره ، ولما مات وقف علي قبره ٨٤٥ شاعراً يرثونه ، أما ديوانه ، يعرف (باللز وميات) ، له تصانيف أخري فى الأدب والفلسفة ، مثل رسالة الغفران التى هى من أشهر كتبه ، ويلقب بأسير المحبسين لحبس بصره ولسجنه ، توفي سنة ٩٧٣هـ - ١٠٥٧م. انظر : الأعلام ١٥٧/١ ، والمنجد فى الأعلام ص ١٧ .

نافعة في هيكل المجتمع ، وأما العناية لضعفاء العقول ويقصد بهم المعتوهين ، فيمكن تعليمهم إن أمكن ، أو وضعهم تحت رعاية جمعية مختصة ، تشرف علي إطعامهم وشرابهم ومنامهم وأوقاتهم ليلغوا العطف والرعاية والتكريم .

٣- العجزة بسبب ضعف البنية أو الشيخوخة

ويشمل ذلك ضعاف البنية من عيوب كلامية كالتهتهة أو نقص فى النطق أو الصرعي ، أو أصحاب الأمراض المزمنة التي لا يرجي شفاؤها ، أو كبار السن . فهؤلاء لهم العلاج الناجح والغذاء الصالح عسي أن تقوي أجسادهم ، وتزول عيوبهم ، وتصح عقولهم ، وما ذلك علي الله بعزيز .

وأما العجزة والشيوخ وهم من كبر سنهم ، وأصيبوا بمرض مزمن فلا يستطيعوا العمل والسعي ، فهؤلاء وأمثالهم علي الدولة وأبناء المجتمع أن يمنحوهم كل العطف والمحبة والتعاون والتكافل ، ليشعروا بإخوة الإسلام بكرامتهم . والإسلام الخالد بتشريعاته ومبادئه ، قد راعي حقوق هؤلاء ، وفرض لهم رواتب من بيت مال المسلمين . وخير مثال لذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما فرض للشيخ اليهودي ما يكفيه لسد أو حاجته . فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه:(فوالله ما أنفصناه أن أكلنا شبيبته ثم تخذله عند الهرم) [1] .

٤- الشواذ والمنحرفون

يطلق الشذوذ والإنحراف علي من ينحرف من الأحداث - صغار السن - والمراهقين ، إلي مزاولة الأعمال الفاحشة ، كاللواط أو السرقة أو تناول المخدرات أو القتل . والشذوذ بهذا المعني عيب إجتماعى جد خطير ، وعليه ينبغي مراعاتهم و إن أخطأوا حتي لايكبر الخطأ بكبرهم ، وحتي لا يترسخ هذا الإنحراف فى نفوسهم .وما مرجع هذا الإنحراف والشذوذ إلا لسوء التربية فى المنزل أو المحيط الخارجى ، كرفقاء السوء أو مشاهدة الأفلام الخليعة والتمثيليات الماجنة ، التى تعرض علي شاشات التلفاز ، أو الفقر واليتم إلي غير ذلك من الأسباب .

فيجب مراعاة هؤلاء بمنع هذه الأسباب ، وتحسين التربية سواء فى البيت أو المدرسة ، وإيجاد الجو والمناخ الصالحين لرفع مستواهم ، من رياضة ورحلات

(١) انظر : كتاب الخراج ، لأبى يوسف ، ص ١٣٦ .

ومطالعة وصناعات يدوية ، إلي غير ذلك من الوسائل التربوية الإسلامية ، ويجب غرس مكارم الأخلاق ، والفضائل فى نفوس الأطفال حتي يكونوا لبنة صالحة وأداة بناءة لتماسك المجتمع وتقدم الأمة .

والقرآن الكريم ندد بالأولياء الذين يهملون تربية أولادهم ويقصرون فى إرشادهم ، قال تعالي : « **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين** » [1].

ذكر الله سبحانه وتعالي أن من جهل وسفاهة العرب فى الجاهلية ، أنهم كانوا يقتلون أولادهم ، وماذلك إلا لخفة عقلهم وسخافتهم وهواهم الفاسد ، فهذا ظلم عظيم ، فوصفهم الله بالخسران ، لأن الولد نعمة عظيمة من الله علي العبد ، ووصفهم بالسفاهة لأن قتل الولد لخوف الفقر جهل ، وهذا أعظم المنكرات والقبائح [2] فمن قتل الولد أيضا إهماله وسوء معاملته وعدم الإهتمام به . فمسؤولية الشذوذ والإنحراف تعود إلي الدولة أولاً ، وإلي المجتمع وأولياء الأمور ثانياً .

فعلي هؤلاء أن ينشئوا جيلاً يخاف الله ويفتخر بتراثه وتاريخه ، سوِيٍّ فى سلوكه وأخلاقه وعليهم أن يزيلوا أمام الجيل كل وسائل الهدم التى تؤدى إلي شذوذه وإنحرافه ، من قصص بوليسية وغرامية وتمثيليات خليعة .

5- المطلقات والأرامل

والطلاق وإن كان مشروعاً ، إلا أنه يترتب عليه نتائج سيئة ، من خراب للبيوت وتشريد للأولاد ، وزرع للعداوة والأحقاد فيما بين الزوجين وبالتالى أسرتى الزوجين . والترمل بفقدان الزوج بالوفاة ، فهذان الصنفان من النساء لابد لهما من عناية وحماية ، ولاسيما إذا كن فى ضائقة مالية وذوات عيال وأولاد .

والرعاية ليست مقتصرة علي الناحية المادية فقط ، وإنما تشمل أيضا الناحية الخلقية والنفسية ، حتي تشعر المرأة بكيانها وعزتها . وقد سبق الحديث عن نفقة

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٤٠ .

(٢) انظر : التفسير المنير ، ٦٢/٨ ، ٦٣ . وفى ظلال القرآن ، ٤٠٩/٣ .

المعتدة فى المبحث الخامس من هذا الفصل . قال تعالي فى الحث علي رعاية النساء اللاتى لا أزواج لهن : « **وأنكحوا الأيامى**[1] . **منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**» [2].

٦- المنكوبون والمكروبون

حث الإسلام علي إعانة المنكوبين وتفريج كرب المكروبين قال تعالي : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**»[3] . وقال تعالي : « **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة...**»[4] . فالآية وإن كانت تتحدث عن سد الدين ، إلا أنها عامة فى تفريج الكربات عن المسلمين وغيرهم ، لأن الإسلام دين اليسر ودين الرحمة والتكافل .

ويقول عز وجل : « **الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** »[5] ، فعلي أفراد المجتمع أن يراعوا أصحاب النكبات والكربات والمحن وأن يفرجوا عليهم . والأحاديث النبوية التى تتحدث عن رعاية المنكوبين والمكروبين أكثر من أن تحصي ، فقد روي البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول لله () قال :(المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر

---

(١) **الأيامى** : من الأيم . وهى التى لازوج لها ومن لازوجة له . تفسير وبيان القرآن الكريم للسيوطى ، ص ٢٨٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٣) سورة الحشر : الآية ٩ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٠ .

(٥) سوة آل عمران :الآية ١٣٤ .

(٦) فتح البارى ١١٦/٥ ، كتاب المظالم ، باب لايظلم المسلم المسلم ولايسلمه ، حديث رقم ٢٤٤٢ و انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ٩٥/٢ .

مسلما ستره الله يوم القيامة)[٦] .

وروي الطبرانى * وابن حبان ** وابن أبى الدنيا *** عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس ، يفزغ الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله) [١].

وروى الطبرانى أيضا فى الأوسط عن عمر رضى الله عنه مرفوعاً : (من أفضل الأعمال ، إدخال السرور علي المؤمن تقضى عنه دينا أو تقضى له حاجة أو تنفس له

---

* **الطبرانى** : هو الإمام العلامة الحجة الحافظ أبو القاسم بن أحمد بن أيوب الطبرانى ، ولد سنة ستين ومائتين من الهجرة ، صنف المعجم الكبير وهو المسند ، والمعجم الأوسط فى ست مجلدات . وكان يقول هذا الكتاب روحي ، فإنه تعب عليه وفيه كل نفيس وعزيز و فكر . وصنف المعجم الصغير ، وصنف أشياء كثيرة .سمع عن آبى زرعه الثقفى وإدريس العطار وعلى البغوى وآخرون ، وعنه ابن مردويه والفقيه أبو عمر البسطامى وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة ستين وثلاث مائة . انظر : تذكرة الحفاظ ، ٩١٢/٣ -٩١٧ ، رقم ٨٧٥ .

** **ابن حبان** : الإمام الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستى ، صاحب التصانيف . سمع عن النساء ابن خزيمة وغيرهم ، وحدث عنه الحاكم ومنصور ابن عبدالله الخالدى وغيرهم ، صنف المسند الصحيح ، والتاريخ ، وكتاب الضعفاء ، مات أبو حاتم رحمه الله سنة أربع وخمسين ثلاث مائة (٣٥٤هـ) . انظر المرجع السابق ٣/٩٢٠-٩٢٤ ، رقم ٨٧٩.

*** **ابن أبى الدنيا** : هو المحدث العالم الصدوق ، أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبى الدنيا القرشى الأموى ، صحاب التصانيف بلغت (١٠٠ مصنف) ولد سنة ثمان ومائتين (٢٠٨هـ) ، سمع عن سعيد سليمان وعبيد الله العيشى وابن منيع وخلائق ، وحدث عنه البرذعى وأحمد بن خزيمة وأبوبكر الشافعى وآخرون . قال عنه ابن أبى حاتم : صدوق توفى رحمه الله سنة إحدي وثمانين ومائتين (٢٨١هـ) . انظر : إلي المرجع السابق ٢/٦٧٧-٦٧٩ ، رقم ٦٩٩ . والجرح والتعديل ١٦٣/٥ ، وتاريخ بغداد ٨٩/١ -٩١ ، والبداية والنهاية ٧١/١١ ، وتهذيب التهذيب ١٢/٦-١٣ ، وسير أعلام النبلاء ، لأبى عبدالله الذهبى ، ٣٩٧/١٣ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

(١) الطبرانى الكبير ، ٣٥٨/١٢ ، حديث رقم ١٣٣٣٤ .

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٧٧٠/١٥ ، حديث رقم ٤٣٠٢٣ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

كربة)[٢] .

فمن أصابته مصيبة فعلي أفراد المجتمع أن يواسوه ، حتي يخففوا عنه ثقلها ، وحتي يشعروه بتعاونهم وتكافلهم معه [١] .

وهكذا يتبين لنا أن الإسلام كفل لهؤلاء العاجزين معيشتهم وحاجياتهم ، وفى هذا تربية لأفراد المجتمع علي الناحية الوجدانية ، من إيثار ومحبة وإخاء ليعيش هؤلاء وكافليهم فى مجتمع متماسك مترابط ، سعداء مع بعضهم البعض فما أحري بنا أن نفهم الإسلام علي حقيقته ، وننادى به تشريعاً ونظاماً ، لنستعيد كرامة المسلمين وعزتهم الضائعة بإذنه تعالي .

(١) لمزيد من التفصيل راجع التكافل الإجتماعى فى الإسلام ، عبدالله ناصح علوان، ص ٥٩ –٧١ .

الباب الثاني
آداب المجتمع الإسلامي

الفصل الأول

الآدب في المعتقدات

ويشتمل على ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : مكانة الآداب في الإسلام.

المبحث الثاني : الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

المبحث الثالث :الأدب مع رسول الله .

المبحث الأول

مكانة الآداب في الإسلام

المبحث الأول

مكانة الآداب في الإسلام

بعد أن تحدثنا فى الباب الأول عن المجتمع الإسلامى ودعائمه التى يبني عليها حتي يصير مجتمعاً متماسكاً مترابطاً بأفراده ، نتحدث فى هذا الباب عن الآداب فى هذا المجتمع الذى لا تنفك آدابه عن أساسياته فى بناء صرحه العظيم .

فالإسلام هو دين الحق الذى اختاره الله تعالي ، ليكون فى أعلي مقام القبول والعزة ، « **إن الدين عند الله الإسلام** ... » . (١)

وإن هذا الدين يحتوى علي جميع الآداب التى يجب علي المسلم أن يتحلي بها فى حياته سواء كانت فى العادات أم فى العبادات أو المعاملات . ولقد عرفنا فى التمهيد معني الآداب لغة وإصطلاحاً، بأنه رياضة النفس بالتعليم والتهذيب والأخذ بمحاسن الأخلاق ، وللآداب الإجتماعية صلة وثيقة بأفكار الأمم وعقائدها فهى تجسيد عملى لقيمها ومثلها وأخلاقياتها ، فالأخلاق والآداب الإسلامية جناحا العقيدة ، بها تحلق فى كل الأجواء ، وترفرف فوق كل سماء ، حتي يراها الناس فى صورتها المشرقة التى جاء بها الإسلام ، وفى ثوبها الحسن الذى نزل به القرآن .

ولهذا الموضوع الأثر البعيد والدوام النافع لأفراد المجتمع ، لأنه عبارة عما يجب أو يستحب عمله بالنسبة للأفراد والجماعات علي إختلاف أجناسهم وقراباتهم ، وعلي أنواع الصلات بين الأفراد والجماعات بإختلاف أحوالهم وأوضاعهم ، فله من المكانة والأهمية الكبيرة عند الله وعند الناس . فلو قرأت كتاب الله وأستقرأت ما به من أحكام ، لوجدت أن أهم الأمور فيه بعد العقيدة ووسائل تقويتها وإحيائها فى النفوس هو موضوع الحقوق والواجبات والآداب الإجتماعية ، وقلما تجد سورة من السور المكية خالية من الواجبات الإجتماعية ، التى حرص القرآن علي الإهتمام بها وأدائها . أما بالنسبة للسور المدنية فتجد سوراً بأكملها تتحدث عن الجوانب الإجتماعية وآدابها ، منها سورة النساء والمائدة والتوبة والنور والحجرات والطلاق وغير ذلك من السور

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

الكريمة . فالأديان كلها فى حقيقة أمرها عبارة عن رسائل من الله تعالي ، أرسلها عن طريق أنبيائه ورسله عليهم السلام ، إلي مجتمع من المجتمعات أو إلي المجتمع الإنسانى كله ، كما هو الحال بالنسبة للإسلام . وفى هذه الرسالات الإهتمام بالجانب الأخلاقى وما فيه من آداب بعد الاهتمام بالجانب العقائدى .

ولا بد من التنويه علي أن الإسلام يحتوى علي الآداب والفضائل الكثيرة ، التى تدخل فى كل شأن من شؤون الحياة ، حتي فى أدني الأمور شأناً ، وأن هذه الآداب تشمل الكبير والصغير والرجل والمرأة ، وأن الإسلام دعا إليها لتكافل شخصية الفرد المؤمن . فلا شك فى أن التحلى بهذه الاداب يزيد جمالاً فى سلوك الإنسان المسلم ، ويعزز محاسنه ، ويدنيه من قلوب ونفوس الناس .

إذن فالآداب الإسلامية هى من لباب الشريعة ومقاصدها ، وليس معني تسميتها آداباً أنها علي طرفى الحياة والسلوك، يخير الإنسان فى فعلها أو تركها أو الأولي فعلها . قال الإمام القرافى * وهو يتحدث عن موقع الأدب من العمل ، أن الأدب مقدم فى المرتبة علي العمل ، وأن قليل الأدب خير من كثير العمل بلاد أدب ، وكثير الأدب مع قليل من العمل الصالح خير من العمل مع قلة الأدب .(١)

كذلك جاءت السنة النبوية الشريفة فى كثير من أحاديثها تحث علي الآداب والفضائل فى الأعمال ، وأن تكون شخصية المسلم متميزة بجمالها ، وكيف لا وهو صاحب الخلق الفضيل ، والوسام الرفيع وقد منحه الله إياه من فوق سبع سماوات بقوله تعالي : « **وإنك لعلى خلق عظيم** ».(٢) فهو صاحب الأدب الرفيع الذى

---

* القرافى : هو الإمام العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجى ، المشهور بالقرافى ، من علماء المالكية ،له مصنفات جليلة فى الفقه ، توفى رحمه الله سنة (٦٨٤ هـ – ١٢٨٥م) .انظر: الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المكى ، ١/ ٩٤ – ٩٥ ، رقم ٢٣٦/تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث – القاهرة .

(١) انظر : الفروق للقرافى ، ٣/ ٩٦ ، ٤/ ٢٧٢ وبهامشة تهذيب الفروق والقواعد السنية فى الأسرار الفقهية ، عالم الكتب – بيروت .

(٢) سورة القلم : الآية ٤ .

أدبه الله سبحانه وتعالي به . ولو تربت الإنسانية علي بعض أدبه لما عانت البشرية ويلات ضياعها اليوم ، ولما وقعت فى براثن الأعداء .

والآداب النبوية ليست وليدة متغيرات مادية أو إجتماعية أو بيئية أثرت فيه بالسلب أو الإيجاب ، إنما هى من الله سبحانه وتعالي ورعايته قال : [أدبنى ربى فأحسن تأديبى] . (١) فيجب التنبيه إلي هذه الآداب ، وإن قلت بساطتها أو بداهتها ، فإن نفراً غير قليل يقع منه الخطأ فى مثل تلك البديهيات ، فيكون ذلك غمزاً فى شخصيته التى يجب أن تكون شخصية المسلم وسلوكياته تتميز بجمالها وكمالها وسماتها ، كما أرشدنا إلي ذلك عندما كان معه بعض صحبه الكرام فقال لهم : [إنكم قادمون علي إخوانكم ، فأحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتي تكونوا كأنكم شامة فى الناس، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش] . (٢)

والشامة هى النكتة السوداء فى الوجه أو الجسد ، تزيده جمالاً وحسناً . وهذا يدلل علي حسن المظهر ونظافة الجسد والثوب وطيب الرائحة ، وينبغى علي المسلم أن يعرف من زيه وتناسق هيئته ومظهره وحسن كلامه .

---

(١) سند هذا الحديث ضعيف جداً ، واقتصر الحافظ بن حجر عليه فى الحكم بالغرابة فى بعض فتاويه ، ولكن معناه صحيح وجزم به ابن الأثير فى خطبة النهاية ، وأخرج ابن السمعانى بسند منقطع عن ابن مسعود قال : قال : [إن الله أدبنى فأحسن تأديبى] وفى رواية أخري : [أدبنى ربى ونشأت فى بنى سعد] فمعناه صحيح ولم يأت عن طريق صحيح ، والترمذى وثقة فى السنن ، وقد تكلم الأصمعى عن الحديث وصححه أبو الفضل بن ناصر ، وقد ذكر الألبانى فى سلسلته وقال : ضعيف ومعناه صحيح ، كما قال ابن تيمية فى مجموعة رسائله الكبري ، ولكن لا يعرف له إسناد ثابت ، وأيده السخاوى والسيوطى . ورواه العسكرى فى الأمثال من حديث على رضى الله عنه مرفوعاً . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس ، للشيخ إسماعيل محمد العجلونى ، ٧٢/١ ، تعليق وتصحيح أحمد القلاشى، دار التراث – القاهرة ، وسلسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، تخريج محمد ناصر الدين الألبانى ، ١٠١/١ ، رقم ٧٢ ، المكتب الإسلامى – دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٤هـ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٨٠/٤ ، وأخرجه أبو داود فى سننه ٥٧/٤ ، كتاب اللباس – باب ما جاء فى إسبال الإزار ، حديث رقم ٤٠٨٩ .

ثم إن الآداب الاجتماعية فى الإسلام لها صلة وثيقة بأفكار الأمم وعقائدها ، وهى تجسيد عملى لقيمها ومثلها ... ونحب أن ننوه هنا أن كلمة الآداب مغايرة لكلمة الأخلاق الفاضلة ، فكلمة الأدب تعني السلوك ، كما تعني الأسلوب الذى يسيرعليه الإنسان فى تصرفاته الشخصية ، أو حين تعامله مع الناس فتهدى خطاه .

والآداب تخضع للظروف الاجتماعية والبيئية ، كما تخضع لعوامل العلم والجهل ، والغني والفقر والصحة والإعتدال .أما كلمة الأخلاق فتطلق علي الطبع والسجية والعادة ، بل وعلي غريزة الإنسان. والأخلاق ثابتة لا تتغير ، ولا تخضع لأى ظرف أو لأى مكان ، فالصدق هو الصدق ، والأمانة هى الأمانة ، والكذب هو الكذب فى كل زمان ومكان ، فى كل بيئة أو مجتمع .

وإذا كانت جميع الشرائع والأديان ومنها الإسلام خاتمها قد دعت إلي العمل الصالح القائم علي الأخلاق الفاضلة ، فإننا نري أن الإسلام قد بين للناس الوسائل الفاضلة التى يظهرون بها تلك الأخلاق ، فجعل للصلاة ولباقى العبادات آداباً يلتزم بها المسلمون ، كما جعل للناس آداباً يراعونها فى معاملاتهم وعلاقات بعضهم ببعض ، وهى ما تسمي بـ (آداب المجتمع) .

وعلي سبيل المثال نقرأ قوله تعالي : « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ...** » [1] ولكن هل تستوى التحية إذا ما إختلفت المستويات بين الذين يحيون بعضهم بعضاً؟ هل التحية الموجهة إلي العالم أو إلي ولي الأمر أو الأكبر سناً تكون مماثلة للتحية الموجهة للصديق أو الزميل أو عابر السبيل ؟ .

هنا يجيء دور الذوق السليم الذى نسميه (آداب المجتمع) أو سلوكياته ويعنى حسن المعاملة ، ويطلق عليه أهل الغرب (أصول الإتيكيت) ولكنهم لم يعنوا بهذه الآداب إلا فى أواخر القرن السادس عشر ، وقد وضع الإسلام هذه الأصول فى أوائل القرن السابع الميلادى ، أى قبل أوربا بعشرة قرون أى بعد ١٦٠٠ سنة من ميلاد المسيح عليه السلام .

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٦ .

فالتحية مثلاً من الأخلاق الفاضلة ، ولكن أسلوب تأديتها يعتبر جزءً من الآداب الاجتماعية . فالأخلاق الفاضلة لا يظهر جمالها ولا تكتمل مقوماتها بدون التعاون عليها بين الناس .

والآداب الإسلامية تمتاز عن غيرها بالخصائص التالية :

* أنها شاملة لجميع أحوال المسلم صغيرها وكبيرها ذكوراً وإناثاً فى الفرد والأسرة والمجتمع.

*كما أنها ثابتة بثبوت قيم الإسلام ومثله ، لا تتغير بزمان أو مكان ، وكما أنها أيضاً بعيدة كل البعد عن الأنانية وحب الذات ، وترتكز علي الإهتمام بالآخرين ، وهى هدف المسلم الصادق من إلتزامه بالآداب الإسلامية وهو طاعة الله تعالي دون غيره .(١)

ولا بد فى ختام هذه المقدمة عن الآداب الإسلامية من وقفة قصيرة مع الخطأ الفادح الذى يقع فيه البعض من المسلمين اليوم ، وهو بعدهم شيئاً فشيئاً عن آدابهم الإسلامية ، واتجاههم إلي تقليد الغرب وأهل الشرق ، وزرع آدابهم الفاسدة فى أسرهم ، ظانين أنهم يسيرون فى طريق الرقى والتقدم والحضارة . ولو أنهم أبصروا وفكروا قليلاً فى آداب الإسلام وطبقوها بصدق ، كما طبقها صحابة رسول الله ، الذين استطاعوا فى وقت قصير أن يوجدوا مجتمعاً نظيفاً متميزاً ، بلغ بهم أوج الحضارة والمجد والسيادة .

والآداب الإسلامية فى المجتمع المسلم تبدأ مع الله عز وجل ، ومع رسوله . كما أنها مطلوبة فى عبادته تعالي وفى معاملات الأفراد بعضهم البعض .

---

(١) لمزيد من الفائدة راجع آداب المجتمع فى الإسلام ، محمد جمال رفعت ، ص ٩ – ١١ ، دار إحياء التراث الإسلامى – قطر .

المبحث الثاني

الأدب مع الله سبحانه وتعالى

المبحث الثاني

الأدب مع الله سبحانه وتعالى

دعت الشريعة الإسلامية المسلمين إلي الإلتزام بحدود الآداب العامة ، سواء عند تعاملهم مع الله ورسوله ، أو عند تعاملهم مع أنفسهم أو مع غيرهم . والتأدب مع الله عز وجل أحق من غيره فيكون فى البدء أولاً، لأنه الخالق المتفضل علي عباده ، فالمسلم إذا ما كان مؤدباً مع خالقه فهو جدير به أن يتأدب مع باقى أفراد المجتمع ، ومن لا يتأدب مع الخالق لا يتأدب مع الخلق ، والأدب مع الله ينبوع كل خير ، عائد علي الإنسان نفسه وعلي غيره من أفراد المجتمع . فالمسلم إذا نظر وفكر يجد فضائل ومنن من الله عز وجل لا تحصي ، ونعم لا تعد ، فلا بد وأن يشكر المنعم عز وجل ، ويحمده ويثنى عليه بما هو أهل له ويسخر جوارحه لعبادته وطاعته .

ومظاهر الأدب مع الله كثيرة نذكر منها :

شكر المنعم وعدم جحود فضله :

قال تعالي : « **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...** ». [1] وقال تعالي : « **وما بكم من نعمة فمن الله ...** ». [2] ويقول عز وجل : « **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** » . [3]

ذكر المفسرون فى تفسيرهم لقوله تعالي : « فأذكرونى أذكركم ...» أن الله سبحانه وتعالي قال أذكرونى فى قلوبكم بما شرعت من أمر القبلة ، وبما أتممت عليكم من النعمة بإرسال رسول منكم يعلمكم ويزكيكم ، وبكل ما أنعمت به عليكم من ثمرات ذلك ، ولا تنسوا أننى أنا المتفضل عليكم بإضافة هذه النعم عليكم ، أذكركم بإدامتها عليكم وتمكينها لكم ، وأذكرونى بألسنتكم بأسمائى الحسني ، والتحدث بنعمي التى لا

---

(١) سورة النحل : الآية ١٨ .

(٢) سورة النحل : الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

تحصي ، والثناء على بها جهراً وسراً ، أذكركم فى الملأ الأعلي برضائى عليكم وقربي منكم ، فاشكروا لى بهذه النعم وبالعمل بها ، فهذه أفضل تربية من الله لعباده .[1]

فلا بد وللعبد المؤمن أن يذكر الله بالشكر إليه ليذكره عز وجل بالنعمة وبإدامتها عليه .

تعظيمه وتوقيره :

الواجب علي المسلم أن يعظم ربه سبحانه وتعالي ، ويتقيه ويخشاه ، ويعظم حرماته ويحفظها من الإضاعة ، وأن يكثر من عبادته وذكره ، ويراقبه فى السر والعلانية . قال تعالي : « **ما لكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطوارا** » .[2]

قال الرازى فى تفسيره للآية « ما لكم لا ترجون لله وقارا» فيها قولان :

الأول : أن الرجاء هنا بمعني الخوف ، والوقار – العظمة ، والتوقير – التعظيم ، بمعني ما بالكم لا تخافون لله عظمة .

الثانى : فى قوله « ما لكم » أى لا تأملون لله توقيراً ، أى تعظيماً وهو الراجح ، والمعني ما لكم لا تكونوا علي حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم .[3]

وقد جاء فى تفسير النكت والعيون أن الآية لها خمسة تأويلات بمعني "ما لكم لا تعرفون لله عظمة ، وما لكم لا تخشون لله عقاباً وترجون منه ثواباً ، وما لكم لا

(١) انظر : تفسير فتح القدير ١٥٨/١ ، وتفسير الماوردى (النكت والعيون) ١٧٣/١ ، وتفسير المنار ٣٢/٢ .

(٢) سورة نوح : الأيتان ١٣ – ١٤ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ١٣٨/٣٠ – ١٣٩ .

* **المراغى** : هو محمد مصطفي المراغى ، من الديار المصرية ، ولد بقرية (مراغة) إحدي قري صعيد مصر ، تتلمذ علي يد الإمام محمد عبده وتأثر بمدرسته ، ولي القضاء فى مصر والسودان ، ووصل فى السودان إلي منصب قاضى القضاة ، ثم عمدت إليه بعد ذلك رياسة الأزهر سنة ١٩٢٩م ثم مرة أخري عام ١٩٣٥م ، له تفسير سمي (بتفسير المراغى) .

تعرفون لله حقه ولا تشكرون له نعمه ، ولما لكم لا تؤدون لله طاعة ، والتأويل الخامس أن الوقار بمعني الثبات [١] . وهذه كلها آداب من حق الله عز وجل .

قال صاحب تفسير المراغى * : (بعد أن أدبهم الأدب الخلقى بطلبه منهم تهذيب نفوسهم ، وإتباعهم مكارم الأخلاق ، شرع يؤدبهم الأدب العلمى بدراسة علم التشريع ، وعلم النفس ، ودراسة أحوال العوالم العلوية والسفلية ، فقال : « ما لكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً ، أى ما لكم لا تخافون عظمة الله وقد خلقكم علي أطوار مختلفة [٢] . ويقول تعالي : « **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** » [٣]، فليس من الأدب مع الله تعالي أن يجاهر العبد خالقه بالمعاصى ، أو يقابله بالقبائح والرذائل وهو يشهده وينظر إليه .

أن يتوكل عليه لأنه لا مفر له ولا مهرب ولا ملجأ إلا إليه :

علي العبد أن يفر ويلجأ إلي الله تعالي ، ويفوض أمره إليه ، إذ ليس من الأدب فى شىء الفرار ممن لا مفر منه ، ولا الإعتماد علي من لا قدرة له ، ولا الإتكال علي من لا حول له ولا قوة . قال تعالي : « ... **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ...** » .[٤]

وقال تعالي : « **ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين** » .[٥]

قال صاحب تفسير الكشاف فى تفسيره للآية : (« ففروا إلي الله » إلي طاعته وثوابه من معصيته وعقابه وحدوده ، ولا تشركوا به شيئاً) .[٦]

---

(١) انظر : تفسير الماوردى (النكت والعيون) ٤/٣١١ -٣١٢ .

(٢) تفسير المراغى ١٠/٨٤ .

(٣) سورة النحل : الأية ١٩ .

(٤) سورة هود : الاية ٥٦ .

(٥) سورة الذاريات : الآية ٥٠ .

(٦) تفسير الكشاف ٤/٣١ .

وقال تعالي : « ... **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** » .[1]

فهذه الاية الكريمة جاءت فى قصة موسي عليه السلام مع قومه ، عندما طلب منهم دخول الأرض المقدسة . والمعنى إن توكلتم علي الله واتبعتم أمره ، ورافقتم رسوله ، نصركم الله علي أعدائكم وأيدكم ، ودخلتم البلد التى كتبها الله لكم . والتوكل علي الله صفة للمؤمنين .[2] وعلي العبد أن ينظر إلي ألطاف الله تعالي به فى كل أموره ، وإلي رحمته له ولسائر خلقه ، فيطمع فى المزيد من ذلك . فيتضرع له بسائر وخالص الضراعة والدعاء ، ويتوسل إليه بطيب القول وصالح العمل ، فيكون هذا أدب من العبد مع خالقه . إذ ليس من الأدب فى شيء اليأس من المزيد فى رحمته التى وسعت كل شيء . قال تعالي : « ... **ورحمتي وسعت كل شيء** ... »[3]، وقال تعالي : « ... **ولا تيأسوا من روح الله** ... »[4]، وقال عز وجل فى سورة الشوري:«**الله لطيف بعباده** ... »[5] وقال تعالي : « ... **لا تقنطوا من رحمة الله** ... » .[6]

عدم معصيته :

علي العبد أن يعلم أن الله شديد البطش وقوى الانتقام وسريع الحساب ، فيتقيه بطاعته ويتوقاه بعدم معصيته ، فيكون هذا أدب منه مع الله . إذ ليس من الأدب عند ذوى الألباب أن يتعرض العبد الضعيف العاجز ، للرب العزيز القادر والقوى القاهر ، يقول تعالي : « ... **وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من**

---

(١) سورة المائدة : الاية ٢٣ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوى ص ١٤٦ ، والتفسير المنير ٦/١٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .

(٤) سورة يوسف : الأية ٨٧ .

(٥) سورة الشوري : الاية ١٩ .

(٦) سورة الزمر : الاية ٥٣ .

دونه من وال » [1]، ويقول تعالي : « **إن بطش ربك لشديد** » [2]، ويقول عز وجل : « **... والله عزيز ذو انتقام** » .[3]

قال أبو السعود فى تفسير قوله تعالي : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال » إذا آراد الله بقوم سوءاً لسوء إختيارهم وإستحقاقهم لذلك ، فلا راد له ومالهم من دافع يدفع عنهم السوء الذى أراده الله لهم . وهذا كله من إنكارهم للبعث ومعصيتهم لله .[4]

حسن الظن :

ومن أدب العبد مع ربه ان يحسن الظن به سبحانه وتعالي ، إذ ليس من الأدب أن يسيء المرء بالله فيعصيه ويخرج عن طاعته ، ويظن أنه غير مطلع عليه ولا مؤاخذ علي ذنبه يقول تعالي : « **... ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** » [5] كما أنه ليس من الأدب مع الله أن يتقيه المرء ويطيعه ويظن أنه غير مجازيه بحسن عمله ، ولا هو قابل منه طاعته وعبادته ، وهو الذى يقول عز وجل : « **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** » .[6]

عدم التعجيل لقضاء الله :

ومن أدب العبد مع ربه عدم المبادرة فى إقتراح الأحكام قبل نزولها ، فهو أعلم

---

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٢) سورة البروج : الآية ١٢ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٤ – وسورة المائدة : الآية ٩٥ .

(٤) انظر : تفسير أبى السعود ٩/٥ .

(٥) سورة فصلت : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٦) سورة النور : الآية ٥٢ .

بالمصالح منهم ، يعجل ويمهل ما يمهل ، فعلي المرء أن يرضي بما يقضى الله ويحكم ، وهذا من تمام الإيمان وحكمته، ومن إستسلام النفس لله عز وجل ، ومن إطمئنان القلب لحكمه . قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** » .(١)

وقد جمع الإمام أبو حامد الغزالى * رحمه الله هذه الآداب فقال : إذا ما عرفت الله حق معرفته اتخذته صاحباً وتركت الناس جانباً ، فإن لم تقدر علي ذلك فى جميع أوقاتك ، أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك ، وتتلذذ معه بمناجاتك ، ومعني ذلك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالي وهى :

إطراق الرأس ، وغض الطرف ، وجمع الهمم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهى ، وقلة الإعتراض علي القدر ، ودوام الذكر وملازمة الفكر ، وإيثار الحق علي الباطل ، والخضوع تحت الهيبة ، والإنكسار تحت الحياء ، والتوكل علي الله معرفة بحسن الإختيار .(٢)

والنصوص القرآنية التى تضمنت الحث علي هذه الواجبات والآداب أكثر من أن يتسع المقام لذكرها ، ولكن نذكر منها علي سبيل المثال والشاهد لا الحصر بعضها :-

قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ...** » (٣)، وقوله تعالي : « **... فمن كان**

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١ .

* **الغزالى** : هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الغزالى ، ولد بقرية غزالة بخراسان (٤٥٠ هـ – ١٠٥٨م) ، توفى رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ ، من شيوخه إمام الحرمين الجوينى ، أهم مصنفاته – إحياء علوم الدين – والمنقذ من الظلال ، ومنهاج العابدين ، والمستصفي فى علم الأصول – انظر : طبقات الشافعية الكبري ١٩١/٦ ، وشذرات الذهب : ١٠/٤ – ١٤ ، وفيات الأعيان : ٢٤٦/٢, ٢٤٧ ، والبداية والنهاية : ١١٧٣/١٢ ، والأعلام : ٢٢/٧ .

(٢) انظر : بداية الهداية لأبى حامد الغزالى ص ١٣٨ – ١٣٩ ، حقق له وعلق عليه الشيخ محمد الحجار ، دار الصابونى للنشر ، الطبعة الخامسة – ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٨ .

يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » [1]، وقال تعالي : « فاستقم كما أمرت ... » [2]، وقوله تعالي : «... فلا تخشوا الناس واخشون ... » [3]، وقال تعالي : « إنما المؤمنون الذين إذ ذكر الله وجلت قلوبهم ... » [4]، وقوله تعالي : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ... » [5]، وقال تعالي : « ... ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » [6]، وقال تعالي: « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » [7]، وقال تعالي : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » [8]، وقال تعالي : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » [9]، وقال : [من استحيا من الله حق الحياء حفظ الرأس وما وعي والبطن وما حوي وتذكر الموت والبلي][10]

---

(١) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٣) سورة المائدة : الاية ٤٤ .

(٤) سورة الأنفال : الاية ٢ .

(٥) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٦) سورة آل عمران : الاية ١٠١ .

(٧) سورة البقرة : الأية ١٥٣ .

(٨) سورة الصف : الاية ٣ .

(٩) سورة الأنفال : الآية ٢٧ .

(١٠) سنن الترمزى ٤/ ٥٥٠ ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٢٤ ، حديث رقم ٢٤٥٨ . قال أبو عيسى : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه .

وخلاصة القول : إن شكر المسلم لربه علي نعمه ، وحياؤه منه تعالي عن الهم والميل إلي معصيته، وصدق الإنابة إليه ، والتوكل عليه ، ورجاء رحمته ، والخوف من عذابه ونقمته ، وحسن الظن به فى إنفاذ وعده ووعيده فيمن شاء من عباده ، والصبر علي عبادته وعلي إبتلاءه ، وعدم خيانته وخيانة الرسول ، والإعتصام بأمره ووجل القلوب عند ذكره ، فكل ذلك وغيره هو أدب من العبد مع ربه، فبقدر تمسكه بهذه الآداب والمحافظة عليها بقدر علو درجته وإرتفاع مكانته وسموها ، فتعظم كرامته ويصبح من أهل ولاية الله ورعايته ، ومحط رحمته ومنزل نعمته .(١)

ومن أدب العبد مع ربه أن يتأدب مع كلامه عز وجل،فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد ، وكلامه القديم ، ومعجزة نبيه الخالدة ، كتاب أنزله الله للعالمين علي رسوله النبى الصادق الأمين ، فيه حياة المؤمنين ، وفيه نبأ ما قبلهم وما بعدهم ، كتاب تطمئن له القلوب ، فهو كلام الله وأحسن الحديث . قال تعالي : « **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** » .(٢)

أورد الطبرى فى تفسيره للآية « الله نزل أحسن الحديث كتاباً » يعنى به القرآن (متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً لا إختلاف فيه ولا تضاد .(٣)

وجاء فى التفسير المنير (أن الله نزل أحسن الحديث وهو القرآن ، لما فيه من الخيرات والبركات والمنافع العامة والخاصة ، وهو كتاب يشبه بعضه بعضاً فى جمال النظم وحسن الإحكام والإعجاز ، وصحة المعانى ، وقوة المبانى ، وبلوغه أعلي

---

(١) لمزيد من الفائدة انظر : من أسس التربية الإسلامية ، د . عمر الشيبانى / ص ٢١٥ – ٢١٦ ومنهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى ص ٨٣ – ٨٥ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٣) تفسير الطبرى ١٢/ ٢١٠ .

درجات البلاغة ، وتثني فيه القصص وتردد ، وتتكرر فيه المواعظ والأحكام من أوامر ونواهى ووعد ووعيد ، ويثني فى التلاوه فلا يمل سامعه ولا يسأم قارئه ، إذا ذكرت آيات العذاب إقشعرت جلود الخاشعين لله ، كما قال الزجاج * : وتضطرب النفس وترتعد بالخوف مما فيه من الوعيد ، ثم تسكن وتطمئن الجلود والقلوب عند سماع آيات الرحمة ، وقال قتادة: هذا نعت لأولياء الله نعتهم بأنهم تقشعر جلودهم ، ثم تطمئن إلي ذكر الله) .(١)

فعلي الإنسان المسلم أن يعظم ويوقر كتاب الله عز وجل ، لأن ذلك توقيراً لله عز وجل ، وأن يجعل هذا الكتاب دستوراً له فى حياته .

وللقرآن الكريم آداب جمة حين قراءته أو الإستماع إليه ، قال تعالي : « **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » .(٢)

جاء فى تفسير ابن كثير أن الله لما ذكر أن القرآن بصائر للناس وهدي ورحمة ، أمر الله تعالي بالإنصات عند تلاوته ، إعظاماً وإحتراماً له ، حتي تتفهموا آياته وتتعظوا بمواعظه ، وأنصتوا له عن الكلام مع السكوت والخشوع لتعقلوه وتتدبروه . فالاية تدل علي وجوب الإستماع والإنصات للقران ، سواء كانت التلاوة فى الصلاة أم خارجها ، ومنهم من قال : الإنصات فى الصلاة والخطبة يوم الجمعة ، ومنهم من أضاف إلي ما سبق الإنصات يوم الأضحي ويوم الفطر .(٣)

---

* **الزجاج** : هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ومات فى بغداد ، سمى بهذا الاسم لأنه كان يعمل بالزجاج ، علمه المبرد النحو وطلبه وزير المعتضد العباس مؤدباً لابنه القاسم ، من كتبه – معانى القرآن – و الأمالى فى الأدب واللغة – واعراب القرآن – ثلاثة أجزاء ، توفى سنة ٣١١ هـ ، انظر : طبقات المفسرين للداوودى ١/٩ – ١٢ ، رقم ١٠ والأعلام للزركلى ١/ ٤٠ .

(١) التفسير المنير ٢٤/٢٧٩ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٠ –٢٨١ ، والتفسير المنير ٩/٢٢٧ – ٢٣٠ .

والآية أختلف فى سبب نزولها ، فمنهم من قال : أنها نزلت فى رفع الأصوات وهم خلف رسول الله فى الصلوات .

قال الزهرى : إنها نزلت فى فتي من الأنصار ، كان رسول الله كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت الآية . وقال مجاهد بن جبر وغيره : نزلت فى الإنصات للإمام فى الخطبة يوم الجمعة .(١)

والظاهر من هذه الروايات أنها نزلت فى الإستماع والإنصات للقرآن سواء كان فى الصلاة أو خارجها ، فهى عامة فى جميع الأوضاع وكل الأحوال ، إنصات وإستماع مع تدبر وإستغفار فبذلك تطمئن القلوب ، قال تعالي : « ... **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » .(٢)

فالأدب مع القرآن الكريم أمر مطلوب شرعاً ، وتعظيم الله واجب عقلاً وشرعاً .

فهل يستمع المسلمون لكلام الله ؟ وهل ينصتون ويتدبرون حينما يتلي عليهم القرآن ؟ ، إن القلوب لتذوب حسرة وألماً ، وإن الأعين لتذرف دمعاً لما وصل إليه البعض من المسلمين اليوم من بدع وضلالات حين إستماعهم للقرآن ، سواء فى المآتم أو غير ذلك . فتراهم يتشاغلون عن الإستماع لكلام الله بالقيل والقال ، والسلام وتبادل التحايا فيما بينهم ، وكأن القرآن يقرأ للأموات .

ومما يزيد فى العجب أنهم مع تلاوة القرآن يأكلون ويحتسون القهوة ويشربون الدخان وكأنهم فى ملهي . فهذا فى غاية الضلال ، فلا يراعون للقرآن حرمة ولا للمقروء كرامة . ولا نعنى أن يكون الصمت تاماً لا حركة ولا سكون ، ولكننا نعنى بالصمت الخشوع ، فنحن بنى البشر وقد أكرمنا الله أحق من الجماد فى خشوعه للقرآن ، قال تعالي : « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ... » (٣) ومصيبة أخري من مصائب هذا الدهر أن القرآن عندما يتلي من قبل مقريء حسن الصوت يتصايحون ويرفعون أصواتهم ، وكأنهم سكاري إستخفهم الطرب، فأخذوا يلوحون بأيديهم ، ويطلقون عبارات

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ١٥٨ ، وتفسير الماوردى ٢/٧٨ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الحشر : الآية ٢١ .

الإعجاب بصورة يندي لها الجبين ، لا تليق بمسلم يستمع للقرآن وهو كلام الله المنزه عن ذلك كله . فعلينا أن نتأدب بآداب القرآن وإستماعه ، ونتقى الله فى كلامه ، حتي تتنزل علينا السكينة والرحمة وتحفنا الملائكة ، ويذكرنا الله فيمن عنده .

جاء فى كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية متحدثاً عن آداب القران قائلاً : وأنت إذا تدبرت هذه القوة الروحية فى آداب القرآن الكريم ، وأعتبرتها بما أتاها من الطباع ومساغها فى النفوس ، وإشتمالها علي سنن الفطرة الإنسانية ، فإنك تتبين من جملتها تفصيل تلك المعجزة الإجتماعية التى نهض بها العرب ، فنفضوا رمال الصحراء علي أشعة الشمس فى هذا الشرق كله، بل نفضوا أقدامهم علي عروش وممالك الأرض ، وهم كانوا بين داع للصنم وراع للغنم ، فما زالوا يبسطون تلك الجزيرة حتي بلغت أضعافها ، وما زالوا بالدنيا حتي جمعوا أطرافها . وليس من دليل علي ذلك إلا لأن القرآن كان غضاً طرياً فى نفوسهم .(١)

والحديث عن القرآن الكريم كثير لا يتسع المجال للتفصيل فيه ، ولكن إتماماً للفائدة نورد بعض الآداب التى تتعلق بكتاب الله عز وجل ، لأن الأدب مع كتابه أدب معه ، فحري بالمسلم أن يلتزم بها عند تلاوته ، ومن هذه الآداب :-

* أن يقرأه علي أكمل الحالات ، من طهارة واستقبال القبلة وجلوس فى أدب ووقار .

قال تعالي : « **إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** » .(٢)

ولقد عد الماوردى فى تفسيره أن تأويل قوله تعالي : «لا يمسه إلا المطهرون ، علي ستة أقاويل منها لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث (٣) والأنجاس (٤) .

---

(١) انظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفي صادق الرافعى ص ٩٧ ، دار الكتاب العربى – بيروت – الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٧٧ – ٨٠ .

(٣) جمع حدث ، وهما حدثان الأصغر ويكون بعدم الوضوء . والأكبر ويكون بالجنابة أو الحيض أو النفاس . وقد قال أكثر الفقهاء لا يمس القرآن إلا طاهر منهما . تفسير الماوردى ١٧٩/٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

فالطهارة من الجنابة والحيض والنفاس ، فرض لقراءة القرآن أو مس المصحف وحمله ، والطهارة من الحدث الأصغر فرض لمس المصحف وحمله .

* أن يقصد بقرائته وجه الله تعالي ، وأن يتعلم أحكام كتابه ، وينفذ أوامر ربه بتلاوة القرآن الكريم .

قال تعالي: **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ...** » .(١)

* التعوذ والبسملة قبل البدء بالتلاوة ،

قال تعالي: «**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**» .(٢)

* أن يلتزم الخشوع عند التلاوة ، وأن يظهر الحزن ، وأن يبكى أو يتباكي إن لم يستطع ، لقول الرسول : [اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا] .(٣)

* طهارة المكان والثياب ونظافتها ، والتجمل والتطيب إستعداداً لمناجاة الله تعالي بقراءة كلامه .

* أن يحسن صوته عند التلاوة لقوله : [زينوا القرآن بأصواتكم] .(٤)

* أن يتلو القرآن حسب قواعد التجويد ، ويرتله حسب القواعد التى وضعها العلماء ، من غير إستعجال ،

قال تعالي : « ... **ورتل القرآن ترتيلا** » .(٥)

---

(١) سورة البينة : الاية ٥ .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٣) سنن ابن ماجة ١٤٠٣/٢ ، كتاب الزهد ، باب ١٩ الحزن والبكاء ، حديث رقم ٤١٩٦ . وكتاب إقامة الصلاة ٤٢٤/٢ ، باب فى حسن الصوت بالقرآن ، حديث رقم ١٣٣٧ ، وكشف الخفاء ٢٩/١ حديث رقم ٤٢ .

(٤) فتح البارى ٢٢٧/١٣ ، كتاب التوحيد ، باب ٥٢ ، قول النبى الماهر فى القرآن مع السفرة الكرام البررة ، وزينوا القرآن بأصواتكم – وسنن أبى داود ٧٥/٢ ، كتاب الصلاة باب استحباب الترتيل فى القراءة ، حديث رقم ١٤٦٨ . ومسند أحمد ابن حنبل ٢٨٣/٤ – وسنن ابن ماجة ٤٢٦/٢ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ١٧٦ فى حسن الصوت بالقرآن، حديث رقم ١٣٤٢ .

(٥) سورة المزمل : الآية ٤ .

جاء فى تفسير الجامع لأحكام القرآن عن معني الاية « ورتل القرآن ترتيلا » أى لا تعجل بقراءة القرآن بل إقرأه علي مهل وبيان ، مع تدبر المعانى . قال مجاهد : (أحب الناس فى القراءة إلي الله أعقلهم عنه) . ومعني الترتيل التنسيق وحسن النظام ، قال أبو بكر بن طاهر : (تدبر فى لطائف خطابه ، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرك بالإقبال عليه) .[1]

* أن يقرأ القرآن بخشوع القلب ، وسكون الجوارح ، واستحضار عظمة ومنزلة القرآن، قال تعالي : « **ويخرون للأذقان**[2] **يبكون ويزيدهم خشوعاً** » .[3]

أورد الطبرى فى تفسيره للآية فقال : يخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتاب من قبل نزول الفرقان ، فإذا تليت عليهم آيات القرآن لأذقانهم يبكون ، ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً، وخضوعاً لأوامر الله عز وجل.[4]

وهؤلاء الذين منّ الله عليهم من مؤمنى أهل الكتاب ، كعبدالله بن سلام وغيره ممن أسلم فى وقت النبى بعد ذلك .[5]

* أن يتلوه بتدبر وتفكر وأن يتفهم معانيه ، قال تعالي : « **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** » .[6]

قال البيضاوى فى تفسيره للآية الكريمة « ليدبروا آياته » : (ليتفكروا فيها فيعرفوا

---

(١) انظر : تفسير القرطبى ٣٨/١٩ ، وتفسير الماوردى ، ٣٣٣/٤ . والترتيل مأخوذ من ترتيل الأسنان إذا إستوي نبتها وحسن إنتظامها .

(٢) **للأذقان** : مجتمع اللحيين ، والواحد ذقن ، قال ابن عباس يخرون للأذقان للوجوه . انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى ص ١٨١ ، ومعجم مفردات غريب القرآن ، محمد فؤاد عبدالباقى ص ٦٠ ، باب الذال .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٠٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبرى ١٨١/٩ ، وتفسير الماوردى ، ٤٦٢/٢ .

(٥) انظر : تفسير تيسير الكريم الرحمن ١٣٦/٣ .

(٦) سورة ص : الاية ٢٩ .

ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة ، وقريء ليتدبروا علي الأصل ، ولتدبروا أى أنت وعلماء أمتك ، وليتذكر أولوا الألباب وليتعظ به ذو العقول السليمة ، أو ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل، فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع، وإرشاد إلي ما لا يستقل به العقل ، ولعل التدبر للقسم الأول والتذكر للقسم الثانى) .[1]

* المداومة علي تلاوة القرآن ، وتجنب هجرانه قال تعالي : « **وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** » . [2]

ذكر الطبرى فى تفسيره للآية أن الرسول محمد قال : يا رب إن قومى الذين بعثتنى إليهم لأدعوهم إلي توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، ومنهم من قال مهجوراً : أى بالقول السيء فى القرآن غير الحق . ومنهم من قال : لا يريدون أن يسمعوه ويبعدون عنه ، وقد رجح أبو جعفر هذا القول ، لأنهم قالوا لا تسمعوا هذا القول وألغوا فيه وذلك هجرهم إياه . [3] واليوم نري أن هذه الآية تنطبق علي كثير من الناس ، فنراهم تركوا القرآن ولم يعملوا به ، أو هم إن سمعوه من مذياع أو غير ذلك غيروا عن القرآن وصدوا عن إستماعه ، أو منهم من يعلقه فى السيارة كالتميمة ، أو يجعله أمامه فى المكتب حتي يقال أنه يقرأ القرآن ، أو منهم تمر عليه الأيام والأشهر والسنين لا يقرأ آية واحدة ، ومنهم من لا يستمع إليه ولا ينصت إذا قريء القرآن ، أليس بعد هذا هجران ؟!

قال تعالي : « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » .[4]

---

(١) تفسير البيضاوى / ص ٦٠٢ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٣٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ٩/١١ ، وتفسير البيضاوى ص ٤٧٩ .

(٤) سورة محمد : الآية ٢٤ .

* التأدب بآداب حفظه القرآن ، إذا منّ عليه بحفظه أو حفظ شيء منه فلا يلهو ولا يسهو مع من يسهون ويلغو مع من يلغوا تعظيماً لحق القرآن ، فحامل القرآن حامل لراية الإسلام .[1]

(١) للاستزادة فى هذا الموضوع راجع كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن ، لأبى زكريا يحيي ابن شرف الدين النووى الشافعى توفى (٦٣١ هـ - ٦٧٦ م) ص ١٥ وما بعدها ، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

المبحث الثالث

الأدب مع رسول الله

المبحث الثالث

الأدب مع رسول الله

أنزل الله القرآن الكريم علي رسوله ليبلغه إلي أمته والناس أجمعين ، وطلب منهم عدم التفرقة بين الرسل والإيمان بهم وبما أنزل عليهم ، قال تعالي : « **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ...** » .(١)

وقال تعالي : « **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » .(٢)

وكما طلب الإسلام الإيمان بجميع الرسل ، طلب بالإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن رسالته تضمنت الإرشاد إلي مافيه كمال الإنسانية ورقيها ، قال تعالي: «**ماكان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ...**».(٣) « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** » .(٤)

والمسلم يشعر فى قرارة نفسه بوجوب الأدب الكامل مع الأنبياء كلهم ، وخاصة مع خاتم النبيين محمد الله عليه وسلم وذلك لأسباب منها :

إن الله قد أوجب لرسوله الأدب وذلك بصريح قوله تعالي فى أول سورة الحجرات : « **يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله ...** » .(٥)

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٦ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١ .

وغير ذلك من الآيات الكريمة التى تبين كيفية التأدب معه وسيأتى ذلك بالتفصيل لاحقاً.

إن الله فرض علي المؤمنين طاعته وأوجب محبته ، قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ... » .(١) وقال تعالي : « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ... » .(٢) يتبين من الآيات الكريمة أن من وجبت طاعته وحرمت مخالفة أمره لزم التأدب معه فى جميع الأحوال .

إن الله قد جعل الرسول إماماً وحاكماً ، قال تعالي : « **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ... » .(٣) وقال تعالي : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم...** » .(٤) والتأدب مع الإمام والحاكم تفرضه الشرائع ، وتقربه العقول ، ويحكم به المنطق السليم .

فرض الله محبته علي لسانه فقال : [لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين].(٥)

ومن وجبت محبته وجب الأدب إزاءه ولزم التأدب معه ، فهذه بعض موجبات الأدب مع الرسول وغيرها كثير ، ومن أجل ذلك علمنا الله الأدب معه حيث أنزل به سورة تضمنت العديد من الآداب وإليكم هذه الأداب مع الرسول :

---

(١) سورة محمد : الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة المائدة :الآية ٤٩ .

(٥) فتح البارى ١ / ٧٤ ، ٧٥ ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان ، حديث رقم ١٤ ، وصحيح مسلم ٢ / ١٥ ، كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله أكثر من الأهل ، وسنن ابن ماجه ١ / ٢٦ ، المقدمة باب ٩ فى الإيمان ، حديث رقم ٦٧ .

عدم التقديم [1] بين يدي الرسول .

قال تعالي فى سورة الحجرات : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ...». [2] فهذا آدب واجب مع الله ومع الرسول المبلغ عنه ، وليس المقصود أن يكون فى ذلك التقديم علي الله وسروله تقدماً مادياً ، وإنما المقصود أن يكون ذلك فى مجال الرأى والنظام ، فقد فهم السلف الصالح لها أن لا يكون رأى أو شرع ولاقانون فوق شرع الله ورسوله ، ولم نفهمها نحن أبناء القرن العشرين فجعلنا من آرائنا وقوانينا ونظمنا مايتقدم علي شرع الله ورسوله ، ونزعم بعد ذلك أننا من أهل الإيمان ورد فى سبب نزول هذه الآية أخبار كثيرة ، كل منها يصلح أن يكون سبباً لنزولها .

قالوا : أنها نزلت فيمن صام يوم الشك بلا إذن ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أن أناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبى فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا ...»).

وقالوا : أنها نزلت فيمن ذبح أضحية قبل صلاة العيد ، وروي أنها نزلت عندما أستقر الرسول بالمدينة ، وكثر مجيء الوفود إليه من الآفاق ، وأكثروا عليه بالمسائل ، فنهوا أن يبتدؤه بالمسألة .[3]

أشار الطبرى فى تفسيره للأية الكريمة أن هذا نداء للذين آمنوا بوحدانية الله ونبوة نبيه محمد ، بأن يتأدبوا بآداب القرآن مع رسولهم ، بألا يعجلوا بقضاء أمر فى حروبهم أو دينهم ، قبل أن يقضى الله لهم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله .

---

(١) **التقديم** : بمعني التعدى بالفعل أو القول . يقال لاتقدم الأمر أى لاتعجل به ، أو بمعني عدم جعل النفس مرتفعه بين الرسول ، يقال فلان تقدم من بين الناس إذا إرتفع أمره وعلا شأنه ، والمقصود هنا الامتثال لسننه وعدم القول بخلافها . تفسير الفخر الرازى ٢٨ / ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١ .

(٣) أنظر: تفسير الطبرى ١٣ / ١١٦ ، وأسباب النزول للواحدى ص ٢٦٤ ، وتفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى ص ٣٨٤ – ٣٨٥ ، وتفسير الماوردى ، ٦٨/٤ .

ومعني «يقدم» آلا يعجل بالأمر والنهى ، ثم بين الإختلاف فى معني قوله تعالي : « لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » فمنهم من قال : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، ومنهم من قال: أنهم نهوا آن يتكلموا بين يدى كلامه ، ومنهم من قال: أن المقصود فى ذلك فى القتال ، وقال غيرهم : أن المقصود فيها لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله.(١)

والظاهر من ذلك سواء كان فى سبب النزول أو فى المعني المتعدد للآية الكريمة أن الآية باقة من الآداب الخاصة فى معاملة النبى من قبل المؤمنين ، علي أساس التوقير والإحترام والتعظيم ، فالآية عامة فى كل قول وفعل ، وإرشاد عام يدخل فيه كل إثبات وتقدم بالأمر والاستبداد به ، والإقدام علي فعل غير ضرورى دون مشاورة ، فليس ببعيد أن تكون هذه الأشياء قد حصلت ثم نزلت بعدها الآيه ، وإلي هذا ذهب كثير من المفسرين منهم الإمام الرازى * فى تفسيره .(٢)

جاء فى تفسير تيسير الكريم الرحمن أن الأدب مع رسول الله بإتباعه فيما أمر ونهي عن الله سبحانه وتعالى ، وإتباع لسنته فى حياته ومماته وفى جميع أموره ، وأن لا يتقدموا عليه ، فلا يقولوا حتي يقول ، ولا يأمروا حتي يأمر ، فإن هذه حقيقة الأدب مع الله ورسوله الواجب إتباعها فهي عنوان سعادة العبد وخلاصه ، وبفواتها تفوت السعادة الأبدية ، وفى هذا النهى الشديد عن تقديم قول غير الرسول علي قوله ، فإنه متي إستبانت سنته وجب إتباعها وتقديمها علي غيرها كائناً من كان ثم أمر الله بتقواه عموماً .(٣)

ومماسبق نستنبط من الآية الكريمة الأحكام والأداب الآتية :-

عدم الجزم فى أمر من أمور الدين دون الرجوع إلي مصدره ، كى لا تتشعب الأحكام وتتصادم العقول وتضل الآراء . وعلي من إستفتي فى أمر دينى أن يتريث فى

---

(١) المرجع السابق : نفس الجزء ص ١١٦ – ١١٧ ، والتفسير المنير ٢٦ / ٢١٨ .

(٢) **الرازى** : سبقت ترجمته فى الفصل الرابع ص .

(٣) انظر : تفسير تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن السعدى ٥ / ٦٧ – ٦٨ .

حكمه ، ويتثبت من قوله بالرجوع إلي القواعد المقررة ، وأن يخلص فى فتواه .

وعلي المرء أن يطيع رئيسه وينصاع له فى كل أوامره ، إذا كان ذلك فى المصلحة العامة ولايتنافي مع الدين ، يتبين ذلك من حث المؤمنين علي طاعة الرسول وإتباع أمره ، والرسول فى الوقت نفسه مذعن وخاضع لربه عز وجل .

وعلي الإنسان أن يبتعد عن كل عمل لايحسن التصرف فيه ، وأن يترك الأمر إلي أهله ، وليفتح المجال لمن هو أكفأ منه . حتي لاتختل الأمور وتذهب المصالح .

عدم رفع الصوت أمام الرسول .

قال تعالي : « **ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ».(١)

وسبب نزول الآية الكريمة كما ذكر الواحدى أنها نزلت فى شأن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، حينما إرتفعت أصواتهما عند الرسول بشأن بعض الوفود .

فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : قدم ركب من بن تميم علي رسول الله فقال أبوبكر : أمر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبوبكر : ماأردت إلا خلافى وقال عمر : ماأردت خلافك ، فتماريا حتي إرتفعت أصواتهما فنزلت الآية .

قال عطاء * عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالي : « لا ترفعوا أصواتكم » آلي(٢) أبوبكر أن لا يكلم رسول الله إلا كأخى السرار(٣) فأنزل الله تعالي فى أبى بكر : « **إن**

---

(١) سورة الحجرات الآية ٢ .

* **عطاء بن رباح** : هو أبو محمد عطاء بن ابى رباح المكى ،من كبار التابعين والفقراء الأجلاء قال : أدركت مائتين من الصحابة، إنتهت إليه فتوي أهل مكة وإلي مجاهد فى زمانهما ، ولد سنة ٧هـ وتوفى سنة ١١٤ هـ وقيل ١١٥هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٧ / ١٩٩ – ٢٠٣ ، والحلية ٣ / ٣١٠ – ٣٢٥ .

(٢) **آلي** : حلف – مختار الصحاح ، ص ٩ .

(٣) **السرار** : المسارة ، أى كصاحب السرار ، أو كمثل المسارة لخفض الصوت ، ومكان صفة لمصدر محذوف ، ومعني سراراً المناجاة ، وكذلك يقصد به عدم رفع الصوت : أنظر : التفسير المنير ٦ / ٢١٧ ، ومختار الصحاح ص ١٢٤ .

الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ...» [1] .[2]

جاء فى تفسير النسفى عند قوله تعالي : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » (أى إذا نطق فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته ، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عالياً لكلامكم ، وجهره باهراً لجهركم ، حتي تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة).[3] وقال الطبرى فى تأويل قوله تعالي : « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض» ولا تنادوه كما ينادى بعضكم بعضاً : يامحمد يامحمد ، ولكن نادوه بيارسول الله ويانبى الله ، وهذا أمثل لقوله تعالي : « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً...** » .[4] فنهاهم الله أن ينادوه كما ينادى بعضهم بعضاً وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه ، ويدعوه إذا دعوه بإسم النبوة .[5] ثم جاءت الآية التى بعدها تقول : « **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين إمتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** » .[6] فالتقوي هنا هبة عظيمة من الله لا يهبها إلا لمن يستحقها ،وهو الذى يمتحن قلبه فلا يرتفع صوته علي صوت النبى فى حياته ، ولا يرتفع بعد مماته عند قبره ، ولا يتعدي ويرتفع كلام غير كلام الله علي سنته.

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٣ .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٢٦٤ – ٢٦٠ ، وتفسير الطبرى ١٣ / ١١٩ ، وتفسير الماوردى النكت والعيون ٤ /٦٨

(٣) تفسير النسفى ٤ / ١٦٦ .

(٤) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبرى ١٣ / ١١٧ – ١١٨ ، وتفسير النسفى ٤ / ١٦٦ .وتفسير المراغى ٩ / ١٢١ – ١٢٢ .

(٦) سورة الحجرات الآية ٣ .

عدم مناداة الرسول من وراء الحجرات[1] (أدب الزيارة والوفادة).

قال تعالي: «**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ...**»[2].

ذكر الواحدى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة أنها نزلت فى بنى تميم ، حينما نادو ا الرسول من وراء الحجرات فى وقت الظهيرة بأصوات منكرة وأسلوب جاف ، لا يتناسب وكرامة الرسول وكانوا يناودنه يامحمد أخرج إلينا ، فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين ، فأذى النبى من صباحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : إنا جئناك يامحمد نفاخرك ، فنزل فيهم : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون » ، وكان فيهم الأقرع بن حابس ، وعيينة بن معن ، والزبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم.[3]

يبين الطبرى فى تفسيره لقول تعالي : « ولو أنهم صبروا حتي تخرج إليهم لكان خيراً لهم » (أى ولو أن هؤلاء الذين ينادونك يامحمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادونك حتي تخرج إليهم إذا خرجت ، لكان خيراً لهم عند الله ، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك ، فهم بتركهم نداءك تاركون ماقد نهاهم الله عنه) .[4]

---

(١) **الحجرات** : من الحجرة وهى جمع ، والثلاث حجر ، فيقال حجر وحجرات ، والحجرة هى قطعة من الأرض تحجز بحائط ونحوه مثل الغرفة ، وسميت السورة الكريمة بهذا الإسم لأن الله تعالي ذكر فيها تأديب أخلاق العرب ، الذين ينادون الرسول من وراء حجراته ، وهى حجرات وبيوت نسائه المؤمنات الطاهرات ،وكان لكل واحدة منهن حجرة ، وتسمي أيضا سورة (الأخلاق والآداب) لأنها أرشدت إلي آداب المجتمع الإسلامى وكيفية تنظيمه ، أنظر : التفسير المنير ٢٦ / ٢١١ .

(٢) سورة الحجرات : الآيتان ٤ – ٥ .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ٢٢٦ ، وتفسير الطبرى ، ١٣ / ١٢١ ، وتفسير النسفى ٤ / ٦٧ ، وتفسير الماوردى ٤/٦٩ – ٧٠ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٣/١٢٣ ، وتفسير ابن كثير ٤/٢٠٨ .

فالله سبحانه وتعالي فى الآية الكرية ذم هؤلاء الأعراب الجفاة ، الذين ينادون رسول الله من وراء الحجرات بعدم العقلانية « أكثرهم لا يعقلون » ، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله وإحترامه ، كما أن من العقل إستعمال الأدب ، فأدب العبد هو عنوان عقله .

والآية الكريمة تضمنت دستوراً كاملاً وقانوناً شاملاً لآداب الوفادة والزيارة والمناداة ، ومقابلة الأمراء والرؤساء لغرض من الأغراض فى عرض المظالم ، فمن هذه الآداب :-

إختيار الوقت المناسب للمقابلة ، بحيث لا يتعارض مع أوقات الخلوة أو الراحة حسب عادة أهل البلد ، ويلحق بذلك ماإذا كان رب البيت متعب من عمله أو علي سفر ، فالواجب أن يتحري الوقت المناسب ويمتنع من الذهاب فى الأوقات الحرجة ، لما يترتب عليه من هتك لأسرار البيوت وكثرة القيل والقال ، فعلي الزائر أن يتحلي بالصبر كى يصل إلي مبتغاة فربما كان فى صبره أخذ لمايطلبه .

ويتبين من قوله تعالي : « اكثرهم لا يعقلون » وجوب الإحتراس فى الكلام ، والاحتياط فى الأحكام . وهذا أسلوب رصين ونظام حكيم ، يعلمنا كيف يكون أدب الأحتياط الخطابى ، فربما نطق المرء بكلمة لا يبالى بها ولا يحتاط فى أسلوبها فتنشأ الفتن الخطيرة المترتبة علي ذلك .

وقال تعالي فى آية أخري تحث علي هذا الأدب الرفيع : « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً** [1] **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** » .[2]

---

(١) لواذاً : ملاوذة ، بأن يكون بهذا متستراً به لا يري عند خروجه ، لسان العرب ٣ / ٣١٧ ، وذكر الماوردى أن لواذ جاءت فى المنافقين كانوا يتسللون عن صلاة الجمعة أو عن الجهاد . انظر: تفسير الماوردى ١٤٦/٣ .

(٢) سورة النور : الآية ٦٣ .

اشتملت الآية الكريمة علي بعض أداب مناداة النبى ومخاطبة وذلك فى وجوب الإستجابة لدعوةالرسول ، وتمثل ذلك فى قوله تعالى : « ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » .

ذكر الطبرى عدة أقوال فى تفسير الآية الكريمة :

القول الأول : نهي الله سبحانه وتعالي فى هذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول الكريم عليهم ، فإن دعوته مستجابة .

القول الثاني :لا تنادوا الرسول كما ينادى بعضكم بعضاً ، أى لا تسموه إذا دعوتموه يامحمد ولا تقولوا يا ابن عبدالله ، ولا يا أبا القاسم ولكن شرفوه وعظموه فى الدعاء ، فقولوا يارسول الله يانبى الله .

القول الثالث : لا تجعلوا دعاء الرسول لكم إذا دعاكم إلي الحضور عنده ، منزلة دعاء بعضكم بعضاً للحضور ، فتحسبوا أنفسكم مخيرين إن شئتم أجبتم وإن شئتم تخلفتم ، فتارة تجبون وتارة أخري تتخلفون ، فإجابة الدعوة إليه والإسراع فيها واجب محتم عليكم .(١)

الإستئذان في حضرته

قال تعالي : « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع** (٢) **لم يذهبوا حتى يستأذنوك...** » .(٣)

ويقابل ذلك قول الله تعالي فى سورة الأحزاب : « **يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم...**» .(٤)

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٠ / ١٧٧ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٧٦ / وتفسير ابن باديس فى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، للإمام عبد الحميد بن باديس / ص ٢٢٢ ، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان ، وتوفيق محمد شاهين ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٧١م ، والتحرير والتنوير ١٨ / ٣٠٨ .

(٢) علي أمر جامع : إما الجمعة والعيدان والإستسقاء وكل شيء تكون فيه الخطبة أو الجهاد أو طاعة الله . انظر : تسير الماوردى ، ١٤٥/٣ .

(٣) سورة النور : الأية ٦٢ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ .

أمر الله سباحنه وتعالى عباده أن يتأدبوا مع رسوله ، فإذا كانوا فى مجلس مع رسول الله استأذنوه عند القيام ، فوصفهم بأنهم المؤمنون حقاً ، فإن إستأذانهم وهم مضطرون فلهم من إيمانهم وأدبهم عاصم ، وكذلك لا يستأذنون من مجلس يذكر فيه حديث رسول الله إلا للضرورة أيضاً . والله سبحانه وتعالي فى سورة النور أعقب الآية مادحاً فيها الذين يتأدبون مع رسوله فى مجلسه ويتسأذنونه فقال تعالي : « **إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا إستأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم** ».(١)

قال أبو السعود فى تفسيره لقوله تعالي : « ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ...» (فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله ، كما حكم فى الأول ، بأن الكاملين فى الإيمان هم الجامعون بين الإيمان وبين الإستئذان ، وفى « أولئك» من تفخيم شأن المستأذنين مالا يخفي) .(٢)

عدم إضاعة وقت الرسول

قال تعالي : « **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم** ».(٣)

نزلت الآية فى الأغنياء فى بداية الدعوة عندما تزاحم الناس علي الرسول يريدون الخلوة به ففرض الله عليهم صدقة ينفوقنها فى سبيل الله قبل أن يختلوا به ، وذلك ليشعرهم بقيمةوقت الرسول وعظم مسئوليته ، وألا يطلبوا ذلك إلا فى الأمور الهامة فقط ، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا وأما أهل الميسرة فبخلوا ، وإشتد ذلك علي أصحاب النبى فنزلت الآية رخصة لهم .(٤)

---

(١) سورة النور : الآية ٦٢ .
(٢) تفسير أبى السعود ٦ / ١٩٧ .
(٣) سورة المجادلة : الآية ١٢ .
(٤) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٢٨٣ .

وخلاصة الأمر فى التأدب مع الرسول أن علي المسلمين طاعته وإقتفاء أثره ، وترسم خطاه فى حياته وفى مماته ، بإتباع سنته وإحيائها قولا وفعلاً وصفة ، وإجلال إسمه وتوقيره عنذ ذكره ، والصلاة عليه وإستعظامه .

وتصديقه فى كل ماأخبر عنه من أمور الدين والدنيا .

وخفض الصوت عند زيارة قبره

والإبتعاد عن كل مايغضبه ، وعدم الشطط والإنحراف فى مدحه ، وعدم رفعه فوق منزلته التى أنزلها الله له .

وألا يقدم علي حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق كائناً من كان ، حتي نفس الإنسان التى بين جنبيه.

وموالاة من كان يوالى ومعاداة من كان يعادى ، وحب الصالحين ومولاتهم بحبه ، وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببعضه.

فعلي الفرد المسلم فى المجتمع الإسلامى أن يكون مؤدباً مع رسوله وقائده ومتمثلاً به قدوة حسنة لمن كان يرجو لقاء ربه واليوم الآخر .

الفصل الثاني

الآدب في العبادات

ويشتمل على خمسة مباحث :-

المبحث الأول : حقيقة العبادة في الإسلام .

المبحث الثاني : آداب الصلاة .

المبحث الثالث :اداب الزكاة .

المبحث الرابع : آداب الصيام .

المبحث الخامس : آداب الحج .

المبحث الأول

حقيقة العبادة في الإسلام

المبحث الأول

حقيقة العبادة في الإسلام

معنى العبادة في اللغة :

جاء فى القاموس المحيط أن العبدية والعبودية والعبادة : الطاعة .[١]

وفى لسان العرب : أصل العبودية الخضوع والذل ، والتعبيد : التذليل ، والعبادة : الطاعة ، والتعبد : التذليل والتنسك ، فأصل العبادة ، التذليل ، من قولهم طريق معبد ، أى لكثرة الوطئ عليه ، ومنه أخذ العبد لذله لمولاه .[٢]

من المعانى اللغوية لكلمة العبادة يتبين أن العبادة تأتى من الخضوع والتذلل والاستكانة ، والتنسك فكلها متقاربة فى المعانى .

معنى العبادة شرعاً :

هى إذعان العبد والخضوع والتذلل لخالقه عز وجل بغاية المحبة

وعرفها الجرجانى فى تعريفاته بأنها فعل المكلف علي خلاف هوي نفسه تعظيماً لربه .[٣]

المقصود بالعبادات :

العبارة ليست بمفهومها القاصر كما يفهما بعض الناس علي أنها التكاليف الشرعية فحسب ، وإنما العبادة تشمل جميع مناحى الحياة ، فهى ليست طقوسا ورسوماً تؤدي داخل المعابد والصوامع فقط ، بل تشمل العبادة كل عمل وقول يرتفع عليه شعار الإستسلام لله ، ويذكر عليه إسمه فى كل مكان وزمان ، وماتقسيم الفقهاء لأبواب الفقه عبادات ومعاملات ... إلا من حيث أن الأولي عمل لا يبدو فى ظاهره التعامل إلا مع الله ، والثانية تعامل مع خلق الله ،

---

(١) القاموس المحيط ١ / ٣٠٨ ، مادة عبد .

(٢) لسان العرب / ٣ / ٣٠٧ - ٢٧٢ / ومختار الصحاح ، ص ١٧١ ، والمصباح المنير ١ / ٤٦١ .

(٣) التعريفات للجرجانى / ص ١٨٩ .

بل أن كل حركة وسكنة يقضيها الانسان ابتغاء وجه الله فهى عبادة ، قال تعالي :

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» .(١)

ومع هذا الفهم الصادق لمدلول العبادات نذكر فى هذا الفصل الآداب المتعقلة بفرائض الإسلام، من صلاة وزكاة وصيام وحج ، فإن هذه الفرائض علي رأس العبادات ، وكل فرد فى المجتمع المسلم مكلف بها مع بعض الإستثناءات لبعض الأفراد فى سقوطها عنهم كالصبى والمجنون وغيرهم، ولما لها من أهمية فى المجتمع المسلم يؤدي بعضها كل يوم خمس مرات ، وبعضها يؤدي كل عام ، وبعضها يودي مرة فى العمر .

الصلاة وأهميتها في بناء المجتمع :

جاء الأمر بالصلاة فى الآيات المدنية ، ومن طابع هذه الآيات الكريمة الإسهام فى تنظيم المجتمع الإسلامى فى الوحى المكى ، وتطور التشريع القرآنى فى بناء المجتمع الإسلامى يقضى بأن تكون الصلاة هى العبادة الأولي فى تشريعها ، والحج هو خاتمة هذه العبادات ، والزكاة والصوم بينهما. والتكليف بالصلاة جاء متقدماً أى قبل الهجرة ، والعبادة التى تلتها كانت الزكاة من بعد الهجرة ، قيل فى السنة الثانية منها .

والصلاة مظهر من مظاهر وحدة المجتمع ، نجد ذلك فى صلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، منها ماهو إجتماعى وسياسى ، ومنها ماهو حربى ، وكلها تتقابل فى تدعيم البناء العام للأمة الذى يتمثل فى قوتها وعلو كلمتها ، ففى صلاة الجماعة تعاون وتعارف بين أبناء الحى الواحد ، ومتابعة لأحوال إخوانه ، فإن كان فقيراً أعانه ، وإن كان مريضاً فيعوده . والصلاة تدعيم لمبدأ المساواة ، فوقوف المسلمين بعضهم بجانب بعض ، وتساويهم فى المناكب فى صفوفهم ينعدم التمييز بين الغنى والفقير والعظيم وذو الحسب ، فكلهم سواسية عند الله ، إن أكرمهم عند الله سبحانه وتعالي أتقاهم .

---

(١) سورة الأنعام : الايتان ١٦٢ - ١٦٣ .

والصلاة تنهي الفرد فى المجتمع المسلم عن الفحشاء والمنكر، قال تعالي : « ... **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر...** » .[1]

قال القاسمى :إن الصلاة تكون سبباً للإنتهاءعن الفحشاء والمنكر ، فإن قلت كم من رجل يرتكب المنكر ولا تنهاه صلاته : قلت :الصلاة التى هى الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل المصلي فيها مقدماً للتوبة النصوح متقيآربه عز وجل لقوله تعالي : «... **إنما يتقبل الله من المتقين** »[2] ، ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح ، ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها ، فهى الصلاة التى تنهي عن الفحشاء والمنكر .[3]

والفحشاء والمنكر أسوأ مايتصف بهما الفرد أو المجتمع ، ومهما إدعي أصحاب الدراسات الأخلاقية والمذاهب الإجتماعية فى دارساتهم فى القضاء علي أسباب الفواحش والمنكرات ، وبث روح الأخلاق ، فلن يستطيعوا إلا إذا أعلنوا إنطوائهم تحت راية الإسلام . فها فى فريضة الصلاة منهج يصل به الفرد والمجتمع إلي قمة السمو الأخلاقى ، ويعمق فى نفس المجتمع الإسلامى كراهيته لكل الفواحش ، فيصبح نظيفا طاهر من كل دنس .

وفى الصلاة تتأكد علاقة المسلم بربه ، وبها يتذكر المسلم ربه فى أوقاتها المتلاحقة فى الليل والنهار، وبها تتكرر وقفته مع الله وقلبه مراقب له يخشاه ويعظمه ، والصلاة عماد الأمر كله إذا صلحت تنصلح سائر الأعمال ، وإذا فسدت تفسد سائر الأعمال ، ولهذا قال ﴿إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر﴾ .[4]

(١) سورة العنكبوت : الاية ٤٥ .

(٢) سورة المائدة : الاية ٢٧ .

(٣) انظر تفسير القاسمى ،١٣ / ٤٧٥٢ .

(٤) سنن النسائى ١ / ٢٣٢ ، كتاب الصلاة ، باب المحسابة علي الصلاة ، حديث رقم ٤٦٦ ، وسنن الترمذى ٢ / ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، كتاب الصلاة ، باب ماجاء أن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، حديث رقم ٤١٣ . قال أبو عيسي حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وقال«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذورة بناءه الجهاد فى سبيل الله» .(١)

فالصلاة أول فرائض الإسلام لمنهج متكامل فى تربية المجتمع ، تطهره ظاهراً وباطناً ، وتروي فيه شجرة الأخلاق بماء الوضوء ونور الذكر وروعة التجرد لله ، فكل ماتنشده الإنسانية من مساواة وعفة ومحبة ورحمة وقوة وأدب فى واقع ملموس ، تراه فى أصوات الساجدين والمتبتلين والداعين والذاكرين والمتجهين لربهم ، شعورهم واحد وإن اكرمهم عند الله اتقاهم ، وربهم واحد لاشريك له ، وقبلتهم واحدة وشعاوهم واحد الله أكبر ، الله أكبر .(٢)

والحديث عن الأثر الاجتماعى لفريضة الصلاة طويل ذكره ، فنكتفى بهذا الإشعاع والنور من فيض الصلاة .(٣)

---

(١) سنن الترمذى ٥ / ١٣ ، كتاب الإيمان ، باب ماجاء فى حرمة الصلاة ، حديث رقم ٢٦١٦ . قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح . وسنن ابن ماجه ٢ / ١٣١٤ ، كتاب الفتن ، باب كف اللسان فى الفتنة ، حديث رقم ٩٣٧٣ .

(٢) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، عبدالفتاح عاشور ، ص ١٩١ .

(٣) لمزيد من الفائدة راجع كتاب الأثر الإجتماعى لفريضة الصلاة ، البلولة علي قلبوس ، ص ٣٧ – ٣٩ ، دار الإعصتام – القاهرة ، والدين والمجتمع ، ابراهيم إبراهيم هلال ، ص ١٢٥ ، ومابعدها ، دار النهضة – مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م .

المبحث الثاني

آداب الصلاة

المبحث الثاني

آداب الصلاة

لكى تكون الصلاة مقبولة علي الوجه الأكمل بينت لنا الشريعة جملة من الأداب يجب إتباعها ومن هذه الآداب :-

الإقبال علي الصلاة برغبة ومحبة ، وبهمة ونشاط ، وبتشوق لمناجاة الله عز وجل . وقبل الدخول فى الصلاة علي المصلى أن يكون علي هيئة حسنة ، فيختار للصلاة الملابس النظيفة ويتعطر ويتسوك لأنه ذاهب لمناجاة رب العالمين ملك الملوك عز وجل . وفى ذلك بأمر الله عباده بأن يأخذوا زينتهم ، قال تعالي: « **يابني آدم خُذُوا زِينَتَكُم عند كُل مسجد ...** » .(١)

وسبب نزول الآية الكريمة ، أنها نزلت فى الذين كانوا يوطفون بالبيت عراة ، أُمروا باللباس وستر العورة قال مجاهد : والترجيح أنها نزلت فى ستر العورة فى الصلاة ، وهذا لا يدافع الأول لأن الطواف بالبيت صلاة .(٢)

وذكر الواحدى أنها نزلت فى الأعراب ، كانوا يطوفون بالبيت عراة ، حتي أن المرأة كانت تطوف عريانة وتقول : اليوم يبدو بعضه أو كله *** ومابدا منه فلا أحله ، فأنزل الله تعالي الآية ، وأمر بلبس الثياب .(٣)

بين ابن كثير فى تفسيره للآية أن الله أمر من كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم فى صلاتهم بالزينة ، وهى اللباس ليواروا سؤاتهم وماسوي ذلك ، لأن ستر العورة واجب فى الصلاة ، ومابعدها يسن ستره ولا يجب . فاللباس مظهر حضارى رفيع ، فمن الآية وماورد فى معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، ويستحب التطيب لأنه من الزينة ، والتسوك لأنه من تمام الصلاة .(٤)

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٢) انظر : أحكام القرآن لإبن العربى ٢/٧٧٦ ، وتفسير الماوردى (النكت والعيون) ، ٢/٢٣ ، ٢٤ .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ١٥٥ .

(٤) انظر تفسير أبن كثير ٢/٢١٠ ، وأحكام القرآن لابن العربى ٢/٧٧٨ – ٧٨٠ ، والتفسير المنير ٨/١٨٢ / ١٨٣ .

* ومن هذه الاداب أيضاً قضاء الحوائج الهامة والأعمال الضرورية قبل الصلاة ، حتي يتفرغ القلب لمناجاة الله عز وجل . فعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله يقول :

﴿لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا هو يدافع الأخبثان[1] ﴾ .[2]

ومنها لزوم السكنية والوقار ، وسكون الأطراف والجوارح ، والتواضع والخشوع ، والتذلل بين يدى الخالق تعظيما له، قال تعالي :« **قد أفلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون** » .[3]

قال أبو جعفر فى تفسير الآية الكريمة ،قد أفلح المؤمنون، (قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمداً وأقروا بما جاءهم من عند الله ، وعملوا بما دعاهم إليه ... وقوله تعالي : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون، الذين هم فى صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون ، وخشوعهم فيها تذللهم لله بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فى الصلاة . قيل إنهانزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم إلي السماء قبل نزولها ، فنُهوا بهذه الآية عن ذلك .[4]

ذكر سيد قطب رحمه الله فى ظلاله عند قوله تعالي : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون»: (تستشعر قلوبهم رهبة الموقف فى الصلاة بين يدى الله فتسكن وتخشع ، فيسرى الخشوع منها إلي الجوارح والملامح والحركات ، ويغشي أرواحهم جلال الله فى حضرته ، فتختفى من أذهانهم جميع الشواغل ، ولا تشتغل بسواه وهم مستغرقون فى الشعور به مشغولون بنجواة ويتواري عن حسهم فى تلك الحضرة القدسية كل ماحولهم وكل مابهم ، فلا يشهدون إلا الله ، ولا يحسون إلا إياه ، ولا يتذوقون إلا

---

(١) الأخبثان : البول والغائط ، مختار الصحاح ص ٧١ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٤٧/٥ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام المراد أكله ، ومسند أحمد بن حنبل ٤٣/٦ .

(٣) سورة المؤمنون : الآيتان ١-٢ .

(٤) تفسير الطبرى ١/١٠ .

معناه ، ويتطهر وجدانهم من كل دنس ، وينفضون عنهم كل شائبة...) .[1] فهذه الآية من إحدي الصفات التى ترسم شخصية المسلم فى أفقها الأعلي ، أفق محمد ، رسول الله وخير خلق الله الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه .

ومن هذه الآداب تجنب الإلتفات والشرود ، والضحك والعبث بالأيدى أو الثوب أثناء الصلاة ، وتجنب رفع البصر إلي السماء ، بل يكون فى موضع السجود .

ومنها التفكير والتعقل والتدبر لمعانى الآيات ،وتجنب الغفلة والسهو، قال تعالي : « **فويلٌ للمُصلين * الذين هُم عَن صلاتهِم ساهُون** » .[2]

أورد النسفى فى تفسيره للآية الكريمة ، يعنى بها المنافقين الذين لا يصلون الصلاة سراً ، لأنهم لا يعتقدون وجودها، ويصلونها علانية رياء ، فويل لهؤلاء الذين يدخلون أنفسهم فى جملة المصلين وهم غافلون عن صلاتهم ، ولا يريدون بها قربة إلي ربهم ولا تأدية للفرض ، فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ، ويظهرون للناس أنهم يؤدون الفرائض [3] . ووصفهم بالمصلين من باب التهكم عليهم ، والمراد عدمه أى الذين لا يصلون ليسوا بمسلمين ، ويجوز معناه الذين يصلون دون نية أو إخلاص .[4]

جاء فى تفسير الماوردى مانصه (وليس السهو الذى يطرأ عليه فى صلاته ولا يقدر علي دفعه عن نفسه هو الذى ذم به ، لأنه عفو .

وفى تأويل ، ما إستحق به هذا الذم ستة أوجه : (أحدهما) أن معني ساهون أى لاهون ، قال مجاهد . (الثانى) غافلون ، قاله قتادة . (الثالث) أن لا يصليها سراً ويصليها علانية رياء للمؤمنين ، قاله الحسن . (الرابع) هو الذى يلتفت يمنه ويسره هواناً بصلاته ، قاله أبو العالية .(الخامس) هو ألا يقراء ولا يذكر الله ، قاله قطرب.

---

(١) فى ظلال القرآن ٦/٩-١٠ .

(٢) سورة الماعون الآيتان ٤-٥ .

(٣) أنظر : تفسير النسفى ، ٤/٣٧٩ .

(٤) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٣٠/٥٦٨ .

(السادس) هو مارواه مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال : سألت رسول الله عن «الذين هم عن صلاتهم ساهون » ، فقال (هم الذى يؤخرون الصلاة عن مواقيتها) .(١)

إذا تثاءب المصلى أو عطس أثناء الصلاة فليضع يده علي فيه ويخفض صوته ما استطاع . فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى قال : «التثاءب فى الصلاة من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع» .(٢)

ومنها كذلك الإسراع فى آداء الصلاة فى أول وقتها وعدم تأخيرها تكاسلاً دون عذر .

قال تعالي فى وصف المنافقين : « ...**ولا يأتون الصلاة إلا وَهُم كُسَالَى ولاَ يُنفِقُونَ إلاَ وَهُم كَارِهُون** ». (٣) ومنها أيضاً الجلوس عقب الصلاة والاستغفار ، والذكر والدعاء بما ورد عن النبى فى ذلك .

فتلك أهم أداب الصلاة ، والآن نبين مايتعلق بها من آداب .

أولاً : آداب قضاء الحاجة .

ينبغى أن يطلب مكاناً خالياً من الناس بعيداً عن أنظارهم لما كان يفعل الرسول [كان إذا أراد البراز إنطلق حتي لا يراه أحد] .(٤)

---

(١) تفسير الماوردى (النكت والعيون) لأبى الحسن الماوردى (٣٦٤هـ-٤٥٠ هـ) ، ٧٩/٣ ، تحقيق خضر محمد خضر ، راجعه د. عبد الستار زيو غدة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣٨٩/٦، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، حديث رقم ٣٢٨٩، وصحيح مسلم بشرح النووى ، ١٢٢/١٨ ، كتاب الزهد ، باب تشميت العاطس وكراهية التثاؤب ، وسند الترمذى ٢٠٦/٢ ، كتاب أبواب الصلاة ، باب ماجاء فى كراهية التثاؤب فى الصلاة ، حديث رقم ٣٧٠ ، وقال أبو عيسي حديث أبوهريرة حديث حسن صحيح، ومسند أحمد بن حنبل ٣٩٧/٢ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٥٤ .

(٤) سند أبى داود، ١٧/١ ، كتاب الطهارة باب التخلى عند قضاء الحاجة ، حديث رقم ٢ .

أن يقدم رجله اليسري عند الدخول إلي الخلاء ويقول : (بسم الله إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث)[1] ، إقتداء بسنة رسول الله ، وألا يرفع ثوبه حتي يدنو من الأرض ، ستراً لعورته المأمور بها شرعاً . وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس ، وألا يبول فى الماء الراكد أو تحت شجر مثمر، وأن يتقى الموضع الصلب ومهب الريح فى بوله ، خوفاً من رشاشة البول . وألا يصحب شيئا معه ذكر إسم الله عليه ، أو حتي أى شئ مكتوب باللغة العربية أو أى لغة أخري . وأن يتجنب الكلام أثناء التخلى أو السلام أو رده أو الذكر الجهرى .وأن يطمئن إلي زوال النجاسة وإستكمال الطهارة لقوله تعالي : « **... إنَ اللَهُ يُحبُ التوابين ويُحبُ المُتَطهَرِيَن** » .[2]

قال القرطبى فى تفسيره للآية : إن الله يحب التوابين من الذنوب ، ويحب المتطهرين بالماء من الجنابة والأحداث .[3] وأن ينظف مكان الخلاء بعقد قضاء الحاجة ، حتي لا يبدوا أثر ولارائحة ، ثم يغسل اليدين بالماء والصابون بعد الخروج مباشرة .[4]

ثانياً : آداب الوضوء .

الوضوء مشروع بالكتاب والسنة قال تعالي : «**يا أيها الذين آمنوا إذا قُمتُم إلى الصلاةِ فاغسلُوا وُجُوهَكُم وأيديكُم إلى المرافق وامسَحُوا برؤُوسكم وأرجُلَكُم إلى الكَعبَين ...** » .[5]

---

(١) فتح البارى ٢٩٢/١ ، كتاب الوضوء ، باب مايقول عند الخلاء ، حديث رقم ١٤٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٧٠/٤ ، كتاب الطهارة ، باب مايقول إذا آراد دخول الخلاء ، وسنن الترمذى ١٠/١ ، كتاب الطهارة ، باب مايقول إذا دخل الخلاء ، حديث رقم ٥ ، قال أبو عيسي :حديث أنس أصح شئ ، وسنن ابن ماجه ١٠٨/١ ، كتاب الطهارة ، باب مايقول الرجل إذا دخل الخلاء ، حديث رقم ٢٩٦ .

(٢) سورة البقرة الاية ٢٢٢ .

(٣) تفسير القرطبى ٩١/٣ .

(٤) أنظر : إحياء علوم الدين ، لأبى حامد محمد الغزالى ١١٦/١ .

(٥) سورة المائدة : الاية ٦ .

والوضوء له فضائل عظيمة به تمحي الخطايا وترفع الدرجات ، والوضوء والتيمم تطهير للأعضاء الظاهرة بالماء والتراب للدخول فى الصلاة ، إستعداداً لمناجاة الله ، فإذا طهر المسلم يديه بالماء فعليه أن يطهرها من الذنوب والآثام بالا يؤذى بهما أحداً . والأحاديث فى فضل الوضوء كثيرة ذكرها أصحاب السنن فى مظانها .

وهذه طائفة من الآداب الإسلامية فى الوضوء :-

إبتداء الوضوء بتسمية الله تعالي ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله قال : [لا وضوء لمن لم يذكراسم الله تعالي] .(١)

الهدوء والسكينة فى أثناء الوضوء لأن ذلك مقدمة للخشوع فى الصلاة .

تجنب الكلام والضحك واللعب بالماء أثناء الوضوء .

عدم لطم الوجه لطماً وعدم نفض اليدين ورش الماء بعد الوضوء .

الحرص علي إسباغ الوضوء ولو علي المكاره إن كان هنالك برداً أو غير ذلك .

الدعاء بما ورد عن السلف الصالح أثناء غسل كل عضو .

الإعتدال فى إستخدام الماء ، لأن ذلك من الإسراف والتبذير المنهى عنه .

المحافظة علي الوضوء بعد كل حدث ، لأن الوضوء هو السلاح الروحى للمؤمن حتي يكون مستعداً للصلاة وتلاوة القرآن .

إستخدام السواك عند الصلاة لأنه مطهرة للفم ومرضاة للرب ، وذلك لقوله : [لو لا أن أشق علي أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء] .(٢)

ثالثاً : آداب الغسل .

إن الإسلام دين النظافة والطهر ، فإن أصابت الانسان جنابة من احتلام أو جماع فعليه الغسل وله آداب منها :-

---

(١) سنن الترمذى ، ٣٨/١ ، كتاب الطهارة ، باب ماجاء فى التسمية عند الوضوء ، حديث رقم ٢٥ ، ومسند أحمد بن حنبل ٤١٨/٢ ، وسنن ابن ماجه ١٤٠/١ ، كتاب الطهارة ، باب ماجاء فى تسمية الوضوء ، حديث رقم ٣٩٧ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢٠٧/٢٥٠/٢ ، ٤٠٠ .

تسمية الله عند خلع الثياب ، وستر العورة ، فحرام علي المسلم الإغتسال أمام أحد وهو مكشوف العورة لغير الحاجة ، حياء من الله وإكراماً للملائكة الحفظة الكاتبين ، قال تعالي : « **يابني آدم قد زنزلنا عليكم لباساً يواري سو آتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** » .(١)

قال ابن كثير فى تفسيره : (يمتن الله تعالي علي عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، فاللباس ستر العورات وهى السوآت ، والريش مايتجمل به ظاهراً . فالأولي من الضروريات ، والريش من التكملات والزيادات ... ولباس التقوي خشية الله . وقال اخرون ولباس التقوي الايمان وكلها متقاربة) . (٢) فاللباس نعمة من الله لستر عورة الإنسان ، وما أجمل الإنسان لو تجمل أيضاً بلباس التقوي فيكون اللباس قلباً وقالباً .(٣)

ومن هذه الآداب أيضاً :

تجنب تناول الطعام أو الشراب البارد أثناء الاستحمام ، وعدم دخول الحمام بعد الطعام مباشرة لما فى ذلك من تعرض الإنسان فى صحته وخاصة العملية الهضمية .

وعندما يتجرد الإنسان من ملابسه يتذكر الموت والدار الآخرة ، ويتعوذ من النار عند صب الماء الساخن ، وإسباغ الماء إلي جميع أعضاء البدن مع التيامن فى الأعضاء .

قال الإمام الغزالى : أذا أردت غسلاً فاحمل الإناء وضعه عن يمينك إن كنت

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٠٧ .

(٣) قال الشاعر : فى لباس التقوي مايلى :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقي *** تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربه *** ولا خير فيمن كان لله عاصياً

أيسر التفاسير ٢/١٦٢ .

تغترف منه وعن يسارك إن كنت تصب منه ، وأغسل يديك أولاً ثلاثاً ، وأزل ماعلي جسمك من نجاسة أو قذر ، ثم توضأ وضوءك للصلاة ، ثم صب الماء علي رأسك مع إستحضار النية ، ثم علي شقك الأيمن ثلاثاً ثم علي شقك الأيسر ثلاثاً ، وأدلك ماأقبل من بدنك ، وخلل الأطراف ، وأوصل الماء إلي معاطف البدن ومنابت الشعر ماخفى منه أو كثف ، وأعلم أن الواجب هو النية وإستيعاب البدن بالغسل .(١)

رابعاً : آداب الخروج إلى المسجد .

المسجد دعامة من الدعائم التى قام عليها المجتمع الإسلامى الأول ، فهو يربى المسلمين تربية إسلامية صحيحة علي هدي الله وسنة رسوله ، وللمسجد دوراً هام فى إنطلاق الدعوة الإسلامية .

ومازال دوره بارزاً ومؤثراً فى مجريات الحياة ، فالمسجد ينطلق منه الدعاة وتنطلق منه الجيوش . فهو ركن من أركان المجتمع فى ماضى المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم ، والمسجد له آداب تحدث عنها القرآن والرسول فمن هذه الآداب :-

أن تقدم الرجل اليمني علي اليسري عند الدخول ، وأن تقول اللهم صلي علي محمد وعلي آل محمد وصحبه وسلم ، اللهم أغفر لى ذنوبى وأفتح لى أبواب رحمتك ، وأن تصلى بعد دخولك المسجد ركعتين تحية المسجد .

ومنها محبة المساجد وتقديرها ، والنظر إليها بعين التكريم والتقديس والتعظيم والإحترام ، لأنها بيوت الله التى بنيت لعبادته ولذكر إسمه ونشر تعاليمه ، قال تعالي : « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** » .(٢)

جاء فى تفسير الماوردى أن لهذه الأية وجهان :(أحدهما) فروض الله .(الثانى) معالم دينه وفى هذه الوجه ثلاثة أقاويل (أحدهما) أنها مناسك الحج ، وتعظيمها إشعارها .(والثانى) أنها البدن المشعرة ، وتعظيمها استسمانها واستحسانها .(الثالث)

---

(١) انظر : بداية الهداية للغزالى ، ص ٤٤-٤٦ ، وإحياء علوم الدين ١/١٢١ ، ومنهاج العابدين للغزالى ص ١٥ - ١٦ ، مطبعة البابى الحلبى وأولاده - مصر - ١٣٣٧هـ .

(٢) سورة الحج : الآية ٣٢ .

أنها دين الله كله وتعظيمها إلتزامها.[1] والرأى الأخير هو ماتميل إليه النفس ، بتعظيم دين الله كله من شعائر فى الحج تؤدي فى بيت الله أو الشعائر الأخري من صلاة وصيام وذكر لله تؤدى فى بيوته فى شتي بقاع الأرض . فلا بد من إخلاص القلوب لأدائها ليرضي الله سبحانه وتعالي عنا .

وقال تعالي : « **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار** » .[2]

قال الطبرى فى تفسيره لهذه الاية : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ...» هى المساجد أمر الله سبحانه وتعالي ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها ، وتخصيص المساجد بالذكر لأنها مصدر إشعاع عقائدى وفكرى وتنظيمى وسلوكى وعلمى وسياسى فى حياة المسلمين ، والله سبحانه وتعالي أمر فى هذه الآية بتعظيم وتطهير بيوته من النجاسات المعنوية والحسية ، وأمر سبحانه وتعالي بتعظيم وتكريم المساجد ونهي عن اللغو فيها .[3]

ومنها المحافظة علي إرتياد المساجد حتي ولو كانت بعيدة والتحمل فى سبيل ذلك الحر والبرد وظلمة الليل ومشقة الطريق . فعن النبى قال : [إن أعظم الناس أجراً فى الصلاة أبعدهم إليها ممشي ...] .[4]

ومنها أيضاً التهيو للذهاب إلي المسجد بالطهارة وحسن الوضوء ، والتسوك

---

(١) انظر : تفسير الماوردى ٣/٧٩ .

(٢) سورة النور :الآيتان ٣٦ – ٣٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ،١٠/١٤٤ ، والتفسير المنير ١٨/٢٥٠ – ٢٥١ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١٦٧ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الصلاة المكتوبة فى جماعة.

واللباس النظيف وتقليم الأظافر والتطيب والتجمل ، قال تعالي : « **يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ...** » .(١)

ومنها إنهاء جميع الأعمال الدنيوية والمسارعه إلي تلبية الأذان والتوجه إلي المسجد ، قال تعالي : « **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ...** » .(٢)

قال أبو السعود فى تفسيره : (إن هذا تكرار فى النداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتنشيطهم علي الإقبال والإمتثال لأوامر الله وليستجيبوا لله والرسول إذا دعاهم فهم المباشرون لدعوة الله) .(٣)

وقال صاحب التفسير المنير فى هذه الآية : والمعني أيها المؤمنون أجيبوا دعوة الله ودعوة الرسول إذا دعاكم لما يحييكم حياة طيبة أبدية ، مشتملة علي سعادة الدنيا والآخرة ، وفيها صلاحكم وخيركم وفيها كل حق وصواب ، شامل لما فى القرآن من الإيمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة .(٤)

ومنها كذلك تجنب أكل الثوم والبصل وماله رائحة كريهة وإزالتها قبل الدخول إلي المسجد وتجنب تلويث المسجد بالقاذورات أو النجاسات أو البصق أو النخامة فيه قال : [البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها] .(٥)

ومنها تجنب الخصومات والإشتغال بأمور الدنيا والبيع والشراء وإنشاد الضالة

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

(٣) انظر : تفسير أبى السعود ١٦/٤ .

(٤) انظر : التفسير المنير ٢٠٩/٩ .

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٦٠٩/١ ، كتاب الصلاة ، باب كفارة البزاق فى المسجد ، حديث رقم ٤١٥ ، وصحيح مسلم ٤١/٥ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن البصاق فى المسجد ، وسنن الترمذى ٤٦١/٢ ، كتاب الجمعة ، باب ماجاء فى كراهية البزاق فى المسجد ، حديث رقم ٥٧٢ ، قال ابو عيسي : هذا حديث حسن صحيح .

وإنشاء الشعر المذموم ، قال تعالي : « **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** » .(١)

ومنها أيضاً تجنب الأكل فى المساجد وجعلها أماكن للراحة أو للسمر الدنيوى خوفا من الوقوع فى المحرمات كالغيبة والنميمة والكذب .(٢)

خامساً : آداب الإمامة .

ينبغى للإمام أن يخفف فى الصلاة ، ولا يكبر حتي يفرغ المؤذن من الإقامة ، ويسوى بين المصلين وينوى الإمامة لنيل الفضل ، ويسر فى دعاء الإستفتاح ، ويجهر بالصلوات التى فيها جهر ، ويأمن مع تأمين المصلين ، وبعد ما يفرغ الإمام من الصلاة يقبل علي الناس بوجهه ولا يلتفت إن كان خلفه نساء حتي ينصرفن أولاً ، ولا يسبق المأمومين الإمام فى ركوع أو سجود ، ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء.(٣)

سادساً : آداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة .

يوم الجمعة يوم فاضل عند الله ويوم مبارك ، اختصه الله لهذه الأمة ، ففيه ساعة مباركة وقد افرده القرآن الكريم بسورة سميت (سورة الجمعة) بين فيها أحكام صلاة الجمعة، وقال فى فضائلها : [خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات ....] .(٤)

والله سبحانه وتعالي جعل هذا اليوم يوماً مباركاً عيداً للمسلمين ففرض فيه صلاة الجمعة وخطبتها وأمر بالسعى إليها ، وهذه باقة من الآداب الإسلامية فى هذا اليوم الفاضل :-

---

(١) سورة الجن : الآية ١٨ .

(٢) انظر : بداية الهداية للغزالى ص ٥٠ – ٥١ ، ومنهاج العابدين للغزالى ص ١٧ – ١٨ .

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٩١ – ٩٥ .

(٤) مسند الإمام الشافعى ص ٧٢ ، كتاب ايجاب يوم الجمعة ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولي – ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م .

الإستعداد ليوم الجمعة بغسل الثياب ، وتفريغ القلب من المشاغل الدنيوية ، والإشتغال بالتوبة والإستغفار والذكر وقراءة القرآن وخاصة سورة الكهف لما لها من الفضائل العظيمة ، والإغتسال فى هذا اليوم والتطيب والتجمل ، قال : ﴿إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل﴾ .[1] والتبكير إلي الصلاة مع السكينة والوقار والخشوع ، وتلبية نداء الله سبحانه وتعالي ، والمسارعة إلي طلب مغفرته ورضوانه، قال تعالي : « **يا أيها الذين امنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** » .[2]

قال البيضاوى فى تفسيره : أن هذه الآية نداء للمؤمنين بالذهاب إلي الصلاة إذا ارتفع الآذان من يوم الجممعة ، وسمى بذلك لإجتماع الناس فيه ، وكانت العرب تسميه بيوم العروبة وليمضوا فى هذا اليوم مسرعين إلي ذكر الله ، قيل هى الخطبة وقيل هى الصلاة ، والحاصل كلاهما لأن الخطبة أولاً ثم الصلاة ثانياً ، وليتركوا معاملات الدنيا من بيع وشراء وغير ذلك ، فإن نفع الآخرة خير وأبقي .[3] .ومن آداب صلاة الجمعة عدم تخطى الرقاب والمرور بين المصلين ، وألا يجلس المرء حتي يصلى ركعتين تحية المسجد وإن كان الإمام يخطب مع التجوز فيهما .

وأن ينصت إلي الخطيب مع التفهم والتدبر لكلامه ، وقال تعالي : « **وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** » .[4]

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤١٥/٢ ، كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة ، حديث رقم ٨٧٧ ، وصحيح مسلم ١٣١/٦ ، كتاب الجمعة ، وسنن الترمذى ٣٦٤/٢ ، كتاب الجمعة ، باب ما جاء فى الاغتسال يوم الجمعة ، حديث رقم ٤٩٢ ، وسنن ابن ماجة ٣٤٦/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فى الغسل يوم الجمعة ، حديث رقم ١٠٨٨ .

(٢) سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٣) انظر : تفسير البيضاوى ص ٧٣٦ .

(٤) سورة الجمعة : الآية ١١ .

وسبب نزول الآية الكريمة أن رسول الله عندما كان يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت العير الآتية من الشام محملة بالطعام والتجارة فخرجوا من المسجد إليها حتي لم يبق إلا إثنا عشر رجلاً ، وقيل إنها نزلت فى جوارى نكحن فمروا بالطبول والمزامير بهت فترك الناس النبى قائماً علي المنبر وأنفضوا من حوله . وأخرج ابن المنذر عن جابر أن الآية نزلت فى الأمرين معاً ، قصة النكاح وقدوم العير معاً فى طريق واحد. (١)

ومنها عدم العبث باليدين أو بالسجاد أو بالمسبحة أثناء الخطبة فهذا من اللغو وتجنب النوم أو التغافل أثناء الخطبة .(٢)

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٢٩٣ ، وتفسير الماوردى ٢٣٨/٤ ، ولتفسير الآية انظر : التفسير المنير ١٩٩/٢٨ .

(٢) انظر : بداية الهداية للغزالى ص ٩٥ – ١٠٣ ، ومختصر منهاج القاصدين ، للإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسى، ص ٣٢ – ٣٣ ، قدم له محمد أحمد دهمان وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، الناشر مكتبة دار البيان – دمشق ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م ، واحياء علوم الدين ١٦١/١ – ١٦٢ .

المبحث الثالث

آداب الزكاة

المبحث الثالث

آداب الزكاة .

سبق الحديث عن الزكاة وأهميتها ومصارفها فى المجتمع الإسلامى فى الفصل الخامس من هذه الرسالة وذلك عندما تحدثنا عن دعائم المجتمع ، والتى من ضمنها التكافل الإجتماعى [١]، فالزكاة عبادة روحية تؤدي من حر الأموال ، ولهذا الركن آداب إسلامية ،علي الفرد المسلم أن يتبعها فى سلوكياته عند إخراجه للزكاة أو الصدقات فمن هذه الآداب :

الإسرار بإخراجها ، قال تعالي : « **إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** » .[٢]

قال الواحدى فى سبب نزول الاية ، إنه لما نزل قوله تعالي : « **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ...** » [٣]. قالوا يارسول الله صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية ؟ فأنزل الله تعالي هذه الآية .[٤]

قال الماوردى فى تفسير قوله تعالي : « إن تبدوا الصدقات فنعيماً هى ، يعنى أنه ليس فى إبدائها كراهية . « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، فيه قولان : (أحدهما) أنه يعود إلي صدقة التطوع ، يكون إخفاؤها أفضل ، لأنه من الرياء أبعد ، فأما الزكاة فإبداؤها أفضل ، لأنه عن التهمة أبعد ، وهو قول ابن عباس وسفيان . (والثانى) أن إخفاء الصدقتين فرضاً ونفلاً أفضل ، قاله يزيد – ابن أبى حبيب – والحسن – وقتادة) .[٥]

---

(١) انظر ص من هذه الرسالة .
(٢) سورة البقرة :الآية ٢٧١ .
(٣) سورة البقرة :الآية ٢٧٠ .
(٤) أسباب النزول للواحدى ص ٦١ .
(٥) تفسير الماوردى ٢٨٦/١ .

بين صاحب تفسير المراغى أن الله بعد أن ذكر أنه يعلم ماتنفقون ، وأنه مجازيكم عليه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، بين هنا سبيل إعطاء الصدقات ، ومايتبع فى ذلك من السر والعلانية وأيهما أفضل ، فبين الله تعالي إن تظهروا الصدقات فنعم عملاً إظهارها ، لما فى ذلك من الأسوة الحسنة ، فيقتدى بالمتصدق كثير من الناس ، ولأن الصدقة من شعائر الإسلام ، التى لو أخفيت لتوهم منعها ، وبالمقابل أن تعطوها للفقراء خفية فهذا أفضل ، لما فى ذلك من البعد عن الشبهة فى الرياء ، ولما دلت عليه الأحاديث والأثار فى فضل إعطاء الصدقة فى السر .(١)

وجاءت الأفضلية فى إخفاء الصدقة لما فيها البعد عن الرياء ولما فيها حفظاً لكرامة الفقير وعزته .

ومن هذه الآداب ألا تُفسد الزكاة بالمن والأذي ، فتذكر الفقير والمتصدق عليه بالجميل ، أو تكلفة بعمل مامقابل هذه الصدقة . يقول عز وجل فى وصف من لا يتبع صدقته بأذي: «**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**» .(٢)

جاء فى تفسير الطبرى لهذا الآية أن : (الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالإنفاق عليهم وفى حمولاتهم ، وغير ذلك من مؤنهم ، ثم لم يتبع نفقته التى أنفقها عليهم ، منا عليهم بإنفاق ذلك عليهم ، ولا أذي لهم ، فإمتنانه به عليهم بأن يظهر لهم أنه قد إصطنع إليهم بفعله وعطائه الذى أعطاهموه ... ويبدي ذلك إما بلسان أو فعل ، وأما الأذي فهو شكايته إياهم بسبب ما أعطاهم وقواهم من النفقة فى سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم فى الجهاد ، ومأأشبه ذلك من القول الذى يؤدي به من أنفق عليه) .(٣)

---

(١) انظر تفسير المراغى ٣/٤٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

(٣) تفسير الماوردى ١/ ٢٨٠

جاء فى تفسير الماوردى فى أن المن فى ذلك أن يقول : أحسنت إليك ونعشتك ، والأذي أن يقول أنت أبدا فقير ومن أبلائى بك ، مما يؤذى قلب المعطى .[١]

وقال تعالي فى نفس السورة : « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم** » .[٢]

وقال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ...** » .[٣]

ومنها أن ينفق ماله من أجود مايحب وأطيبه وأحبه إلي قلبه ، قال تعالي : « **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وماتنفقوا من شيئ فإن الله به عليم** » .[٤]

قال النسفى فى تفسيره للأية الكريمة :(أن الله قال لمن ينفق ويتصدق ، أنكم لن تنالوا البر وتبلغوا حقيقته ولن تتصفوا بهذه الصفة فتكونوا أبراراً ، والبر هنا هو ثواب الله عز وجل ، قلن تنالوه حتي تكون نفقتكم من أموالكم التى تحبونها وتؤثرونا ، فكل من تصدق إبتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل فى الآية الكريمة) .[٥]

وقال تعالي فى هذا المعني : « **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه** [٦] **تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** [٧] » .[٨]

---

(١) تفسير الطبرى ٣/٦٢ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .
(٤) سورة آل عمران : الاية ٩٢ .
(٥) انظر : تفسير النسفى ١/١٦٩ .
(٦) **ولا تيمموا الخبيث** : ولا تعدو المال الردئ المتكره ، ولا تقصدوا المال الردئ المستكره .
(٧) تغمضوا فيه : تتساهلوا وتتسامحوا فى أخذه . تفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى ص ٣٥ .
(٨) سورة البقرة : الآية ٢٦٧ .

ومنها أيضاً إخراج الزكاة خالصة لوجه الله ، وإحتسابها عند الله رجاءً فى ثوابه ورضوانه قال تعالي : « **وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى** » .(١)

وعلي الفرد المسلم أن يعلم أن هذا المال هو مال الله ، فالفرد مستخلف فيما أتاه الله له لنيفقه فى حق الفقراء والمساكين وغيرهم ، قال تعالي : « ...**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه...** » .(٢)

ذكر أبو السعود فى تفسيره للآية : (أى جعلكم خلفاء فى التصرف ، من غير أن تملكوه حقيقة ، عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك ، تحقيقاً للحق وترغيباً لهم فى الإنفاق ، فإن من علم أنها لله عز وجل وإنما هو بمنزلة الوكيل ، يصرفها إلي ماعينه الله تعالي من المصارف ، هان عليه الإنفاق، أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم ، فأعتبروا بحالهم حيث إنتقل منهم إليكم ، وسينتقل منكم إلي من بعدكم فلا تبخلوا) .(٣)

فعلي المسلم أن يعلم أن إخراج الزكاة من المال طهارة له من البخل والشح ، وتزكية له فى نفسه وماله من الحرام . قال تعالي : « ...**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » .(٤) وقال تعالي فى سورة التوبة : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ...** » .(٥)

ومن أدابها أيضاً تقديم الأقرباء والأرحام فى الصدقة والإنفاق إن كانوا بحاجة إليها

---

(١) سورة الليل : الايتان ١٧-٢١ .

(٢) سورة الحديد : الآية ٧ .

(٣) تفسير ابى السعود ٨/ ٢٠٤ ، وتفسير الماوردى ، ٤/ ١٨٤, ١٨٥ .

(٤) سورة الحشر : الآية ٩ .

(٥) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

، فالأقربون أولي بالمعروف ، قال تعالي : «... **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شئ عليم** » .(١)

ومنها البحث عن وأصحاب العيال ، قال تعالي : « **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً** ... » .(٢)

فقد أمر الله تعالي أن نجعل ماننفقه للفقراء المحتاجين إلي النفقة ، الذين حبسوا أنفسهم فى طاعة الله تعالي من جهاد أو غيره ، فلا يستطيعون ذهاباً لإكتساب تجارة ، فيظن الجاهل بحالهم من أجل التعفف عن السؤال وبقناعتهم بما أعطاهم مولاهم من شرف وعزة نفس أنهم أغنياء .(٣)

ومنها إغتنام الأوقات المباركة والمناسبات فى إعطاء الصدقات ، لإدخال السرور علي قلوب الفقراء.

وفى نهاية الحديث عن آداب الزكاة والصدقة ، نورد ماذكره الغزالى رحمه الله عن هذه الآداب .

قال : إن من آداب الصدقة والمتصدق ، أن تعطي الصدقة قبل المسألة ، وإخفائها عند العطاء وكتمانها بعد العطاء ، والرفق بالسائل ، ويمنع المتصدق نفسه من البخل ، ويترك الكبر ، ويداوم علي الشكر ، ويبحث عن أعمال الخير ، ويحسن للفقير ويقبل عليه ويطيب كلامه معه ، ولا يمن عليه ، ولا ينهره ويتصغر عطيته وينتقى أجودها ، ويعطيها بوجه طلق مستبشر .(٤)

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٧٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٣ .

(٣) انظر : تفسير القاسمى ٦٨٩/٣ .

(٤) انظر : إحياء علوم الدين : ٢٠٢/١ ، ومابعدها ، ومنهاج القاصدين ص ٣٧-٤٢ .

المبحث الرابع

آداب الصيام

المبحث الرابع

آداب الصيام

الصيام ركن من أركان الإسلام ، والصوم عبادة قديمة قدم الرسالات السماوية ، لما له من فائدة روحية ونفسيه وصحية ، ولما فى الصوم من فائدة عائدة علي الفرد والمجتمع ، وقد كتب الله سبحانه وتعالي الصيام علي الأمم السابقة للإسلام ، ثم بلغ به درجة الكمال عندما فرضه علي الأمة الإسلامية، قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » .(١)

الصوم والإصلاح الاجتماعي .

الصوم عبادة بدنية وروحية ، فيه ترقيق للقلوب وتهذيب للنفوس ، والشعور بالفقراء والمحتاجين ، الذين تمر بهم الأيام ولا يجدون مايقيمون به أصلابهم ، والصائم إذا ماحس بالجوع والعطش يتذكر أن له إخوة لايجدون الماء والطعام ، فيدفعه ذلك إلي العطف والإحسان إليهم ، وهذا فيه من التجاوب فى الشعور والوجدان بين الأغنياء والفقراء ، وبين الأقوياء والضعفاء ، وهذا التجاوب لابد منه لإقامة مجتمع متماسك متراحم ، يعطف فيه القوى علي الضعيف ، ويواسى فيه الغنى الفقير ، ولا ينبغى أن يتطرق للذهن أن الصيام جوع وعطش . بل المقصود من العبادات فى الإسلام تربية الفرد وتربية المجتمع ،فالصيام من ثمراته أنه يملك الإنسان زمام نفسه بكفها عن رغباتها وشهواتها وتهذيب سلوكها ، وهو بهذا يعد الإنسان إعداداً كاملاً للصمود والتصدى لأحداث الزمن ومشاكل الحياة بما فيها من أزمات ومحن . والصيام بما فيه تطهير للروح وتزكية للنفس ، وتهذيب للأخلاق ، وكبت للعواطف ، وتقويم للسلوك ، يربى الإرداة الحرة القوية ، والعزيمة الصادقة ، ويشعر الإنسان بمراقبة الله عز وجل فى خلواته وإجتماعاته ، لأن الصيام سر خفى بين الإنسان وخالقه عز وجل .

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

وللصائم آداب أهما :-

إذا رأي المسلم الهلال يدعو عند رؤيته بدعاء الرسول : [اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله هلال رشد وخير] .(١)

وأن يستعد للصوم بتبييت النية .

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول :[إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ مانوي] .(٢)

وأن يبتغى بهذا الصوم وجه الله وطلب مغفرته ورضوانه ، قال تعالي : « **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ...** » .(٣)

وأن يتقوي للصوم بالسحور ، عن أنس رضى الله أن رسول الله قال : [تسحروا فإن فى السحور بركة] .(٤) وسبب التأخير فى السحور ليزاداد الصائم طاقة وحيوية ، فينشط ويهون عليه صيامه ، وأن يكون وقت السحر للتهجد والصلاة والدعاء ، قال تعالي : « **ومن الليل فتهجد (٥) به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** » .(٦)

---

(١) سنن الترمذى ٥/ ٤٧٠ ، كتاب الدعوات ، باب مايقول عند رؤية الهلال ، حديث رقم ٣٤٥١ ، قال أبوعيسي : حديث حسن غريب .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/ ١٥ ، كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلي رسول الله ، حديث رقم ١ ، وأيضاً المرجع السابق ، كتاب الإيمان ، ١/ ١٦٤ ، باب ماجاء إن الأعمال بالنية والحسبة ولكل أمرئ مانوي ، حديث رقم ٥٤ ، وصحيح مسلم ١٣/ ٥٢، كتاب الإمارة ، باب قوله إنما الأعمال بالنيات ، وسنن الترمذى ٤/ ٥٤، كتاب فضائل الجهاد ، باب ماجاء فيمن يقاتل رياء للدنيا ، حديث رقم ١٦٤٧، قال ابو عيسي : حديث حسن صحيح .

(٣) سورة البينة : الآية ٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ٢٠٦ ، كتاب الصيام ، باب فضل السحور واستحبابة ، ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣٧٧ .

(٤) **التهجد** : السهرللصلاة ، وهو ترك الهجود ومعني الهجود النوم ، تفسير ابن جزى الكلبى ، ٢/ ١٧٧ .

(٥) سورة الاسراء : الاية ٧٩ .

وهذا فرض آخر خاص بالنبى وهو صلاة التهجد ، والمعني :قم للصلاة فى جزء من الليل ، وهو أول أمر للنبى بقيام الليل زيادة علي الصلوات المفروضة . وقوله تعالي : « نافلة لك » أى عبادة زائدة لك علي الصلوات الخمس مخصوصه بك دون الأمة ، وهى فريضة عليك خاصة دون غيرك ، وأما أمتك فهى لهم مندوبة أو تطوع لهم وهذا هو الراجح .(١) والأية فيها كلام مضمر محذوف وتقديره : فتهجد بالقرآن وقيام الليل نافلة أى فضلاً وزيادة علي الفرض .(٢)

ومن آداب الصائم تعجيل الإفطار عندما يحين الوقت ، ليستعيد البدن نشاطه علي قيام الليل ، قال : [لا يزال الناس بخير ماعجلوا الفطور] .(٣)

ومنها الدعاء عند الإفطار بما ورد من سنن النبى فكان يقول : [اللهم إنى لك صمت وعلي رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ وإبتلت العروق وثبت الأجر إنشاء الله] .(٤)

ومنها الإعتدال فى الشراب والطعام ، وتجنب تخمة البطن ، حتي لا تفسد الفائدة المرجوة من الصيام .

الإستزادة من فعل الخيرات وآداء العبادات ، و الإكثار من تلاوة القرآن ، وإخراج الصدقات والنفقات .

ومنها ضبط النفس عن قول الكذب والغيبة والغش والفحش فى القول ، وعدم الإضرار بالناس والنظر إلي المحرمات ، فكما قال العلماء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم ، فالمفطر الصائم هو الحافظ لجوارحه عن الآثام وإن كان يأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الجائع الذى يعطش ويطلق العنان لجوارحه فى النظر إلي المحرمات .

---

(١) انظر : التفسير المنير ١٥/١٤٥ .

(٢) تفسير الماوردى ، ٢/٤٥١ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤/٢٣٤ ، كتاب الصوم ، باب تعجيل الإفطار ، حديث رقم ١٩٥٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٨/٢٠٨ ، كتاب الصيام، باب فضل السحور .

(٤) سنن أبى داود ٢/٣١٦ ، كتاب الصوم ، باب القول عند الإفطار ، حديث رقم ٢٣٥٧ .

وإن من الآداب فى الصيام أيضاً ، ألا يجاهر من كانت له رخصة بالإفطار فى إفطاره ، إحتراماً لشعور الصائمين ، وحتي لايكون ذلك تشجيعاً للمستهترين والمجاهرين فى إفطارهم .

وإذا شتمه أحد أو سبه فيقابل ذلك بالإحسان ، وليقل إنى صائم إنى صائم ، كما علمنا وأدبنا بذلك رسول الله .[1]

(١) انظر : منهج القرآن فى تربية المجتمع ، د . عبد الفتاح عاشور ص ٢٢٧ ، والمجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام ، محمد ابو زهرة ص ٩٤-٩٧ . ورسالة الإحسان فى المجتمع ، د. الطاهر محمد على البشير ص ٥٩-٦١ ، مطابع دار الصحافة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م .

المبحث الخامس

آداب الحج

المبحث الخامس

آداب الحج

الحج فريضة فرضها الله علي كل مسلم ومسلمة لمن إستطاع إليه سبيلا لقوله تعالي : «... **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ...» [1]، ولقول الرسول : [بنى الإسلام علي خمس ، شهادةأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان] .[2]

والحج فرض مرة فى العمر لقوله : [الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع] .[3]

وهو أخر أركان الإسلام عبادة روحية وجسدية ومالية ، وهو رحلة يتحمل فيها المسلم البعد عن الأوطان والأهل ، وبذل المال .إنقطاعاً إلي الله تعالي ، وهو تلبية للنداء الإلهى لزيارة بيته المقدس .

ولهذا الركن العظيم الذى جمع بين سائر العبادات هدف فى الإصلاح الاجتماعى من تعاون وتهذيب روحى وتراحم .

فمن الناحية الروحية يحضر المسلمون من كل فج عميق إلي بيت الله ، ويشعرون أنهم ضيوف الرحمن علي مائدته الروحية علي تقوي من الله تعالي ، ويشعرون وهم فى المناسك أنهم أقرب إلي الله من أى مكان أخر ، وهذا يجعلهم يحسنون فى الدعاء ويخلصون فى الشعائر ، ويشاهدون فى الحج آثار أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، فيشعرون بوحدة العبادة فى الرسالات كلها ، ويشعرون بوحدة الجنس ، وأن أصلهم

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/٦٤ ، كتاب الإيمان ، باب دعاؤكم ، حديق رقم ٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١/١٧٧ ، كتاب الإيمان ، باب أركان الإسلام ودعائمه ، وسنن الترمذى ٥/ ٧، كتاب الإيمان ، باب ماجاء بنى الإسلام علي خمس ، حديث رقم ٢٦٠٩ ، قال ابو عيسى ، حديث حسن صحيح ، وهذا الحديث رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فهذه الواية تختلف عن الروايات الأخري بأن قدم فى هذه الرواية الحج علي الصوم ، والمعهود فى الرويات الأخري وللترتيب فى فرائض الإسلام أن الصوم مقدم علي الحج .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١/٢٩١ .

واحد يتساوون كلهم بلباس واحد ، لا فرق بين غنى وفقير ، وبين قوى وضعيف ، وبين أمير ووضيع . فكلهم عباد الله وقفوا علي هيئة واحدة وبلباس واحد وفى مكان واحد ليعبدوا رباً واحداً . فالحج فضلاً عن إنه عبادة روحية ، يعيد الإنسان كما خلقه بلا أخطاء ، ويمسح ذنوبه بهذه الفريضة العظيمة ، فهو عبادة إجتماعية تري الحجيج كلهم متعاونون متحابون متكافلون ، صابرون علي تحمل المشاق ، معتبرون لما حدث للرسول عليه الصلاة والسلام ولما حدث لعمه فى تحمل أعباء الدعوة وتأديتها علي أكمل وجه ، فتسموا أرواحهم عالية حتي يقتدوا بالرسول وبصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

والحج اجتماع كامل للمسلمين من شتي أنحاء المعمورة ، فتتوحد مشاعرهم وتتقارب أفكارهم وتتحقق وحدتهم المفروضة عليهم . تجتمع الدول لتتدارس أمنها وثقافتها ، وتتعاون علي حل مشاكلها.

ولقد جمعت هذه المنافع فى قوله تعالي :« **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ...** » .[1]

قال القرطبى فى تفسيره لقوله تعالي : «ليشهدوا منافع لهم » : (أى أذن بالحج يأتوك رجالاً وركباناً ليحضروا منافع لهم ، أى المناسك ، كعرفات والمشعر الحرام وقيل المغفرة ، وقيل التجارة ، وقيل علي العموم أى ليحضروا منافع لهم بما يرضي الله تعالي من أمر الدنيا والأخرة) .[2] والرأى الأخير هو الأرجح والله أعلم . لأن كلمة منافع لهم جاءت عامة ولم تحدد الشعائر الدينية أو المنافع الدنيوية ، فالجمع بين المنفعتين جائز بشرط أن تكون النية أولاً فى المنافع الدينية .

إذن كلمة منافع لهم لا تعنى فى هذا المقام خصوص المنافع الروحية فقط ، التى يحققها الأفراد لمناسكهم وإنما تعنى أيضاً كل ماينفع المسلمين أفراداً وجماعات ،

---

(١) سورة الحج :الآيتان ٢٧-٢٨ ..

(٢) تفسير القرطبى ٤١/١٢ ، وتفسير الماوردى (النكت والعيون) ، ٧٦/٣ .

روحياً ومادياً ومعنوياً وأخروياً ، فهذه هى أمة الإسلام التى صنفها القرآن تؤدى شعائر الحج ، وأبناؤها منصهرون فى بوتقة الإيمان، كلهم مشاركون لأفراح وأحزان بعضهم ، يوقر الكبير ويرحم الصغير ، ويعطف علي المسكين ويواسي المحروم ، ويتخلق الحاج بأخلاق الله . فلا يستطع منهج بشرى أن يصنع أمة كتلك الأمة التى لبت نداء الله ووقفت بعرفات وعظمت شعائر الله .(١)

ولهذه الفريضة العظيمة آداب علي المسلم الحاج أن يتأدب بها :

أن يستعد بالتوبة الصادقة ، وأن يقلع عن الذنوب ظاهرها وباطنها ، ويرد المظالم لأهلها .

وأن يكتب الوصية الواجبة ، فعلي كل مسلم أن يكتب وصيته ، فلعله لا يرجع من سفره ، والوصية تكتب فيها حقوق الله التى لم يؤدها ، كالزكاة والصوم ونحوهما ، وحقوق الناس المالية وغيرها ، ويوصى ورثته بآدائها ، كما يوصى أهله بترك المعاصى والمحافظة علي الصلوات وأوامر الله .

وأن ينفق من الكسب المشروع الحلال الطيب لإنفاذ رحلة الحج ، وترك مالٍ لإهله يلزم لنفقتهم فى غيابه .قال تعالي : « ... **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ... » .(٢)

وسبب نزول الاية كما حدث ابن عباس رضى الله عنه فقال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، يقولون نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالي الآية .(٣)

---

(١) انظر : منهج القران فى تربية المجتمع ، د . عبد الفتاح عاشور ص ٧٢٢، والجانب الأخلاقى فى العبادات كما تصوره السنة النبوية ، د. محروس حسين عبد الجواد ص ٨٧ ، والمجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام ، محمد أبوزهرة ص ٩٤-٩٧ . ورسالة الإحسان فى المجتمع ، د الطاهر محمد على البشير ص ٥٩-٦١ ، مطابع دار الصحافة الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ، ٢٧٩/٢ ، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ،٢٢١/١ ، وأسباب النزول للواحدى ، ص ٤٢ .

ومن هذه الآداب أيضاً التعجيل بالحج متي حصلت الإستطاعة ، والتأجيل والتكاسل عنها يعد تهاوناً فى هذا الركن العظيم ، قال تعالي : « ... **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ... » .[1]

قال الشوكانى فى تفسيره للآية الكريمة : (أن اللام فى قوله تعالي «لله» هو للأيجاب والإلزام ، ثم زاد هذا التأكيد بقوله «علي» فذكر الله سبحانه الحج بأبلغ مايدل علي الوجوب ، تأكيداً لحقه وتعظيماً لحرمته ، وهذا الخطاب شامل لجميع الناس ، لا يخرج عنه إلا من خصصه الدليل كالصبى والعبد ، وقوله «من استطاع إليه سبيلا » أنه يدل علي بعض الناس من استطاع إليه سبيلا . والإستطاعة كما عليه جماعة من الصحابة أنها الزاد والراحلة) .[2]

ومنها كذلك إختيار الصاحب الصالح ، والرفيق الأمين ، والدليل العالم بأحكام الحج ، لأن كل ذلك يعينوا علي شعائر الحج ، ويسن للمسافرين أن يؤمروا أحدهم لتنظيم أمورهم وحسم خلافاتهم ، قال : [إذا خرج ثلاثة فى سفر فيؤمروا أحدهم] .[3]

ومنها أن يكون الحاج حسن الخلق ولين الجانب مع أصحابه ومع أهله ومع جميع الناس ، وأن يترك اللغو والمماراة والجدال ، وفى ذلك يقول عز وجل : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث** [4] **ولا فسوق** [5] **ولا جدال** [6] **في الحج** ... » .[7]

قررت الآية الكريمة الحج والعمرة ، وبينت بعض الأحكام المتعلقة بها ، وبيان

---

(١) سورة آل عمران :الآية ٩٧ .

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى ، ٣٦٣/١ ، والتفسير القرآنى للقرآن ، ٢٢٢/٢ .

(٣) سنن أبى داود ٣٧/٣، كتاب الجهاد ، باب القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ، حديث رقم ٢٦٠٨ .

(٤) **الرفث** : الوقاع ، أو الجماع ، أو فلا إفحاش فى القول.

(٥) **الفسوق** : من الخروج عن الشئ ، وهى المعاصى .

(٦) **الجدال** : هو الخصام والمماراه ، انظر كلمات القرآن تفسير وبيان ، حسنين مخلوف ، ص ٢٤ ، دار الفكر . ومعجم غريب القرآن ، محمد عبد الباقى – ص ٧٢ ، ١٥٥ ، والتعريفات ص١٠١ .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

ميقات الحج وظرفه ، وماينبغى أن يأخذ به الحاج نفسه من آداب خلال تلك الأيام المباركة ، التى تؤدي فيها تلك الفريضة . وعن هذه الآداب التى يجب أن يلتزم بها فى هذه الأشهر أن يصون نفسه عن كل لغو ، ويجنبها عن كل معصية ، ويبتعد بها عن الجدال المؤدى إلي الخصام والخلاف .[1]

الدعاء بالأدعية المأثورة عن الرسول حين السفر وحين مناسك الحج ، وحين الرجوع من الحج .

التأدب بآداب الإحرام ، كالنظافة وتقليم الأظافر وقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة ، والوضوء والإغتسال وتسريح اللحية أو شعر الرأس ، والتجرد من الثياب ولبس الثوب الأبيض دون أن يكون مخيطاً مع الإزار الذى يلف به النصف الأسفل من البدن ، والتطيب فى البدن والثياب ، وأن يتذكر بهذا اللباس الموت والأخرة والحشر والحساب .

ومنها التأدب بآداب دخول مكة والتى من ضمنها الإغتسال والمبادرة إلي البيت الحرام ، والأدعية المأثورة فى ذلك .

ومنها التأدب بآداب الطواف ، والتى منها إستقبال الحجر الأسود عند بدء الطواف ، مع التكبير والتهليل وتقبيله بدون صوت ، وإن لم يستطع فيضع يده عليه .

ومنها أيضاً التأدب بآداب زيارة النبى ، والتى منها إكثار الصلاة والتسليم عليه ، والإغتسال قبل الدخول عليه ، ولبس الثياب النظيفة ، ودخول المسجد بسكينة ووقار والتسليم علي رسول الله عند قبره عليه أفضل الصلاة والسلام .[2]

وهكذا يتبين لنا مما سبق ذكره عند الحديث عن الآداب التعبدية ، أنها مستمدة من الإيمان الصحيح ، الذى يأمرنا بأن نسلك هذه السلوك السليم ، حتي تكون هذه العبادات مقبولة علي الوجه الأكمل عند الله سبحانه وتعالي وحتي تكون أخلاق المسلم ظاهرة علي عبادته ، فيحسنها ويتبعها فى سلوكه ، والآداب تكون فى الإنسان

---

(١) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ٢/٢٢٢ . والتفسير المنير ٢/١٩٣ .

(٢) انظر : مختصر منهاج القاصدين ص ٤٦-٤٩ ، وإحياء علوم الدين ١/٢٢٣-٢٢٤ .

كالشرائع ، ولكن إذا تخلي عن بعض هذه الآداب يكون للشيطان مدخل فى نفسه وفى عبادته .

والأمة ذات العقيدة السليمة وذات السلوك النظيف فى عقائدها وعبادتها ومعاملاتها شاملة فى جسد هذا الكون ، وهى شمعة تضىء هذا الكون ، وشجرة مخضرة فى صحراء مقفرة ، لذلك كان البناء الإسلامى للمجتمع المسلم هو البناء الوحيد الذى يجعل هذه الأمة سعيدة فى داخلها ، مرهوبة من أعدائها .

ويوم يكون التهاون فى واجباتنا وسلوكنا الإجتماعى القائم علي العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة ، فإننا لن نجد من أنفسنا معيناً ، ولن نجد من الله نصيراً . قال تعالي: «... **إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ...»(١).

وبهذه الآداب التى تحدثنا عنها فى الأمور التعبدية الهامة من أركان الإسلام ، يتقرب المسلم إلي ربه عز وجل ، لينال رضاه وينعم بهذا القرب فى الدنيا والاخر ، ويرتقى مجتمعه إلي الرفعة والمكانة . والمتأمل لحياة سيد الخلق يري أن حياته كلها دعوة إلي الخلق الحسن ، والسمت الجميل ، والسلوك الراقى تجاه الإنسان والحيوان ، بل وتجاه الإنسانية كلها ، فكان قدوة ومثالاً يحتذي به فى سلوكه وعباداته ومعاملاته.

---

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

الفصل الثالث

الآداب الاجتماعية

ويشتمل على سبعة مباحث :-

المبحث الأول : الاداب في العادات .

المبحث الثاني : الآداب داخل الأسرة .

المبحث الثالث : الآداب مع الغير .

المبحث الرابع : التثبت من الأخبار .

المبحث الخامس : النهي عن الإستهزاء والتجسس والغيبة والنميمة .

المبحث السادس : آداب السلام والإستئذان .

المبحث السابع : آداب حفظ الأعراض .

المبحث الأول

الآداب في العادات

المبحث الأول

الآداب في العادات

تميز المجتمع قبل الإسلام فى عفويته فى السلوك وعزوفه عن آداب التعامل وتفاصيل العلاقات ، فجاء الإسلام ليكون مجتمعاً ربانياً متآلفاً ، يرتبط أفراده بعضهم ببعض بروابط الإخاء والمحبة والتراحم والأخلاق الفاضلة ، مجتمعاً يصون الأفراد كما يصون الأسرة ويحيطها بسياج من الآداب الاجتماعية التى تأخذ بيد المجتمع كله ليكون نموذجاً للمجتمعات الإسلامية فيما بعد ، يحتذئ به علي مر الأزمنة والعصور وإتخذ لذلك أنظمة وآداباً ، فالإسلام يهتم بشؤون الإنسان الخاصة كما يهتم بشؤونه العامة .

الآداب الشخصية :

القرآن الكريم كله أدب وخلق وتهذيب وتربية للسلوك السوى وتنمية للقيم الفاضلة ، ولانستطيع أن نحصى قطوفه الدانية فى هذا الموضوع ، ونشير إلي بعضها : نذكر منها آداب الشخص مع نفسه ، فعليه أن يجاهد عليها ويقومها ويعتنى بها ، ويسارع إلي تهذيبها ومعالجتها . قال تعالي : « **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** » [1] وقد اعتني علماء التربية بالنفس ، ووقفوا علي دائها ودوائها ، ووضعوا لها طرق ووسائل تربيتها ، وكيفية تقويمها وتأديبها ، والآية الكريمة جمعت كل ذلك . ولهذا الحديث عن النفس شروح طويلة ، نكتفى أن نعرض لبعض الآداب التى يتعين علي المسلم أن يتحلي بها وعلي رأسها .

ا - النظافة :

فالنظافة فى الإسلام ليست اختيارية أو كمالية ، ولكنها إلزامية لها فروضها وشروطها وأحكامها ، وتسميها كتب الشريعة (بالطهارة) . وهى علي قسمين :

١ - الطهارة من الحدث (الجنابة) وتختص بالبدن .

---

(١) سورة الشمس : الآيتان ٩ - ١٠ .

٢ - وطهارة من الخبث (النجاسة) وتختص بالبدن والثوب والمكان .

ونخرج بذلك إن الإسلام دين النظافة ، فرضها علي مجتمعه منذ قرون فى بلد صحراوى ، لم يكن لسكانه أي فكرة عن النظافة ، لقلة المياه ولقلة الوعي والإدراك عند أهل الجاهلية ، فأنزل الله تعالي فى قرآنه آيات كريمة تحث علي النظافة ، قال تعالي : « **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر** » [١] وسبب نزول هذه الآيات الكريمة أن رسول الله عندما جاور شهراً بغار حراء ، نودى من بطن الوادى ، فرفع رأسه ، فإذا بجبريل عليه السلام علي العرش فى الهواء ، فقال : دثرونى دثرونى أي غطونى غطونى ، فصبوا عليه الماء فأنزل الله هذه الأيات الكريمة . [٢]

أجمع المفسرون علي أن المراد من قوله تعالي : « وثيابك فطهر » أي لا تلبس ثيابك علي معصية ، وطهر نفسك ونيتك وقلبك من الخطايا والمعاصى والآثام والذنوب ، وكانت العرب تقول للرجل إذا عمل خبيثاً أن فلان خبيث الثياب . [٣] وإن كان هذا المعني للآية الكريمة إلا أنها عامة كذلك ، تدخل فى طهارة الثياب والبدن والنظافة وحسن المظهر فضلاً عن أنها أيضاً طهارة حسية فهى طهارة معنوية فى النفس . فمن كانت هذه صفاته غير مدنس فى قلبه وقالبه فهو داخل فى معني الآية ، فالآية تحث علي النظافة الشخصية سواء فى النظافة الحسية أو المادية ، لأن المسلم لابد وأن يكون حسن وجميل وطيب المظهر .

قال تعالي حاثاً علي النظافة وحسن المظهر : « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ...** » [٤] فإن من الزينة نظافة البدن والملبس ، لأن الدخول

---

(١) سورة المدثر : الآيات ١ - ٤ .

(٢) أسباب النزول للواحدى ص ٣٠٢ ، وتفسير الطبرى ١٤٣/١٤ ، وتفسير ابن كثير ٤٤٠/٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ١٤٦/١٤ - ١٤٧ ، وتفسير ابن كثير ٤٤١/٤ ، وفى ظلال القرآن ، ٣٦٠/٨ .

(٤) سورة الأعراف : الاية ٣١.

بنظافة هذين الشيئين طهارة أمر بها الله ، ولا تكون الصلاة بدون طهارة سواء فى البدن أو الملبس .

وقال تعالي : « ... **ولا تقربوهن حتى يَطْهُرن فإذا تطهرنَ فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ». (١)

وقال تعالي فى سورة اخري مبيناً كيفية الوضوء التى هى من الأمور التى تنظف البدن حسياً وشعورياً : « **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** » (٢)

فسر الإمام القرطبى رحمه الله الآية وأفاض فى تفسيرها ، فجعل لها إثنان وثلاثون مسألة لأن هذه الآية الكريمة تقوم عليها أركان الوضوء والتيمم والغسل من الجنابة ، ونقض الوضوء من ملامسة النساء التى لاتحل للرجل ، ومما نستخلصه من الآية الكريمة أن الطهارة والتيمم والغسل من الأمور التى تزيل النجاسات ، وبين سبحانه وتعالي فى الآية إذا كان الشخص قد عجز عن استعمال الماء أو فقدانه فرض عليه التيمم ، تأكيداً علي أن الطهارة مطلوبة ولو بفقدان مادتها وهو الماء ، فما أجمل الإسلام دين النظافة ودين الطهارة ، فلابد من الشكر للمنعم عز وجل علي هذه النعمة التى أسبغها علينا . (٣)

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦ .

(٣) انظر تفسير القرطبى ٦/ ٨٠ وما بعدها، والتفسير المنير ٦/ ١٠٠- ١١٤ ، وتفسير أيسر التفاسير ١/ ٩٥٧ - ٦٠١ .

ومن أهم آداب النظافة ما يلي :

* المحافظة علي النظافة العامة بالإغتسال مرة فى الأسبوع علي الأقل ويسن ذلك يوم الجمعة .

* ومنها أيضاً قص الأظافر سواء لليدين أو الرجلين وعدم إطالتها وخاصة عند الفتيات ، لأنها تجمع الأوساخ القذرة فضلاً عن أن إطالتها تشبه للوحوش المفترسة ، فإبن آدم مكرم من عند الله فكيف بنا نغير خلقته الكريمة ، قال : [الفطرة خمس الختان والإستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر] .(١) وقص الشعر كلما طال وتعهد بالنظافة والترجيل دون إفراط أو تفريط .

* وتحويل الوجه أثناء كالعطاس عن وجوه الناس وعن الطعام والشراب ، أو وضع منديل علي الفم ، وخفض الصوت ما أمكن . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله إذا عطس وضع يده علي فيه وخفض بها صوته .(٢)

* ومنها تجنب استقبال القبلة بالبصاق أو الإمتخاط أو قذف النخامة ، بل تكون على جهة اليسار وفى منديل خاص لئلا يؤذي بها أحد . فهذه بعض من آداب النظافة ، فعلي المسلم فى مجتمعه أن يتأدب بها حتى يكون جميل المظهر ومميزاً فى سلوكه وأخلاقه .

٢ - آداب سلوكية شخصية وتتمثل في : -

* وضع اليد علي الفم أثناء التثاؤب ، لستر المنظر الغير لائق عند فتح الفم ، ومنعاً من دخول أى شيء إليه وخفض الصوت به ، وإذا استطاع أن يمنعه فليفعل وليستغفر الله بعده ، لأنه دليل علي الملل والكسل ، لذلك كرهه الله وجعله من الشيطان .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣٦١/١٠ ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر ، حديث رقم ٥٨٩١ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٤٦/٣ ، كتاب الطهارة باب خصال الفطرة .

(٢) سنن الترمذى ، ٨٠/٥ ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس ، حديث رقم ٢٧٤٥ ، قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى قال : [إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإن عطس أحدكم وحمد الله تعالي ، كان حقاً علي كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان . فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان] .(١)

* إستعمال الهاتف للضرورة ، لا للتسلية أو إزعاج الآخرين ومعاكستهم ، وابتداء المكالمة بالسلام عليكم والتعريف بالنفس وذكر الحاجة .

* إسداء النصح لكل من يعرفه ، بالحسني وبما فيه مصلحة المخاطب فى دينه ودنياه .

* وفى التعود علي التخوشن فى المعيشة ، والقناعة والرضا بالقليل ، وترك الترفه والتنعم فهو مدعاة للتكبر .

* الإخـــلاص لله تعالي فى جميع الأعمال ، وجعل الهدف الرئيسى من الحياة عبادة الله قال تعالي : « **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ...** ». (٢)

٣ - آداب النوم واليقظة :

إن النوم نهاية رحلة فى يوم الإنسان بعد عناء فى نهاره ، فيأوي إلي بيته ويسلم نفسه لخالقها الذى يتولاها ويحفظها . قال تعالي: «**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**» . (٣)

ذكر البيضاوى فى تفسيره لهذه الآية ما نصه : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه فى الليل ، ولتبتغوا من فضله فى النهار بأنواع المكاسب ، ولعلكم تشكرون ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها) . (٤)

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٦٢٢، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، حديث رقم ٦٢٢٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٣.

(٤) تفسير البيضاوى ص ٥٢١.

فالله سبحانه وتعالي لم يجعل الليل سرمداً والنهار سرمداً ، بل جعلهما آية ووصل بعضها ببعض، وذلك رحمة منه بعباده وإحسانه إليهم . (١)

قال عز وجل : « **وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا** » . (٢)

فالنوم آية تدل علي عظمة وقدرة الله ، وعلي ضعف الإنسان وفقره ، فلولاه لكلت العضلات وشلت الأعصاب ، فهو راحة للإنسان يستعيد به قواه ونشاطه ، وهو رحمة من الله وفضلاً ونعمة . والنوم صنو الموت تعطل فيه الحواس ويفقد الوعي ، ويكون الإنسان جثة هامدة ، ليس فيها إلا قلب ينبض ونفس يتردد ، هذا وللنوم وكيفيته ومقداره آداب إسلامية وسنن نبوية نذكر منها : -

* الوضوء قبل النوم وصلاة ما تيسر من قيام الليل ، والعزم علي القيام لصلاة الصبح . ومحاسبة النفس قبل النوم عما فعله فى يومه ، والإستغفار من جميع الذنوب فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى قال : [من قال حين يأوي إلي فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفر الله تعالي ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر] . (٣)

* ومنها نفض الفراش والغطاء قبل الإضطجاع ، للإطمئنان من خلو الفراش من حشرات أو غيرها ، ثم النوم علي الجنب الأيمن ، والدعاء بما ورد عن النبى بأحد الأدعية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : [إذا أوي أحدكم إلي فراشه فلينفض فراشه بداخل إزاره ، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه ، ثم يقول : بإسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن امسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين] . (٤)

---

(١) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، ٢ /٣٧٩ ، وتفسير المراغى ٨٧/٧ .

(٢) سورة النبأ : الآيات ٩ - ١٠ .

(٣) سنن الترمذى ٤٣٨/٥ - ٤٣٩ ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء فى الدعاء إذا أوي إلي فراشه ، حديث رقم ٣٣٩٧، قال ابو عيسي : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه.

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٣٠/١٠، كتاب الدعوات ، باب ١٣ ، حديث رقم ٦٣٢٠، وصحيح مسلم بشرح النووى ٣٧/١٧ ، كتاب الذكر ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

* ومنها أيضاً التعود علي النوم باكراً ، فهو يعين علي الإستيقاظ باكراً بهمة ونشاط للعبادة والصلاة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ينام فى أول الليل ويقوم آخره فيصلى.[1]

* ومنها أن يكون نوم الذكور فى مكان مستقل عن مكان نوم الإناث .

* وأن يتجنب النوم علي البطن للأضرار الصحية والنفسية والجسدية ، فضلاً عن أنها ضجعة يبغضها الله لما ورد ذلك فى السنن .

* ومنها إغلاق النوافذ والأبواب ، وإطفاء المواقد والنيران وتغطية الأوانى قبل النوم . قال : [أطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم ، وأغلقوا الأبواب ، وأوكئوا[2] الأسقية ، وخمروا[3] الطعام والشراب].[4]

* ومنها الإستبشار بالرؤيا الصالحة ، وسؤال الله خيرها والتحدث بها إلي من يحب ، والإستعاذة من الرؤيا السيئة ، وعدم التشاؤم منها وسؤال الله صرفها عنه .

قال أبى حامد الغزالى رحمه الله بعد أن ذكر جملة من أدب النوم (فمن فعل ذلك عرج بروحه إلي العرش ، وكتب مصلياً إلي أن يتسيقظ) .[5]

أما آداب الإستيقاظ :

فالإستيقاظ بعد النوم آية من آيات الله الدالة علي قدرته ، وهى تشبه البعث بعد الموت قال تعالي : « **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في**

(١) المرجع السابق ، ٣٩/٣ ، كتاب التهجد ، باب من نام أول الليل وأحيي آخره ،حديث رقم ١١٤٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ، ٢٢/٦ . كتاب التهجد ، باب صلاة الليل والوتر، وسنن ابن ماجة ،٤٣٤/١ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة ، باب ما جاء فى أي ساعات الليل أفضل ، حديث رقم ١٣٦٥ .

(٢) اى أربطوها وشدوا رؤوسها ، لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء . النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لإبن الأثير ٢٢٢/٥ .

(٣) أى غطوه .المرجع السابق ٧٧/٢ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٩١/١٠، كتاب الأشربة ، باب تغطية الإناء، حديث رقم ٥٦٢٤ .

(٥) بداية الهداية (أدب المسلم فى اليوم والليلة) لأبى حامد الغزالى ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشن ، ص ٥٤ ، مكتبة القرآن الكريم – القاهرة .

منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .(١)

فسر الطبرى هذه الآية أنها دلالة علي ألوهية الواحد القهار ، خالصة دون كل ما سواه ، وأنه يميت ويحى ويفعل ما يشاء ، ولايقدر علي ذلك شئ سواه ، فجعل ذلك خبراً نبههم به علي عظيم قدرته فالله يتوفي الأنفس حين موتها فيقبضها عند قضاء أجلها وانقضاء مدتها ، ويتوفي أيضاً التى لم تمت فى منامها كالتى ماتت عند مماتها ، فالنوم وفاة وهو الموت الأصغر علينا أن نحسنه ويكون خالصاً لله ، حتي نقابله إذا ما قبضت الروح علي ذلك .(٢)

فالنوم فى حياة الإنسان أمر مهم ، فهو غالباً ما يقضى الإنسان فيه ثلث عمره ، ولهذا جعل الرسول سنناً وآداباً فى النوم فعلي الفرد المسلم أن يتأدب بها لأن هذه الآداب والسنن والنوافل حماية للفرائض وسياجاً له ، والحرص عليها تحمى الإنسان من عوامل التدرج والسقوط إلي المحرمات . قال تعالي : « ... **وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم** » .(٣)

والإستيقاظ بعد النوم مباشرة الحياة مرة أخري بعد تعطيلها ، وفتح صفحة جديدة بيضاء يسطرها المرء خلال يومه الذى يستقبله ، ثم يختمها مرة أخري بمنامه ويودعها كتاب أعماله لتعرض عليه يوم الحساب . قال تعالي : « **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون** » .(٤)

وللإستيقاظ جملة من الآداب الاسلامية نذكر من أهمها : -

* الإجتهاد فى أن يكون الإستيقاظ باكراً قبل طلوع الشمس ، وذلك لتحصيل

---

(١) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٢ / ٨ - ٩ ، وفتح القدير ٤/٤٤٥ - ٤٤٦ ، والتفسير الواضح ٣/٨ .

(٣) سورة النور : الآية ١٥ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٦٠ .

الفائدة واكتساب العادات الصحية واغتنام أوقات الصفاء والنقاء للعبادة أو الدراسة وسائر الشؤون الحياتية .

قال تعالي فى وصف عبادة المتقين : « **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون** » .(١)

جاء فى تفسير أبى السعود لمعني هذه الآية الكريمة واصفاً عباده المخلصين المحسنين ، أنهم كانوا يهجعون فى طائفة من الليل تطوعاً لوجه الله ، ومع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم فهم يداومون علي الإستغفار فى الأسحار كأنهم مذنبين فى ليلهم (٢)

* أن يكون أول ما يجرى علي القلب واللسان والفكر ذكر الله وتوحيده ، والدعاء بما ورد عن النبى . قال تعالي : « **واذكر إسم ربك بكرة وأصيلاً** » (٣)

فالآية جاءت بأمر الله سبحانه وتعالي لرسوله ولمن بعده من المؤمنين بأن يداوموا علي ذكره فى جميع الأوقات ، وقيل المعني صلى لربك أول النهار وآخره ، أى فى صلاة الصبح وصلاة العصر لما فى صلاة الصبح وصلاة العصر من الفضائل.(٤)

* تجنب المكوث فى الفراش والتقلب فيه بعد الإستيقاظ إستجلاباً للأفكار والأحلام ، وتجنب التكاسل عن القيام الي الصلاة لبرد أو تعب أو نعاس ، لأن ذلك من النفس الأمارة بالسوء ، فلابد من مخالفتها .

* غسل الفم وتنظيف الأسنان بالسواك أو الفرشاه ، فهى عادة تطيب الفم وتحافظ علي الأسنان فضلاً عن أنها مرضاة للرب .

---

(١) سورة الذاريات الآيتان ١٧ – ١٨ .

(٢) انظر : تفسير أبى السعود ١٣٨/٨ ، وتفسير تيسير الكريم الرحمن ٩٤/٥ ، وتفسير القاسمى ٥٥٢٦/١٥ .

(٣) سورة الإنسان : الآية ٢٥ .

(٤) انظر : تفسير فتح القدير ٣٥٣/٥ ، وتفسير تنوير الأذهان ٤٦٥/٤ .

عن حذيفة بن اليمان* رضى الله عنه قال : كان رسول الله إذا قام من النوم يشوص [1] فاه بالسواك . [2]

* ومنها أيضاً إلتزام الهدوء والسكينة أثناء الحركة بعد الإستيقاظ ، وتجنب إزعاج الأهل والجيران . وعدم الخروج من المرقد فجأة من مكان دافىء إلي بارد ، وإلتزام الرقة واللطف فى إيقاظ الآخرين .

* فتح النوافذ المغلقة من الغرفة لتجديد الهواء ، وإعادة ترتيب السرير ولوازمه ، إذ ليس من المروءة والآداب اعتماد المسلم علي غيره ، خاصة فى الأشياء الخاصة وأموره الشخصية . [3]

٤ - آداب الأكل والشرب :

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتعليم ، وقد أرشد عباده المؤمنين فى كتابه المبين إلي ما ينبغى الإلتزام به من آداب الاكل . ومن جملة الآداب فى ذلك :

* أن يتمسك الإنسان بأن يكون مأكله ومشربه حلالاً طيباً . قال تعالي : « **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** » .[4]

قيل إنها نزلت فى ثقيف وخزاعة وبنى مدلج ، فيما حرموه علي أنفسهم من الأنعام ، واللفظ عام ، والطيب هنا الحلال فهو تأكيداً لإختلاف اللفظ ، وقال الشافعى :

---

* **حذيفة بن اليمان** : يكني بأبى عبدالله من بنى عبسي ، من كبار أصحاب الرسول . شهد الخندق وهو صاحب سر الرسول ، وهو حليف الأنصار، مات سنة ست وثلاثين . انظر : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ١/٣٣٤ ، رقم ٤٩٢ .

(١) **شوص** : دلك الأسنان ونظفها ، وقيل أن يستاك من أسفل إلي أعلي ، وأصل الشوص الغسل انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٥٠٩ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/٤٢٤ ، كتاب الوضوء ، باب السواك ، حديث رقم ٢٤٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ، ٣/١٤٥ ، كتاب الطهارة ، باب السواك .

(٣) انظر : بداية الهداية للغزالى ، ص ٢٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦٨ ، وانظر: الآية ٨٨ من سورة المائدة ، والأنفال ٦٩ ، وسورة النحل ١١٤ .

الطيب المستلذ ، وسمى الحلال حلاً لإنحلال عقد الخطر عنه ، وأكل الحلال من أمور النجاة وهى من تمام المعرفة فى العلم ، فالله سبحانه وتعالي يأمر الإنسان بأن يكون مأكله ومشربه حلالاً ومن طيبات الأرض .(١)

قال صاحب تفسير المنار ، يخرج بهذه الآية الربا والرشوة والسحت والغصب والغش والسرقة والطعام المنتن ، فكل ذلك خبيث .(٢)

وقال : [كل لحم نبت من الحرام فالنار أولي به] .(٣)

* ومنها تجنب الإستهتار بالنعمة مهما قلت ، والمحافظة عليها والحذر من إلقاءها فى سلة المهملات ، والإبتعاد عن الإكثار من الطعام والإسراف فيه إلي حد التخمة ، لأن ذلك من التبذير المنهي عنه ، ومن الأسباب التى تورث للإنسان عدم الفطنة وتورث له الأمراض .

قال تعالي: «... **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**»(٤)

ومع إباحته سبحانه وتعالي بالأكل والشرب الحلال الطيب ، إلا أنه قيده بعدم الإسراف والتبذير ، لأن ذلك من فعل الشيطان . والإسراف يكون فى تجاوز الحد من الأكل والشرب وغير ذلك ، وقد أختلف فى ذلك علي قولين ، فقيل هو حرام وقيل هو مكروه وهو الأصح ، فإن قدر الشبع يختلف بإختلاف البلدان والأزمان والأسنان والطعمان ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله أمر لرجل كافر بحلب سبعة شياة فشربها ثم آمن .(٥)

---

(١) انظر: تفسير القرطبى ٢٠٨/٢ ، وأسباب النزول للواحدى ص ٣٤ ، وتفسير الفخر الرازى ٢/٥ .

(٢) انظر : تفسير المنار ٨٧/٢ .

(٣) سنن الترمذى ٥١٣/٢ ،كتاب الجمعة ، باب فى فضل الصلاة ، حديث رقم ٦١٤ . قال أبوعيسي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٣١ .

(٥) انظر : أحكام القرآن لإبن العربى ٧٨١/٢ ، وفى ظلال القرآن ٥٠٣/٣ .

ومع ذلك فالإسراف فى الأكل منهي عنه لظاهر الآية .

قال صاحب التحرير والتنوير مامعناه لا تسرفوا فى الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم ، لأن ذلك يعود بأضرار علي البدن وتنشأ منه أمراض معضلة ، وقد قيل أن هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء ، فالنهى عن السرف نهى إرشاد لا نهى تحريم ، بقرينة الإباحة اللاحقة فى الآية التى بعدها : « **قل من حرم زينة الله** ... » .(١)

قال : [ماملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن لم يفعل فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه] .(٢)

* عدم التباهى فى أنواع الأطعمة ، والتباهى فى أطيبها، لأن ذلك كسر لقلب الفقير وتشبه بالكفار الذين لا يعرفون إلا لذائذ الأكل ، فالمسلم يأكل ليعيش ولا يعيش ليأكل .

قال تعالي : « **... والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** » .(٣)

* التسمية فى أول الطعام ثم استحضار نية الأكل والدعاء بالمأثور ، فإن لم يذكر إسم الله علي الطعام فى البدء فليذكر عند آخره .

قال تعالى : « **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين** » .(٤)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله : [إذا أكل أحدكم فليذكر إسم

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٨/٩٥ .

(٢) سنن الترمذى ٤/٥٠٩ ، ٩١٠ ، كتاب الزهد ، باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ، حديث رقم ٢٣٨٠ . قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة محمد : الآية ٢١ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١١٨ .

الله فإذا نسي أن يذكر الله تعالي فى أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره] .[1]

* غسل اليدين قبل البدء بالأكل وبعده ، قال عليه الصلاة والسلام : [بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده] .[2] قال العلماء الوضوء هنا غسل اليدين .

* ومنها الأكل من الطعام الجيد النظيف ، وتجنب أكل الطعام المتسخ وخاصة الفواكه إلا بعد غسلها.

* الأكل باليد اليمني وبثلاث أصابع ولعقها بعد الفراغ من الأكل أو قبل غسلها .

* الأكل مما يلى من الطعام دون مد اليد إلي جوار الآخرين أو إلي وسط الإناء ، فعن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال : كنت غلاماً فى حجـــر رسول الله ، فكانت يدى تطيش فى الصفحـــة [3] فقال لى :[ياغلام سم الله تعالي وكل بيمينك وكل مما يليك] .[4]

* تجنب النفخ فى الطعام الحار ، وعدم إقتراب الفم فوق الإناء لئلا يسقط شئ فيه ، وتصغير اللقمة وإجادة المضغ وعدم الإستعجال فى الأكل ، والجلوس إلي الطعام بإعتدال غير متكئ .

قال :[لا آكل متكئاً] [5]، أما إن كان ذو عذر كالمريض ونحوه فلا بأس فى ذلك

---

(١) سنن أبى داود ٣٤٧/٣ ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية علي الطعام ، حديث رقم ٣٧٦٧ ، وسنن الترمذى ٢٥٤/٤ ، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى التسمية علي الطعام ، حديث رقم ١٨٥٨ ، قال أبو عيسي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سنن الترمذى ٢٤٨/٤ ، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى الوضوء قبل الطعام وبعده ، حديث رقم ١٨٤٦ .

(٣) الصحفة : إناء كالقصعة المبسوطه ، وجمعها صحاف . انظر : النهاية فى غريب الحديث والآثر ، ١٣/٣ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣١/٩ ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية علي الطعام والأكل باليمين ، حديث رقم ٣٥٧٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٩٣/١٣ ، كتاب الأطعمة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، وسنن الترمذى ٢٥٤/٤ ، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى التسمية علي الطعام ، حديث رقم ١٨٥٧ .

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٥١/٩ ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكأ ، حديث رقم ٥٣٩٨ .

. تجنب الضحك والقهقهة والمزاح أو النظر فى وجوه الحاضرين ، وعدم استخدام أوانى الذهب والفضة فى الأكل لحرمة استخدامها.

* تجنب الإنفراد بالطعام إذا كان هنالك إمكان للإجتماع عليه ، فهو أكثر للبركة وأحب للقلوب إذا إجتمعت، قال :[طعام الواحد يكفى الإثنين ، وطعام الإثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى ثمانية] .(١)

* يستحب التخليل بين الأسنان بعد الفراغ من الأكل ، ويحمد الله ويثنى عليه فى نهاية الطعام فعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله كان إذا فرغ من طعامه قال :[الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين] .(٢)

وهناك أحاديث كثيرة جاءت فى آداب وسلوكيات من يأكل ، اكتفينا بذكر ما سبق لعدم اتساع المجال .(٣)

أما آداب الشرب :-

فإن الشراب مثل الطعام ، بل هو أكثر وأشد خطراً عند فقدان الماء ، قال تعالي : « **... وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون** » .(٤)

وقال عز وجل فى سورة أخري : « **أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون** » .(٥)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤/٢٢ – ٢٣ ،كتاب الأشربة ، باب فضيلة المواساة فى الطعام القليل . وسنن الترمذى ٤/٢٣٦ ، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء فى طعام الواحد يكفى الإثنين ، حديث رقم ١٨٢٠ . قال أبو عيسي : حديث حسن صحيح .

(٢) سنن ابى داود ٣/٣٦٥ ، كتاب الأطعمة ، باب ما يقول الرجل إذا اطعم ، حديث رقم ٣٨٥٠ . وسنن ابن ماجة ٢/١٠٩٢ ، كتاب الأطعمة ، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام ، حديث رقم ٣٢٨٣ .

(٣) لمزيد من الفائدة : راجع مختصر منهاج القاصدين ص ٧٤ – ٧٥ ، وإحياء علوم الدين ٢/٢ – ٥ ، كتاب آداب الأكل ، وأدب الدنيا والدين للماوردى ص ٣٣٥ – ٣٣٧.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ .

(٥) سورة الواقعة : الآيات ٦٨ – ٧٠ .

وهذه بعض آداب الشرب في الإسلام نذكر منها :-

* التسمية عندما يشرب الإنسان ، ويستحب الشرب فى حالة القعود فهذا أفضل للصحة وأكمل للأدب . عن أنس رضى الله عنه قال : نهى رسول الله أن يشرب الرجل قائماً قالوا : فالأكل ؟ قال : ذلك أشر .(١)

* تناول الكأس باليد اليمني والشرب بها ، ومص الماء مصاً وعدم صبه فى الحلق صباً ، لأن المص أثناء الشرب أهنأ وأمرأ ، والشرب ثلاثاً يبدأ فى كل منها بالتسمية ويختم بالحمد .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله : [لا تشربوا كشرب البعير ولكن اشربوا مثني وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم ، وأحمدوا إذا أنتم رفعتم] .(٢)

* تجنب الإسراف فى شرب الماء وخاصة أثناء الطعام ، لأنه يعيق عملية الهضم والأفضل يكون الشرب قبل أو بعد الطعام ببرهة ، وتجنب الشرب فى أوانى الذهب والفضة لحرمة إستعمالها.

* يمسك الساقى الإناء أثناء التوزيع باليد اليسري ، ويعطي الكوب باليد اليمني ، ويبدأ بسيد القوم أو أفضلهم علماً وقدراً أو سناً ، ثم يعطي الأيمن ، فعن أنس رضى الله عنه قال : (أن رسول الله أتي بلبن قد شيب بماء ، وعن يمينه إعرابى وعن يساره أبوبكر رضى الله عنه ، فشرب ثم أعطي الأعرابى فقال [الأيمن فالأيمن] .(٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/١٩٤ – ١٩٦ ، كتاب الأشربة ، باب الشرب قائماً ، وسنن الترمذى ٤/٢٦٥ ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء فى النهى عن الشرب قائماً ، حديث رقم ١٨٧٩ . قال أبوعيسي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سنن الترمذى ٤/٢٦٧ ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء فى التنفس فى الإناء ، حديث رقم ١٨٨٥ ، وقال ابوعيسي : هذا حديث غريب ، وزاد لاتشربوا واحداً كشرب البعير ...

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٨٨ كتاب الأشربة ، باب الأيمن فالأيمن فى الشرب ، حديث رقم ٥٦١٩ ، وسنن أبى داود ٣/٣٣٧ ، كتاب الأشربة ، باب فى الساقى حتي يشرب ، حديث رقم ٣٧٢٦ ، وسنن الترمذى ٤/٢٧١ ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء أن الأيمنين أحق بالشراب ، حديث رقم ١٨٩٣ . قال ابوعيسي : هذا حديث حسن صحيح .

* يكون ساقى القوم آخرهم شرباً ، لقوله [ساقى القوم آخرهم] .[1]

٥ - آداب اللباس

كذلك اللباس نعمة من نعم الله التى خصها للإنسان من بين سائر مخلوقاته ، ليستر بها عورته وتقيه من البرد والحر ، ويحفظ بها كرامته ويتجمل بها فى حياته . قال تعالي : «... **وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**» .[2]

أورد النسفى فى تفسيره لهذه الآية («وجعل لكم سرابيل» هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن ، «تقيكم الحر» وهى تقى البرد أيضاً إلا أنه اكتفي بأحد الضدين ، ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم ، لكون البرد يسيراً محتملاً ، «وسرابيل تقيكم بأسكم» ودروعاً من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم ، والبأس شدة الحرب ، والسربال عام يقع علي ماكان من حديد وغيره) .[3]

والله سبحانه وتعالي قد علم الانسان بصناعة الثياب ، وأمره أن يستتر بها ، قال تعالي عن سيدنا داود عليه السلام : « **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتُحصنكم من بأسكم فهل أنت شاكرون** » .[4]

هذا وإن كانت الآية تتحدث عن صناعة الدروع المتداخلة من الزرد لأنه أيسر استعمالاً ، وهذا من تعليم الله لدواد عليه السلام ، والله يمنّ علي الإنسان أن علّمه هذه الصناعة لوقايتهم فى الحرب، إلا أن هذه الآية عامة فى اللباس ، سواء كان لباس الحرب أو غيره الذى يقيه البرد والحر ويتجمل به لستر عورته .[5]

---

(١) سنن الترمذى ٤/٢٧١ ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء أن ساقى القوم آخرهم شرباً، حديث رقم ١٨٩٤ . قال ابوعيسي : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة النحل : الآية : ٨١ .

(٣) تفسير النسفى ٢/٢٩٦ ، وتفسير المراغى ٥/١٢٠ - ١٢١ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٨٠ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣/١٨٧ ، وفى ظلال القرآن ٥/٥٥٢ ، وتفسير القاسمى ١١/٤٢٩٥ .

ومآآتانا من الغرب اليوم بما فيه من الضلالات والصرعات الجاهلية الحديثة التى تدعو إلي التعرى وإظهار العورات ، ماهو إلا مسخ للإنسانية وكرامتها ، ورجوع للحيوانية العجماء ، واليوم نري كما فى السابق موقف اليهودفى إظهار الفتن والفاحشة وتصدير الملابس الفاضحة من بيوت أزيائهم وماذلك إلا لإظهار المفاتن واستباحة الأهواء والشهوات فحذاري من ذلك .

وهذه باقة من الآداب الإسلامية فى اللباس نذكر منها :

* الإبتداء بالتسمية عند لبس الثوب كما تستحب فى جميع الأعمال ، وأن تكون النية فى اللباس إمتثالاً لأمر الله فى ستر العورة ، لا للتباهى والتفاخر ومراءات الناس . قال تعالي : « **يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون** »[1].

يقول تعالي للجهلة من العرب الذين كانوا يطوفون عُراة إتباعا منهم لأمر الشيطان ، وتركاً منهم لطاعة الله ، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم حتي تمكن منهم ، فسلبهم من ستر الله الذى أنعم به عليهم حتي أبدي سوآتهم ، وأظهرها بعضهم لبعض ، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونه به، والله سبحانه وتعالي يقول يابنى آدم إنه خلق لكم ورزقكم لباساً تلبسونه ليستر عوراتكم عن أعينكم ، فالآية فيها تذكير بنعمة الله علي عبادة .[2]

فأين حضارة اليوم ومجتمعات هذا العصر من هذه الآية ، التى أصبحت المرأة فى هذه المجتمعات لا تطيق اللباس الذى عليها ، فتراها عارية أو شبه عارية ، فى الشوارع وفى مختلف الأماكن . هذه الجاهلية التى هى أعتي من الجاهلية الأولي ، ورحم الله من سماها بجاهلية القرن العشرين.

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١٤٦/٥ ، وأحكام القرآن للكيا الهراس ١٣٤/٣ ، والتفسير المنير ١٦٩/٨ – ١٧١ .

* الدعاء بما ورد من الأدعية المأثورة عند لبس الثوب وعند خلعه ، وإختيار أوسط الملابس والمعقول منها دون إسراف أوتبذير ودون تفاخر بها أو اطالتها حتي تمس الأرض فهذا من التكبر ، والتأكد من طهارة الثوب لتصح العبادة به ، وليكون المؤمن نظيف البدن والثياب ، قال تعالي : « **وثيابك فطهر**»[1] ،[2]

* البدأ بالميامن عند لبس الثوب أو الحذاء أو الجوارب والخلع بالشمال ، ونفض الثياب قبل لبسها، وكذلك الجوارب ، خوفاً من الحشرات الضارة ، ثم طى الملابس ووضعها فى المكان المناسب ، واجتناب لبس الملابس المصنوعة من الحرير لحرمة لبسها للذكور ، وعدم تشبه الرجال بالنساء فى لباسهم وكذلك العكس .

٦ - آداب المشي والسير في الطرقات .

إن الله سبحانه وتعالي علم المسلمين كيف يسيرون ، حتي لا ينالهم ولا يلحق بهم أذي أو ضيق .

يقول سبحانه وتعالي فى جملة من الآداب الإسلامية فى حق الطريق : « **ولا تصعر خدك للناس ولاتمشي في الأرض مرحاً**[3] **إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك ...** »[4] .

جاء فى تفسير ابن كثير مانصه (« ولا تصعر خدك للناس ، يقول لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك إحتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ، ولكن ألن

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤ .

(٢) سبق تفسيرها فى بداية المبحث من هذا الفصل ، وانظر تفسير القرطبى ٢٠/٥٩ ، وتفسير الذوى المسمي مراح لبيد ٢/ ٤١٠ ، ومختصر تفسير الخازن ٢/ ١١٩٠ .

(٣) **مرحاً** : أى بالخيلاء وفخراً بالنعم ناسياً المنعم معجباً بنفسه . انظر : مصحف عثمان ، وبهامشه مختصر تفسير الطبرى ، لأبى يحيي بن صمادح النجيبى الأندلسى ص ٣٦٢ ، مذيلاً بكتاب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ، تقديم الشيخ مصطفى الحديدى الطير ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، ١٤٠٩ هـ ، مكتبة مصر – القاهرة . وتفسير الكريم الرحمن ٤/١٠٩ .

(٤) سورة لقمان : الايتان ١٨ – ١٩ .

جانبك وأبسط وجهك إليهم ... وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها الله ... ، ولا تمشى فى الأرض مرحاً، أى خيلاءً متكبراً جباراً عنيداً لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال : « إن الله لا يحب كل مختال فخور» أى مختال معجب فى نفسه ، فخور أى علي غيره) .[1]

أورد صاحب الظلال أن الصعر داء يصيب الإبل فيلوى أعناقها. والأسلوب القرآنى يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر ، حركة الكبر والإزورار، و إمالة الخد للناس فى تعال وإستكبار . والمشى فى الأرض مرحاً هو المشى فى تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس ، وهى حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق ، وهى تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس فى مشية الخيلاء ، والقصد فى المشى أدب وثقة بالنفس ، والقصد من الإقتصاد عدم إضاعة الطاقة فى التبختر والتثنى والإختيال.[2]

وقال عز وجل فى آية أخري واصفاً عباده المتقين : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض [3] هوناًوإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** » .[4]

بين صاحب الكشاف فى تفسيره للآية أن الله سبحانه وتعالي يصف أولياءه بأنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفتون بنعالهم إشرا وبطرا..[5]

فالله سبحانه وتعالي فى الآيات السابقة علمنا كيف نسير وننتقل من مكان إلي مكان ، وضرب لنا أمثلة فى كيفية السير وآدابه ، فعباده الصالحين يسيرون وعليهم السكينة والوقار بهدوء واتزان ، لا يتكبرون ولا يفتخرون ولا يتباهون علي عباد الله ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٤٦ .

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ٦/٤٨٧ ، والتحرير والتنوير ٢١ / ١٦٨ .

(٣) **هوناً** : بالسكينة والوقار والتواضع والحلم. مختصر تفسير الطبرى لأبى يحيي النجيبى ص ٣٢٠ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

(٥) انظر : تفسير الكشاف ٣/١٠٣ ، وتفسير النسفى ٣/١٧٤ ، وتفسير القاسمى ١٢/٤٥٨٨ .

متواضعين إذا ماساروا فى طريقهم ، لا يضربون الأرض بأقدامهم لإظهار قوتهم وجبروتهم ، ولا يسرعون فى خطواتهم فمهما بلغ الإنسان من قوة فلن يستطع أن يخرق الأرض ، ولن يبلغ الجبال طولاً بتكبره علي الناس فى مشيه أو غير ذلك ، قال تعالي: « **ولا تمشي في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » ..[1]

قال صاحب التفسير الكبير عند تفسيره لهذه الآية فيما معناه ، إن الآية فيها من النهى بأن لا يمشى الإنسان مشياً يدل علي الكبرياء والعظمة ، قال الزجاج ، لا تمشى فى الأرض مختالاً فخوراً ، ونظيره قوله تعالي : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ...** » [2] وقوله تعالي : « **واقصد في مشيك واغضض من صوتك ...** » [3] ثم قال سبحانه وتعالي فى هذه الآية ناهياً عن الخيلاء والتكبر إنك لن تنقب الأرض ولاتصل إلي رؤوس الجبال بتكبرك وعلياؤك ، وهذا تنبيه بأن الإنسان ضعيفاً فلا يليق به التكبر ..[4]

والسير الحسن المحمود هو ماكان وسطاً بين السرعة والبطء ، وهو ماقصده القرآن الكريم بقوله تعالي : «واقصد فى مشيك ، وذلك حتي لا يدب الإنسان علي الأرض دباً كدبيب الحمقي الجهلاء ، ولا يثب وثوب المستخفين المهرجين ، فالسرعة تذهب بهيبة الإنسان ، والبطء المبالغ يجعل الإنسان كالمريض الذى يتحرك بمشقة ، فالمسلم عليه أن يمشى مشياً وسطاً ، ويسير سيراً معتدلاً . فكثيراً مايكون الإسراع فى المشى عاملاً مباشراً فى إلحاق الضرر به ، أما الرفق فى السير ففيه الخير والسعادة .

إذن فقد علّم الإسلام أتباعه ومعتنقى مبادئه السامية علمهم كيف يسيرون فى الطريق .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٧ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٩ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازى ، ٢٠ -٢١٢ -٢١٣ ، وفى ظلال القرآن ٣٢٩/٥ ، والتفسير الواضح ١٦/٢٠ .

وهذه جملة من الآداب التى أمرنا بها الإسلام للسير فى الطرقات والمشى والسعى فى الأسواق ، لعلها تكون واقعاً ملموساً للتطبيق ، ولذلك نذكر منها :

* غض البصر عن المحرمات وعن مراقبة الذاهبين إلي أعمالهم والعائدين منها فى أعمالهم وتصرفاتهم .

* تجنب الجلوس فى الطرقات أو الوقوف فى المنعطفات أو علي واجهات المحلات دون حاجة .،

* إلقاء السلام علي المارة ورد تحيتهم وخاصة الصالحين منهم ، والنهى عن المنكر والأمر بالمعروف ولقد جمعت آداب الطريق فى قوله : [إياكم والجلوس علي الطرقات فقالوا مالنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها. قال : فإذا أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقه ، فقالوا: وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذي ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر] ..(١)

* المحافظة علي نظافة الطريق ، وعدم إلقاء الوساخات والنجاسات وإماطة الأذي ، كالحجارة أو الزجاج أو غيرها عن ممرات الناس ومجالسهم ، حتي لا يتأذي الناس بذلك ، فقد عد الرسول هذا من شعب الإيمان ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى قال :[الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذي عن الطريق ، والحياء وشعبة من الإيمان] .(٢)

* مساعدة المحتاجين وإرشاد الضالين ، وإعانة ابن السبيل وهدى الأعمي فى طريقه ، والحمل مع الضعيف فى حمولته ، وتجنب الطرق المزدحمة والأسواق المكتظة بالناس ،وخاصة التى تنتشر فيها المنكرات ، وإن إضطر إلي ذلك فلابد من الإسراع فى قضاء الحاجة .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/١١ ، كتاب الإستئذان ، باب قوله تعالي : « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا علي أهلها » ، حديث رقم ٦٢٢٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٠٢/١٤ ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهى عن الجلوس فى الطرقات وإعطاء الطريق حقه .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦/٢ ، كتاب الإيمان ، باب الحياء شعبة من الإيمان .

* تجنب عبور الشارع حتي يخلو من السيارات وعدم المخاطرة ، والمرور فى المكان المحدد لذلك .

* القصد فى المشى وعدم الإسراع والجرى فى الطرقات ، وعدم التمهل الشديد والتبختر . تجنباً للتكبر والإختيال وإعجاب النفس لظاهر الآية الكريمة : « **واقصد في مشيك** » [1] ولقوله فى حديث رواه الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال : [من تعظم فى نفسه وأختال فى مشيته لقي الله وهو عليه غضبان] .[2]

* تجنب الأكل بقدر الإمكان فى الطريق ، وذلك لإخلاله بالآداب والمروءة . وتجنب اللعب واللهو فى الطرقات وجعلها مكاناً للتسلية وإضاعة الوقت .

* ويلحق بآداب المشى عدم رفع الصوت سواء فى البيع أو الشراء أو أى تعامل ، وذلك لقوله تعالي : «**واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**» .[3] وسيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله عند الشرح عن آداب الحديث .

هذه آداب الطريق والسير فيه ، جعلها الإسلام سمة يتميز بها المسلم إذا تحلي بها ، فهى من التوازن الخلقى فى الإعتدال فى المشى ، فلا يتكبر ولا يذل ولا يرفع صوته إلا عند الحاجة .

٧ - آداب المجالس والحديث فيها :

أ - آداب المجالس .

المجتمع الإسلامى بطبيعته مجتمع متحاب ومترابط ، فلابد للفرد فى هذا المجتمع أن تكون له مخالطة يومية فى حياته بين الناس ، ومجالستهم فى مجالس عامة أو خاصة ، والمجالس فى حد ذاتها مجتمعات يحضرها جمع من الطبقات و ويتحدث فيها انواع شتي من المستويات والطبقات ، فلابد أن يتأدب السلم بالآداب الإسلامية التى حثنا عليها الإسلام ومن هذه الآداب :-

(١) سورة لقمان : الآية ١٩ .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢/١١٨ .
(٣) سورة لقمان : الآية ١٩ .

* السلام عند الدخول أو الخروج من المجلس ، قال : [إذا إنتهي أحدكم إلي المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولي بأحق من الأخري] .[1]

* تجنب الجلوس فى مكان أحد بعد خروجه إذا أراد أن يخرج ، والتفسح فى المجالس لقوله تعالي : «**يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس**[2] **فافسحوا يفسح الله لكم**[3] **وإذا قيل انشزوا**[4] **فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير**» .[5]

ذكر الواحدى أن سبب نزول هذه الآية الكريمة أن رسول الله كان فى الصفة وفى مكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلي المجلس فقاموا حيال النبى علي أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم ، وشق ذلك علي الرسول، فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يافلان ، وأنت يافلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذى قاموا بين يديه من أهل بدر ، فشق ذلك علي من أقيم من مجلسه ، وعرف النبى الكراهية فى وجوهم ، فقال المنافقون للمسلمين : ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ؟ فوالله ماعدل علي هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبهم القرب من نبيهم ، أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم ، فأنزل الله هذه الآية .[6]

---

(١) سنن أبى داود ، ٤/٣٥٤ ، كتاب الأدب ، باب فى السلام إذا قام من المجلس ، حديث رقم ٥٢٠٨ ، وسنن الترمذى ، ٥/٦٠ ، كتاب الإستئذان ، باب ما جاء فى التسليم عند القيام وعند الجلوس ، حديث رقم ٢٧٠٦ ، قال أبو عيسي : حديث حسن صحيح .

(٢) **تفسحوا فى المجالس** : توسعوا فى المجلس .

(٣) **يفسح الله لكم** : فى منازلكم فى الجنة .

(٤) **إنشزوا** : إرتفعوا أي قوموا إلي قتال عدو أو إلي صلاة أو عمل خير أو تفرقوا عن الرسول فإن له حوائج .

(٥) سورة المجادلة : الآية ١١ .

(٦) أسباب النزول للواحدى ص ٢٨٣ ، وتفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى ص ٤٠٨ ، وأخرجه ابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور للسيوطى ٦/١٨٤ .

يقول تعالي مؤدباً عباده المؤمنين وآمراً لهم أن يحسن بعضهم إلي بعض فى المجالس ، بأن يفسحوا لبعضهم البعض .[1] فيفسح الله لكم فى المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها فهذه آية تعلم الآدب بين المتجالسين وبأن ينهضوا للتوسعة علي المقبلين .[2]

فلا تنازع أخاك فى مجلس ،وأجلس فى المجلس الذى يرتأيه صاحب المنزل ، بل لا تجلس إلا حيث يجلسك فيه ، فلعل إن جلست كما تريد تطلع علي عورة من عورات الدار، أو فيه إحراج لساكنيها .

فعليك بإمتثال مايأمرك به مضيفك ، فلقد دخل يوماً خارجة بن زيد علي ابن سيرين زائراً له ، فوجده جالساً علي الأرض إلي وسادة ، فأراد أن يجلس معه وقال له : قد رضيت لنفسى مارضيته لنفسك ، فقال إبن سبرين : إنى لا أرضي لك فى بيتى بما أرضي به لنفسى فأجلس حيث تأمر ، ولا تجلس فى مكان صاحب المنزل إلا إذا داعاك إلي الجلوس فيه .[3]

* ومن آداب المجلس الإستئذان قبل الإنصراف منه ، قال تعالي : « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتي يستأذنوه** » .[4]

قال ابن عاشور فى تفسيره مانحوه ، إن الله لما ذكر فى السابق من هذه الآيات فى شأن الإستئذان للدخول ، عقب ذلك بحكم الإستئذان للخروج ومفارقة المجامع وكان من أعمال المنافقين أن يحضروا هذه المجالس ثم يتسللوا تفادياً من عمل يشق عليهم ، أو كراهيتهم لسماع كلام لا يريدونه .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٣٢٤ .

(٢) انظر : تفسير أبى السعود ٨/٢٢٠ ، وفى ظلال القرآن ٨/١٩ .

(٣) انظر : رسالة المسترشدين ، للحارث المحاسبى أبى عبدالله بن أسد المحاسبى البصرى ، ص ١٨٥ ، توفي ببغداد رحمه الله سنة ٢٤٣ هـ ، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ .

(٤) سورة النور : الآية ٦٢ .

والأمر الجامع هنا الذى يجتمع الناس لأجل التشاور أو التعلم ، فالله سبحانه وتعالي قصر من عرفوا بإيمانهم واتصفوا بهذا الوصف بالذين لا ينصرفوا عن مجلس الرسول حتي يستأذنوه .

وهذه الآية أصل من نظام الجماعت فى مصالح الأمة ، لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام ورئيس يدير هذا الإجتماع ، فلا بد أن يستأذن منه فى مشورة أو خروج .(١)

* تجنب الجلوس بين إثنين إذا كانا يتكلمان فى موضوع لا يحبان أن يسمعهما فيه أحد ، وبالمقابل تجنب التهامس والتناجى مع بعضها إذا كانا فى مجلس لا يضم سوي ثلاثة ، فهذا يولد سوء الظن والحزن والحقد للآخر .

* استعمال الميامن عند الدخول إلي المجلس والخروج منه ، والمحافظة علي نظافة المجلس والحضور إليه بهيئة مقبولة من نظافة للثوب ومظهرحسن وهدوء فى الطباع ، قال : [إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود] .(٢)

* عدم نقل الأحاديث التى تدور بين الناس والحفاظ عليها ، وخاصة إذا كانت من الأسرار ، وتجنب مجالس اللهو والحرام ، لما فيها من هدر للوقت ونهش للأعراض وهمز وغيبة للناس ، وكذلك مجالس المراء والجدال والكفر والإحاد. قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون** » .(٣)

* يجب إعطاء حق المجلس ، من رد المظلمة أو إنهاء للمنكر أو أمر بمعروف أو

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٨/٣٠٦ وما بعدها .

(٢) سنن الترمذى ٥/١٠٣ -١٠٤ ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى النظافة ، حديث رقم ٢٧٣٩ ، قال ابو عيسي : حديث غريب

(٣) سورة المجادلة : الآية ٩ .

ذكر الله ، والتذكير بالطاعات والصدقات ، قال تعالي : « **لا خير في كثير من نجواهم** [1] **إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** » .[2]

بين الطبرى أن هذه الآية نداءً للرسول بقوله يامحمد إنه لا خير فى كثير ممن يتناجي من الناس إلا بمن تناجي بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، فإن أولئك فيهم الخير .[3]

فلا خير فى كثير من نجوي الناس سراً ، أو من كلام الجماعة المنفردة أو كلام الإثنين ، سواء كان ذلك سراً أو جهراً ، إلا نجوي ثلاثة ، من أمر بصدقة ففيها عون للفقير والمسكين والمحتاج ، ومن أمر بمعروف وهو يشمل جميع أنواع البر ، ومن أمر بإصلاح بين الناس فى الدماء والأموال والأعراض وفى كل شئ يقع فيه الإختلاف بين الناس .[4]

وقال تعالي فى الحث علي عدم الخوض فى حديث فيه حرام والخروج من هذا المجلس : « **وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتي يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** » .[5]

يقول الطبرى عند تأويله لهذه الآية الكريمة، إن الله بشر المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين بعدمانزل عليهم من القرآن ، أنه من يسمع آيات

---

(١) **نجواهم** : المسارة بالحديث أو السر بين اثنين .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ، ٤/٢٧٧ .

(٤) انظر : التفسير المنير ، ٥/٢٧٠ – ٢٧١ .

(٥) سورة النساء : الآية ١٤٠ .

الله ويكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتي يتحدثوا بحديث غيره ، وبأن لهم عذاباً عظيماً ، وأنهم مثل من يخوضون فى كلام بالباطل فهم مثلهم فى المعصية بإتيانهم ما نهاهم الله عنه . وفى هذه الآية دلالة واضحة علي النهى عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم فى الباطل .[1]

ب - آداب الحديث .

أما آداب السلوك فى الكلام ومخاطبة الناس وحوارهم ، فقد قال تعالي فى ذلك : «**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان**» .[2] وقال تعالي : « **ألم يجعل له عينين ولساناً وشفتين**» .[3]

ولكى يجرى الحديث بين الناس علي الوجه الأكمل ، ولكى يكون وسيلة تؤدى إلي المحبة والوئام والتفاهم وتبادل الفكر، فقد وضع له الإسلام أصولاً وأوصي بإتباعها بدقة وعناية .

قال تعالي : «... **وقولوا للناس حسناً** ...» .[4]

قال النسفى :(قولاً هو حسن فى نفسه لإفراط حسنه) .[5]

قال ابن عطية * فى تفسيره لهذا المقطع من الآية الكريمة فى سورة البقرة : (معناه قولوا لهم الطيب من القول ، وحاوروهم بأحسن ماتحبون أن تحاوروا به ، وهذا حض علي مكارم الأخلاق) .[6]

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ، ٤/٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) سورة الرحمن : الآيات ١ - ٤ .

(٣) سورة البلد : الآيتان ٨ - ٩

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٣ .

(٥) تفسير النسفى ١/٥٩ .

* تقدم ترجمته فى الفصل الرابع من الباب الأول ص ١١٨ .

(٦) تفسير المحرر الوجيز لإبن عطية الأندلسى ، ١/٣٣٨ .

وقال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا** » .[1]

وضح صاحب تفسير النووى المعني من هذه الآية فيما نصه (أى صواباً والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب المائل عن العدل) .[2]

أى علي الإنسان أن يقول ويتحدث بالقول النافع ، وعدم الخوض فى أحاديث الباطل .

والآيات فى هذا المضمار كثيرة فى كتاب الله الكريم ، تحث علي القول الحسن والصادق البعيد عن كل باطل وحرام ، المشوب بالفاحشة والرذيلة ، وإليك بعض من هذه الآداب فى الحديث والمحـــاورة :-

أن يكون الحديث هادفاً إلي الخير والمنفعة الخاصة والعامة،ويظهر ذلك فى قوله تعالي : «**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتية أجراً عظيماً**» .[3]

وقال تعالي واصفاً المؤمنين المخلصين : « **والذين هم عن اللغو معرضون** » .[4]

* عدم الخوض فى الباطل كما بينا فى آداب المجالس آنفاً ، فعلي أفراد المجتمع أن يبتعدوا عن الخوض فى المعاصى ، مثل الحكاية عن النساء بما يثير الشهوات ، أو عن حكايات الفساق علي سبيل التفكه أو التسلية .

* الابتعاد عن الجدل والمراء ، فهذا لا جدوي فيه ، والإبتعاد عن غيبة الناس

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

(٢) تفسير النووى المسمي مراح لبيد ٢/ ١٩٠ .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٤ .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ٣ .

والتحدث فى أعراضهم والبعد عن التكلف فى الكلام ، وذلك بأن يتكلف أن يكون من الفصحاء وهو غير قادر علي ذلك ، وكذلك يطلب من المسلم الإبتعاد عن المسائل المعقدة ليتكلم بها مع غيره ، ولهذا قال : [وإن أبغضكم إلي وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون] (١) والمتثرثر هو من يتكلف فى كلامه ، والمتشدقرن من يتطاول علي الناس بكلامه ، والمتفيهق من يتوسع فى كلامه إظهاراً لفضله عليهم وتكبره علي من سواه .

* مخاطبة الناس علي قدرهم وبما يناسبهم . فيحرم علي المسلم أن يعظم الظلمة والفساق والكفار، كما يحذر أن يكلم الناس بما يجرحهم بأن يقول لأخيه ياكافر أو يامنافق .

* عدم مدح النفس وتزكيتها ، قال تعالي : « **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** » .(٢)

وتزكية النفس من باب الإفتخار وهى مداخل الشيطان الذى ينفخ فى نفس المزكي لنفسه ، بأنه أفضل من غيره فيجعله متكبراً ، أماأن تمدح غيرك فهذا جائزاً . وكذلك أن تدافع عن نفسك لتهمة أو لدفع ضرر فكذلك لا بأس به ، فالرسل عليهم السلام بينوا أنهم أحق من غيرهم فى إتخاذ المنصب وذلك كما فعل يوسف عليه السلام : « **قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** » .(٣) وقول شعيب عليه السلام : « **... ستجدني إن شاء الله من الصالحين** » .(٤)

* ومن آدب الكلام فى الحديث ألا يذكر مايضحك ، وأن يكون الكلام مختصراً فلا يكون بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، فإن خير الكلام ماقل ومادل ولم يمل حتي لا يكثر الزلل . يقول الإمام علي كرم الله وجهه :

---

(١) سنن الترمذى ٤/٣٢٥ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى معالي الأخلاق ، حديث رقم ٢٠١٨ ، قال ابو عيسي : حديث حسن غريب .

(٢) سورة النجم : الآية ٣٢ .

(٣) سورة يوسف : الآية ٥٥ .

(٤) سورة القصص : الآية ٢٧ .

إن القليـــل من الكلام بأهله *** حسَنٌ وإنْ كثيرهُ ممقوتُ
مازلَّ ذو صمْـتٍ ومامِنْ مكثرٍ *** إلا يزلَّ ومايُعَابُ صموتُ
إن كان ينطق ناطقاً من فضة *** فالصمت در زانه ياقوت.[1]

* ومن آداب الحديث أنه إذا استمع إلي رجل يحدث فلينصت له بإهتمام ، وإن كان هذا الحديث قد عرفه أو سمعه منه من قبل ، وأن يكون صادقاً عاملاً بقوله .

ذكر الماوردى فى كتابه أدب الدنيا والدين متحدثاً عن آداب الكلام فقال :(ومن آدابه أنه إن قال قولاً حققه بفعله وإذا تكلم الكلام صدقه بعمله ، فإن ارسال القوم إختيار ، والعمل به إضطرار ، ولأن يفعل مالم يقل أجمل من أن يقول مالم يفعل . وقال بعض الحكماء : أحسن الكلام مالا يحتاج فيه إلي الكلام أى يكتفى بالفعل من القول) .[2]

* عدم مقاطعة أحد أثناء الحديث أو تصحيح كلامه أو السخرية منه . والتحرى دائماً بقول الصدق فى الحديث ، لأن الصدق يهدى إلي البر والكذب يهدى إلي الفجور ، قال الشاعر :

والصدق يألفه الكريم المرتجي *** والكذب يألفه الدنئ الأخيب .[3]

* أن يجتنب أمثال العامة والغوغاء ، ويتخصص بأمثال العلماء والأدباء .

* ومنها ألا يرفع بكلامه صوتاً منكراً ، قال تعالي : « **واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** » .[4]

بين الطبرى عند تأويله لهذه الآية مامعناه أخفض من صوتك فأجعله قصداً إذا

---

(١) ديوان الإمام على كرم الله وجهه ، تحقيق : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، ص ٥٤ ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٧٣ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ، شرح وتقديم مهدى محمد ناصر ص ١٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ،

(٤) سورة لقمان : الآية ١٩ .

تكلمت ، لإن أقبح الأصوات صوت الحمير ، فلو كان رفع الصوت فيه خيراً ماجعل للحمير .[1]

قال صاحب الظلال : (والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس ، واطمئنان إلي صدق الحديث وقوته ، ومايزعق أو يغلظ فى الخطاب إلا سيئ الأدب ، أو شاك فى قيمة قوله ، أو قيمة شخصه ، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق) .[2]

هذا ولقد ذكر العلماء آفات اللسان وهى فى حد ذتها آداب للحديث والكلام ، فعلي المسلم أن يبتعد عنها حتي يكون كلامه حق يرضى الله ورسوله والمؤمنين ، وحتي يكون كلامه مهذباً طيباً مقبولاً لدي الناس ، لأن أكثر الناس يكبوا علي وجوههم ومناخرهم يوم القيامة من حصائد ألسنتهم .[3]

ونختم حديثنا هذا بقول الشافعى رضى الله عنه فى آفة اللسان وفى فضل الصمت إذا كان الكلام فيه حشو فلا خير فيه :

إحفظ لسانك أيها الإنسان *** لايلدغنك إنه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه *** كانت تهاب لقاءه الأقران [4]

لا خير فى حشو الكلام *** إذا اهتديت إلي عيونه

والصمت أجمل بالفتي *** من منطق فى غير حينه [5]

فهذه باقة من الآداب الإسلامية الخاصة التى شخص الفرد المسلم مع نفسه ، فعلي كل فرد فى المجتمع الإسلامى أن يتأدب بها ، ليصبح الفرد والمجتمع متميزاً عن باقى المجتمعات الأخري ، ولهذا المبحث شروح مطولة وقد إكتفينا بعضر بعض الآداب التى ينبقى علي المسلم تعويد نفسه عليها حتي تصبح هذه الآداب راسخه فى نفسه ومطبقها فى حياته اليومية .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١١/٧٦ – ٧٧ .

(٢) تفسير ظلال القرآن ٦/٤٨٧ ، التحرير والتنوير ٢١/١٦٨ .

(٣) راجع كتاب الإحياء للغزالى ٣/٩٢ –١٤١ ، كتاب آفات اللسان ، ومختصر منهاج القاصدين ص ١٦٢ – ١٧٧ .

(٤) الأقران : الشجعان . انظر : مختار الصحاح ص ٢٢٢ .

(٥) ديوان الامام الشافعى ص ٨٢ / ٨٦ .

المبحث الثاني
الآداب داخل الأسرة

المبحث الثاني

الآداب داخل الأسرة

أولاً : آداب خاصة بالرجل نحو زوجته :

لقد رفع الإسلام المرأة من ظلمات الجهل والهمجية إلي النور ، فجعلها سعيدة فى أسرتها وفى بيتها وفى مجتمعها ، وساواها بالرجل فى الحرية والحقوق ، لها ماله وعليها ما عليه ، قال تعالي : « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** » .(١)

وقال عز وجل : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة .... ** » .(٢)

قال الشوكانى فى تفسيره : إن من علامات الله ودلالاته الدالة علي البعث أن خلق لكم من جنس الإنسانية والبشرية زوجات لكم ، لتألفوها وتميلوا إليها ، فإن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما للآخر ولايميل قلبه إليه ، وجعل من هذه الزوجات وداداً أو تراحماً بسبب عصمة النكاح ، يعطف بعضكم علي بعض من غير أن يكون بينكم قبل ذلك معرفة فضلاً عن مودة ورحمة ، قال مجاهد : المودة الجماع والرحمة الولد ، وقال غيره : المحبة والشفقة ، فالرحمة والمودة تبعث علي حسن المعاملة .(٣)

فلقد كان من حكمته تعالي ومن رحمته بنا أن خلق لنا أزواجاً من أنفسنا نسكن إليها ونطمئن بوجودها ، وجعل المودة والرحمة أساس كل علاقة بين الزوجين ، حتي يقوم عليها التعاون لما فيه خير للأسرة . ولكل من الزوجين حقوق وواجبات ، ونجد

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٢) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٣) انظر : تفسير القدير ٢١٩/٤ ، وفى الظلال٤٤٨/٦ ، وتفسير التحرير والتنوير ٢١/ ٧١ – ٧٢ .

بعض هذه الحقوق التى بين الزوجين هى فى حد ذاتها آداب إسلامية ، أقرها الإسلام وبينها لأن الزوجين بمثابة النواة الأولي للمجتمع المسلم المستقر.

ومن أهم هذه الحقوق : -

النفقة : فقد فرض الإسلام للزوجات حقاً علي الأزواج ، منها النفقة التى يلتزم بها عند ممارسة الحياة الزوجية بينهما ، فعليه أن ينفق بإعتدال حسب العادة والبيئة ، ولايميل إلي الإسراف والتبذير أو إلي التقتير ، فلا يحمل نفسه فوق طاقتها . قال تعالي مبيناً حقوق الزوجة من سكن ونفقة : « **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وأن تعاسرتم فسترضع له أخرى * لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله** ... » .[1]

ومنها التعليم

فالمرأة قد تحتاج إلي تعليم لمعرفة أحكام دينها ، من طهارة وحيض ونفاس وصلاة وصيام ، فعلي الزوج أن يعلمها هذه الأحكام .

ومنها العدل

فمن تزوج بأكثر من واحدة فعليه أن يعدل بينهن ، وقد تكلمنا عن هذه المسألة فى الحديث عن العدل بين الزوجات فى الفصل الثالث من هذه الرسالة .[2]

ومنها المعادلة الحسنة

فالشرع يوجب علي كل رجل أن يعاشر زوجته معاشرة حسنة ، فلا يسيىء إليها بلسانه أو بفعله ، ولا يظلمها ولايحقرها، قال تعالي : « ... **وعاشروهن بالمعروف** .... » .[3]

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ٦ – ٧ .

(٢) انظر : ص ٥٠ – ٥٢ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٩ .

أي يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم ، وذلك بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن بالمعروف ، والقصد من كلمة المعروف هو ماتعرفه المرأة ولا تستنكره ، وما يليق به وبها بحسب طبقتهما فى الناس ، فيجب أن يكون كل من الزوجين مدعاة لسرور الآخر وسبب هنائه وسعادته فى معيشته ومنزله .(١)

فلا بد أن يحسن الزوج العشرة مع زوجته ، لأن ذلك أمر ربانى بنص الآية ، والإسلام أمرنا أن نحسن إلي أزواجنا علي لسان الرسول بأن نستوصي بهن خيراً ، لأنهن عندنا عوان .

وقال تعالي فى النهى عن إيذائهن بالقول الفاحش والفعل البغيض لهن : « **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً** » .(٢)

يقول صاحب تفسير المنار : « فلا تبتغوا عليهن سبيلاً » أى لا تطلبوا طريقاً للوصول إلي إيذائهن بالقول أو الفعل ، أى لاتظلموهن فى ذلك ، « إن الله كان عليا كبيرا» فإن سلطانه عليكم فوق سلطانكم علي نسائكم ، فإذا بغيتم عليهن عاقبكم ، وإذا تجاوزتم عن هفواتهن كرماً وشيماً تجاوز عنكم) .(٣)

وهنالك من الأحاديث الكثيرة التى حثت علي حسن معاملة المرأة نذكر منها : [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم] .(٤)

وبالمقابل علي الزوجة أن تعامل زوجها بالمعاملة الحسنة التى أمرها بها الشرع .

* **ومنها حسن الخلق** ويعنى ذلك أن تكون الزوجة طليقة الوجه مستبشرة ، قصيرة اللسان عن السب والشتم ، لاتطالب الزوج بما لايطيق . وان تعمل جاهدة علي أن تكفل لزوجها الهدوء والراحة والطمأنينة والإستقرار .

---

(١) انظر : موجز منتخب لتفسير القرآن ، يحي احمد الدرديرى ، ٢٢٤/١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٣) انظر : تفسير المنار ٧٧/٥ .

(٤) سنن الترمذى ٤٤٦/٣ ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء فى حق المرأة علي زوجها ، حديث رقم ١١٦٢ . قال ابوعيسي : حديث حسن صحيح .

ومنها طاعة الزوج :

جعل الله سبحانه وتعالي القوامة للرجال علي نسائهم ، قال تعالي : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ...** » .(١)

إن دستور البيت وتنظيم السلطات فيه تستدعى توحيد القيادة ، وذلك منعاً لتنازع القيادة والرأي والإتجاه ، والمجتمع شركة لا بد فيها من مدبر ، فمن يكون المدبر فى المجتمع ؟ إن المرأة بحكم وظيفتها مشغولة بالمحضن الذى ينشىء جيل المستقبل ، وبرغم هذه الوظيفة لا تظل المرأة محجوبة عن المجتمع وما يجرى فيه ، ومع ذلك لا بد وأن تكون القوامة فى هذه الشركة للرجل ، لأن وظيفته تقتضى أن يلابس المجتمع فى معظم أوقاته ، فيتعرف علي مداخله ومخارجه . كما أن قدرته وأفكاره أكثر من عواطفه وإنفعالاته ، وقد فضل فى الميراث لما عليه من تبعات ، وفضل فى الغنيمة لمشاركته فى الجهاد . وألزم فى مقابل هذا بفرائض للمرأة من المال ، فلكل هذا علي المرأة أن تطيع زوجها ، لأن طاعتها له إرضاء لله عز وجل .(٢)

فعلي الزوجة أن تطيع زوجها فى كل ما يطلبه منها من غير معصية قال : [إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها أدخلى من أى أبواب الجنة شئت] .(٣)

ومنها أن تلبي رغبة الزوج

فإذا دعي الرجل زوجته لحاجة فعليها أن تلبى رغبته ، قال : [إذا دعا الرجل زوجته لحاجة فلتأته وإن كانت علي التنور(٤)] (٥) وعليها أن تكون نظيفة وأن تتخلق بأخلاق وآداب(٦) :

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ .

(٢) انظر : موجز منتخب لتفسير القرآن يحيي أحمد الدرديرى ٢٤٧/٢ .

(٣) مسند أحمد ابن حنبل ١٩١/١ .

(٤) التنور : هو المكان الذى يخبز فيه وهذا فيه من الأهمية بأنه علي المرأة ألا ترفض طلب زوجها .

(٥) سنن الترمذى ٤٦٥/٣ ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء فى حق الزوج علي المرأة ، حديث رقم ١١٦٠ ، قال ابو عيسي : هذا حديث حسن غريب .

(٦) لمزيد من الفائدة راجع مختصر منهاج القاصدين ص ٨٠ ، آداب الجماع والمعاشرة .

* مثل عدم الخروج إلاّ بإذنه ، فعلي الزوجة أن تستأذن زوجها إذا أرادت أن تخرج ، حتي لا يلعنها كل ملك فى السماء . وكذلك عليها أن تستأذن زوجها إذا أرادت أن تصوم التطوع .

فعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال : [لايحل لأمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه] (١)، ومنها ألا تفشى سر زوجها وألا تشكوه لأحد خاصة الغريب.

* ومنها عدم التبرج . إذ لابد للمرأة أن تصون عرضها وعفتها ، فهذا أدعي للإبتعاد عن الفاحشة . وكذلك الأمر بالنسبة للزوج فعليه أن يعف عن الفواحش حتي تعف زوجته ، قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم *** وتجنبوا ما لا يليق بمسلم (٢)

وكذلك فعلي الزوجين أن يربيا أطفالهما تربية صحيحة علي النهج الاسلامى ، تربية قائمة علي الإيمان والتحلى بالأخلاق الفاضلة ، والآداب السامية التى حثنا عليها الإسلام لبناء مجتمع صالح قوى متماسك .

ثانياً : آداب معاملة الوالدين :

أ - آداب الأبناء مع الآباء

إن الله سبحانه وتعالي أوجب أن نعامل الوالدين معاملة تختلف عن معاملة أى شخص آخر. قال تعالي : « **وقضى (٣) ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أ (٤) ولا تنهرهما (٥) وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل**

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢٠٦/٩ ، كتاب النكاح ، باب لا تأذن المرأة فى بيت زوجها لأحد إلا بإذنه .

(٢) ديوان الإمام الشافعى ص ٩٤ .

(٣) **قضي** : حكم .

(٤) **أف** : كلمة تدل علي الضجر وعدم الرضا .

(٥) **تنهر** : تزجر وتعنف وتشتدفى المعاملة ، والله منع كل ذلك فى حق الولدين .

من الرحمة [1] وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .[2]

ذكر الرازى فى تفسيره أن الله تعالي ذكر فى الآية الأعمال المشتملة التى بواسطتها يحصل علي الفوز بسعادة الآخرة . فذكر من جملتها البر بالوالدين ، وذلك يدل علي أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التى تقود العبد إلي سعادة الآخرة ، وقدم لفظ الوالدين علي الإحسان للدلالة علي شدة الإهتمام ، فإذا بلغ أحدهما الكبر أو كلاهما دلالة علي حالة ضعفهما وعجزهما ، فلا تقل لهما أفٍ ، أى لاتضجر ولاتتعذرهما ، كما أنهما لم يتقذراك حين كنت تبول وحين تنبعث منك رائحة كريهة . وهذا اللفظ يدل علي المنع من سائر أنواع الإيذاء ، ولا تستقبلهما بكلام فيه زجر لهما ، وهذا فيه من المنع بإظهار المخالفة فى القول علي سبيل الرد أو التكذيب عليهما ، وقل لهما كلاماً طيباً حسن .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو أن يقول لهما يا أبتاه ويا أماه ، وقيل ألا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما بنظرة احتقار أو تمعض ، وتواضع لهما وأدعو لهما بالرحمة واحسن إليهما كما أحسنوا لك فى الصغر.[3]

وقال تعالي : « ... **أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير** »[4] وفى سورة اخري قال تعالي: « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ...** » .[5]

ومن الآيات الكريمة السابقة يتضح أن علي الأبناء أن يحسنوا إلي الوالدين ، وأن يبروهم ويشكروهم بالعطف عليهم ، وأن يتكلموا مع والديهم بلطف وحنان وأدب ، وأن يتجنبوا كل ما فيه سخطهم أو عقوقهم ، وألا يتضجروا فى وجوهم ، فالله سبحانه

---

(١) **اخفض لهما جناح الذل من الرحمة** : كن رحيماً ومطيعاً لهما .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣ – ٢٤ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازى ١٨٧/٢٠ وما بعدها .

(٤) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٥) سورة النساء : الآية ٣٦ .

وتعالي أكد فى الآيات السابقة علي ألا ننسي مآثرهما ، ولا نستطيع أن نقوم بواجبهما مهما فعلنا ، لما لقياه من متاعب وشدائد فى تربية ورعاية وإنفاق .

كما بين سبحانه وتعالي طريقة من طرق برهما والإحسان إليهما ، فنهانا أن نقول لهما (أف) لأن معناها يدل علي التضجر والسخط والتألم من خدمتهما ، والواجب أن نرفق بهما ونقابلهما بوجه بشوش دائماً ، فالله سبحانه وتعالي أتي بهذه الكلمة المكونة من حرفين ، حيث إنها كبيرة وخطيرة فى معناها ، والله عز وجل الحكيم قد وصي الأبناء ولم يوصى الآباء ، لأنه عالم بالسر وما يخفي ، عالم بسرائر الآباء لما لهما من العاطفة والحنان بخلاف الأبناء .

ثم بين عز وجل نوعاً من الخطأ الفاحش وهو أشد من التأفف ، وهو نهر الوالدين وزجرهما بالقول الغليظ ، فأمر الأولاد أن يتجلموا بالقول الحسن نحو آبائهم ، لما فيه من حسن الأدب والمجاملة والرعاية للوالدين .

وإجمالاً لما سبق نبين بعض الآداب الإسلامية الهامة مع الوالدين ومنها:

* البر والإحسان إليهما وصية من الله فى حقهما ، وقرن ذلك بعبادته تعظيماً لشأنهما وتكريماً لقدرهما . وذلك بنص الآية الكريمة : وقوله تعالي : « **ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ...** »[1] « **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ...** ».[2] ولما جاء عن رسول الله عندما جاءه رجل قال له : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : [أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك ثم أدناك].[3]

* ومنها رد السلام عليهما عند الخروج وعند الدخول وتقبيل يديهما . وتعظيم شأنهما وتكريم مقامهما ، والوقوف لهما إحتراماً عند دخولهما . وتلبية ندائهما والمسارعة لقضاء حوائجهما ، وإطاعة أمرهما وتنفيذ وصيتهما وعدم الإعتراض لقولهما ، إلا أن كان هنالك معصية فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

---

(١) سورة الأحقاف الآية ١٥ .

(٢) سورة الإسراء: الاية ٢٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠٢/١٦ ، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

قال تعالي : « **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** » .(١)

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة أنها نزلت فى سعد بن أبى وقاص وكان باراً بأمه ، فلما أسلم قالت له سأمتنع عن الأكل والشرب ما دمت علي هذا الدين حتي أموت فتعيربى فيقال يا قاتل أمه ، فرد عليها أن لا تفعل ذلك لأنه لايدع دينه ، فمكثت فى ذلك حتي جهدت واشتد جهدها ، فقال لها : والله يا أمى لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفساً ما تركت دينى ، فلما رأت ذلك أكلت فأنزل الله هذه الآية .(٢)

فسر ابن كثير هذه الآية فيما معناه ، أن الله سبحانه وتعالي يوصى الأبناء بآبائهم ، وأردف بعد ذلك عز وجل بذكر الأم لما يحصل لها من ضعف علي ضعف وجهد علي جهد فى الولد ، أى فى فترة الحمل والولادة وفى تربيته وإرضاعه بعد وضعه فى عامين ، وإنما يذكر تعالي تربية الوالدة وتبعها ومشقتها فى سهرها ليلاً ونهاراً ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليها ، كما قال تعالي : « ... **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** » (٣) ولهذا قال الله بأنه سيجزى أوفر الجزاء علي ذلك .(٤)

* ومنها إدخال السرور علي قلبيهما بالإكثار من برهما ، وتقديم الهدايا لهما والتودد لهما بكل ما يحبانه ويفرحان به ، وأن يحافظ علي أموالهما ومتاعهما ، وأن يحافظ الأبناء علي سمعة آبائهما ، والحذر من التسبب فى شتمهما ، وذلك بأن يسب أحداً فسيب أباه وأمه ، فهذا من أكبر الكبائر ومن ظلم الأبناء للآباء .

(١) سورة لقمان : الآيتان ١٤ - ١٥ .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ص ٢٣٦ ، والدر المنثور للسيوطى ١٦٥/٥ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٢٤ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤٤٥/٣ .

فعن عبدالرحمن بن عمرو قال : قال رسول الله : [إن من أكبر الكبائر أن يعلن الرجل والديه]، قالوا يارسول الله وكيف يلعن الرجل أبويه ؟ قال : [يسب الرجل الرجل فيسب أباه ويسب الرجل أمه فيسب أمه] .(١)

هذا من التسبب فى لعنة الوالدين ، فما أدراك اليوم ما هو حاصل من اللعن المباشر والعياذ بالله، بل الضرب والشتيمة والطرد من المسكن من أبناء عاقين لآبائهم والعياذ بالله .

* ومنها كذلك عدم مقاطعتهما فى كلامهما أو أن يجادلا ويعاندا ، أو أن يسخر منهما والضحك عليهما أو الضحك فى حضرتهما ففى كل ذلك من سوء الأدب ، وكذلك تجنب أن تمد اليد إلي الطعام قبلهما أو الأستئثار بالطيبات من دونهما ، ولا يستقبح بشيء منهما عند كبرهما أو مرضهما .

* ومنها عدم المشى والتقدم أمامهما ، أو الدخول أو الخروج والجلوس قبلهما ، ولا يناديهما بإسمهما، وألا يرفع صوته أمامهما ولين القول لهما ، وتجنب رفع الصوت فوق صوتهما . فلقد كان أحد العلماء الصالحين إذا حدث أمه يحدثها بصوت منخفض ، حتى يظن من رأه أنه مريض ، وحدث أن أحد تلاميذ هذا العالم الصالح نادته أمه فعلا صوته صوتها فخاف وأعتق رقبتين .(٢)

* ومنها إستشارتهما فى جميع الأمور والإستفادة من خبراتهما فى الحياة وقبول نصائحهما. والإكثار من الدعاء لهما والإستغفار لهما والإكثار من زيارة قبرهما إن توفيا والترحم عليهما دائماً ، والعمل بوصيتهما ، وصلة أرحامهما وخدمة أحبابهما من بعدهما ، فعن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله إذ جاء رجل من بنى سلمة ، فقال يارسول الله هل بقى من بر أبوى شيئاً أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : [نعم الصلاة عليهما – الدعاء لهما بالنعيم

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٢٣٦ ، وانظر : مسند أبى داود ٤/٣٣٨ ، كتاب الأدب ، باب بر الوالدين ، حديث رقم ٥١٤١ .

(٢) انظر : رسالة المسترشدين للمحاسبى ص ٤٠ ، والعالم الصالح هو محمد ابن سيرين وتلميذه عبدالله بن عون البصرى .

والقبول – والإستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لاتصل إلا بهما وإكرام صديقهما] (١) (٢)

آداب الآباء مع الأبناء

إن من النعم التى أسبغها الله علي عباده أن قذف فى قلوب الآباء محبة فطرية لأبنائهما ، لذلك لم يوصى الله فى كتابه العزيز الوالدين ، ولكنه أوصي الولد بوالديه ، فالوالدين بطبيعتهما يحبان الخير لأبنائهما . ولكن مع ذلك ينبغى أن يكون فى علم الوالدين أن هؤلاء الأبناء أمانة فى أعناقهم أودعها الله لهما ، فيجب عليهما المحافظة عليهما ، وأن يراعوهم ويأدبوهم بآداب الشرع الحنيف ، فمن آداب الوالدين لأولادهم أن ينشؤوهم علي الدين والفضيلة بالأمر الحسن وليس بالشدة ، وأن يعلموهم الصلاة ويفرقوا بينهم فى المضاجع ، ويضربوهم علي الصلاة فى سن العاشرة ، وأن يغرسوا فى قلوب أولادهم حب الله وخوفه والرغبة فى ثوابه والرهبة من عذابه .

وعلي الآباء أن يحسنوا فى إختيار أسماء أبنائهم بعد الولاده ، ويؤذنون فى أذانهم ، بالأذان فى اليمني والإقامة فى اليسرى ، وأن يختنونهم وأن يعقواعنهما شاتين إذا كان المولود ذكراً وشاه إذا كانت المولودة أنثي ، قال : [إنكم تدعون يوم القيامة بإسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم] . (٣)

وعلي الآباء أن يأدبوا أولادهم ويعلموهم التعليم النافع ، وأن يحثوهم علي مكارم الأخلاق ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى قال : [أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم] (٤) وينبغى علي الوالدين عامة والأم خاصة تعليم البنت حسن

---

(١) سنن ابى داود ٣٣٩/٤ ، كتاب الأدب ، باب فى بر الوالدين ، حديث رقم ٥١٤٢ ، ومسند أحمد بن حنبل ٤٩٨/٣ .

(٢) ولمزيد من الفائدة : أنظر بداية الهداية ، لأبى حامد الغزالى ص ١٤٢ ، ومنهاج العابدين ، لأبى حامد الغزالى ص ٧٨ – ٧٩ ، وآداب المعاملة فى الإسلام ، عبده غالب غيسي ص ٨١ – ٩٦ ، دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولي . ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

(٣) سنن أبى داود ٢٨٩/٤ ، كتاب الأدب ، باب فى تغيير الأسماء ، حديث رقم ٤٩٤٨ .

(٤) سنن ابن ماجه ١٢١١/٢ ، كتاب الأدب ، باب بر الوالد والإحسان إلي البنات ، حديث رقم ٣٦٧١ .

المعاشرة والأدب مع الزوجة وطاعته إذا تزوجت ، وعلي الأباء أن يساووا بين أبنائهم ويعدلوا بينهم فى الحقوق والواجبات .

وهذه باقة من الآيات الكريمة التى تحث علي أدب الآباء لأبنائهم ، قال تعالي علي لسان سيدنا لقمان لإبنه وهو يعظه : « **يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ». (١)

جاء فى تفسير ظلال القرآن بأن السياق يمضى فى حكاية قول لقمان لإبنه وهو يعظه ، ويرسم له طريق العقيدة المرسوم ، وتوحيد الله والشعور برقابته والتطلع إلي ما عنده ، والثقة فى عدله والخشية من عقابه. وكل ذلك يتأتي فى إقامة الصلاة علي حقيقتها ، لأنها هى عمود الدين فمن هدمها هدم الدين . ثم ينتقل عليه السلام إلي دعوة الناس وإصلاحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ثم يعلمه الصبر علي ما يصب الداعية إلي الله ، فإن هذه الأشياء إن أصلح فيها نفسه وأصلح بها غيره فهى من الأمور الشديدة التى يتمسك بها الإنسان الصالح . (٢)

وفى نهاية هذا المطلب نذكر ما قاله الإمام علي بن أبى طالب رضى الله عنه فى الحض علي تأديب الأولاد:

حرض بنيك علي الآداب فى الصغر ** كيما تقر بهم عيناك فى الكبرِ
وإنما مثل الآداب تجمعها ** في عنفوانِ الصبا كالنقش فى الحجرِ
هى الكنوز التى تنمو ذخائرها ** ولايخاف عليها حادثُ الغيرِ
إنّ الأديب إذا زلت به قدم ** يهوي إلي فرش الديباج والسررِ (٣)

ثالثاً : آداب المعاملة بين الإخوة

إن الإخوة من ثمرات الوالدين ، فهم أقرب الناس من جهة الأرحام ، وألصقهم

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٧ .

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ٤٨٧/٦ .

(٣) ديوان الإمام على كرم الله وجهه ص ٧٥ .

بالنفس ، وأحبهم إلي القلب ، فهم الذين يقضى الإنسان معهم طيلة حياته وخاصة عهد الطفولة والشباب . فالله سبحانه وتعالي نهي عن قطيعتهم والإساءة لهم : « **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** » .[1]

قال صاحب تفسير إرشاد العقل السليم فى تفسيره لهذه الآية . « أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، تناحراً علي الملك وتهالكاً وراء الدنيا ، فإن من شواهد أحوالكم الدالة علي الضعف فى الدين والحرص علي الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن إحراز كل خير ودفع كل شر وفساد، وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم وصرتم أمرين ماذكر من الإفساد وقطع الأرحام ، وقيل إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلي ما كنتم عليه فى الجاهلية من الإفساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضاً ووأد البنات) .[2]

فى الآية الكريمة قرنت قطع الأرحام بمن يفسد فى الأرض ، الذين لعنهم الله وصم أعينهم وأعمي أبصارهم ، ومن قطيعة الرحم قطيعة الإخوة سواء أخوة الدم أو أخوة الدين و فلنرجع عن قطيعة الرحم حتي يتغمدنا الله برحمته ، وحتى يتكاتف المجتمع قوة وترابط .

ومن آداب الإخوة في معاملتهم :

* حسن الخلق فى معاشرتهم ، والتحلى بالتواضع ، وخفض الجناح ، والإيثار والخدمة والمحبة والتعاون وإنكار الذات .

* احترام الإخوة الكبار وتوقيرهم ، والعطف علي الصغار والتراحم فيما بينهم والعناية والحنان ،قال : [ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا] .[3]

(١) سورة محمد : الآيتان ٢٢ – ٢٣ .

(٢) تفسير أبى السعود ٨/ ٩٨ .

(٣) سنن الترمذى ٤/٢٨٣ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى رحمة الصبيان ، حديث رقم ١٩١٩ . قال ابوعيسي : هذا حديث غريب .

* ومنها معاملة الإخوة والأخوات عموماً بالعطف والإحسان واللين عند مخاطبتهم . والإبتداء بالسلام عليهم ، ومصافحتهم والبشاشة فى وجوههم ، ومراعاة شعورهم فى الأفراح والأطراح ، وعدم الأكل أمام الصائمين منهم إذا كان له عذر فى الإفطار ، وعدم الصخب وهم نائمون ، وشكرهم علي معروفهم وإسداء النصيحة لهم ودعوتهم إلي الخير بالحكمة والموعظة الحسنة . وعدم إيذائهم باللسان بالسب أو باليد أو بمزح يجرح شعورهم .

* ومنها ومراعاة الحشمة والأدب فى اللباس وخاصة عند إختلاف الجنسين ، وغض البصر عن النقائص والعورات .

ونلحق بهذه الآداب ، آداب الإخوة عامة وآداب الصحبة لأنهما مترابطتان مع بعضهما البعض .

فالواجب علي المسلم أن يقوى رابطة الأخوة مع إخوانه فى المجتمع الإسلامى ، وذلك بالنظر فى حقوقهم الواجبة عليه ، ومن هذه الآداب التى يجب أن يتأدب بها الأخ نحو أخيه :

* أن يتخذ أخاً نقياً طاهراً ، لأن الفاسق لايؤمن جانبه ، فمن لايخاف الله لايخاف غيره ، وفى الحديث الشريف الذى رواه أبوسعيد الخدرى قال : قال رسول الله : [لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى]. (١)

وقال الامام على رضى الله عنه :

وكل مودة لله تصفو *** ولا يصفو مع الفسق الإخاء
وكل جراحة فلها دواء *** وسوء الخلق ليس له دواء (٢)

* ومنها أن يكون الصاحب أو الأخ ملازماً لكتاب الله وسنة رسوله ويكون حسن الخلق ويكون عاقلاً.

(١) المرجع السابق ، ٥١٩/٤ ، كتاب الزهد ، باب ما جاء فى صحبة المؤمن ، حديث رقم ٢٣٩٥ . قال ابوعيسي : هذا حديث حسن ، ومسند أحمد بن حنبل ٣٨/٣ ، وسنن ابوداود ٢٦٠/٤ ، ٢٦١ ، كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس ، حديث رقم ٤٨٣٢ .

(٢) ديوان الإمام على رضى الله عنه ص ٢٦ .

* ومن آداب الصحبة أيضاًحسن الخلق مع الإخوان والأقران والأصحاب ، وستر عيوبهم وعدم طلب عثراتهم ، والعفو عن زلاتهم ومشاورتهم والإستغفار لهم .

قال تعالي : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضُوا من حَولك فاعْفُ عنهم واستغفر لَهم وشاوِرهم في الأَمر فإذا عزمتَ فتوكل على اللهِ إنّ الله يحبّ المتوكلين** » (١)

جاء فى تفسير هذه الآية ، أنها لفتة من الله عز وجل إلي رسوله الكريم ، بأنه أودع فى قلبه الرحمة بالمؤمنين ، ليكون فيهم الأب الحنون والودود ليرعي أبناءه ويسدد خطاهم ، ويتقبل من محسنهم ، ويعفو عن مسيئهم . فهكذا كان النبى فى مجتمع المسلمين ، بسبب ما أودعه الله فى قلبه من الرحمة . فلو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله ، فهذا كشف للطبيعة البشرية بأن الناس يألفون من يألفهم ويحسن إليهم ويلقاهم بالصفح الجميل ، فإن حدة الطبع وشراسة الخلق وغلظة القلب لايقيل عثرة ولايغفر زلة ، بل يجد من الناس المقت والنفور ، فلابد من جميل حسن الصحبة أن يعفو الأخ عن أخيه ويشاوره فى الأمر ، حتى يشعره بمنزلته ومكانته ، ثم يتوكل علي الله فى أمره . (٢)

وفى ذلك قال الإمام على رضى الله عنه فى العفو والصفح عن زلات وهفوات الأصحاب :

ألبس أخاك علي عيوبه *** وأستر وغطي علي ذنوبه (٣)

* الحذر من صحبة الجهال لأنه لاخير مرجو منهم ، قال الأمام على بن أبى طالب رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل *** وإياك وإياه

فكم من جاهل أردي *** حليماً حين آخاه

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٢) انظر : التفسير القرآنى للقرآن ، عبدالكريم الخطيب ٤/٦٢٧ – ٦٢٨ .

(٣) ديوان الإمام على رضى الله عنه ص ٣٨ .

يُقاس المـــرء بالمـــرء *** إذا ماهـــو ماشـــاه
وللقلـــب علـــي القلـــب *** دليـــل حـــين يلقـــاه
وللشـــيء مـــن الشئ *** مقاييـــسٌ وأشبـــاه
وفـــي العين غنـــي للعين *** إن تنطـــق أفـــواه [1]

* ومنها أن لا يحسد إخوانه علي ما يري عليهم من آثار نعمة الله بل يفرح لذلك ، قال تعالي : « **ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** ... » [2]

جاء فى تفسير البيضاوى : « أم يحسدون الناس» ، بل يحسدون رسول الله وأصحابه والعرب والناس جميعاً ، لأن من حسد علي النبوة فكأنما حسد الناس كلهم) . [3] فالآية تنهي عن الحسد فى عموم الناس ، فهو مدعاة إلي البغضاء والعدوان وغيرهما من الأخلاق الذميمة التى تؤدى إلي تفتيت قوة المجتمع . لذلك نهي الإسلام عنه نهياً قاطعاً .

وقال : [ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا] . [4]

* وكذلك من آداب الأخوة والصحبة إحتمال الأذي عن الإخوان ، والزود عنهم والإنتصار لهم ، وتحمل الأذي ، وقلة الغضب وإيثارهم علي نفسه وترك مداهنتهم . قال تعالي : « .... **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ... » . [5]

* ومنها أن يدعوا له بالخير بظهر الغيب ، وأن لا يكلفه ما يصعب عليه من الأعمال ، وأن تكون صحبتهم وصداقتهم قائمة علي الوفاء والإخلاص . فمن وفاء

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٧ .
(٢) سورة النساء : الآية ٥٤ .
(٣) تفسير البيضاوى ص ١١٥ .
(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/ ٤٨١ ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٢ / ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٣١٢ ، ٣٦٠ ، ٣٩٤ .
(٥) سورة الحشر : الآية ٩ .

الإخوة والصداقة ألا تتغير بتغير الأحوال من فقر أو مرض . هذا ولا ينبغى أن يعاون الصديق صديقه علي معصية وقد نهي الله ورسوله عنها قال تعالي : « **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** » . (١)

* ومنها كذلك أن نتواضع لهم ولانستكبر عليهم ، ونصون أعراضهم ، ونفى بوعودهم ، ولا نظن بهم ظن السوء .

* ومنها أنه إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه أنه يحبه ، فإن عاطفة الإخوة مقيدة بتقوي الله ، ولا يمكن أن نتجاهل هذه الغريزة التى فطرنا الله عليها ، ومما يزيد هذه الغريزة ويزيد المحبة بين المتآخين إشعارهم بذلك ، فقد روى أن رسول الله قال : [إذا أحب الرجل آخاه فليخبر أنه يحبه] .(٢)

* وكذلك منها أن يعوفه إن كان مريضاً ، وإن تُوفي فعليه أن يشيع فى جنازته ، وأن يعود أولاده بعد ذلك ، وأن يعطف عليهم ويبرهم هذا وقد أوجز أحد الصاحلين هذه الآداب وهو يعظ ولده ويوصيه بإختيار الأصحاب فقال : (يا بنى إذا عرضت لك علي صحبة الرجال حاجة فأصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن قعدت بك فاقة أعانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأي سيئة سدها ، إصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت إبتداك ، وإن نزلت بك نازلة واساك ، إصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن تنازعتما شيئاً آثرك) .(٣)

---

(١) سورة الزخرف :الآية ٦٧ .

(٢) أخرجه أبوداود فى سننه ٥/٣٤٤ ، كتاب الأدب ، باب إخبار الرجل بمحبته إياه ، حديث رقم ٥١٢٤ ، والإمام أحمد فى مسنده ٤/١٣٠ ، والمستدرك علي الصحيحين للإمام الحافظ أبى عبدالله الحاكم النيسابورى ٤/١٧١ ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبى ، دار الكتاب العربى – بيروت .

(٣) بداية الهداية للغزالى ص ٦٩ ، ومنهاج المسلم لأبوبكر الجزائرى ص ١٢٢ ولمزيد من الفائدة راجع كتاب آداب الصحبة للإمام ابى عبدالرحمن السلمى (٣٣٠ هـ – ٤١٢ هـ) ، ص ٤٣ وما بعدها ، تحقيق وتعليق مجدى فتحى السيد ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، الطبعة الأولي ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، وإحياء علوم الدين للغزالى ٢/١٣٨ ، وما بعدها ، كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق . ومختصر منهاج القاصدين ص ٩٧ – ١٠٤ ، كتاب آداب الصحبة والأخوة ومعاشرة الخلق . والأخوة الإسلامية وآثارها ، عبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله ص ٣٦ –٣٧ ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة .

فالمجتمع الإسلامى مجتمع الأخوة الصادقة ، وقد عد بعض الباحثين [1] أن إحدي دعامات مجتمع المدينة فى عهد الرسول مبدأ الأخوة ، فلابد من أن نتمسك بهذا المبدأ ، ولابد أن نتأدب بآدابه حتى يصبح المجتمع متراحماً متعاطفاً ومتكافلاً يأخذ قويه بيد ضعيفه ، ويواس غنيه فقيره ، ليعيش أبناؤه فى مجتمع المحبة والرحمة والإخوة لا مجتمع التحاسد والتباغض والأنانية .

مما سبق يتبين أن الإسلام قد وضع هذه الآداب والمبادىء العلمية والوسائل الإيجابية ليكفل توثيق عري المحبة وتعميق روح الأخوة ، فإن أخذ بها المتآخون فى الله وعملوا بمقتضاها زادت أخوتهم علي مر الأيام إرتباطاً وتوثيقاً .

---

(١) محمد لقمان الدووى ، رسالة دكتوراه بعنوان مجتمع المدنية فى عهد الرسول .

المبحث الثالث

الآداب مع الغير (آداب الصلة)

المبحث الثالث

الآداب مع الغير (آداب الصلة)

إن طبيعة الإنسان وغريزته تميل دائماً إلي الإجتماع بالاخرين والتعاون معهم ، وإنشاء الصلات فيما بينهم وهذا ما حث عليه الإسلام فقد نظم هذه العلاقات والصلات الإجتماعية تنظيماً دقيقاً ، وحدد أنواع هذه الروابط وعدد الواجبات نحوها ، وقد جعل أقرب هذه الصلات ماكان بين الفرد وأسرته ، من علاقة بين الأزواج وبين الفرد مع والديه ومع الأخوة كما بينا فى المبحث السابق ، فكانت هذه العلاقات فى المجتمع الإسلامى قائمة علي الحب والإحترام المتبادل علي البر والطاعة والرعاية الحسنة، من عطف ومساواة ، ثم الصلة مع الأخوة القائمة علي الإحترام والعطف . كذلك عمق الإسلام الصلة بين الأقارب والأرحام ، فأمر بصلتهم وزيارتهم ، وتوسعت هذه الصلات فى المجتمع الإسلامى إلي جميع أفراده . ومواضع الصلة كثيرة ، وقد مر بعضها فى فصول ومباحث سابقة. وفى هذا المبحث سنبين آداب الصلة وخاصة مع :

١ – الرحم ٢ – الجار ٣ – ومعاملة الصغير للكبير ، ومعاملة الكبير للصغير
٤ – معاملة اليتيم ٥ – ومعاملة العالم للمتعلم .

ا – الرحم[1] (الأقارب)

يلتزم المسلم نحو أقاربه وذوى رحمه بنفس الآداب التى يلتزمها لوالديه وولده وإخوته ، فيعامل عمته معاملة أمه ، وعمه معاملة والده ، وكذلك الأمر بالنسبة للخالة والخال . فكل من جمعتهم وإياه رحم واحد من مؤمن وكافر إعتبرهم الإسلام من ذوى الرحم ، الواجب صلتهم وبرهم والإحسان إليهم ، فيوقر كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ،

---

(١) الرَّحم : بفتح الراء مع التشديد وكسر الحاء والميم ، يقال ذو الرحم وهم الأقارب ، ويقع علي كل من يجتمع بينك وبينه نسب ، ويطلق فى الفرائض علي الأقارب من جهة النساء ، ومن هم لاتحل نكاحهم كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة . فالرحم إذن هو موضع تكوين الجنين ووعاؤه فى البطن والقرابة وأسبابها . أنظر : لسان العرب ٢٣٣/١٢ مادة رحم ، والكليات لأبى البقاء، ص ٤٦١ .

ويعود مريضهم ، ويواسى من أصابته مصيبة ، ويعزى ميتهم ، حتي وإن قسوا عليه لابد من إيصالهم ، وذلك تمشياً مع روح الإسلام ، وبما أمرنا به الله سبحانه وتعالي فى كتابه العزيز وحثنا عليه رسوله قال تعالي : « **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** » .(١)

قرن الله سبحانه وتعالي تقواه بوصل الرحم فمعني الآية أتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقد اتفقت الشريعة علي أن صلة الأرحام واجبة وأن قطيعتها محرمة ، وانتهي الحال بالعلماء أن يقولوا : إن ذوى الأرحام يتوارثون ويعتقون علي من اشتراهم من ذوى أرحامهم ، لحرمة الرحم وتأكيداً للبعضية .(٢)

وقال : [من سره أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له (٣) فى أثره (٤) فليصل رحمه (٥)] .(٦)

فهذا حديث يهدينا إلي حقيقة خالدة ، وهى أنه إذا أردنا أن نعيش حياة سعيدة مستمتعين فى الرزق ، فعلينا أن نصل الأقارب ونتودد لهم بالزيارات ، ونزور مريضهم ، ونقضى عنهم ديونهم ، ونساعد ما فى إستطاعتنا إبقاءاً علي صلة الرحم ، وإبتغاءاً لمرضاة الله عز وجل ، والإسلام دين التراحم أمرنا أن نصل أرحامنا حتي ولو كانوا مخالفين لنا فى ديننا .

---

(١) سورة النساء : الآية ١ ، وانظر سورة الأحزاب آية ٦ ، وسورة محمد الآيتان ٢٢ – ٢٣ وغيرهما من الآيات الكريمة التى تحث علي صلة الرحم .

(٢) انظر : أحكام القرآن لإبن العربى ٣٠٧/١ .

(٣) **ينسأ** : من النسيء ، أي التأخير والتأجيل ، يقال نسأت الشيء نسأ أخرته ، والنسأ يكون فى العمر والدين . انظر : النهاية فى غريب الحديث ٤٤/٥ .

(٤) **أثره** : من الأثر وهو الأجل ، وسمى به لأنه يتبع العمر . المرجع السابق ٢٣/١ .

(٥) **فليصل رحمه** : كناية عن الإحسان إلي الأقربين من ذوى النسب والأصهار ، والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا ، وقطع الرحم ضد ذلك كله . المرجع السابق ١٩١/٥ .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٢٩/١ ، كتاب الأدب ، باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم ، حديث رقم ٥٩٨٥ . وصحيح مسلم بشرح النووى ١١٤/١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ، ومسند أحمد بن حنبل ١٥٦/٣ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ .

ومن آداب صلة الرحم :

* زيارتهم بإستمرار والتفقد لأحوالهم ، وإدخال السرور عليهم قال تعالي : « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .... ** ». (١)

فالخطاب فى ذلك للنبى تهييجاً وإلهاباً لغيره من الأمة ، أو الخطاب لكل من هو صالح لذلك ، وحق ذوى القرابة هو صلة الرحم التى أمر الله بها مراراً ، ويكون من مظاهر الصلة الزيارة والتفقد لأحوالهم . (٢)

وقال تعالي : « **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ». (٣) ومنها إرشادهم بتعليمهم ونصيحتهم وتذكيرهم بالله ، وهذا يسهم إلي التمسك بالإسلام ومناهجه ، قال تعالي داعياً رسول الله : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » (٤) ومنها التصدق عليهم إن كانوا فقراء ، لما فى تلك من الأجر مرتين ، وذلك بأجر الصلة وأجر الصدقة ، قال : [الصدقة علي المسكين صدقه ، وهى علي ذى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة] . (٥)

* ومنها عدم مقاطعتهم وعدم مقابلة سيئتهم بمثلها ، قال تعالي : « **والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب** ». (٦) قال ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : (من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلي الفقراء والمحتاجين وبذل المعروف) . (٧)

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٦ .

(٢) انظر : التفسير الواضح ٢/١٩ – ٢٠ .

(٣) سورة محمد : الآية ٢٢ .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٤/١٧ ، ١٨ ، ٢١٤ ، وسنن الترمذى ٣/٤٧ ،كتاب الزكاة، باب ما جاء فى الصدقة علي ذى القرابة، حديث رقم ٦٥٨ . قال ابوعيسي : حديث حسن ،وسنن ابن ماجه ١/٥٩١ ، كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ، حديث رقم ١٨٤٤ .

(٦) سورة الرعد : الآية ٢١ .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/١٥٠ .

وقال صاحب الكشاف : (من الأرحام والقرابات ، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ، وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان ، إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم علي حسب الطاقة ، ونصرتهم والزود عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم ، وترك التفرقة بين أنفسهم وبينهم ، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم ، وشهود جنائزهم ، ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر) .[1]

* ومنها عدم الخلو بأجنبية أو مصافحتها فى وقت زيارة الأرحام ، مثل بنت الخال أو الخالة وبنات العم والعمة ، والإلتزام بآداب الزيارة من غض البصر وحفظ اللسان . قال تعالي : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ...** » .[2]

ومما سبق يتبين أن صلة الرحم تعود علينا بفوائد عدة فى دنيانا، فضلاً عن الأجر العظيم الذى سنلقاه فى أُخرانا ، وإذا قطعناها كانت سبباً فى تعجيل العقوبة وحرماننا من دخول الجنة ، وما الظلم السائد بين الشعوب اليوم وما الفسوق والعصيان وما الإعراض عن ذكر الله إلا من عدم وصل الأرحام ، فسلوك المنافقين إن تولوا أمر الأمة أو إن أعرضوا عن كتاب الله وعن دينه واتباع رسوله أمر معروف ، وهو العودة إلي مفاسد الجاهلية ، من إفساد فى الأرض وسفك للدماء المحرمة ، والبغى والظلم والنهب والسلب وتقطيع الأرحام .

فعلي الإنسان أن يحسن إليهم ويبرهم ويصلهم ، ويتأدب معهم بما أمرنا به الشرع الحنيف . حتي لا نظلم بقطيعتهم ، لأن ذلك من أشد أنواع الظلم .

قال طرفه بن العبد* مبيناً أن من أشد أنواع الظلم هو ظلم القربي :

وظلم ذوي القربي أشد مضاضة *** علي المرء من وقع الحسام المهند[3]

---

(١) تفسير الكشاف ٢٨٦/٢ ، انظر : فى ظلال القرآن ٨٩/٥ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٠ .

* طرفة : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكرى الوائلى ، ولد نحو ٦٠قبل الهجرة ، شاعر جاهلى من الطبقة الأولي . انظر: خزانة الأدب ٤١٩/٢ ، والأعلام للزركلى ٢٢٥/٣ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٦ .

٣ - الجار :[١]

إن الإسلام حفظ مكانة الجار ، وحث علي معاملته بالحسني ، لكونه فى أغلب الأمور أقرب من الأهل . فهو الذى يبدأ بالنجدة والمساعدة إذا ما عصفت النوازل بجاره ، وهو الذى يعيش بجوارنا ومن حولنا، يحيينا كل صباح عند اللقاء ، ويبتسم لنا كلما لاقيناه ، ويرجو ويتمني لنا كل الخير والبقاء والقرآن الكريم فى كثير من آياته ذكر حق الجار وحسن معاملته ، والسنة النبوية كذلك لم تترك دور الجار وماله من أهمية فى حياة المجتمع ، وبينت آدابه التى ينبغى علي كل فرد فى المجتمع المسلم أن يتأدب بها مع جيرانه ، قال تعالي : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ...** » .[٢]

قال ابن العربى فى تفسيره لقوله تعالي : « والجار ذى القربي والجار الجنب » ما معناه ، أن حرمة الجار عظيمة فى الجاهلية والإسلام ولقد بين الإسلام أن الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو المشرك ، وجار له حقان وهو الجار المسلم ، وجار له ثلاثة حقوق وهو الجار المسلم الذى تربطنا به صلة الرحم ، والجيران بأنواعهما صنفان قريب وبعيد ، وأبعده فى قول الزهرى من بينك وبينه أربعون داراً ، وقيل : أن البعيد من يليك بحائط ، والقريب من يليك ببابه[٣] وعندى أن المسألة هي الرأى الأول ، وهو قول الزهرى رحمه الله لأن كل جار يليه جاره وهكذا حتي أننا لانبالغ إذا قلنا أن أفراد المجتمع الواحد كلهم جيران مادامت تربطهم علاقات طيبة ، وحتي إن أساء الجار لجاره فله حقوق والجار لا يقتصر علي من تسكن بجواره فى البيت فقط ،

---

(١) **الجار** : المجاور للسكن ، والجمع جيران . وحكي أن الجار هو الذى يجاورك فى البيت ، والجار الشريك فى العقار مقاسماً، والجار الذى يجير غيره ويؤمنه مما يخاف ، والجار المستجير الذى يطلب الأمان ، والجار الناصر ، والجار الزوج والزوجة ، فيقال للزوجة جارة ، وكان ابن عباس ينام بين جارته أى زوجته ، فهو محتمل لمعانى كثيرة فهو الملاحق للغير . انظر : المصباح المنير ١٣٩/١ .

(٢) سورة النساء : الآية ٣٦ .

(٣) انظر : أحكام القرآن لابن العربى ٤٢٩/١ .

فمن يعمل معك فى عملك جار لك ، ومن تسافر معه جار لك ، والرفيق فى العلم والرفيق فى المهنة جار ، فكلما قرب جوار إنسان كان حقه أعظم .

بين صاحب الظلال رحمه الله عند ذكره للآية الكريمة ، بأن هذا درس جديد يتناول علاقات إنسانية فى المجتمع المسلم ، علي مدي أوسع من علاقات الأسرة ، ومتصلة بها كذلك بالحديث عن الوالدين . ويتفرع من الاسرة إلي ذوى القربي ومنهم اليتامي والمساكين ، ولو أنهم قد يكونون أبعد مكاناً من الجار ، ذلك أنهم أشد حاجة وأولي رعاية ، ثم الجار ذو القرابة فالجار الأجنبى مقدمين علي الصاحب المرافق ، لأن الجار قربه دائم ، أما الصاحب فلقاؤه علي فترات .(١)

والسنة النبوية جاءت لتوضح حق الجار ، حتي اعتبرته كالذين يورثون لكثرة ما وصي جبريل عليه السلام بالجار ، قال : [لازال جبريل يوصى بالجار حتي ظننت أنه سيورثه] (٢)

وهكذا يأتى لفظ الجار بغير قيد ليشمل كل جار ، ليحصل التلاحم بين أفراد المجتمع ، وتقوي الروابط فيما بينهم ، حتي يكون قادراً علي مواجهة التحديات والصعاب .

ومما يدل علي معرفة حق الجار والوفاء له والعمل بما أوصي به الدين ، ما حكي عن بعض أصحاب الأخلاق الطاهرة أنه اشتكي كثرة الفئران فى داره ، فنصحه بعضهم بأن يقتنى هرة لتأكل الفئران ، فقال أخشي أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلي دار الجيران .(٣)

وهذه بعض الآداب التى ينبغى أن يتحلي الفرد المسلم فى مجتمعه نحو جيرانه نذكر منها :

---

(١) انظر : ظلال القرآن ٢/ ٣٧٠ .

(٢) فتح البارى بشرح البخارى ١٠/ ٤٥٥ ، كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ، حديث رقم ٦٠١٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٧٦ ، كتاب البر والصلة ، باب الوصية بالجار والإحسان به .

(٣) انظر : الخلق الكامل ، محمد جاد المولي ٤/ ٤١٣ .

* إبتداء الجار بالسلام عند ملاقاته وسؤاله عن حاله والابتسامة فى وجهه . وعيادته إذا مرض ، ونجدته والمسارعة إلي إسعافه عند الحاجة .

* وتعزيته إذا ما أصيب بمصيبة أو كارثة أو وفاة عزيز عليه ، وإن استدعي الأمر أن تفتح بيتك له ، ومساعدته علي النوائب والشدائد . والنصح عند زلاته وسقطاته ، والتغاضى عن سيئاته ، ومعاقبته بأدب ورفق علي هفواته ، والإحسان إلي الجيران ومعاملة أولادهم بتلطف ، ونصيحتهم بالمعروف ومنع الأذي عنهم . قال : [والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لايؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه [1]] .[2] وقال أيضاًعليه أفضل الصلاة والتسليم : [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره] .[3]

وإذا ابتلي المسلم بجار سوء فليصبر عليه ، لأن صبره سيكون سبب خلاصه منه ، فقد جاء رجل إلي رسول الله يشكو ، جاره فقال له : [أصبر ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة أطرح متاعك فى الطريق ، فطرحه فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك ؟ فيقول : آذانى جارى ، فيلعنون جاره حتي جاءه وقال له : رد متاعك إلي منزلك فإنى والله لا أعود] [4]

* ومنها غض البصر عن أهله ، وعدم متابعة أسراره ، والمحافظة علي حرماته وغض الصوت تجنباً لمضايقته ، وخفض صوت المذياع أو الرائى خاصة فى أوقات راحته ، حتى لايتأذي بذلك .

* عدم إيذائه بطرح الأقذار علي أبواب داره ، أو التجاوز فى البنيان حتي تحجب الهواء أو الشمس عنه . فالإسلام لا ضرر ولا ضرار فيه .

---

(١) **بوائقه** : البوائق هى الشرور وأنواع الأذي .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ١٠/٤٥٧ ، كتاب الأدب ، باب إثم من لايأمن من جاره بوائقه ، حديث رقم ٦٠١٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٧ ، كتاب الإيمان ، باب تحريم إيذاء الجار .

(٣) المرجع السابق ، ١٠/٤٦٠ ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤذ جاره ، حديث رقم ٦٠١٨ .

(٦) سنن أبى داود ٤/٣٤١ ، كتاب الأدب ، باب فى حق الجوار ، حديث رقم ٥١٥٣ .

* إهدائهم بقدر الإمكان من مال أو طعام ، وإستمرار النزوار حتي لا تكون القطيعة . فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : إن خليلى أوصانى : إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، ثم أنظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف.[1] فهذا فضلاً عن أنه أدب فى حق الجار هو عين التكافل الاجتماعى الذى يقوم عليه المجتمع الإسلامى .

قال الإمام الغزالى فى أدب الجار : (آداب الجار أن يبدأ بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عليه وعن حاله السؤال ، ويعوده فى مرضه ، ويعزيه عند مصيبته ، ويقوم معه فى عزائه ، ويهنئه فى فرحه ، ويشاركه فى سروره ، ويتلطف فى معاملة أولاده ، ويصفح عن زلاته ، ويعاقبه برفق عند هفواته ، ويغض بصره عن حرمه ، ويعينه فى نوائبه ، لا يتطلع من السطح إلي عوراته ، ولا يضايقه بصوته ، ولا يؤذيه بوضع الجزع علي جداره ، ولا يصب الماء فى ميزابه ، ولا يطرح التراب فى فنائه، ولا يضيق طريقه إلي داره ، ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله إلي بيته ، ويستر ما ينكشف من عوراته ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاماً من عدوه ، ويرشده إلي ما يجهله من أمر دينه ودنياه) .[2]

معاملة الصغير للكبير و معاملة الكبير للصغير

من الآداب التى حثنا عليها الإسلام بإتباعها فى معاملة الناس بعضهم لبعض ، حتي تقوي المودة بينهم أن يحترم الصغير الكبير ويعطف الكبير علي الصغير .

أ - آداب معاملة الكبير

فالكبير فى الإسلام له قدره وحقه ، فإذا ماشيته فَسرِ عَنْ يمينه متأخراً قليلاً ، وإذا دخلت أو خرجت فقدمه عليك فى الدخول والخروج ، وإذا إلتقيته فأبداه بالسلام والإحترام ، وإذا إشتركت معه فى الحديث فقدمه إليك بالكلام ، وإستمع إليه باصغاء

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/١٧٧ ، كتاب البر والصلة ، باب الوصية بالجار والاحسان إليه.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/١٩٠ ، باب فى حق المسلم والرحم والجوار ، وانظر : مختصر منهاج القاصدين ص ١٠٨ .

وإحترام ، وإذا كان الحديث يدعو إلي المناقشة فناقشه بأدب ولين ولطف ، وغض صوتك عند الحديث إليه . قال : [ليس منا من لم يُجل كبيرنا][1] وفى رواية أخري : [ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه].[2]

فالإسلام طالب كل فرد فى مجتمعه أن يعرف للكبير قدره ، ويعطى ذو المنزولة منزلته ولاشك أن ذلك هو حماية للنظام الاجتماعى والمحافظة علي سلامة بنيانه من التصدع ، ومن الفوضي إذا ما أهمل الصغير حقوق من أهم أكبر منه سناً أو أرفع منزلة ، ولا يعنى الأرفع منزلة كثرة المال أو الجاه، بل المقصود الأرجح عقلاً ، والأفضل ، خلقاً والأكثر تقوي وإيماناً ، فبذلك يصبح أكثر وأرفع منزلة عند الله وعند الناس .

فاحترام الكبار خلق كبير ولقد كان يعلم أصحابه علي ذلك الخلق ، تارة بالقول وتارة بالفعل، لأن هذا العمل يوطد العلاقات بين أفراد المجتمع ، ويديم بينهم المودة ويقوى أواصر المحبة ، فيصبح متماسكاً قوياً متراصاً ، فكان يقدم الرجال فى صفوف مستقلة ، ثم يصف من بعدهم الصبيان، وينهي أن يختلط الصغار بصفوف الكبار ، لأن ذلك يؤدى بأن يتأخر الرجال ويتقدم الصبيان فيتعودا علي ذلك ، فتضيع هيبة الكبار من نفوسهم ، فلا يحترمونهم . فنحن الآن نعانى من هذا البلاء ، ومجتمعنا يشكو من سوء الأخلاق ، خاصة فى الصغار وتقدمهم دون مبالاة علي من هم أكبر منهم ويزاحمونهم فى المجالس والأسواق وحتي فى المساجد . يقول الرسول مبيناً آداب صفوف الصلاة : [ليلنى منكم أولوا الأحلام والنُهي ثم الذين يلونهم وإياكم وهيشات[3] الأسواق].[4]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥/٣٢٣ .

(٢) سنن الترمذى ٤/٢٨٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى رحمة الصبيان ، حديث رقم ١٩٢١ . قال أبوعيسي : حديث حسن غريب . ومسند أحمد بن حنبل ١/٢٥٧ ، ٢ ، ٢٠٧ .

(٣) **هيشات** : هى الإختلاط بين الناس ، بحيث لايتميز الرجال من النساء ، ولا الصغار من الكبار .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/١٥٥ -١٥٦ ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى تسوية الصفوف وإقامتها . ومسند أحمد بن حنبل ١/٤٥٧ ، ٤/١٢٢ ، وسنن الترمذى ١/٤٤٠ ، ٤٤١ كتاب مواقيت الصلاة ، باب ما جاء ليلنى منكم أولوا الأحلام والنهي ، حديث رقم ٢٢٨ ، قال أبوعيسي : حديث حسن صحيح غريب .

إن الإسلام لا يمنع أن يجلس الصغار فى مجالس الكبار ، ليتعلموا ويستفيدوا منهم فى مناقشاتهم ، ويكتسبوا خبراتهم ، ولكن بشرط ألا يتقدموا عليهم فى المجلس ولا يسبقونهم فى الكلام أو يرفعوا أصواتهم فى حضرتهم إلا للضرورة .

وفى الختام نذكر أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد بشر الشباب الذين يحترمون من هم أكبر سناً بقوله : [ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض [1] الله له من يكرمه عند سنه] . [2]

والإكرام ألوانه كثيرة وصوره مختلفة ، فإذا كنت جالساً فى مكان مزدحم ورأيت عجوزاً واقفاً فأجلسه مكانك ، وإذا شاهدت شيخاً يحمل حملاً ثقيلاً فساعده علي حمله ، أو عاونه علي ركوب سيارة أو تخطى الطريق العام ، فكل ذلك إكرام منك لهؤلاء الشيوخ . والحديث عام يدعونا لأن نعطف ونكرم من هو أكبر سناً ولو لم يكن شيخاً .

ب - آداب معاملة الصغير

دعت الشريعة الإسلامية إلي التراحم بين أفراد المجتمع ، ولما كان الصغار محل ضعف فقد طالبت الشريعة الغراء من الكبار أن يعطفوا علي الصغار ويرفقوا بهم . قال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا] . [3]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قبل الحسن بن على ، والأقرع بن حابس التميمى جالس عنده ، فقال الأقرع بن حابس : يارسول الله إن لى عشرة من الولد ماقبلت أحداً ، فنظر إليه رسول الله فقال : [من لايرحم لا يُرحم] . [4]

---

(١) **قيض** : هيأ وأرسل .

(٢) سنن الترمذى ٤/٣٢٧ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى إجلال الكبير ، حديث رقم ٢٠٢٢ قال ابوعيسي : هذا حديث حسن غريب .

(٣) سنن الترمذى ٤/٢٨٤ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى رحمة الصبيان ، حديث رقم ١٩٢٠ ، وسنن ابى داود ٤/٢٨٧ ، كتاب الأدب ، وحديث رقم ٤٩٤٣ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/٤٥٢ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، حديث رقم ٦٠١٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٥/٦٧ - ٧٧ ، كتاب الفضائل ، باب رحمته وتواضعه .

وكذلك من آداب معاملة الصغار أن يرشدوهم ويعلموهم ويأدبوهم علي الأخلاق الحميدة ، وأن ينصحوهم ويدخلوا السرور علي قلوبهم ، ولا يضربوهم الضرب المبرح ، ويُفصل بينهم فى المضاجع ويأمروهم بالصلاة علي عشر سنين .

٤ - معاملة اليتيم :

اليتيم هو من فقد أبويه أو أحدهما ، ولا بد من معاملته معاملة طيبة وحسنة كما حثنا الإسلام علي ذلك ، فاليتامي لهم عند الله مكانة خاصة ، وقد ميزهم الله بوضع خاص لما يكونوا عليه من حالة الضعف ومن حاجة ماسة إلي عامة شؤونهم حتي يبلغوا أشدهم ، ولذلك أوصي سبحانه وتعالي بأن نعاملهم بكثير من العطف والرفق ، وبالمزيد من التيقظ والحذر ، حتي لا نقع فى الإثم ، أو نخدش كرامتهم ، أو تهضم حقوقهم ، أو أن يشعروا بموقف الضعف وأنهم بحاجة لنا . قال تعالي : « **فأما اليتيم فلا تقهر** » (١)

قال النسفى فى تفسيره لهذه الآية : (فلا تغلبه علي ماله وحقه لضعفه) . (٢)

وجاء فى تفسير أيسر التفاسير : (لا تقهره بأخذ ماله ، أو إذلاله ، أو آذاه ، ذاكراً رعاية الله تعالي لك أيام يتمك) . (٣)

فالآية الكريمة تحذر من قهر اليتيم وذلك بظلمه سواء فى ماله أو معاملته . ولما كان المال قوام الحياة وعمادها فأمرنا الله سبحانه وتعالي بالحفاظ علي مال اليتيم ، ولا نأخذ منه شيئاً إلا بالتى هى أحسن ، وماإعانتهم ورعاية شؤونهم إلا إبتغاء مرضاة الله عز وجل ونيل ثوابه . قال تعالي: « **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ...** » (٤)

قال الرازى فى تفسيره أن الله سبحانه وتعالي لما ذكر النهى عن القتل والنهى عن

---

(١) سورة الضحي : الآية ٩ .

(٢) تفسير النفسى ٤/٣٦٤ .

(٣) أيسر التفاسير ٥/٥٨٧ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

الزنا لما فيه إتلاف للنفوس ، أتبع ذلك بالنهى عن إتلاف الأموال لأن أعز الأشياء بعد النفوس الأموال . وأحق الناس بالنهى عن إتلاف أموالهم هو اليتيم ، لصغره ولضعفه وكمال عجزه ، ولهذا السبب خصهم سبحانه وتعالي بالنهى عن إتلاف أموالهم ، ولا تقربوا أموالهم إلا بحسن التصرف ، كتنميتها حتي يبلغوا أشدهم من كمال العقل وبلوغهم .[1]

ولقد أوصانا الله سبحانه وتعالي أن نتعهد أموالهم ، ونعمل علي إنمائها وزيادتها بالطرق الشرعية، حتي يبلغوا رشدهم ويستطيعوا تحمل أعباء الحياة. قال تعالي : « **وابتلوا[2] اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح[3] فإن آنستم[4] منهم رشداً[5] فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً[6] أن يكبروا[7] ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا** » .[8]

يتضح من الآية السابقة أن الله عز وجل نهانا عن تبذير ثروة اليتيم ، متخذين ضعفه وسيلة لإخفاء مقاصدنا ، بإستغلال أمواله ، حتي إذا بلغوا رشدهم لم يجدوا شيئاً من أموالهم ، فيجب إستغلال أموال اليتامي بمعزل عن أموالنا الخاصة ، ذلك أطهر لنفوسنا وأبعد عن الأثم .

فإذا وجدت العناية بالفقير ، وحسن معاملة اليتيم ، ورحمة الصغير وتقدير الكبير

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازى ٢٠/٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) **ابتلوا** : إختبروا عقولهم وأفهامهم وصلاحهم .

(٣) **بلغوا النكاح** : أي بلغوا الحلم .

(٤) **آنستم** : أحسنتم ورأيتم ، وعلمتم وتبينتم .

(٥) **رشداً** : صلاحاً فى عقولهم وإصلاحاً فى أموالهم .

(٦) **وبداراً** : مبادرة .

(٧) **أن يكبروا** : ويجتازوا أموالهم وانظر : مختصر تفسير الطبرى ص ٦٥ .

(٨) سورة النساء : الآية ٦ .

جدير بهذا أن يكون المجتمع متراحم ومتعاطف ومتماسك ، ويكون هذا المجتمع فى أرقي درجات المجتمعات من مثالية لا يضاهيه فيها أحد .

فاليتيم إذن لابد له من رعاية وتربية ، وتعليم وتثقيف وتهذيب ، حتي ينشأ النشأة الطيبة ، ويصبح رجلاً كاملاً نافعاً لنفسه ومجتمعه . فلو أهمل هؤلاء ومنعوا من الإنفاق عليهم لسعوا فى الأرض فساداً ، ولانتهكت حرمات ، وليعلم الأغنياء أن اللوم حينئذ إنما هو واقع عليهم لا علي اليتامي ، لأنهم هم الذين قصروا فى توجيههم وتقويمهم .

ونختم حديثنا عن آداب ومعاملة اليتيم بما وضحه لنا الرسول من بشارة لكافل اليتيم . قال : [من مسح علي رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلي يتيمه أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين [1] وفرق بين أصبعيه : السبابة والوسطي]

٥ - آداب معاملة العالم والمتعلم :

قبل الحديث عن آداب معاملة العالم والمتعلم نتكلم بإيجاز عن العلم وفضله وآدابه . فقد وردت فى القرآن الكريم جمل وافية من الوصايا العلمية ترشد إلي جوامع الأخلاق والصفات المطلوبة فى العلم وفضله وتفصل ذلك علي النحو التالى :

فضل العلم في كتاب الله

لم يكن من باب الصدفة أن الله سبحانه وتعالي أنزل أول آياته علي حبيبه المصطفي بآية تحث علي العلم ، فقال عز وجل : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم** » .[2]

قال الفخر الرازى فى تفسيره للآيات الكريمة إقرأ يا محمد القرآن مفتتحاً باسم ربك أو مستعيناً باسم ربك الذى أوجد وخلق كل شئ ، وهذا أمر لرسوله بأن يصير

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٢٥٠ ، ٢٦٥ .

(٢) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

قراءاً بقدرة الله الذى خلقه ، وإن لم يكن من قبل قارئاً ولا كاتباً . ثم قرن القراءة بالكتابة فقال عز وجل : « الذى علم بالقلم » أى علم الإنسان الكتابة بالقلم ، فهذه من نعم الله عز وجل فالكتابة واسطة للتفاهم كالتعبير باللسان ، ولولا الكتابة لزالت العلوم ، ولم يبقي أثر فى الدين ، فالكتابة قيد للعلوم والمعارف وبالكتابة التى هى إحدي وسائل العلوم والمعارف تعرف بها الأمور الغائبة ، وجعل العلم كناية عنها ، يروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام فقال : ريح لا يبقي قال فما قيده قال الكتابة . فالقلم صياد يصيد العلوم ، وبحركته تبقي العلوم علي مر الأيام ، والكتابة أيضاً وسيلة لضبط أخبار الأولين وآداة إنتقال بين الأمم والشعوب ، وتسموا بها الأفكار وتنتشر بها الهداية . فالقراءة والكتابة أساس العلم الذى هو أساس تقدم الحضارة والمدنية .(١)

ونخلص من ذلك أن الله سبحانه وتعالي كرم الإنسان وتفضل عليه بتعليمه ما لم يكن يعلم لينقله من ظلمات الجهل إلي نور العلم ، وبهذا العلم إمتاز أبو البرية آدم عليه السلام علي الملائكة عليهم السلام .

ونستنتج من الآيات الكريمة أن العلم يقرن معه الإخلاص ، لقوله تعالي : « بإسم ربك » . ونري كثيراً من الآيات تتحدث عن العلم ، فمثلاً سورة الرحمن قدم فيها الله سبحانه وتعالي العلم علي الخلق ، ثم أردف بعد ذلك بالعلم وهذا كله لأهمية العلم قال تعالي : « **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** » .(٢)

وتأتى بعد ذلك إشارات فى القرآن عديدة عددها البعض بما يزيد علي ثمانمائة آية تحدد مكانة العلماء ، ويكفينا قوله تعالي : « ... **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ... ».(٣)

جاء فى مختصر تفسير الخازن فى قوله تعالي : « يرفع الله الذين آمنوا منكم » ، أي بطاعتهم لله ورسوله وإمتثال أوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازى ١٣/٣٢ وما بعدها ، والتفسير المنير ٣١٧/٣٠ – ٣٢٠ .

(٢) سورة الرحمن : الآيات ١ – ٤ .

(٣) سورة المجادلة : الآية ١١ .

. والآية جاءت بعد الحديث عن آداب المجالس والتفسح فيها ، وقوله تعالي : « والذين أوتوا العلم درجات ، أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم علي من سواهم فى الجنة ، قال الحسن : قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس إفهموا هذه الآية لترغبكم فى العلم فإن الله تعالي يبين فى الآية أنه يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات . (١)

ويستفاد من الآية أن الله سبحانه وتعالي قرن الإيمان بالعلم ، للدلالة علي أن العلم له أهمية، فأساس الأيمان العلم وذلك لقوله تعالي : « ... **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء** ... » (٢) فالعلم يرتبط مع التقوي ، والتقوي مع العلم ، فكلاهما لا ينفك أحدهما عن الآخر .

وأما فضل العلماء فهم ورثة الأنبياء ، الذين لم يرثوا شيئاً من عرض الدنيا من متاع زائل أو مال فاني ، وإنما ورثوا دين الله عز وجل القائم علي الحكمة والعلم والمعرفة ، وتحلية النفوس بمكارم الأخلاق . فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، فقد ورثوا عن نوح عليه السلام الصبر علي تبليغ الرسالة وتحمل الإيذاء ، وورثوا عن ابراهيم عليه السلام شجاعته وصموده أمام أعداء الله ، وورثوا عن سيدنا موسي عليه السلام قوته وأمانته وعفته ونزاهته ، وورثوا عن عيسي عليه السلام روحانيته وقربه من الله وصلته الدائمة بالله عز وجل ، وورثوا عن سيدنا محمد الخلق الكريم والرحمة والصبر والحلم . فكل الصفات الموجودة فى الرسل السابقين عليهم السلام كانت فى المصطفي فورثها العلماء من بعده ، فهؤلاء العلماء مصابيح الهدي الدالة للناس علي طريق الرشاد ومنابع الخير والسعادة ، فهم روح الأمة وكنزها الأكبر ، قال عليه الصلاة والسلام : [إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة] (٣) ومن فضل العلماء ما يكفيهم فخراً أن الله سبحانه وتعالي

(١) انظر : مختصر تفسير الخازن ، اختصار محمد قطب ، ١١٣٩/٢ – ١١٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣٢٦/٤ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٥٧/٣ .

قال فى حقهم : « **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط...** » [1] وما قاله فيهم: [إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتي النملة فى جحرها وحتي الحوت ليصلُون علي معلمى الناس الخير].[2]

والآيات والأحاديث كثيرة فى فضل العلم والعلماء فتلك ماهى إلا أمثلة لإتمام الفائدة.

أ - آداب العالم

وإذا كانت تلكم الصفات والفضائل والأخلاق فى العلماء فجدير بهم أن يتأدبوا بآداب إسلامية نذكر منها:

* لزوم العلم ومحبته وبذل الوقت للإستزادة منه ، والإخلاص بالنية فى طلب العلم ابتغاء مرضاة الله . قال تعالي : « ... **وقل ربي زدني علما** ». [3]

* ومنها العمل بما يعلم ، لأن العالم إذا علم بشئ ولم يعمل به كان عار عليه ذلك ،ووصمة عار فى جبينه ، فلا بد وأن يكون قدوة للناس بفعله وسلوكه قبل كلامه قال تعالي ناعياً علي من يقول ولا يفعل : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** » [4] وقال عز وجل علي لسان نبيه شعيب عليه السلام: «... **وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ... » [5]

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

(٢) سنن الترمذى ٤٨/٥ ، كتاب العلم ، باب ما جاء فى فضل العلم علي العبادة ، حديث رقم ٢٦٨٥ ، قال أبوعيسي : هذا حديث غريب .

(٣) سورة طه : الآية ١١٤ .

(٤) سورة الصف : الآيتان ٢ - ٣ .

(٥) سورة هود : الآية ٨٨ .

* ومنها أن يبتعد بقدر الإمكان عن الإشتغال بالدنيا ، فما الشهوات والأهواء ومتاع الدنيا إلا وسائل تصد وتصرف عن معرفة العلوم سواء الدينية منها أم الدنيوية . قال تعالي : « **ولا تمدن عينيك إلي ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** » .(١)

قال البيضاوى فيما معناه ، أي يا محمد لا تنظر عينيك إلي ما متعنا به الكفرة من زينة وبهجة ، وما ذلك إلا لنبلوهم ونختبرهم فيه ولنعذبهم فى الآخرة بسببه ، وما أخره الله لك فى الآخرة وما رزقك من الهدي والعلم والنبوة خير مما منحهم الله إياه فى الدنيا .(٢)

* ومنها كذلك التواضع لعباد الله والشفقة علي المتعلمين والرفق بهم ،والتأنى فى تعليمهم وإرشادهم ومعاملتهم ،كأنهم أبناءً لهم ، وإحتمال جفوتهم وجهالتهم ، ومغفرة ذلتهم والعمل علي إصلاحهم وتفهم وتقدير ظروفهم وحاجتهم ، والرد علي سؤالهم والبشاشة فى وجوههم ، وبذل الوقت والمال فى سبيل إرشادهم ، قال تعالى : « **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون** » .(٣)

وقال : [إنما أنا لكم مثل الوالد لولده] .(٤)

* ومنها الصبر علي جفاء الجهلة ، وتحمل إيذاء الحاسدين ، وإفتراء الكاذبين ، قال تعالي: « **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ...** » (٥)

---

(١) سورة طه : الآية ١٣١ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوى ص ٤٢٥ .

(٣) سورة الشعراء : الآيتان ٢١٥ – ٢١٦ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢٤٧/٢ – ٢٥٠ ، وسنن ابن ماجة ١١٤/١ ، كتاب الطهارة وسننها ، باب الاستنجاء بالحجارة والنهى عن الروث والرمة ، حديث رقم ٣١٣ .

(٥) سورة الأحقاف : الآية ٣٥.

* ومنها عدم كتمان العلم فلا بد من كان عالماً بشئ حتي وإن كان يسيراً أن يبينه ما دام ذلك فيه مصلحة للفرد والمجتمع ، قال تعالي ينعى بن إسرائيل الذين كتموا العلم وهو الدلالة علي أن محمداً رسول الله وأنه آخر الأنبياء ، وأنهم أحلوا ما حرم الله وحرموا ماأحل الله : « **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** » .(١)

وقال واصفاً عقاب من كتم علما : [من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار] .(٢)

* ومنها تجنب الفتوي دون علم أو تثبت وإحالة المسألة لمن يختص بها أو يكون علي دراية منها ، فلا عيب فى أن يقول الإنسان لا أعرف ولا حرج من ذلك ، لأن فوق كل ذى علم عليم ، قال تعالي : « ... **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** » .(٣)

هذا ولقد أوجز الإمام ابى حامد الغزالى هذه الآداب بقوله : (وإن كنت عالماً فأداب العالم الإحتمال ولزوم الحلم ، والجلوس بالهيبة علي سمت الوقار ، مع إطراق الرأس ، وترك التكبر علي جميع العباد إلا علي الظلمة زجراً لهم عن الظلم ، وإيثار للتواضع فى المحافل والمجالس ، وترك الهزل والدعابة ، والرفق بالمتعلم والتأنى بالمتعجرف ، وإصلاح البليد بحسن الإرشاد ، وترك الحرد (٤) عليه وترك الأنفة من

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٧ .

(٢) سنن ابى داود ٣/ ٣٢٠ ، كتاب العلم ، باب كراهة منع العلم ، حديث رقم ٣٦٥٨ ، وسنن الترمذى ٥/ ٢٣٩ ، كتاب العلم ، باب ما جاء فى كتمان العلم ، حديث رقم ٢٦٤٩ ، قال ابوعيسي : حديث حسن .

وسنن ابن ماجه ١ / ٩٧ ، المقدمة ، باب من سئل عن علم فكتمه ، حديث رقم ٢٦٤ ، ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٦٣ ، ٣٠٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، ٣٩٥ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٤) **الحرد** : الغضب ، يقال حرد عليه غضب عليه .

قول لا أدرى ، وصرف الهمة إلي السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والإنقياد للحق ، والرجوع إليه عند الهفوة ، ومنع المتعلم عن كل علم يضره ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالي ، وصد المتعلم عن أن يشتغل بغرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرض عليه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوي ، ومؤاخذة نفسه أولاً بالتقوي ليقتدى المتعلم أولاً بأعماله ، ويستفيد ثانياً بأقواله) .[1]

،وقد أورد الماوردى جملة من آداب العالم نذكر منها: ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ، ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا ، ومن آدابهم نصح من علموه والرفق بهم وتسهيل السبل عليهم، ومن آدابهم ألا يعنفوا متعلماً ولايحقروا ناشئاً ولايستصغروا مبتدئاً، ومن آدابهم ألا يمنعوا طالباً ولا ينفروا راغباً ولا يؤيسوا متعلماً.[2]

ب - آداب المتعلم . وهذه الآداب تتمثل في :

أ - آداب المتعلم مع العلم ، ومنها : -

* إلتماس مجالس العلماء ومجالس العلم والإنتفاع بها . والصدق فى طلب العلم ، وبذل الوقت فيه والإعراض عن ما يشغل النفس من ملاهى أو لغو أو إقتراف معصية.

قال الشافعى رضى الله عنه :

شكـوت إلي وكيـع * سـوء حفظـى *** فأرشدنـى إلـي تـــرك المعاصـــى

وأخبـرنى بـــأن العلـــم نـــور *** ونـــور اللـــه لايهـــدي لعاصـــى[3]

---

(١) بداية الهداية للغزالى ، تحقيق محمد عثمان الخشت ص ٩٦ ، واحياء علوم الدين ٤٣/١ وما بعدها ، باب آداب المتعلم ومختصر منهاج القاصدين ص ٢٢ ، باب آداب المعلم والمتعلم .

(٢) انظر : أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٩٢ - ٩٣ .

* **وكيع** : هو وكيع ابن الجراح بن مليح ابو سـفيان ، ولد بالكوفة ١٢٩ هـ - ٧٤٦ م ، فقيه ومحدث مشـهور ، أراد الرشيد ان يوليـه قضـاء الكوفـة فرفـض ، ورع كان يصـوم الدهـر ، له كتب مثل (تفسـير القرآن) قال الأمـام أحمـد ما رأيت أوعي منه ولا أحفـظ ، وهو أحـد مشـايخ الإمام الشـافعى ، توفى رحمه الله وهو راجع من الحج سنة ١٩٧ هـ - ٨١٢م . انظر الأعلام للزركلى ١١٧/٨ ، وميزان الإعتدال ٣٣٥/٤ رقم ٩٣٥٦ ، وتذكرة الحفاظ ٣٠٦/١ رقم ٢٨٤ .

(٣) ديوان الشافعى ص ٧٠ .

فنور العلم يشع بترك المعاصى ، لأن العالم يكون تقياً خلوقاً أديباً فى نفسه ومع غيره .

* ومنها الإخلاص فى طلب العلم ، وإرادة وجه الله تعالى بتعلمه للعلم ، والحذر من أن يكون أخذ العلم للمباهاة والتكبر علي الناس، وفى ذلك يقول : [من تعلم علماً مما يبتغى به بوجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرفاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة] .(١)

* ومنها كذلك طلب العلم النافع المفيد لدين المسلم ودنياه ، وتجنب العلوم التى لا فائدة منها أو التى توقع فى الشك والإلحاد . قال عليه الصلاة والسلام : [اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها] .(٢)

وأما ما نراه اليوم بأن يقضى الفرد جل حياته فى تعلم مايُسمي بالعلوم الفنية ، كالموسيقي أو الفنون الجميلة من تمثيل يفسد الأخلاق والذمم ، أو أن يتعلم السحر والشعوذة ، فهذا منعه الإسلام لما فيه من خراب للبيوت وهدم لبنيان المجتمع .

كل العلوم سوي القرآن مشغلة *** إلا الحديث وعلم الفقه فى الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا *** وما سوي ذاك وسواس الشياطين (٣)

ولا يعنى الشافعى رحمه الله أن باقى العلوم المفيدة كالطب وعلوم العمران وغيرها وسواس من الشياطين ، وإنما العلوم التى لاتنفع كما ذكرنا . وذكره لعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه لما فيها من الكرامة والتشريف بتشريف المنبع وهو القرآن والحديث النبوى .

* ومنها الصبر علي التعلم والحفظ والمراجعة واكتساب الوقت قبل ذهابه ، للإستزادة من العلوم النافعة ، فالوقت مسؤول عنه الانسان يوم القيامة فيما أمضاه ،

---

(١) سنن أبى داود ٣/٣٢١ ، كتاب العلم ، باب فى طلب العلم لغير الله تعالي ، حديث رقم ٣٦٦٤ . وسنن ابن ماجه ١/٩٢ ، ٩٣ ، المقدمة ، باب الإنتفاع بالعلم والعمل به ، حديث رقم ٢٥٢ ، ومسند أحمد بن حنبل ٢/٣٣٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/٤١ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب الأدعية.

(٣) ديوان الشافعى ص ١٠٧ .

والسؤال عن كل مسألة مستعصية حتي يتفقهها ويتقنها فمن يستحي ويستكبر لا ينال من العلم شيئاً .

* ومنها تقييد العلم خوفاً من ضياعه ، وكذلك مذاكرته خوفاً من نسيانه ، فإن آفة العلم النسيان ، فعلي المتعلم أن يجتهد فى تحصيله للعلوم .

قال الإمام الشافعى :

أخى لن تنال العلم الا بستة *** سأُنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة *** وصحبه أستاذ وطول زمان [1]

ب - آداب المتعلم مع المعلم ومنها : -

* التواضع للمعلم حتي لو كان أصغر منك سناً ، فليس من المكروه أن يتذلل المتعلم لمعلمه ، ومنها إحترام العالم وتبجيله والنظر إليه بعين الإكبار والإجلال .

* ومنها القيام للعالم عند دخوله وتقبيل يده إحتراماً ومحبة وتبركاً .

عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم .[2]

* ومنها كذلك تجنب الإنصراف ومغادرة المجلس إلا بعد أن يأذن له معلمه ، وطاعته فى كل أمر يطلبه منه إلا أن تكون فى معصية الخالق ، وهذا بعيد من العالم لأنه أشد خشية لله .

قال تعالي : « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ...** » [3]

وقال تعالي فى قصة موسي مع الخضر عليهما السلام فى طاعة المعلم والصبر معه وعدم مخالفته : « **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر**

---

(١) ديوان الشافعى .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، المقدمة ١/١٩ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٠/٢٢٤ ، حديث رقم ٥٩٠ .

(٣) سورة النور : الآية ٦٢ .

علي ما لم تحط به خبراً * قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً » . (١)

جاء فى تفسير الطبرى لهذه الآية أن موسي عليه السلام قال للعالم : هل أتبعك علي أن تعلمن من العلم الذى علمك الله ما هو رشاد إلي الحق ، ودليل علي الهدي ؟ فقال له العالم إنك لن تطيق معى صبرا ، وذلك إنى أعمل بباطن علم علمنيه الله ، ولا علم لك إلا بالظاهر من الأمور ، فلا تصبر علي ما تري من الأفعال) . (٢)

قال الزمخشرى فى كشافه فى تفسير قوله تعالي : « ولا أعصى لك أمراً » أي ستجدنى صابراً غير عاص ، وهذا رجاء موسي عليه السلام ، الخضر لحرصه علي العلم وإزديادة أن يستطع معه صبراً. ففى الآية إرشاد لطالب العلم بعدم مفاتحة المعلم بالسؤال ، وعدم مراجعته حتي يكون المعلم هو المستفتح للسؤال علي المتعلم ، وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع .(٣)

ذكر صاحب الظلال أن هذا أدب لائق بنبى يستفهم ولا يجزم ، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم . (٤)

* ومن هذه الآداب القيام بحقوق المعلم علي أكمل وجه ، من أن تسلم عليه وتخصه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ولاتشيرن عنده بيديك ، ولا تقولن أمامه قال فلان خلاف قولك ، ولا تغتاب أحداً عنده ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره ، وإن كانت له حاجة فأسبق القوم فى خدمته ، ولا تناجى أحداً فى حضرته ، ولا تلح عليه بالسؤال ، ولا تشبع من طول مجلسه ، ولا ترفع صوتك عنده ، ولا تجيب أحداً وهو جالس ، ولا تجالس عدوه ولا تعادى وليه ، ولاتضحك عند مخاطبته ، ولا تكثر الإلتفات بحضرته ، ولا تسىء الظن به ، ولا تنسي فضله ، ولا

---

(١) سورة الكهف : الآيات ٦٦ – ٦٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢٨٣/٩ .

(٣) انظر : تفسير الزمخشرى ٣٩٧/٢ .

(٤) انظر : فى ظلال القرآن ٣٩٦/٥ . والتفسير المنير ٢٩٨/١٥ .

تتقدم بالسير أمامه ، وأن تدعو له مدة حياته ، وتستغفر له بعد مماته ، وتراعى ذريته ، وتزورهم بعد وفاته.[1]

فهكذا نري أن المجتمع الإسلامى يذخر بالآداب الإسلامية السامية ، التى نبه عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، أداب نفسية واجتماعية ، ولقد قام الأدب النفسى والاجتماعى من القرآن بمهمته فى تصفية جو الحياة فى المجتمع الإسلامى ، وإشاعة المروءة والألفة فى النفوس ، والعالم سيظل يلهث فى طريق مسدود وراء الإحساس بالأمان والتعامل الأخوى المحبب بين الأفراد فى المجتمعات ، ولن يظفر بطائل ما لم يذعن لكتاب الله وسنة رسوله ، ويستسلم بكل جوارحه لهذا المنهج الربانى ، وينزل عند الآداب النفسية والاجتماعية فى ظله الوارف وحماه الآمن فما الآداب إلا لصقل الفرد فى المجتمع بإعتباره لبنة لبناءه ، وترك قواعد هذا البناء وتثبتها ، فتجعله متماسكاً موثق العري ، لا يصيبه انحلال أو انفصام ، وتجعل الأمة فى توادها وتراحمها وتعاطفها وتماسكها كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمي . والقرآن الكريم فى سبيل وجدان الحب والرحمة ، واستجاشة الود والألفة ، وتذويب الأحقاد من داخل النفس الإنسانية ، يأخذ المسلمين بهذه الآداب ليستعينوا بها علي الفضائل الحميدة .

---

(١) انظر : مختصر منهاج القاصدين ، لإبن قدامة المقدسى ، ص ٢٢ ، وإحياء علوم الدين ١/٤٣ ، ٤٨ ، وبداية النهاية للغزالى ص ٩٦ – ٩٧ ، ومداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد فى الرذائل لابن حزم الاندلسى (٣٨٤ هـ – ٤٥٦ هـ) ، تحقيق أبو حذيفة إبراهيم بن محمد ، ص ٨٢ – ٨٣ مكتبة الصحابة – طنطا ، الطبعة الأولي ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م ، ومنهاج العابدين للغزالي ص ٧٨ . ولمزيد من الفائدة راجع المستخلص فى تزكية الأنفس ، سعيد حوى ص ١٨ دار الأرقم – عمان ، الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، وآداب الحوار والمناظرة ، د. علي جريشة ص ٧ – ١٥ دار الوفاء – القاهرة ، الطبعة الأولي ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م ، والمدخل إلي التفسير الموضوعى– د. عبد الستار فتح الله سعيد، ص ٢٢٣ وما بعدها، دار التوزيع للنشر– القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ – ١٩٩١م .

المبحث الرابع

التثبت من الأخبار

المبحث الرابع

التثبت من الأخبار

التثبت من الأخبار له الدور الهام بين أفراد المجتمع المسلم ، لذلك فنهى الشارع عن الإشاعات الكاذبة الهدامة ، لمالها من إلحاق الضرر علي المجتمع وأفراده ، بظهور الفتن والإنقسامات ، والتشكيك ، وعدم الثقة بالآخرين .

قال تعالي :« **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » .[1] يكاد أن يكون هنالك إتفاق بين المفسرين على أن الآية الكريمة نزلت فى شأن الوليد بن عقبة بن أبى معيط .[2] وقد أرسله الرسول لجماعة من بنى المصطلق ، وكان بينه وبينهم

---

(١) سورة الحجرات : الاية ٦ .

(٢) أختلف فى إطلاق لفظ الفاسق علي الوليد ، فمن مجوز لأن الآية نزلت فى حقه ، ومن مانع لأنه صحابى ، والذى يظهر من ذلك أنه لا مانع من إطلاق لفظ الفاسق ، لأن الفاسق فى عرف الشرع هو من إلتزم حكم الشرع وأقرّ به ، ثم خرج عنه وأخل بجميع أركانه أو ببعضها ، فالفسق يقع فى القليل من الذنوب والكثير منها . ولاشك أن الوليد قد ارتكب ذنباً إن لم نقل من أكبر الكبائر فهو على الأقل مفسق ، ولامخرج لمن إلتمس العذر لذلك وقال إنه ظن فأخطأ ، لأن مثل هذه الأمور لا يكفى فيها مجرد الظن لما لها من الخطر وفداحة ما يترتب عليه ، وعلي فرض أنه ظن فلم يخبر الرسول حتي يتخلص من المسؤلية . وقد يظن البعض أن فى ذلك قسوة علي صحابي ومقامه ، وربما ظن بعض الناس تطرفاً ، ولكن هنالك مما يجعلهم يسلمون به ويرتاحون إليه . أنه جاء فى ترجمته فى كتاب الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ٤ / ١٥٥٢ رقم ٢٧٢١ أن هذه الآية نزلت فيه ، ثم ولاه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، فلما قدم أميراً علي الكوفة ، أتاه ابن مسعود فقال : ماجاء بك ؟ قال : جئت أميراً فقال ابن مسعود : ماأدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس . وله أخبار فيها نكارة وشناعة ، تقطع علي سوء حالة وقبح أفعاله غفر الله لنا وله ، وقد إستعظم الناس توليته للكوفة . وقال عنه الأصمعى وأبو عبيدة والكلبى وغيرهم كان الوليد فاسقاً شريب خمر وكان شاعراً كريماً تجاوز الله عنا وعنه ، صلي بأهل الكوفة الصبح أربعاً وهو سكران تجاوز الله عنا وعنه ، ثم إلتفت وقال : أزيدكم ؟ وهو الذى حرض معاوية علي قتل عثمان ، وجلده على رضى الله عنه أربعين جلدة لشربه الخمر ، ولكن مع كل ذلك معلوم لنا عدالة الصحابة بتعديلهم من قبل الله عز وجل ، وإن طرأ عنهم فسق فادح ككذب أو سرقة عمل بمقتضاه فى حقه ، إلا أنه لا يصر علي مايخل فى عدالتهم بناء علي ماجاء فى القرآن من مدحهم وماجاء من تواتر الأحاديث فيهم ، لفلا يسوغ لنا الحكم على من إرتكب منهم فسقاً أنه مات علي الفسق ، وأن من كان يقال له قبل توبته فاسق لايقال باستمرار هذا الوصف فهم ثقة ببركة صحبتهم للرسول ولمزيد ثناء الله عليهم . ومأتيت بهذا إلا أنه قد يسأل السائل كيف هذا صحابى ونزلت فيه هذه الآية فنقول له بعد هذا الشرح : أن الرواية هذه تفيد بأ الوليد أطلق عليه فاسق وأنه داخل ضمن مدلول الآية ، وتفيد أن الصحابة غير معصومين عن الخطأ ، وتفيد أن الوليد بن عقبة تاب قبل موته غفر الله لناوله. وهذا كله ليس قدحاً فى حق صحابى معاذ الله وإنما فقط لقول الحقيقة وللتوضيح والله أعلم .

عداوة فى الجاهلية ، فلما سمع القوم به تلقوه تعظيما لله تعالي ولرسوله ، فحدثه الشيطان أنهم يودون قتله فهابهم ، فرجع من الطريق إلي رسول الله وقال : إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى ، فغضب رسول الله وهم أن يغزوهم ، فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا رسول الله وقالوا : سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى إليه ماقبلنا من حق الله تعالى ، فبدا له فى الرجوع ، فخشينا أن يكون إنما ردّه من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فأنزل الله تعالي : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق ...» . يعنى الوليد بن عقبة .[1] وللآية أسباب أخري فى نزولها ولكن هذا هو الغالب فى سبب النزول لإجماع المفسرين علي ذلك .

جاء فى تفسير الطبرى فى معني قوله تعالي : « فتبينوا» أى فتثبتوا ، وأن عامة أهل المدينة قرأ الآية بالثاء «فتثبتوا» ، وقرأ بعض القراء بالباء وكلاهما صحيح ، لأنهما قراءتان معروفتان متقاربتان فى المعني أى أمهلوا حتي تعرفوا صحته ولا تعجلوا بقبوله .[2]

وأورد إبن كثير فى تفسيره لهذه الآية (إن الله تعالي أمر بالتثبت فى خبر الفاسق وليحتاط له لئلا يحكم بقوله ، فيكون فى نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد إقتفي وراءه وقد نهي الله عز وجل عن إتباع المفسدين) .[3]

والآية الكريمة خصصت الفاسق [4] لأنه مظنة الكذب ، وحتي لايشيع الشك بين

(١) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ٢٦٨ ، وتفسير الطبرى ، ١٣ / ١٢٣ ، وأورده كذلك ابن كثير فى تفسيره ٤ / ٢٠٨ ، وتفسير الماوردى (النكت والعيون) ، ٤ / ٧٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٣ / ١٢٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٧٠ .

(٤) الفاسق : الخارج عن حجر الشرع ، من قولهم : أفسق الرطب إذا خرج قشرة ، وقال الراغب الأصفهانى : الفسق أعم من الكفر ويكون بالقليل والكثير من الذنوب ، ويقال عن الفاسق بأنه إلتزم حكم الشرع وأقرّ به ثم خرج عنه ببعضه أو كله ، انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٤ ، والتعريفات ص ٢١١ .

أفراد المجتمع فى كل ماينقله أفراده من أنباء وأخبار فلا بد من التحقق من هذه الأخبار ، وخاصة إذا جاءت من إنسان معهود عليه الكذب أو الفسق لأنه موضع شك ، فعلي الجماعة ألا تتعجل فى تصرف نبأ علي خبر الفاسق ، فتصيب قوماً بظلم عن جهالة ، وتسرع فتقدم علي إرتكاب مايغضب الله ، وبذلك يكون للمجتمع المسلم منهجية فى التثبت من الأقوال والأفعال والتوثيق من مصدرها قبل الحكم عليها . ويستند هذا المنهج إلي تقوي الله عز وجل ، وإلي إرجاع الأمر إلي سنة رسوله . ولقد أشارت إلي ذلك الآيات فى سورة النساء :« **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً** » . (١)

وقال تعالي فى نفس السورة :« **ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله** (٢) **فتبينوا ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فَمَنَّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً** » . (٣)

ويندرج تحت هذه الجزئية تجنب الكذب ،(٤) وهو الإخبار بغير الواقع . فعلي

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٢) **إذ ضربتم فى سبيل الله** : إذا سافرتم للجهاد . وتفسير وبيان القرآن الكريم للسيوطى ، ص ٧٤

(٣) سورة النساء : الآية ٩٤ .

(٤) **الكذب لغة** : نقيض الصدق ، يقال كذب يكذب كذباً ، **والكذب إصطلاحاً** : الإخبار عن الشئ بخلاف ماهو عليه . انظر : القاموس المحيط ، ٣ / ١١١ ، ومختار الصحاح ، ص ٢٣٦ ، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين . تأليف محمد بن علان الصديقى ٤ / ٣٨٠ ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت .

المسلم أن يتجنب هذه الخصال الشريرة فى معاملاته بين الناس ، لأنه من ظلم النفس ، ومن الأخلاق السيئة التى نهي الشارع عنها .قال تعالي : « **ولا تقف ماليس لك به علم** ... » .[1]

قال النسفى فى تفسيره لهذه الآية : (ولا تتبع مالم تعلم ، أى لا تقل رأيت ومارأيت وسمعت وماسمعت ، أولا تشهد بالزور أو لا تدعى أحداً بما لا تعلم) .[2] وأمر الله تعالي بضده وهو الصدق ، قال تعالي : « **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » .[3] فالمسلم صادق يحب الصدق ويلتزم به ظاهراً وباطناً فى أقواله وأفعاله ، إذ أن الصدق يهدى إلي البر ، والبر يهدى إلي الجنة ، والجنة أسمي غايات المسلم .

والتثبت فى الأخبار يقتضى عدم سوء الظن ،[4] (حسن الظن) .

فقد نهي الله تعالي عن سوء الظن بالمسلم من غير مبرر .

قال تعالي :« **ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ... »[5]

قال الطبرى فى تفسيره للأية الكريمة :(ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تقربوا كثيراً من الظن بالمؤمنين ، وذلك أن تظنوا بهم سوءاً ، فإن الظان غير محق ، وقال جل ثناؤه : « اجتنبوا كثيراً من الظن » ولم يقل : الظن كله ، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير ، فقال : « **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون**

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

(٢) تفسير النسفى ٢ / ٣١٤ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٤) **الظن** : هو الإعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل فى اليقين والشك . وقيل هو أحد طرفى الشك بصفة الرجحان، وقد عد الاصفهانى عدة وجوه للظن ، منها الشك والتهمة ، قال تعالي فى سورة الفتح آية ١٢ «وظننتم ظن السوء» . التعريفات ص ١٨٧ ، وقاموس القرآن ص ٣١٢ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين » [1] فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه .[2]

فالآية تنهي أفراد المجتمع المسلم عن كثير من الظن ، وهو التهمة والتخون للأهل والناس فى غير محله ، لأن بعض الظن يكون إثماً محضاً ، فليجتنب كثير منه إحتياطاً[3] بهذا يطهر القرآن ضمير أفراد المجتمع المسلم من داخله ، ويبعد بهم عن التلوث بالظن السيئ ، لئلا يقع فى الإثم فيبتعد عن الهواجس والشكوك .

إن المجتمع أبيض فى لونه يكن لإخوانه المودة التى لا يخدشها ظن السوء ، والبراءة التى لاتلوثها الريب والشكوك ، ومأأروع الحياة فى مجتمع برئ من الظنون.[4]

وإستزادة فى الأدلة علي نهى أفراد المجتمع المسلم عن سوء الظن قال فى حديث رواه أبوهريرة رضى الله عنه :[إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث] .[5]

فينبغى علي المسلم والمسلمة عند التعامل مع الآخرين أن يكون هذا التعامل قائماً علي حسن الظن ويكون فى حالات كثيرة ، فمثلاً الشريك عليه أن يحسن الظن بشريكه ، والصديق يحسن الظن بصديقه ، والزوج يحسن الظن بزوجته ... إلي غير ذلك .

وسوء الظن لا يأتى إلا من الإنسان الذى خبث باطنه وظاهره وتدنس بالمعاصى ، والظن الذى يأثم به الإنسان إثماً عظيماً هو الظن الذى يحققه الظان ، أى يعتبره شيئاً محققاً ثابتاً من غير دليل ، قاطع ثم يبنى علي ظن السوء الذى حققه هذا فى معاملاته مع الأخرين .

---

(١) سورة النور : الآية ١٢ .

(٢) تفسير الطبرى ، ١٣ / ١٣٤ – ١٣٥ .

(٣) انظر تفسير بن كثير ، ٤ / ٢١٢ .

(٤) انظر : فى ظلال القرآن ، ٧ / ٥٣٣ .

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ١٠ / ٣٨١ ، كتاب الأدب ، باب ماينهى عن التحاسد والتدابر ، وصحيح مسلم بشرح النووى ، ١٦ / ١١٨ .

وفى ضوء ماسبق نسترشد بالآية الكريمة ألي الآداب الآتية :

اجتناب ظن السوء بالآخرين دون مبرر ، لما يترتب علي ذلك من المفاسد والشرور وزعزعة الثقة بين أفراد المجتمع ، فتزول المحبة والألفة وتتقطع صلة الأرحام والتعاطف بين المسلمين ، وفوق ذلك فإن الظان يكون ظنه عائق عن الإشتغال بالعمل النافع ، وصارف له عن واجبات الحياة ، فتراه دائماً متطفلاً وشغوفاً ، يحب أن يتطلع علي العورات والتدخل فيما لايعنيه .

أن هنالك أنواعاً من الظن لا تحرم ، كالظن بالمسلم خيراً .

المبحث الخامس

النهي عن الإستهزاء والتجسس والغيبة والنميمة

المبحث الخامس

النهي عن الإستهزاء والتجسس والغيبة والنميمة

أولاً – آداب تتعلق بالنهى عن الإستهزاء[١] والإحتقار[٢] بالمسلم .

نهي الله سبحانه وتعالي فى كثير من الآيات عن السخرية من الآخرين والإستهزاء بهم ، وحرم ذلك للحفاظ علي حرمة الناس ، فالإنسان المؤمن بالله لا يسخر علي أحد من الناس ، أو يجعله موضع سخرية وإستهزاء لأن ذلك إحتقار له وتصغير من شأنه .

قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا[٣] أنفسكم ولا تنابزوا[٤] بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** » .[٥]

يوجه الله سبحانه وتعالي النداء للذين آمنوا بألا يستهزئوا من بعضهم بعضاً ، فلعل

---

(١) الإستهزاء : هو السخرية ، سخرت منه إستهزت منه ، قال صاحب الكليات : أن كل مافى القرآن من سخر فهو الإستهزاء إلا «سخريا» فى سورة الزخرف آية ٣٢ ، فإن المراد التسخير والإستخدام . انظر : المفردات للأصفهانى ص ٢٣٢ ، والكليات لأبى البقاء ص ٤٩٤ . فالسخرية من الأخرين وهو مايعرف أيضاً باللهمز ويكون بالاشارة كتحريك اليد للإشارة علي شئ أو إقفال العين رمزاً للإستخفاف ، أو باللسان للإستهزاء عن شئ فى بدنه أو عيب يكره أن ينسبه إليه .

(٢) الإحتقار : النظر إلي الشخص بإستخفاف ، والإحتقار من حقر الشئ إذا إستصغره ، يقال أستحقره نظر إليه بتهاون دون مبالاه وصغره بين الجالسين . انظر مختار الصحاح ص ٦١ .

(٣) اللمز : هو الشتيمة ، واللمز هو الوخز والطعن ، والمعني هنا هو العيب ، فالذى يعيب إنساناً فكأنه شتمه ووخزه فى كرامته، فلمز الغير نقص من كرامته وحقه فى شئ غير موصوف به ، أى السخرية من الناس بالقول كإتهامه بخلق سئ نهي الله عنه ، واللمز والنبذ شئ واحد .

(٤) التنابز : هو التعاير والتداعى بالألقاب ، والتنابز يكون بمناداة الشخص بإسم يكرهه ، مما يجعله بتلك المنابزة موضع سخرية ولمز .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١١ .

المستهزأ بهم يكونون خيراً من المستهزئين ، واختلف أهل التأويل فى السخرية التى نهي الله عنها فى هذه الآية ، فبعضهم قال : هى سخرية الغنى من الفقير وبعضهم قال فى الألقاب .

يقول ابن جرير إن الصواب فى ذلك أن الله عم بنهيه المؤمنين من السخرية فى جميع معانيها ، وأما بالنسبة للمز الأنفس فقد فسرها بألايغتاب بعضكم بعضاً ، ولا يطعن أحدكم فى الآخر ، وأما التنابز بالألقاب المناداة بالألقاب التى يكرها الشخص إذا نودى بها ، وفسر قوله تعالي :«بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» .أن من يفعل ذلك وهو مانهينا عنه ، ومن يعصى الله بعد إيمانه فسخر من المؤمنين ولمز الآخرين ونبزهم فهوفاسق ، وأما قوله تعالي : « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» . تعقيب علي مانهي الله عليه ، فإن من لم يتب من هذه الصفات الثلاثة السيئة فأولئك هم ظلموا أنفسهم فأكسبوها عقاب الله بفعلهم مانهي عنه الله ، وكذلك ظلموا غيرهم بالإستهزاء والتحقير ومناداتهم بألقاب سيئة ، فكل ذلك نقص لحقوقهم وكرامتهم .(١)

وسبب نزول الآية كما يذكر الواحدى أنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس ، وذلك أنه كان فى أذنه وقر ، فكان إذا أتي رسول الله أو سعوا له حتى يجلس إلي جنبه ، فيسمع مايقول ، فجاء يوماً . وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطي رقاب الناس ويقول : تفسحوا تفسحوا فقال له رجل : قد أصبت مجلساً فاجلس . فجلس ثابت مغضباً ، فغمز الرجل فقال : من هذا ؟ فقال : أنا فلان ، فقال ثابت بن فلانه ، وذكر أماً كانت له يعير بها فى الجاهلية ، فنكس الرجل رأسه استحياءً ، فأنزل الله تعالي هذه الآية ، وذكر أسباباً أخري فقال : إنها نزلت فى إمرأتين من أزواج النبى سخرتا من أم سلمة عندما ربطت عليها ثوباً أبيض ، وسدلت طرفه خلفها فكانت تجره ، فقالت عائشة لحفصة : انظرى ماتجر خلفها كأنه لسان كلب . فهذا كان سخريتها .(٢) وأياً كان سبب النزول فالعبرة بعدم الإستهزاء عامة .

---

(١) انظر: تفسير الطبرى ، ١٣ / ١٣٠ – ١٣٤ ، وتفسير ابن كثير ، ٤ / ٢١٢ ، وفتح القدير ، ٥ / ٦٤ .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحدى ، ص ٢٧٠ ، ولقد أورده القرطبى فى تفسيره ، ٧ / ٦١٤٤ ، وانظر تفسير الماوردى «النكت والعيون» ، ٤ / ٧٤ .

ودعماً للأية الكريمة ، نورد الحديث الشريف الذى يعتبر أن إحتقار المسلم نوع من الشر والإثم ، قال :[بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم علي المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه] . (١) يذكر ابن كثير فى تفسيره للآية (ينهي تعالي عن السخرية بالناس ، وهو احتقارهم والإستهزاء بهم ومن لم يتب ، أى من هذا ، فأولئك هم الظالمون ، .(٢)

إن المجتمع الفاضل الذى يقيمه الإسلام بهدى القرآن ، مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التى لا تمس وهى من كرامة المجموع ، (فالآية تنهى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم واستصغارهم والإستهزاء بهم وهذا حرام ، فقد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالي ، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له) .(٣) فالقيم الظاهرة التى يراها الرجال فى أنفسهم وتراها النساء فى أنفسهن ليست هى القيم الحقيقية التى يوزن بها الناس ، فإن ميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين البشرية ذات الأهواء .(٤)

ثم بعد ذلك تتوالي الآية القرآنية فى تأديب المسلمين ، فتنهي عن التنابز بالألقاب التى يكرها أصحابها، قال تعالي : « ولا تلمزوا أنفسكم» ففى هذه الجزئية من الآية الكريمة استجابة لعاطفة الأخوة الإيمانية ، فتذكر أفراد المجتمع المسلم بأنهم نفس واحدة ، فمن يلمز غيره فكأنما يلمز نفسه . ويصور القرآن الكريم عقاب من يلمز ويهمز فى آية أخري بأنه ملعون قال تعالي : « **ويل لكل همزة لمزة**» . (٥)

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٦ / ١٢١ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله وإحتقاره .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢١٢/٤ ، وانظر : فتح القدير ٥ / ٦٤ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير (اختصار) محمد على الصابونى ، ٤ / ٣٢٦ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨١م .

(٤) انظر : مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ، محمد لقمان الأعظي الندوى ، ص ٣٤٤ ، هذا الكتاب فى الأصل رسالة دكتوراة منشورة ، نال الباحث الدرجة من جامعة القاهرة ، كليه الآداب ، قسم اللغة العربية ، سنة ١٩٨٧م ، نشر دار الإعتصام ، القاهرة .

(٥) سورة الهمزة : الآية ١ .

فالآية الكريمة من سورة الحجرات نهت عن التنابز بالألقاب التى يكرها أصحابها، ويحسون فيها سخرية وعيباً لأن ذلك من حق المؤمن علي المؤمن ، ولأن هذه الصفات الزميمة لا تليق بأفراد المجتمع المؤمن ، ثم تنهي الآية بتهديد وتحذير أفراد المجتمع من إتباع هذه الخصال والصفات الذميمة ، لأن ذلك أشبه بالإرتداد عن الإيمان ، بل الأمر لايتوقف عند ذلك بل قررت أن من لم يتب فهو ظالم . وبذلك تضع الآية قواعد للأخلاق الفاضلة التى تليق بهذا المجتمع المؤمن الكريم.(١)

فالآية الكريمة إذا ماتأملناها ، وهى تنهي عن السخرية بين أفراد المجتمع الإسلامى ، ندرك تمام الإدراك عظمة الإسلام فى بنائه لهذا المجتمع النظيف العادل حتي فى أقواله ، فالصفات الثلاثة السابقة من صفات الشر التى تجرح المشاعر فلابد من الإبتعاد عنها .

ثانياً – آداب تتعلق بالنهى عن التجسس (٢) والغيبة (٣) والنميمة .(٤)

أ – النهي عن التجسس .

إن من حسن معاملة المسلم للمسلم ومن آداب المجتمع الإسلامى بين أفراده تجنب التجسس عليه، وتتبع ومعرفة عورات الآخرين .قال تعالي : «... **ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**» .(٥)

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن ، ٧ / ٥٣٢ .

(٢) **التجسس** : التبحث ، وهى من الجس وأصلها العرق والتعرف علي نبضه ، للحكم به علي الصحة أو السقم ، وهو أخص من الحس ، واشتق من الجس كلمة الجاسوس . معجم غريب القرآن ، ص ٢٨ ، ومعجم مفردات القرآن للأصفهانى ص ٩١.

(٣) **الغيبة** : وهى أن تذكر أخاك بما يكره ، فإن كانت فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن فقد بهته ، أى قلت عليه مالم يفعله ، وتقرأ الغيبة بكسر العين وسكون الياء وفتح الباء . التعريفات ، ص ٢١٠ ومعجم مفردات القرآن ص ٢٨٠ والمصباح المنير ٢ / ٦٢٧ .

(٤) **النميمة** : هى نقل كلام الناس بعضهم إلي بعض علي وجه الإفساد بينهم ، والنمام هو الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم ، فيكشف مايكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه ، وسواء كان ذلك بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرها . صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢ / ١١٢ ، والتعريفات ، ص ٣١٦ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

قال :[إنك إن إتبعت عـورات المسـلمين أفسـدتهم أو كـدت أن تفسدهم] .(١)

وقال : [يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته] (٢)

قال ألالوسى * : (ولا تجسسوا ، ولا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم ، وتستشكفوا عما ستروه . والجس من التفعل بإعتبار مافيه من الطلب ، كاللمس فإن من يطلب الشئ يجسه ويلمسه فأريد به مايلزمه ، وإستعمال التفعل للمبالغة) . (٣) والقرآن الكريم يقاوم هذا العمل الدنيء لتطهير القلوب من هذه الصفة الخسية ، التى يتبع صاحبها عورات الآخرين وكشف سوءاتهم ، حتي يتطهر المجتمع من الفساد ويمضى وهدفه الذى يصبو إليه .

وفى التجسس والتحسس وجهان :

أحدهما : أن معناهما واحد ، وقرأ الحسن بالحاء .

والوجه الثانى : أنهما مختلفان . وفى الفرق بينهما وجهان :

أحدهما : أن التجسس هو البحث ، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور ، وبالحاء هو ما يدركه الإنسان ببعض حواسه .

واالثانى : أنه بالحاء أى أن يطلبه لنفسه ، وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره ، والتجسس بمعني أن يجس الأخبار لنفسه ولغيره . (٤)

---

(١) سنن أبى داود ، ٤ / ٢٧٤ ، كتاب الأدب ، باب فى النهى عن التجسس ، حديث رقم ٤٨٨٨ .

(٢) سنن أبى داود ، ٤ / ٢٧١ ، كتاب الأدب ، باب فى الغيبة ، حديث رقم ٤٨٨٠ ، ومسند أحمد ابن حنبل ٤ / ٤٢١ - ٤٢٤ .

* **الألوسى** : هو محمد شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين محمد الألوسى الحسين أبو المعالى ، مؤرخ وأديب ومفسر وعالم فى الدين والآدب ، وله مصنفات جمه منها (روح المعانى) وهو تفسير كبير يحتوى علي علوم كثيرة ، ولد الألوسى فى رصافة ببغداد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتوفي فيها سنة ١٣٤٢هـ . انظر : الاعلام للزركلى ٧ / ١٧٣ .

(٣) روح المعانى للألوسى ، ٢٦ / ١٢٧ ، والتفسير المنير ٢٦ / ٢٥٥ .

(٤) انظر : تفسير الماوردى (النكت والعيون) ، ٤ / ٧٥ .

والآية تقيم سياجا آخر فى هذا المجتمع الفاضل الكريم ، حول حريات الأشخاص وكرامتهم وحرياتهم ، بينما هى تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم ، فى أسلوب مؤثر عجيب فى السياج الثانى ألا وهو « ولا تجسسوا» وهذا قد يكون الحركة الثانية للظن ، وقد يكون حركة إبتدائية لكشف العوارت والإطلاع عليها ، ففى المجتمع الإسلامى الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين علي أنفسهم، آمنين علي بيوتهم ، آمنين علي أسرارهم ، وأمنين علي عوراتهم ، فلا يوجد مبرر مهما كان لإنتهاك حرمات الأنفس والبيوت والعورات والأسر ، فليس لأحد أن يتتبع عوراتهم ومساوئهم ويتعقب بواطنهم ، وليس لأحد أن يؤاخذهم إلا بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم ، وهذا من فضل الله علي عباده .(١)

ب - النهي عن الغيبة .

وتمضى الآية الكريمة بتحرم الغيبة ، وتنفر المسلم من هذا الصفة الكريهة المزمومة فى تعبير موح مؤثر، يصل إلي أعماق النفس السوية فيردعها من الإقتراب من هذه الصفة :« **...أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ..**» .(٢)

فالمسلم الحق لا يجوز له أن يتشفي بالتشنيع علي أخيه المسلم بذكر مافيه ، أو يستحل عرض أخيه ويفضحه قال :[كل المسلم علي المسلم حرام ، دمه ، وعرضه وماله] .(٣) ووضح الرسول مفهوم الغيبة لأصحابه والنهى عنها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قيل : يارسول الله ما الغيبة؟ قال :[ذكر أخاك بما يكره] قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ماأقوله ؟قال :[إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته] .(٣) وقال : [إن من أربي الربي الإستطالة فى عرض المسلم بغير حق] .(٤)

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن ٦ / ٥٣٤ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٣) سبق تخريجه فى هذا المبحث عند الحديث عن الإستهزاء ، ص .

(٤) مسند أبى داود ٤ / ٢٧٠ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ، حديث رقم ٤٨٧٤ .

فالغيبة شهوة فى الإنسان المغتاب ، تهدم الأخرين وتنهش أعراضهم وكراماتهم وهم غائبون ، وقد شبه الله فى الآية الكريمة من ينهش فى عرض أخيه بمن يأكل لحمه ميتاً ، فالمشهدان ان من الإغتياب وأكل اللحم الميته وخاصة لحم الأخ تتأذي منهما النفوس .

وقد حرم بعض العلماء الإستماع للغيبة ، قال الإمام النووى :(إعلم أن الغيبة كما يحرم علي المغتاب ذكرها، يحرم علي السامع إستماعها وإقرارها) .(١)

قال تعالي : « **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** » .(٢)

نهي الله سبحانه وتعالي فى الآية الكريمة عن مجالسة الظالمين ، الذى ظلموا أنفسهم وغيرهم بإغتيابهم لأعراض الناس .

ذكر أبن كثير فى تفسيره للآية الكريمة ، إنك يامحمد إذا رأيت الذين يكذبون ويتستهزئون بآياتنا التى أنزلناها عليك ، فأعرض عنهم ولا تجلس معهم ، حتي يغيروا كلام الباطل الذى يخوضون فيه. (٣) قال الشوكانى : (هذا خطاب ظاهره للنبى فالمراد التعريض لأمته لتنزهه عن أن ينسيه الشيطان) .(٤)

وذكر القاسمى فى تفسيره أن الآية تعم كل ظالم لنفسه ولغيره بإغتياب الآخرين ، فلا يجوز لأحد مجالستهم ، مع ترك الإنكار عليهم ولا يكفى أن ينكر ويجلس ، لأنه ببقاءه يكون قد أظهر مايدل علي الرضا بفعلهم .(٥)

---

(١) مسند أبى داود ، نفس الجزء والصفحة ، حديث رقم ٤٨٧٦ .

(٢) الأذكار ، لمحى الدين أبى زكريا بن شرف النووى الدمشقى الشافعى ، ص ٣٠١ ، دار القلم ، بيروت .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٦٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢ / ١٤٤ ، وتفسير البيضاوى ، ص ١٧٩ ، وأحكام القرآن لابن العربى ٢ / ٧٣٩ .

(٥) تفسير فتح القدير للشوكانى ، ٢ / ١٢٩ .

وتأكيداً لما سبق نستدل بقوله تعالي : « **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم...** » .(١)

ونود التنويه ونحن بصدد النهى عن الغيبة أن من إغتاب غيره ، فليطلب منه العفو ثم يدعو ويستغفر له ، ويطلب من الله العفو ، وهنالك من الغيبة المباحة فى الحالات التالية :-

- التظلم : فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلي الوالى أو غيره ، ممن له ولاية أو قدرة علي إنصافه فيقول : فلان ظلمنى ، والدليل علي ذلك قوله تعالي :« **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليما** » .(٢)

ومع هذا الإستثناء يجب الإختصار بقدر الضرورة فقط ، وهى حالة التظلم .

- الإستعانة علي تغيير المنكر ودرء المعاصى ، فيقول لمن يستطيع أن يزيل المنكر فلان فعل كذا فأزجره ، وتكون النية والقصد إزالة المنكر .

- وفى الإستفتاء فيقول ظلمنى فلان ، فيذكر للمفتى مسألته من هو ظالمه .

- وفى تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم ، كأن يذكر فلان مجروح من الرواة أو الشهود ، ومنها ماهو للمشاورة فى التصاهر ، أو المشاركة التجارية أو المجاورة وغير ذلك .

- وفيمن يجاهر بفسقه ، كأن يشرب الخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به .

- وإذا كان الإنسان لا يعرف البته إلا باللقب الذى غلب عليه ، فيجوز تعريفه بالأعرج أو الأعمي ولو أمكنه بتعريفه بغير ذلك كان أولي .(٣)

جـ - النهي عن النميمة .

ومن حسن معاملة المسلم لغيره من أفراد المجتمع أن لا يكون نماماً ، يسعى

---

(١) انظر : تفسير القاسمى المسمي بمحاسن التأويل ، ٦ / ٢٣٦١ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

(٤) انظر : التفسير الواضح ، ٣ / ٦٤ .

للإفساد بينهم ، فينتشر وتثار البغضاء والعداوة بسبب ذلك . قال تعالي ناهياً عن هذه الصفة الدنيئة :« **ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم**» .[1] والهماز هو المغتاب .

فالنميمة شر من الأشرار ، وذلك لأن فيها نفاق وكذب وخداع وإفساد بين الناس ، وهذا مايؤدى إلي تفكك المجتمع ، ونشر روح الإعتداد والتباغض والتحاسد ، وعقاب النمام عدم دخوله فى مستقر رحمته ، فلا يدخل الجنة ، قال رسول الله :[لا يدخل الجنة قتات] .[2] والقتات هو الذى ينم بين الناس ، ويتسمع لكلامهم ، ثم ينم عليهم وهم لايعلمون . ويدخل فى هذا المعني الجاسوس الذى يترقب شعبه ويخبر العدو بما عندهم . والرسول يقول أيضاً فى حديث آخر مؤكداً قال مصير النمام وعقابه فى الآخرة:[لا يدخل الجنة نمام] . [3]

---

(١) سورة القلم : الآيتان ، ١٠ – ١١ .

(٢) سنن أبى داود ، ٤ /. ٢٦٩ ، كتاب الأدب ، باب القتات ، حديث رقم ٤٨٧١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢ / ٤٧٢ ، حديث رقم ١٦٨ .

المبحث السادس

آداب السلام والإستئذان

المبحث السادس

آداب السلام والإستئذان

أولاً : آداب السلام والتحية والمصافحة

امتاز المجتمع الإسلامى بشخصية خاصة لا تلتبس بالشخصية الجاهلية ، وتميز بتصور خاص وبآداب خاصة ، وعرف المجتمع الإسلامى بميزته الفريدة ، بأنه مجتمع قرآنى ربانى مجتمع الوسط، لأن أفراده من أمة الوسط . وكان من ضمن آداب هذا المجتمع أداب التحية واللقاء . والتحية علامة من العلامات التى تدور بها عجلة الحياة فى يسر إذا إتبع الأدب الواجب فيها ، وتعاليم الإسلام تدعو إلي نشر السلام والتودد بين الناس ، فتفرض علي المسلم حينما يلتقى بآخر أن يحيه قائلاً : السلام عليكم ، وتلزم الآخر بأن يجيبه قائلاً : وعليكم السلام .

والسلام ثابت بالكتاب والسنة ، أما من الكتاب فلقوله تعالي : « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ...** ». (١)

- ذكر ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية ، أى إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم ، فالزيادة هنا تكون مندوبة ، والمماثلة فى رد السلام مفروضة.(٢)

وبين القاسمى فى محاسن التأويل ، أنه اذا سلم عليكم فهذا دعاء لسلامة حياتكم وصفاتكم التى بها كمال الحياة ، فإن قيل لكم السلام عليكم فأدوا حق المسلم عليكم بتحية أحسن منها بأن تقولوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . وذكر الراغب (٣) أن أصل التحية هى الدعاء بالحياة وطولها ، ثم إستعملت فى كل دعاء ، والعرب

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٥٣١ .

(٣) هو الراغب الأصفهانى صاحب كتاب مفردات ألفاظ القرآن .

كانت تقـول إذا لقى بعضهم بعضـاً : حياك الله ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الإسلام قال تعالي : « ... **تحيتهم فيها سلام** » .[1] وميزة السلام الشرعى عن قول (حياك) أنه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية ، وهى مستلزمة لطول الحياة ، وليس فى دعاء (حياك) ذلك .[2]

نري أن الإسلام له تحية خاصة ، تميز المجتمع المسلم وتجعل كل سمة فيه من السمات اليومية العادية منفردة متميزة ، جعل تحيته (السلام عليكم) أو (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) والرد عليها بأحسن منها أو بمثلها ، واختفت الكلمات المعهودة فى الجاهلية كعم صباحاً أو عم مساءً .

وقال تعالي : « ... **فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عندالله مباركة طيبة** ... ».[3]

جاء فى تفسير القرطبى ما نصه : (إختلف المتأولون فى أى البيوت أراد ، فقال ابراهيم النخعى* والحسن البصرى ** أراد المساجد ، والمعني سلموا علي من فيها من صنفكم ، فإن لم يكن فى المساجد أحد فالسلام أن يقول المرء : السلام علي رسول الله . وقيل : يقول السلام عليكم يريد الملائكة ، ثم يقول : السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين ... وقيل المراد بالبيوت المسكونة ، أى فسلموا علي أنفسكم . وقالوا : يدخل

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٣ .

(٢) انظر : تفسير القاسمى ٥/١٤٢٣ – ١٤٢٤ .

(٣) سورة النور : الآية ٦١ .

* **إبراهيم النخعى** : هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى أبو عمران الكوفى ، الفقيه الثقة ، إلا أنه كان يرسل كثيراً ، من الطبقة الثانية ، وهو من الزهاد ، توفى رحمه الله سنة ٩٥ هـ وقيل ٩٦ هـ وهو ابن ٥٠ عاماً. انظر : تهذيب التهذيب ١/١٧٦ ، وطبقات ابن سعد ٦/٢٧٠ ، والبداية والنهاية ٩/١٤٠ ، وميزان الإعتدال ١/٧٤ رقم ٢٥٢ .

** **الحسن البصرى** : هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى الأنصارى ، إمام مشهور ومجمع علي عدالته ، جامع للعلوم فقيه عابد ، كثير العلم فصيح اللسان ، توفى سنة ١١٠هـ رحمه الله . انظر : ميزان الإعتدال ١/٥٢٧ رقم ١٩٦٨ .

فى ذلك البيوت الغير مسكونة ، ويسلم المرء فيها علي نفسه بأن يقول : السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين . والقول بالعموم فى البيوت هو الصحيح ولا دليل علي التخصيص ، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه) .(١)

وأما من السنة لما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله : [حق المسلم علي المسلم خمس ، رد السلام وزيارة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس] .(٢)

إن السلام هو التحية التى شرعها الله لعبادة المؤمنين من لدن آدم عليه السلام إلي يوم القيامة ، والسلام هو إسم الله عز وجل والسلام هو أحد أبواب الجنة ، والسلام العادل هو مبتغي الشعوب حتى تعيش آمنة .

ولفضل السلام قال : [لا تدخلوا الجنة حتي تؤمنوا ولا تؤمنوا حتي تحابوا ، أولا أدلكم علي شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم] .(٣)

وللسلام والرد عليه أحكام . ذكرها العلماء ، قال صاحب كتاب الأذكار : إعلم أن ابتداء السلام سنة مستحبة وليس بواجبة ، وهو سنة علي الكفاية ، فإن كان المسلّم جماعة كفي عنهم تسليم واحد منهم ، ولو سلموا كلهم كان أفضل ، وأما رد السلام فإن كان المسلّم عليه واحد تعين عليه الرد ، وإن كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم ، فإن رد واحد عنهم سقط عن الباقين ، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم ، وإن ردوا كلهم فهو النهاية فى الكمال والفضيلة ، وإن رد غيرهم لم يسقط الرد عنهم ، بل يجب عليهم أن يردوا وإلا أثموا كلهم .(٤)

---

(١) تفسير القرطبى ٣١٨/١٢ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ١٣٥/٣ ، كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز ، حديث رقم ١٢٤٠ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ، ١٤٣/١٤ ، كتاب السلام ، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ، وسنن الترمذى ، ٧٥/٥ ، كتاب الأدب ، باب ما جاء فى تشميت العاطس ، حديث ، رقم ٧٢٣٦ . قال أبوعيسى : حديث حسن صحيح .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٣٥/٢ ، كتاب الآيمان ، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . وسنن أبى داود ، ٣٥١/٤ ، كتاب الأيمان ، باب فى إفشاء السلام ، حديث رقم ٥١٩٣ ، وسنن ابن ماجة ، ٢٦/١ ، المقدمة ، باب فى الإيمان ، حديث رقم ٦٨ .

(٤) انظر : الأذكار للنووى ، ص ٢٢٠ .

والقول إن ابتداء السلام سنة فهذا لقول الأكثرين من العلماء ، وإن قال البعض منهم بأنه واجب . وأما بالنسبة لرد السلام فالجميع متفق علي أنه واجب ، علي أنهم إختلفوا فى الواجب منه ، فقال أكثرهم علي أن الواجب هو رد السلام دون الرحمة والبركة ، فيكفى أن يقول (وعليكم السلام) وقال البعض أن الرد الواجب يكون بقدر السلام ، فإن ذكر المسلم (السلام) فقط كفي فى الرد وعليكم السلام ، وإن زاد المسلم (ورحمة الله) وجب الرد زيادة ورحمة الله ، وإن زاد (بركاته) وجب زيادة وبركاته وذلك لقـــول الله تعـالي فى الآية الكريمة : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها» ، فالرد بالمثل واجب ، والأفضل الرد بالأحسن ، وهذا هو الظاهر من الآية الكريمة ، وبشرط أن يكون الرد علي الفور دون تأخير عن رد السلام ، أو تبليغه عن طريق الرسول ، فإن قال الرسول يسلم عليك فلان فيرد عليه علي الفور ويقول له : وعليك وعليه السلام .

ولو نادي إنساناً آخر من خلف ستار أو حائط فقال : السلام عليكم يا فلان ، أو كتب كتاباً فيه لفظ السلام عليكم فبلغه ذلك ، وجب أن يرد السلام فور بلوغه ، وإلا فهو آثم ، وهذا موضوع أفاض فيه النووى رحمه الله فى كتابه الأذكار ، مثل سلام الصبى على البالغ وسلام الأصم وغير ذلك فليراجع فى موضعه .(١)

وهنالك مواضع عديدة لا يستحب فيها رد السلام علي الآخرين ذكرها النووى علي النحو التالي :-

إذا كان الذى يسلم عليه مشتغلاً ببول أو جماع أو كان فى الحمام أو فى المرحاض.

أو إذا كان نائماً أو ناعساً .

أو إذا كان يقرأ القرآن فالأفضل ترك السلام عليه لإشتغاله بالتلاوة ، فإن سلم عليه كفاه أن يرد بالإشادرة ، وبعضهم قال : يجب عليه الرد باللفظ ومثله من كان مشتغلاً بالدعاء .

وأما السلام علي من يصلى فأجازه البعض ، والرد يكون بالإشارة كما فعل ، وبعضهم كرهه ، فإن سلم يحرم علي المصلى الرد باللفظ للنهي عن ذلك .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢١ – ٢٢٤ .

- كما ويكره السلام علي من يأكل إذا كانت اللقمة فى فمه .

أما بالنسبة لحكم السلام من الرجال علي النساء ذكر العلماء فى ذلك : -

أن يسلم الرجل المسلم علي المسلم الغير مشهور بفسق ولابدعة وكذلك بالنسبة للمرأة علي المرأة ، والمرأة علي المحارم عليها أن تسلم ويجب الرد عليها وكذلك العكس .

أما إن كانت المرأة أجنبية ومن القواعد من النساء جاز السلام عليها ، وكذلك بالنسبة للشابة التى إعتادت ملاقاة الرجال وكلامهم ولافتنة فى السلام عليها ، وأما إن كانت جميلة وخيف من الإفتتان فلايجوز سلام الرجل عليها ، وإن سلم لايستحق رداً ، ولايجوز لها أن تسلم عليه ، وإن سلمت لاتستحق رداً لأن الرد مكروه ، كما يجوز تسليم الواحد من الرجال علي جماعة من النساء وجماعة من النساء علي جماعة من الرجال والعكس ما دامت الفتنة مأمونة.(١)

جاء فى السنن عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت : (مر علينا رسول الله فى نسوة فسلم علينا).(٢)

آداب السلام :

ومن آداب السلام التى ينبغى أن يلم بها المسلم ما يلى:

* الإلتزام بصيغة السلام الواردة عن الرسول [السلام عليكم] أو يزيد عليها ، ويكون الرد كذلك بعليكم السلام أو يزيد عليها لظاهر الآية كما أسلفنا آنفاً .

* وأن يبدأ بالسلام قبل الكلام إذا أراد أن يأتى أحداً فى بيته ، أو إذا لقي أحداً فى طريقه، أو إن أراد أن يختم حديثه أو مجلسه ، فيكون ذلك كله بالسلام إبتداءاً وإنتهاءاً

قال تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ...** ».(٣)

---

(١) انظر : الأذكار للنووى ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) سنن أبى داود ، ٣٥٣/٤ ، كتاب الأدب ، باب فى السلام علي النساء ، حديث رقم ٥٢٠٤ .

(٣) سورة النور : الآية ٢٧ .

وقال : [إذا إنتهي أحدكم إلي المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليست الأولي بأحق من الأخرة] .(١)

* ويستحب إذا دخل بيته أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد .

* وإذا مر علي واحد أو أكثر وغلب علي ظنه أنه إذا سلم لا يرد عليه أحد لتكبر أو إهمال أو لغير ذلك ، فالأفضل أن يسلم ولا يتركه للظن فالسلام مأمور به .

* وعلينا أن نترك بقدر الإمكان من أنواع التحيات مثل صباح الخير أو مساء الخير ، أما ما هو مأخوذ عن الغرب من إصطلاحات فى التحية أو الوداع فلابد من تركها ونتمسك بشريعتنا الغراء وآدابها .

* وعلينا ألا نشير بالرأس أو اليد أو نحو ذلك بدلاً من النطق باللسان ، إلا إن كان هنالك ضرورة.

* ويسلم الراكب علي الماشى ، والقائم علي القاعد ، والماشى علي الواقف ، والصغير علي الكبير ، والواحد علي الجماعة والقليل علي الكثير . فهكذا جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى حيث قال : [يسلم الراكب علي الماشى ، والماشى علي القاعد ، والقليل علي الكثير] .(٢) فبدأ بالراكب لعلو مرتبته لأن ذلك أبعد له عن الزهو والتكبر ، وكذلك قيل فى الماشى مثله ، وقيل لما كان القاعد علي حال وقار

---

(١) سنن أبى داود ، ٤/٣٥٤ ، كتاب الأدب ، باب فى السلام إذا قام من المجلس ، حديث رقم ٥٢٠٨ ، وسنن الترمذى، ٥/ ٦٠ ، كتاب الإستئذان ، باب ما جاء فى التسليم عند المقام وعند القعود ، حديث رقم ٢٧٠٦ . قال أبوعيسي : حديث حسن صحيح ، ومسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٧٦ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، ٥/٥٩ ، كتاب الإستئذان ، باب ما جاء فى تسليم الراكب علي الماشى ، حديث رقم ٢٧٠٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والبخارى فى الأدب المفرد ، باب تسليم الراكب علي القاعد ٤/ ٣٣٤ ، حديث رقم ٩٩٩ ، وفى رواية البخارى يسلم الصغير علي الكبير والمار علي القاعد والقليل علي الكثير ، صحيح البخارى فتح البارى ، ١١/ ١٥ ، كتاب الإستئذان ، باب يسلم الراكب علي الماشى ، حديث رقم ٦٢٣٢ . وصحيح مسلم ٤/ ١٧٣٠ ، كتاب السلام ، باب يسلم الراكب علي الماشى ، حديث رقم ٢١٦٠ . وسنن الترمذى ، ٥/ ٥٨ – ٥٩ ، كتاب الإستئذان ، باب ما جاء فى تسليم الراكب علي الماشى ، حديث رقم ٢٧٠٣ – ٢٧٠٤ ، وسنن أبى داود ٥/ ٣٨٠ – ٣٨١ ، كتاب الأدب ، باب من أولي بالسلام ، حديث رقم ٥١٩٨ – ٥١٩٩ .

وثبوت وسكينة فله مزية بذلك علي الماشى ، لأن حاله على العكس من ذلك ، وأما بالنسبة لتسليم القليل علي الكثير مراعاة لأشرفية جمع المسلمين وأكثريتهم .

* ويسن السلام علي الصبيان ، مما يستجلب محبتهم ويقوي شخصيتهم ، كما يستحب إلقاء السلام علي الفقراء والمساكين وعلي من لا تعرفهم .

وتستحب المصافحة مع السلام دون إنحناء ، قال : [ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا] .(١)

ويكون إلقاء السلام والمصافحة بطلاقة الوجه دون عبوس ، وبلين الجانب وحرارة اللقاء أثناء إلقاء السلام أو رده ، لأن ذلك من الصدقات التى حثنا عليها الرسول بالإكثار منها.

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله : [لاتحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقي أخاك بوجه طليق] .(٢)

ثانياً : آداب الإستئذان (٣)

إن الإسلام جعل للبيوت والمساكن حقوقاً وآداباً لما لها من حرمة بحرمة ساكنيها ، فأعطي لهذه البيوت وحرمتها أهمية كبري ، تمثل ذلك فى طلب الأستئذان وللإستئذان آداب لم تكن مألوفة فى الجاهلية من قبل ، فهذا أدب جديد خالد جاء به الإسلام ليكون مجتمعه على الخلق الكريم والحياة المهذبة والآداب البناءة ، قال عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى**

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، ٣٨٨/٥ ، كتاب الأدب ، باب المصافحة ، حديث رقم ٥٢١١ – ٥٢١٢ . والترمذى فى سننه ٧٠/٥ ، كتاب الإستئذان ، باب المصافحة ، حديث رقم ٢٧٢٧ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجة فى سننه ١٢٢٠/٢ ، كتاب الأدب ، باب المصافحة ، حديث رقم ٣٧٠٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٧٧/١٦ ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند القاء .

(٣) **الإستئذان** : من طلب الإذن فى كل شيء ، وجاءت هنا للسماح بدخول المنزل ، والإستئناس هو الإستئذان ، إذ بالإستئذان يحصل الأنس للزائر وأهل البيت ، إذن الإستئناس هو طلب العلم .

تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم * ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » .(١)

لهذه الآيات الكريمة سبب فى نزولها ، فقد روي ابن جرير عن عدى بن ثابت : أن امرأة من الأنصار قالت : (يارسول الله إنى أكون فى بيتى علي حال لا أحب أن يرانى عليه أحد – لا والد ولا ولد – فيأتى آت فيدخل عليَّ ، وأنه لا يزال يدخل رجل من أهلى وأنا علي تلك الحال فكيف أصنع ؟ فنزلت الآية . فقال أبوبكر رضى الله عنه : يارسول الله أفرأيت الحانات والمساكن فى طريق الشام ليس فيها ساكن ، فأنزل الله تعالي : « ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة » .(٢)

قال الطبرى عند تفسيره لهذه الآية الكريمة عن ابن عباس : الإستئناس هو الإستئذان . وتأويل الكلام يكون معناه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتي تسلموا وتستأذنوا ، وذلك أن يقول أحدكم : السلام عليكم أدخل ؟ وهو من المقدم الذى معناه التأخير إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا ، وقوله تعالى : « ذلكم خير لكم » يقول : إستئناسكم وتسليمكم علي أهل البيت الذى تريدون دخوله ، فإن دخولكم خير لكم ، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن علي ماذا تهجمون . علي ما يسوءكم أو يسركم ؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن لم تدخلوا علي ما تكرهون ، وأديتم بذلك أيضاً حق الله عليكم فى الإستئذان والسلام . فلعلكم تتذكروا بفعلكم ذلك أمر الله عليكم ، واللازم لكم من طاعته فتطيعوه . فإن لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحداً يأذن لكم بالدخول إليها فلا تدخلوها لأنها ليست لكم ، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أصحابها ،

---

(١) سورة النور : الآيات ٢٧ – ٢٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ١١١/١٠ ، وتفسير القرطبى ٢١٣/١٢ ، وأسباب النزول للواحدى ، ص ٢٢٤ ، وتفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى ، ص ٣١٦ ،

فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها ، وإن قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها ، وارجعوا عنها لأن رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم بالدخول فيها أطهر لكم عند الله ، والله بما تعملون عن رجوعكم بعد إستئذانكم فى بيوت غيركم إذا قيل لكم ارجعوا ورجعتم فإنها طاعة لله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فهو ذو علم محيط بذلك كله ومحصى جميعه عليكم فيجازيكم علي ذلك كله.(١)

وقال القرطبى فى تفسيره لهذه الآية : « ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً .. » ما نصه : (لما خصّ الله سبحانه ابن آدم الذى كرمه وفضله بالمنازل وستره فيها عن الأبصار ، وملكه الإستمتاع بها علي انفراد ، وحجر علي الخلق أن يطلعوا علي ما فيها من خارج ، أو يلجوها من غير أذن أربابها ، أدبهم بما يرجع إلي الستر عليهم ، لئلا يطلع أحد منهم علي عورته).(٢)

وذكر فى تفسير مختصر ابن كثير ما نصه : (هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين ، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى «يستأنسوا» أى يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده ، وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات ، فإن أذن له والإ إنصرف كما ثبت فى الصحيح أن أبا موسي الأشعرى حين إستأذن ثلاث مرات ، فلم يؤذن له إنصرف ، ثم قال عمر : ألم تسمع صوت عبدالله ابن قيس يستأذن ؟ أئذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال : ما أرجوك ؟ قال : إنى إستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن ، وإنى سمعت النبى يقول : [إذا إستأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف] ، فقال عمر لتأتين على هذا بينة وإلا أو جعلته ضرباً ، فذهب إلي ملأ الأنصار فذكر لهم ، وقال عمر ، فقالوا : (لا يشهد لك إلا أصغرنا ، فقام معه أبوسعيد الخدرى فأخبر عمر بذلك) .(٣)

---

(١) تفسير الطبرى ، ١١٢/١٠ – ١١٣ ، والتفسير المنير ٢٠٠/١٨ وما بعدها .

(٢) تفسير القرطبى ، ٢١٢/١٢ .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابونى ، ٥٩٦/٢ .

بين صاحب الظلال أن الله قد جعل البيوت سكناً يفيء إليها الناس ، فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم ، ويأمنون علي عوراتهم وحرماتهم ، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم ، وفى الوقت الذى يتخيرونه وعلي الحالة التى يحبون أن يلقوا الناس بها . ذلك أن إستباحة حرمة البيوت من الداخلين دون إذن ، يجعل أعينهم تقع علي عورات ، وتلتقى بمفاتن تثير الشهوات ، وتهيء الفرصة للغواية الناشئة من اللقاءات العابرة أو النظرات الطائرة ، التى قد تتكرر فتحول النظرات إلي قصد وعمد تحركها الميول إلي أيقظتها اللقاءات الأولي علي غير قصد ولا انتظار . ولقد كانوا فى الجاهلية يهجمون هجوماً فيدخل الزائر البيت ثم يقول : لقد دخلت ، وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله فى الحالة التى لا يجوز أن يراهما عليه أحد . أو أن يقع بأن تكون المرأة عارية أو مكشوفة العورة هى أو الرجل ، فهذا مما يؤذى ويجرح الشعور ، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها، فضلاً عن أنه يعرض النفوس للفتنة حين تقع العين علي ما يثير ، ومن أجل هذا وذلك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالى . أدب الإستئذان علي البيوت والسلام علي أهلها لإيناسهم وإزالة الوحشة من نفوسهم قبل الدخول ، والإيناس من الأنسة التى تحدث فى نفوس أهل البيوت أنساً وإستعداداً للإستقبال . (١)

وبهذا يتبين أن الآيات الكريمة من سورة النور المدنية النزول ، سارت فى أدبها التوجيهى التى أنزلت من أجل تنظيم الحياة المنزلية وصون روابط الأسرة ، وتفظ أواصر القرابة ولتحدد حقوق العشرة وأدب الإختلاط بين الجانبين ، ثم تدرجت فى الآداب إلي أن جاءت بآداب الدخول إلي البيوت ، فتناولت أمراً اجتماعياً خطيراً ، كان مألوفاً عند العرب بأن يدخل الرجل غير بيته دون استئذان ، ولا يري بأساً فى ذلك بل يري أن الإستئذان حجراً علي حريتهم . حتي من كان منهم يستأذن فلا ينتظر أن يؤذن له بالدخول ، فجاءت هذه الآيات تحمل أدباً تشريعياً يصان به شرفهم ، ويستر مواضع الستر من حياتهم ، وينزع من نفوسهم هذه العادات المتأصلة فى نفوسهم ونفوس آبائهم . فهذه آداب تعود علي المجتمع بالخير ، فتقطع ألسن المفسدين من أن

(١) انظر : فى ظلال القرآن ٦/٨٧ – ٨٨ .

تلاك فى أعراض الناس ، وتقضى علي الشهوات وأسباب موارد التهم ، فالآيات الكريمة تلتقى بأهداف السورة فى بناء المجتمع الإسلامى القائم علي العفة والطهر والستر والمحافظة علي الأعراض والأنساب ، فهذا كله يؤدى إلي وحدة وتماسك المجتمع .(١)

أما بالنسبة للإستئذان والسلام أيهما يقدم علي الآخر ، فالمسألة علي ثلاثة آراء : -

الرأي الأول : تقديم الإستئذان علي السلام ، فيقول أأدخل السلام عليكم ، وذلك لتقديم الإستئذان على السلام كما ورد فى الآية الكريمة .

أما الرأي الثاني : تقديم السلام علي الإستئذان فيقول السلام عليكم أأدخل ؟ وذلك لما روى عن النبى بأن رجلاً من بنى عامر استأذن علي النبى وهو فى البيت فقال : أألج فقال النبى لخادمه أخرج فعلمه الإستئذان فقل له : السلام عليكم أأدخل ، فسمعه الرجل وقال : السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبى (٢)

وما روى كذلك عن أبى هريرة فيمن يستأذن قبل أن يسلم قال :(لا يؤذن له حتي يسلم) .(٣)

أما الرأي الأخير : أن بعض العلماء فصل ذلك تفصيلاً حسناً ، وهو أنه إن وقعت عين إنسان علي من فى البيت بأن كانوا ظاهرين قدم السلام ، وإلا قدم الإستئذان .(٤)

والذى أراه تقديم الإستئذان لأنه بمثابة الإعلام ، فالإنسان إذا دق باب أو قرع الجرس فكأنه أعلم من بداخل الدار بوجود إنسان علي الباب ، فإذا ردوا عليه قال :

---

(١) انظر : المرجع السابق نفس الجزء ص ٨٨ ، وما بعدها .

(٢) سنن أبى داود ، ٣٦٩/٥ ، كتاب الأدب ، باب كيفية الإستئذان ، حديث رقم ٥١٧٧ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ٢٤/١١ ، كتاب الإستئذان .

(٤) انظر هذه الأقوال فى تفسير روح المعانى للألوسى ١٣٤/١٨ - ١٣٥ ، وتفسير القرطبى ٢١٧/١٢ - ٢١٨ ، وأحكام القرآن لابن العربى ١٣٦٠/٣ - ١٣٦١ .

السلام عليكم . وأما ما سبق من الحديثين فيفيدان الإعلام أولاً ثم الإستئذان ، هذا مع ملاحظة أن البيوت قد إختلفت اليوم عن سابقها فكانت دون ساتر أو حائط .

ولا يقتصر الإستئذان علي البيوت فقط ، فلا مانع من جعل حجرات الموظفين أو مكاتبهم كالبيوت ، فيحسن الإستئذان عند الولوج إليها ، فلربما الموظف فى شغل شاغل أو عنده مصلحة لا يريد أن يراها أو يطلع عليها أحد ، وهذا بلاشك أحفظ للأسرار وللوقت وأدعي للعمل والجد. (١)

وكما أنه يستأذن علي الأجانب عند دخول البيوت ، فكذلك الأمر بالنسبة للمحارم ، لعموم الآية ، ولما روى أن رجلاً قال للنبى : أأستأذن علي أمى ؟ قال : نعم . قال : إنها ليست لها خادم غيرى ، أفأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قا ل : أتحب أن تراها عريانة ؟ قال الرجل لا ، قال : فاستأذن عليها (٢) ويندرج الإستئذان علي الباقين من المحارم .

والإسلام فى تشريعه الخالد فى هذا الأدب الرفيع حدد عدد مرات الإستئذان . وإن كانت الآية الكريمة لم تحدد ذلك ، لكن تكفلت سنة رسول الله ببيان العدد وهو ثلاث ، فقد روى عنأابى هريرة عن النبى : [الإستئذان ثلاثة : بالأولي ينصتون وبالثانية يستصلحون ، وبالثالثة يأذنون أو يردون] .(٣)

قال القرطبى : السنة فى الإستئذان ثلاث مرات لايزاد عليها ، وإن علم أنه لم يسمع فلا بأس بأن يزيد . ومن الآداب الشرعية ألا يستقبل المستأذن الباب بوجهه ، وإنما يقف عن يمين الباب أو عن شماله ، لأنه لو استقبله بوجهه فقد يقع نظره علي ما لا يحل له أن ينظر إليه ، وتكون صفة دق الباب خفيفاً بحيث يسمع ولا يعنف فى ذلك. (٤)

---

(١) انظر : التفسير الواضح ٦١/٢ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢٥/١١ ، كتاب الإستئذان ، باب الإستئذان من أجل البصر ، وتفسير الطبرى ١١٢/١ ، وأحكام القرآن للجصاص ١٦٩/٥ – ١٧٠ .

(٣) فتح البارى ، ٢٧/١١ ، باب التسليم والإستئذان ، حديث رقم ٤٥٦٢ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/١٤ ، كتاب الأدب ، باب الإستئذان .

(٤) انظر : تفسير القرطبى ٢١٥/١٢ – ٢١٧ .

فقد صح أنه كان إذا أتي باب قوم ، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، فيقول : السلام عليكم ، وذلك لأن الدور لم يكن حينئذ لها ستور .(١)

ومن الآداب كذلك أن يعرف الشخص نفسه عندما يستأذن ، ويدل علي ذلك ما روى عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال : استأذنت علي النبى فقال : من هذا ؟ فقلت أنا فقال النبى أنا أنا كأنه كره ذلك . (٢)

التحذير من دخول البيوت دون إستئذان

وذلك من قوله تعـــالي : « **فإن لم تجدوا فيهـا أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ...** » (٣) أتمت هذه الآية لما ذكرته الآية السابقة ، فكانت تأمر بالاستئذان إذا كان أصحاب البيوت بداخلها ، أما الآية الكريمة تطلب عدم الدخول فى البيوت التى لا يوجد بها أصحابها .

قال الزمخشرى : إن لم تجدوا فيها أحداً من الآذنين فلا تدخلوا تلك البيوت ، واصبروا حتي تجدوا من يأذن لكم ، وقال أيضاً : يحتمل إن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها ، سواء كان الباب مغلقاً أو مفتوحاً ، فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا بتكرار الإستئذان ، ولا تقفوا علي الأبواب منتظرين ، لأن ذلك مجلباً للكراهة ، ويجعل القلوب تشتعل حقداً خصوصاً إذا كانوا من ذوى المروءة .(٤)

الحالات التي يجوز الدخول فيها دون استئذان

فيما سبق ذكرنا أنه لا يجوز الدخول فى البيوت الآهلة بالسكان ، وحتي التى لم

---

(١) انظر : فتح البارى بشرح البخارى ٢٥/١١ ، باب الإستئذان من أجل النظر .

(٢) المرجع السابق ٣٥/١١ ، باب إذا قال من قال أنا ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٣٥/٤ ، باب كراهية قول المستأذن أنا إذا قيل له من هذا .

(٣) سورة النور : الآية ٢٨ .

(٤) انظر : تفسير الكشاف ٧٠/٣ ، وتفسير أبى السعود ١٦٨/٦ .

يوجد بها أحد وأهلها خارجون ، فلا يجوز الدخول إلا بإذن ، ولكن تقتضى الضرورة الدخول بغير إذن ذكرها المفسرون ، مثل الحريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر فاحش يجب إزالته أو أمر إضطرارى من الأمور التى يحتاج لها أهل البيت من المساعدة .[1]

وهنالك حالة ذكرها القرآن بقوله تعالي : « **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** » .[2]

فهذه الآية تخصيص لعموم الآية السابقة ، حيث كان النهى عن الدخول علي البيوت المسكونة إلا بعد الإستئذان والتسليم ، أما البيوت الغير معدة للسكن كالبيوت العامة مثل الحوانيت والفنادق وبيوت الضيافات والخرابات وما شاكلها فمستثناه من هذا ، فلا جناح ولا إثم فى ذلك بدخولها من غير استئذان ، لأنها معدة فى الأصل للإستقبال العام وتقديم الخدمات للنزلاء .[3]

الإستئذان للأطفال والرقيق داخل البيت

يتمثل ذلك بقوله تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم**[4] **والذين لم يبلغوا الحلم**[5] **منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم**[6] **ليس عليكم ولا عليهم جناح**[7]

(١) انظر : تفسير الرازى ٢٣/٢٠١ ، وتفسير الكشاف ٣/٧٠ .

(٢) سورة النور : الآية ٢٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبرى ١٠/١١٣ - ١١٤ ، وأحكام القرآن لابن العربى ٣/١٣٦٣ ، وتفسير القرطبى ١٢/٢٢٣ .

(٤) **اللذين ملكت أيمانهم** : العبيد والإماء ، وأما فقد انقضي هذا الصنف أو قارب علي الزوال فالآن بدلاً منهم الخدم ، لأن الخادم أو الخادمة فى وقتنا الحاضر لها حكم الإماء فى هذه المسألة .

(٥) **اللذين لم يبلغوا الحلم** : الصبيان اللذين لم يبلغوا من الأحرار ، والحلم من حلم وهو وقت البلوغ ، إما بالإحتلام أو بلوغ سن الخامسة عشر سنة .

(٦) **ثلاث عورات** : أى ثلاث أوقات ، يختل فيها ستر الإنسان ، وتبدوا فيها العورات للغالب فيها بإلقاءالثياب .

(٧) **جناح** : إثم وذنب فى الدخول عليه بغير استئذان .

بعدهن طوافون [1] عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » . [2]

وسبب النزول لهذه الآية الكريمة أن الرسول وجه غلاماً من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلي عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه ، فدخل فرأي عمر بحاله كره عمر رؤيته تلك ، فقال : يارسول الله وددت لو أن الله تعالي أمرنا ونهانا فى حال الإستئذان فأنزل الله هذه الآية .

وقال مقاتل نزلت فى أسماء بنت مرشد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فأتت رسول الله : إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حالة نكرهها ، فأنزل الله تعالي هذه الآية .[3]

فقد أمر الله سبحانه وتعالي المؤمنين أن يمنعوا عبيدهم وخدمهم وصبيانهم الذين لم يبلغوا الحلم ذكوراً أو أناثاً من الدخول عليهم فى مضاجعهم دون إذن ، وخاصة فى الأوقات الثلاثة من قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة عند القيلولة ، وبعد صلاة العشاء ، إذ يتعود الناس فى هذه الأوقات بخلع ملابسهم ، فلا بد من الإستئذان كى لا تقع أنظارهم علي عورات أهليهم ، لأن ذلك منظر يخجل منه المملوك ، وينطبع فى نفس الطفل بشئ لم يتعود رؤيته ، ولأنه أحب للأطفال حتي يتعودوا علي ستر العورة فيكون ذلك سجية فى نفوسهم إذا ما كبروا ، فالله سبحانه وتعالي عليم خبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب ، فهو يريد أن يبنى أمة سليمة الأعصاب سليمة الصدور ، مهذبة المشاعر طاهرة القلوب ، نظيفة التصورات بهذه الأوقات الثلاثة ، فجمع بين الحرص علي عدم كشف العورات ، وإزالة الحرج والمشقة .[4]

---

(١) أى طوافون عليكم للخدمة والمخالطة وكثرة المداخلة . انظر : التفسير المنير ١٨/ ٢٩٠ .

(٢) سورة النور : الآيتان : ٥٨ – ٥٩ .

(٣) انظر : أسباب النزول ص ٢٨٨ .

(٤) انظر : تفسير القرطبى ١٢/ ٣٠٤ ، وتفسير النسفى ٢/ ١٥٣ ، والظلال ٦/ ١٢٣ ، والتحرير والتنوير ٨/ ٢٩٢ ، وروح المعانى للألوسى ١٨/ ٢١٣ ، وتفسير الفخر الرازى ٢٤/ ٢٨ .

وجوب استئذان البالغين

قال تعالي : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » .(١)

إن الذين بلغوا الحلم عليهم الإستئذان فى جميع الأوقات ، كما أستأذن من قبلهم من الكبار الذين أمروا بالإستئذان من غير إستثناء .(٢)

يعلق صاحب الظلال علي هذا الأدب الإجتماعى ، أدب الإستئذان داخل الأسرة المسلمة ما نصه : (وهو أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية ، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ، ظانين أن الخدم لاتمتد أعينهم علي عورات السادة ، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر ، بينما يقرر النفسيون اليوم أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها ، وقد تصيبهم بأمراض نفسيه وعصبية يصعب شفاؤهم منها) .(٣)

قال الزمخشرى فى تفسير الآية : (يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم فى الآية ، والمعني أن الأطفال مأذون لهم فى الدخول بغير إذن إلا فى العورات الثلاث ، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التى يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يقطعوا عن تلك العادة ، ويحملوا على أن يستأذنوا فى جميع الأوقات ، كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن ، وهذا مما اصبح الناس عنه فى غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة) .(٤)

---

(١) سورة النور : الآية ٥٩ .

(٢) انظر : تفسير النسفى ١٥٤/٢ ، وتفسير فتح القدير ٥٢/٤ .

(٣) فى ظلال القرآن ، ١٢٣/٦ .

(٤) تفسير الكشاف ٨٣/٣ .

ونتوه هنا أنه وردت آية تحذر المؤمنين من دخول بيت النبى دون إذن منه ، لدعوة إلي الطعام حتي ينضج هذا الطعام وهى قوله تعالي : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق .....** » .(١)

وسبب نزول الآية أن رسول الله أولم وليمة لأصحابه حين زفافه علي زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فجاءوا قبل نضج الطعام ، ثم ظلوا يتسامرون بعد تناوله فتضايق النبى وأهله من ذلك ، فخرج من البيت ثم عاد فوجد بعضهم ما زال يتسامر ، فخرج ثانية ثم عاد فوجد بعضهم ما يزال ، فخرج ثالثة ثم عاد فوجدهم قد انصرفوا ، فأمر بضرب ستار علي الباب فنزلت الآية .(٢)

فهذه الآية الكريمة وإن كان لها سبب فى النزول ، إلا أنها تضمنت آداباً عامة فى الدخول إلي البيوت والخروج منها ، والحجاب وعدم الإختلاط وتحريم إيذاء النبى وزواج نساءه من بعده .

فالآية الكريمة جاءت فى صدد دخول بيوت النبى ، فكان يتحرج من أصحابه فى تلك الوليمة ، لأنهم أولاً دخلوا بيته قبل نضج الطعام ، ثم مكثوا بعد الأكل وأخذوا يتسامرون . وهذا يشير إلي أن التأديب فيها أمر ظرفى خاص إنتهي مداه ، وأن التأديب فى آيات النور هو المحكم المستمر .

ومع ذلك يصح أن يقال أن علي المسلمين أن يتأدبوا بما فيها من أدب ، إذا كان الظرف مماثلاً ، بحيث لا يأتى المدعون علي الطعام فى بيت إلا حين اخبارهم بأنه مهيأ ، ولا يطيلون المكوث بعد تناوله حتي لا يسبب لأهل البيت ضيقاً وحرجاً.(٣)

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ .

(٢) انظر : أسباب النزول للواحد ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٣) انظر : الدستور القرآنى فى شئون الحياة ٢/٢٤٥ ، والتفسير المنير ٢٢/٨٦ .

أهم آداب دخول البيوت

وفى هذه الجولة عن أدب الأسرة وآداب دخول المسلمين علي بعضهم البعض ، نوجز ما سبق إتماماً للفائدة عن أهم الآداب التى علي المسلم أن يتبعها عند دخوله علي بيت غيره أو بيته ، وذلك:

* أنه يحرم دخول الإنسان بيت غيره دون إذن ، لأن البيت ملك وإنتفاع ، فلا يكون ذلك إلا بالإذن ، وإذا إنتهك ذلك فهذا حرام ، بدليل الآية والأمر بعدم الدخول إلا بالإستئذان .

* وأن يكون استئذان الإنسان ثلاث مرات ، فإن قيل له أدخل يدخل ، وإن قيل له أرجع فلينصرف فذلك أطهر له .

* وأن لا ينظر فى بيت أحد قبل أن يؤذن له ، وألا يقف فى مواجهة الباب ، بل على يمينه أو شماله.

* وأنه يكره أن يقول أنا عند الإستئذان بل عليه توضيح اسمه .

* وأنه يسن له أن يقول السلام عليكم إذا أذن له ، وأن يطرق ثلاث مرات يفصل بينهما دون إزعاج .

* وكذلك الإستئذان علي الأمهات والأخوات والمحارم مطلوب حتي لا تقع العين علي شئ تكرهه النفس .

* ويستحب أن يعلِم الرجل زوجته بدخوله إما يتنحنح أو برفع صوته برد السلام حتي لا يراها علي حالة يكرهها . وقد نهي الرسول أن يطرق الرجل أهله طرقاً ليلاً لتخونهم.

* ويستحب للمستأذن أن يقبل الإعتذار إذا لم يكن المزور غير معد للزيارة .

* ويسمح بالدخول علي البيوت العامة دون إستئذان .

* ويستحب تربية الأطفال علي الإستئذان وخاصة فى الأوقات الثلاث ، وهى أوقات ظهور العورات ، وكذلك الأمر بالنسبة للخدم . فهذه جملة من آداب دخول المسلمين علي بعضهم البعض، فحرى أن نتأدب بها لتنتظم حياتنا وتكون هنيئة مطمئنة .

فهذه أهم الأداب العامة التى تجب علي أفراد المجتمع المسلم أن يتحلوا بها ، لأنها من مكملات الشخصية الإنسانية ، بل من أهمها فى حياة الإنسان ، فهى التى تجعل الشيء مقبولاً من عدمه ، سواء كان عبادة أو معاملة أو غير ذلك .

المبحث السابع

آداب حفظ الأعراض

المبحث السابع

آداب حفظ الأعراض

أولاً : النهي عن رمي المحصنات

للأعراض مكانة فى نفس الإنسان ، فهى تمثل له لوحة مشرقة ، يحرص الفرد بأن تكون ناصعة لا غبار عليها ، ومن هنا يبدو أثر الإسلام فى المجتمع بتعليم وتوجيه وتأديب أفراده لحفظ الأعراض ، بنهيهم عن رمى المحصنات ، وغير ذلك من تحريمه للزني وانتشار الفاحشة ، فالإسلام يربى أفراده على حسن معاملة المسلم مع أخيه ، فى عرضه وفى عدم التعرض الي محارمه المحصنات العفيفات بالقذف.[1]

قال تعالي فى سورة النور[2] : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** » .[3]

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الآية السابقة تحدثت عن جريمة الزنا، وعقوبة من

---

(١) **القذف** : هو من قذف الحجارة ، وهى باب ضرب ورمي ،وقذف المحصنة قذفاً ، رماها بالفاحشة ، والقذيفة القبيحة وهى الشتم، والقذف فى مرادفه الرمى وهى كناية عن الشتم . انظر : المصباح المنير ٢ / ٦٧٨ ، ومعجم ألفاظ القرآن، ص ٢٠٩ .

(٢) سورة النور كلها نور ، فيها الحديث عن المجتمع المتماسك الذى يقوم علي الفقه والطهارة ، فيها جمال المدنية الفاضلة التى تتسم بآداب اللياقة ولطف المعاشرة والمخالطة ، ورد ظلمات الشك والإفتراء ، ويميط اللسان عن المفترين، والمفسدين هذه السورة الذى فيها النور متصلاً بذات الله ثم يكون نوراً تستضيئ به البصائر وتهتدى به القلوب ، وتنير السبيل لمجتمع سليم متحضر كما يذكر النور بآثاره ومظاهره فى القلوب والأرواح . ممثلة هذه الآثار فى الأدب والأخلاق التى يقوم عليها بناء هذه السورة ، وهى آداب وأخلاق نفسية وعائلية واجتماعية .

(٣) سورة النور الآية ٤ .

يقوم بذلك، فحرمت الآية الثالثة من هذه السورة الكريمة أن يتزوج زانٍ بعفيفة أو عفيف بزانية ، للإشارة أن الزنا يتنافي مع الإيمان ، ووضح فى الآية الرابعة التى نحن بصددها حكم من قذف المؤمنة العفيفة بالزنا ، وحكم من لم يأت بأربعة شهداء علي إفترائه ، أنه يجلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة ، وأنه يعد من الفاسقين .

وقد ذكر صاحب تفسير المراغى فى الربط بين هذه الآية وما قبلها ما نصه : (بعدما نفر سبحانه من نكاح الزانيات وإنكاح الزانيين ، وبين أن ذلك عمل لا يليق بالمؤمنين الذين أُشربت قلوبهم حب الإيمان والتصديق برسله ، نهي هنا عن رمى المحصنات به ، وشدد فى عقوبته الدنيوية والأخروية ، فجعل عقوبته فى الدنيا الجلد وألا تقبل له شهادة أبداً ، فيكون ساقط الإعتبار فى نظر الناس ، ملغى القول لا تُسمع له كلمة ، وجعل فى عقوبته فى الأخرة العذاب الموجع ، إلا إذا تاب إلي الله وأناب وأصلح أعماله ، فإنه يزول عنه اسم الفسوق وتقبل شهادته) .[1]

قال الطبرى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة : (والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين ، فيرمونهن بالزنا، ثم لم يأتوا علي مارموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك ، فأجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الذين خالفوا أمر ربهم وخرجوا عن طاعته ، ففسقوا عنها) .[2] ثم ذكر أنها نزلت فى الذين رموا عائشة زوجة النبى بما رموها به من الإفك .

ويجب التنويه على أن ترك الألسنة تلقى بالتهم علي المحصنات وهن العفيفات الحرائر ثيبات وأبكاراً دون دليل قاطع ، يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء.

من أجل ذلك شدد القرآن فى عقوبة القذف ، صيانة للأعراض من التهجم ، وحماية لأصحابها من الألام الفظيعة التى تنتابهم ، عندما تلاك ألسنة الفساق فى

---

(١) تفسير المراغى ، محمد مصطفي المراغى ، ٦ / ٧١ – ٧٢ .

(٢) تفسير الطبرى ، ١٠ / ٧٦ .

أعراضهم .

والمقصود بهذا الحكم منع ما يشيعه قالة السوء فى المجتمع من أحاديث الناس والعلاقات المنكرة بين مختلف الأفراد والجماعات ، وتناقلهم أخبارهم ، فهذا يؤدى إلي كثير من المضار والمستقبحات ، أشدها أن تتولد فى المجتمع شيئاً فشيئاً بيئة للفجور والدعارة فى صورة مرئية وغير مرئية ، فلأجل هذا نري أن الشريعة ضربت علي أيدى هؤلاء العابثين بأعراض الناس عند أول خطوة . وسدت فى وجوههم الطريق الذى قد يوصل المجتمع إلي هذا الحد الموبق.(١)

هكذا نري أن الإسلام يربى الناس تربية شاملة ، وينظم شؤونهم وحياتهم وفق شريعة خاصة ، ويخلق مقومات اجتماعية وشعورية خاصة ، وذلك لينشأ مجتمعاً نظيفاً ، مجتمع كل فرد فيه مصون العرض ، تضيق فيه فرص الغواية وعوامل الإثارة والفتنة ، مجتمعاً تعيش فيه المسلمات مطمئنات لايحذرن شيئاً ، لأنهن لم يأتين شيئاً أصلاً ليحذرنه ، ونظم القرآن فى هذه الآية من سورة النور لهذا المجتمع آداباً اجتماعية ، تراعى في حديث المجالس والنوادى والطرقات والبيوت.

ونختم الحديث فى النهى عن قذف المحصنات بقوله تعالي : « **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**»(٢) ولقد عد الرسول هذه الخصلة الشنيعة من الموبقات السبعة فقال : [اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله وماهن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات].(٣)

قال الإمام الشافعى رحمه الله :

---

(١) انظر : تفسير سورة النور، لأبى الأعلي المودودى ص ٨٨ ، مؤسسة الرسالة، بيروت – دار الفكر.

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٨ .

(٣) سنن أبى داود ، ٣ / ١١٥ ، كتاب الوصايا ، باب ماجاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم ، حديث

عفوا تعـف نساؤكم فـي المحـرم *** وتجنبـوا مـا لا يليـق بمسلـم
يا هاتكـا حرم الرجـال وقاطعـا*** سبل المـودة عشـت غـير مكـرم
لو كنـت حراً من سـلالة ماجدا *** ما كنـت هتاكـاً لحرمـة مسلـم[1]

ثانياً : الأمر بغض [2] البصر

ومن حسن معاملة المسلم لغيره من أفراد المجتمع أن يحفظ بصره عن المحرمات ، فهذا أدب من آداب الإسلام فى المجتمع لصيانة الأعراض وحفظ الأنساب ، ولتقوية أواصر الأسرة من أن تلعب بها الأهواء . قال تعالي : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** » .[3]

قال ابن كثير فى تفسيره ما ملخصه : ولما كان النظر داعية إلي فساد القلب كما قال بعض السلف : (النظر سهم سم إلي القلب) ، ولذلك أمر الله تعالي بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التى هى بواعث إلي ذلك ، فقال تعالي : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » ، وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، وتارة يكون بمنعه من النظر إليه إلا من الزوجة أو ما ملكت اليمين كما جاء فى الأحاديث فى مسند أحمد والسنن .[4]

والإسلام يهدف إلي إقامة مجتمع نظيف ، لاتهاج فيه الشهوات فى كل لحظة ، وفى الآية المعروضة هنا نموذج من تقليل فرص الإستثارة والغواية والفتنة من

---

(١) ديوان الإمام الشافعى ، جمعة وعلق عليه محمد عفيف الزعبى ، ص ٧٦ – ٧٧ ، مكتبة المعرفة – سوريا ، الطبعة الثالثة ، ١٩٣٢ هـ – ١٩٧٤م .

(٢) **الغض** : هو النقصان من الطرف والصوت إستحياء ، وغضت السقاء ، قصت مافيه المفرادات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ٣٦ ، والمعجم الوسيط ٢ / ٦٤٥ .

(٣) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٢٨٢ .

الجانبين ، فتحث الرجال علي غض البصر لإغلاق النافذة الأولي من نوافذ الفتنة والغواية والإستعلاء علي الرغبة ، ويأتى حفظ الفرج كثمرة طبيعية لغض البصر ، وفى هذا تطهير للفرد والمجتمع وأصون لحرماته وأعراضه.(١)

وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسى ، ومحاولة للإستعلاء علي الرغبة فى الإطلاع علي المحاسن والمفاتن فى الوجوه والأجسام ، فذلك أزكي لهم وهو أطهر لمشاعرهم وأضمن ، لعدم تلوثها بالإنفعالات الشهوية فى غير موضعها المشروع النظيف ، وعدم ارتكابها إلي الدرك الحيوانى الهابط .(٢)

وللنساء كذلك من أحكام فى غض البصر وحفظ الفروج ما للرجال ، علي أن لهن بعض الأحكام ليست للرجال .

قال تعالي فى نفس السورة : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ...** » (٣)

جاء فى تفسير الطبرى أن الله سبحانه وتعالي يقول لنبيه محمد قل يامحمد للمؤمنات من أمتك أن يغضضن من أبصارهن عما يكره الله النظر إليه ، مما نهاكم عن النظر إليه ، ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ، ويقول تعالي ولا يظهرن للناس الذين لبسوا لهن بمحرم زينتهن ، وهما زينتان إحداهما : ما خفى وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد . والأخرى : ما ظهر منها وهذا مختلف فيه فمنهم من يقول زينة الثياب الظاهرة ، ومنهم من قال : أنها الكحل والخاتم والسواران والوجه ، ومنهم من يقول : الكحل والخدان ، ثم يرجح فيقول : وأولي الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال :

---

(١) انظر : فى ظلال القرآن ٦ / ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ، ٦ / ٩٤ .

(٣) سورة النور : الآية ٣١ .

عنى بذلك الوجه والكفان . يدخل فى ذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب ، وذلك لإجماع الجميع علي أن كل مصلي عليه أن يستر عورته فى صلاته ، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها ، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها[1] . والأدلة الفقهية علي هذه المسألة كثيرة موجودة فى مظانها فى كتب الفقه لا داعى لذكرها هنا.

فالإسلام يوجه زينة المرأة ويضبطها ، ويجعلها تتبلور فى اتجاه واحد هو الزوج شريك الحياة ، ومنعها من إظهار مفاتنها ، فلا تعرضها للعيون الجائعة ، فأمرها بضرب غطاء الرأس والنحر والصدر بالخمار ، وهكذا رفع الإسلام ذوق المجتمع المسلم ، وطهر إحساسه بالجمال ، فلم يعد الطابع الحيوانى للجمال هو المستحب ، بل الطابع الإنسانى المهذب.[2]

ولقد تلقي المجتمع هذه الأوامر بقلوب مشرقة بنور الله ، لم يتلكأ فى الطاعة ، ونري فى الآية الكريمة آية غض البصر تمثل فى مجموعها الآداب الدينية والاجتماعية فى رعاية حق الطريق والجلوس فيه ، وذلك بغض البصر عن محارم الله وكف الأذي عن الطريق .

ففى ختام هذا المطلب يتبين لنا أن النظرة رسول الشهوة فعلاً ، وهى باب الشرور ورائد الفجور وبريد الزنا ، فرب نظرة كانت بذرة لأخبث شجرة ، ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً ، ولله در القائل :

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... فى أعين الغير موقوف علي الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره ... لا مرحبا بسرور جاء بالضرر[3]

---

(١) انظر : تفسير الطبرى ١٠ / ١١٧ – ١١٩ ، وتفسير الكشاف ٣ / ٧٠ ، ٧١ ، وتفسير القاسمى ١٢ / ٤٥٠٥ .

(٢) انظر : مجتمع المدينة المنورة ، محمد لقمان الندوى ص ٣٤٩ .

(٣) بحثت عن القائل فلم أجده .

الخاتمـــــة

النتائج والتوصيات :

بعد هذه الدراسة حول المجتمع الإسلامى ، دعائمه وآدابه فى ضوء القرآن الكريم ، والذى أرجو الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى عرض الموضوع عرضاً جيداً ، وأن أكون قد سددت وقاربت فى الوفاء بالمطلوب ، الذى يفيد المكتبة الإسلامية من التفاسير الموضوعية ، ويفيد القارئ الكريم . أسجل ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات فى النقاط التالية :

- إن المجتمعات البشرية التى كانت سائدة قبل المجتمع الإسلامى من مجتمع رومانى وهندى وصينى ويهودى ومجتمع عربى جاهلى، كانت تعيش قبل مجيئ الإسلام علي شفا جرف هار ، مهددة بالشقاء والفناء فجاء الإسلام وأنقذه من كل ذلك.

- يتميز المجتمع الإسلامى عن سائر المجتمعات الأخري بنظمه وقوانينه وأسسه ، ودعائمه وآدابه ، إذ انبثق من شريعة جاءت من لدن حكيم خبير ، ويتميز بأنه مجتمع يقوم أساسه الأول علي الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأنه مجتمع عالمى لا فرق فيه بين شخص وآخر إلا بالتقوي ، مجتمع يتساوي فيه أفراده ، مجتمع متكافل تكافلاً معنوياً ومادياً ، مجتمعاً حراً لا يستعبده الآخرون ، مجتمعاً قائم علي العدل لا علي دياجير الظلم والظلمات .

- إن طبيعة العلاقة الرابطة بين أبناء المجتمع الإسلامى ، مع غيرهم من أهل الكتاب ، تبين أن معاملة أبناء المجتمع الإسلامى لغيرهم من أهل الذمة ، تقوم علي أسس وطيدة من العدل والتسامح والرحمة وليس كما يدعى الأفاكون بأنه مجتمع تهضم فيه حقوق من ليس بمسلم .

- المجتمع الإسلامى مجتمع تتأسس به المجتمعات الأخري ، ويجب علي المجتمعات المعاصرة إذا أرادت التخلص من الهوان والضعف والتمزق والتشرد الذى

تعانيه ، أن تسلك الطريق الذى رسمه القرآن الكريم لإقامة مجتمعه الطاهر الفاضل .

ﷺ إن العقيدة الإسلامية هى أولي اللبنات ، وهى أساس العلاقات بين أفراد هذا المجتمع ، وذلك لأنها الرباط الروحى الذى لا تنفصم عراه .

ﷺ إن المجتمع الإسلامى قائم بأفراده ، لأن العلاقة ضرورية بينهما ، فمصلحة الفرد من مصلحة الجماعة ، ومصلحة الجماعة من مصلحة الفرد .

ﷺ إن المجتمعات العائمة علي العدل باقية ، وما الظلم إلا سبباً لهلاك المجتمعات الغابرة واللاحقة ، لأن دولة الظلم ساعة ، ودول العدل إلي قيام الساعة .

ﷺ المجتمع الإسلامى يتأثر بكل دعامة يقوم عليها إذ يتأثر بالعقيدة السليمة وبالعدل والمساواة والحرية والتكافل ، فيسعد الفرد ، ويقوي المجتمع متماسكاً أركانه ، ولا يتصدع بما يمر عليه من مكائد وفتن وتكالب الأعداء .

ﷺ الإسلام دين الحرية والعدل والمساواة والتكافل ، فلا كبت للأفواه ، ولا إستذلال للغير ، إلا لله عز وجل ، ولكن حرية ليست علي إطلاقها ومفهومها السيئ ، الذى اتبعه الأقدمون والمعاصرون فى هذا الزمن ، وإنما حرية مقيدة بحيث لا تسئ للغير ولا ضرر ولا ضرار فيها .

ﷺ إن هذا المجتمع تطبق فيه الحدود الإسلامية علي الجميع ، دون تمييز بينهم ، لأن تطبيقها أمن وسلام وسعادة ورخاء فى المجتمع .

ﷺ إن الإبتعاد عن هذه الدعائم وغيرها ، وعن الآداب الإسلامية السمحة ، سبب فى ضعف المجتمع الإسلامى . فعلينا التمسك بهذه الدعائم والتحلى بآداب الإسلام ، سواء التعبدية أو السلوكية مع الآخرين ، حتي يصبح المجتمع متحاباًمتناصراً ، قائماً علي الخير والصلاح .

ﷺ إن المجتمع الإسلامى لا يغفل عن جانب المرأة ، لما لها من الدور الكبير ، فهى نصفه ، وهى مربية للأجيال ، والذى يقوم المجتمع علي سواعدهم ، فلقد ساوي وعدل بين الرجل والمرأة ، وأنصف حقوقها ، بما يتميز عن غيره من المجتمعات الأخري ، التى هضمت كل حقوق المرأة حتي إنسانيتها .

ﷺ أتوجه بدعوة خاصة إلي الشعوب الإسلامية أن تعود إلي كتاب الله الذى لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن تجتمع كلمتها عليه ، وأن تحمى عقيدتها وحياتها من الأخطار المحدقة بها ، ولا مخرج لها عما هى فيه من تفرق وضعف ، واضطراب وهوان علي الناس ، إلا بالقرآن الكريم شريعة ومنهاجاً .

ﷺ كما أتوجه للأفراد فى الأمة الإسلامية التحلى والتمسك بالآداب الفاضلة ، التى حث عليها القرآن والسنة المطهرة ، ويجب نزع كل تقليد أعمي من الغرب أو غيره يتنافي والآداب الإسلامية .

ﷺ أن يؤدب الآباء أبناءهم ، وأن يؤدب الرجل زوجته ، وأن يؤدب المعلم تلاميذه علي الآداب الإسلامية ، لأن كل راعى مسئول عن رعيته ، والأبناء فلذة أكبادنا أمانة فى أعناقنا ، فعلينا رعايتهم وإحاطتهم بالتعاليم الإسلامية السمحة .

إن تربية الجيل المسلم علي العقيدة والسلوك ، إيذان بتطبيق الشريعة الإسلامية ، فى كل مجالات المجتمع ، وأقترح أن تكون مادة الآداب الإسلامية تدرس علي الطلبة ، لأنها تدخل فى جميع مجالات الحياة التى نعتاشها .

ﷺ كما إن واجب العلماء والدعاة أن يعملوا عملاً من شأنه أن يوقظ الضمائر ، ويطهر النفوس ، وواجبهم كذلك أن ينشروا الوعى الدينى بين الأفراد والجماعات ، وبذلك نكون مجتمعاً فاضلاً علي أسس متينة ومثل عليا وضمائر حية ، ويا حبذا لو تضافرت الجهود بين رب الأسرة وبين المدرسين وبين العلماء والدعاة فى بعث الفضيلة ، ونشر الآداب الإسلامية بين أفراد الشعب .

ﷺ ينبغى علي أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة سواء كانت مرئية أو مسموعة أن تعنى بالأخلاق الكريمة ، ونشر الثقافة الأصيلة ، والوعى الدينى بين أفراد الأمة ، إذا ما أردنا مجتمعاً نظيفاً سليماً ، من الكذب والنفاق ، والغيبة والتجسس ، مجتمعاً طاهراً عفيفاً .

وأخيراً أوصى نفسى والآخرين بتقوي الله عز وجل ، وبالجهد الدؤوب علي إقامة المجتمع القرآنى ، الذى طبقه الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام ، حتي نلقي الله وهو راضى عنا ، لأن كل مقل فى جهده بإقامة الخلافة والدولة والمجتمع

الإسلامى فهو آثم ، وعاص لله عز وجل ، فهذه خلاصة وجيزة للنتائج والتوصيات ، من خلال دراستى لهذا البحث ، وما هذه الرسالة فى الحديث عن المجتمع الإسلامى إلا قبض من فيض ، وقطرة من بحر ، وقد بذلت فيها ما فى وسعى وقصاري جهدى ، وحسبى أن فوق كل ذى علم عليم ، وما أوتيت من العلم إلا قليلاً ، فلست أدعى الكمال لهذه الرسالة ، فالكمال له وحده عز وجل ، فإن وفقت فهذا فضل من الله عز وجل يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وإن كان فى الرسالة بعض من التقصير فهو لا جرم تقصير غير متعمد وغير مقصود .

فالله أسأل أن يعصمنى من الزلل وأسألك ربِّ ألا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم : كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

أولاً : كتب التفسير

١ - أحكام القرآن : لأبى بكر محمد بن عبدالله ، المعروف بابن العربى ، (٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ) . تحقيق محمد على البجاوى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٢ - أحكام القرآن : للإمام الفقيه عماد الدين محمد الطبرى ، المعروف بالكيا الهراسى ، (ت٥٠٤ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣ - أسباب النزول : للإمام أبى الحسين على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، تحقيق طارق الطنطاوى ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

٤ - أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين االجكنى الشنقيطى ، (ت ١٣٩٣هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٥ - أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير : وبهامشه نهر الخير علي أيسر التفاسير ، أبو بكر جابر الجزائرى، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦ - تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير : للإمام عبدالحميد ابن باديس ، جمع وترتيب محمد الصالح رمضان ، وتوفيق محمد شاهين ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٧١م .

٧ - تفسير أبى السعود : المسمي إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم ، لقاضى القضاة الإمام أبى السعود ، محمد بن محمد العمادى ، (ت ٩٥١هـ) دار إحياء التراث العربى ، بيروت.

٨ - تفسير البحر المحيط : لمحمد بن يوسف ، الشهير بابن حيان الأندلسى ، (٦٥٤هـ - ٧٥٤هـ) وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر المحيط ، لأبى حيان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٩ - تفسير البيضاوى : المسمي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لأبى الخير عبدالله الشيرازى البيضاوى ، (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : تأليف الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونيسية للنشر ، ١٩٨٤م .

١١ - تفسير الجلالين : للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلى (ت ٨٦٤ هـ) ، والإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) ، دار التراث ، القاهرة .

١٢ - تفسير سورة النور لأبى الأعلي المودودى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار الفكر .

١٣ - تفسير الطبرى : المسمي جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٤ - تفسير فتح القدير : الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن على ابن محمد الشوكانى ، (ت ١٢٥٠ هـ) ، مكتبة ومطبعة مصطفي البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م .

١٥ - تفسير الفخر الرازى : المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازى فخر الدين ابن االعلامة ضياء الدين عمر ، المشتهر بخطيب الرى ، (٥٤٤ هـ - ٦٠٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٦ - تفسير القاسمى : المسمي محاسن التأويل ، تأليف العلامة محمد جمال الدين القاسمى ، تصحيح وتخريج محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسي البابى الحلبى ، مصر.
١٧ - تفسير القرآن الحكيم : الشهير بتفسير المنار ، تأليف محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١٨ - تفسير القرآن العظيم : لأبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى ، (ت ٧٧٤ هـ) ، طبع دار إحياء الكتب العربية ، عيسي البابى الحلبى وشركاه ، مصر .
١٩ - تفسير القرآن الكريم : الأجزاء العشرة الأولي ، للإمام محمود شلتوت ، دار الشرق ، بروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م - ١٤٠١هـ .
٢٠ - التفسير القرآنى للقرآن : عبدالكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، القاهرة .
٢١ - تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢٢ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لأبى القاسم جارالله محمد بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ، (٤٦٧ هـ - ٥٣٨) ويليه الكافى الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف ، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى ، (٨٥٢ هـ) دار المعرفة ، بيروت .
٢٣ - تفسير الماوردى (النكت والعيون) لأبى الحسن على بن حبيب الماوردى المصرى ، (٣٦٤ هـ -٤٥٠ هـ) ، تحقيق خضر محمد خضر ، راجعه د . عبدالستار أبو غدة ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
٢٤ - تفسير المراغى : محمد مصطفي المراغى ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٢٥ - التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ، للأستاذ الدكتور وهبة

الزحيلى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – ودار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولي ، (١٤١١هـ – ١٩٩١م) .
٢٦ – تفسير النسفى : المسمي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبى البركات النسفى ، (ت٧٠١هـ) ، دار الفكر .
٢٧ – تفسير النووى : المسمي مراح لبيد ، للعلامة الشيخ محمد نووى الجاوى ، سيد علماء الحجاز ، وبهامشه كتاب الوجيز من تفسير االقرآن العزيز ، للإمام أبى الحسن علي بن أحمد الواحدى .
٢٨ – تفسير وبيان القرآن العظيم مع أسباب النزول ، لجلال الدين السيوطى ، إعداد محمد حسن الحمصى ، دار الرشيد ، دمشق .
٢٩ – التفسير الواضح . د . محمد محمود حجازى ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م .
٣٠ – تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه بالفرنسية جول لابوم ، نقل محمد فؤاد عبدالباقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت .
٣١ – تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، إسماعيل حقى البردسوى ، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، دار الصابونى ، مكة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م .
٣٢ – تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : تأليف العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، (١٣٠٧ هـ – ١٣٧٦ هـ) رحمه الله ، تقديم محمد زهدى النجار ، دار المدنى ، جدة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
٣٣ – الجامع لأحكام القرآن : (أحكام القرآن) لأبى بكر بن على الرازى ، المعروف بالجصاص، الكتاب العربى ، بيروت ، طبعة ١٣٣٥هـ . وطبعة ثانية المطبعة البهية ، القاهرة ١٣٤٧هـ.
٣٤ – الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للإمام جلال الدين السيوطى ، وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس رضى الله عنه ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٥ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : لأبى الفضل شهاب الدين الألوسى البغدادى ، (ت ١٢٧٠هـ) مكتبة دار التراث ، القاهرة . والمطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ .
٣٦ - زاد المسير فى علم التفسير : أبى الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولي .
٣٧ - صفوة التفاسير : محمد على الصابونى ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، طبع فى المانيا الغربية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٣٨ - فى ظلال القرآن : سيد قطب ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت الطبعة الخامسة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م .
٣٩ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٤٠ - كلمات القرآن تفسير وبيان : حسنين مخلوف ، دار الفكر .
٤١ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز : لأبى محمد عبدالحق بن عطية الغرناطى ، (٤٨١ هـ - ٥٤١ هـ) ، تحقيق وتعليق الأستاذ أحمد صادق الملاح ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.
٤٢ - مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار محمد على الصابونى ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨١م .
٤٣ - مختصر تفسير القرآن الكريم : للخازن (المسمي لباب التأويل فى معانى التنزيل) ، اختصار محمد على قطب ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٧م .
٤٤ - المرشد إلي آيات القرآن الكريم وكلماته ، جمع وتنسيق محمد فارس بركات ، دار قتيبة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٤٥ - مصحف عثمان وبهامشه مختصر تفسير الطبرى : للعلامة أبو يحيي بن

صمادح النجيبى الأندلسى ، مذيلاً بكتاب لباب النقول فى أسباب النزول ، للسيوطى ، تحقيق ومراجعة نخبة من علماء الأزهر ، تقديم الشيخ مصطفي الحديدى الطير ، ١٤٠٩هـ ، مكتبة الحرمين التجارى ، مكة ، مكتبة مصر القاهرة .

٤٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : وضعه محمد فؤاد عبدالباقى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٤٧ - المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ، وضعه محمد منير الدمشقى ، مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة .

٤٨ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم : أشرف علي اصداره د . محمد الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف ، لجنة القرآن والسنة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٤٩ - موجز منتخب لتفسير القرآن : يحيي أحمد الدرديرى ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .

ثانياً : كتب الحديث الشريف

٥٠ - إتحاف السادة المتقين ، بشرح إحياء علوم الدين ، محمد الحسين الزبيدى ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

٥١ - الأذكار ، المنتخب من كلام سيد الأبرار ، تأليف الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين ، أبى زكريا يحيي بن شرف النووى الدمشقى الشافعى ، (٦٣١ هـ - ٦٧٦ هـ) ، شرح وجيز مختصر من شرح العلامة ابن علان ، دار القلم ، بيروت .

٥٢ - الترغيب والترهيب ، تأليف الإمام الحافظ زكى الدين عبدالعظيم ابن عبدالقوى المنذرى ، ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفي محمد عمارة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٥٣ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، تأليف محمد بن علان الصديقى ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت .
٥٤ - سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى ، المتوفى (١١٨٢ هـ) ، تعليق وتصحيح وتخريج فواز أحمد زمرلى وإبراهيم محمد الجمل دار الريان للتراث ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .
٥٥ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأثرها السيئ فى الأمة ، تخريج محمد ناصر الألبانى ، المكتب الإسلامى ، دمشق ، الطبعة الأولي ١٣٩٩ هـ .
٥٦ - سنن ابن ماجة ، للحافظ أبى عبدالله محمد بن زيد القزوينى ابن ماجة ، (٢٠٧هـ - ٢٧٥هـ) .
٥٧ - سنن أبى داود ، للحافظ أبى داود سليمان ابن الأشعث السجستانى الأزدى ، (٢٠٢هـ - ٢٧٥ هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، وطبعة دار الحديث حمص ، سوريا ، الطبعة الأولي ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
٥٨ - سنن الترمذى فى الجامع الصحيح ، لأبى عيسي محمد بن سورة ، (٢٠٩ هـ - ٢٩٧ هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة دار الحديث ، القاهرة .
٥٩ - سنن الدارمى ، لأبى محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى ، (١٨١ هـ - ٢٥٥ هـ) ، دار إحياء السنة النبوية ، نسخة ثانية ، تحقيق عبدالله هاشم يمانى ، مطبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر ، ١٣٨٦ هـ .
٦٠ - السنن الكبري ، للإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، وبذيله الجوهر النقى للعلامة علاء الدين بن عثمان المارديني ، الشهير بابن التركمانى ، دار المعارف بالهند ، الطبعة الأولي ،

١٣٤٤هـ .
٦١ - سنن النسائى (المجتبي) ، للإمام أبى عبدالرحمن أحمد النسائى ، ومعه زهرالربا علي المجتبي ، للسيوطى ، ونسخة أخري دار البشائر ، بيروت ، الطبعة الأولي المفهرسة ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م

٦٢ - شرح صحيح مسلم ، للإمام يحيي الدين النووى ، راجعه الشيخ خليل الميسي ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ونسخة أخري صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، الأزهر ، الطبعة الأولي ١٣٤٧ هـ - ١٩١٩م .

٦٣ - صحيح البخارى ، لأبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ، (بشرح السندى) دار إحياء الكتب العربية ، عيسي البابى الحلبى وشركاه ، وطبعة أخري دار ابن كثير اليمانية ، دمشق ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٦٤ - الفائق فى غريب الحديث ، للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، ضبط وتصحيح علي محمد البجاوى ، ،محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسي البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولي ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م .

٦٥ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ) ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .

٦٦ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس ، للمحدث والمفسر ، الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى ، (ت ١١٦٢هـ) تصحيح وتعليق أحمد القلاش ، مكتبة التراث

الإسلامى ، حلب ، دار التراث ، القاهرة .
٦٧ - كنز العمال فى الأقوال والأفعال ، للعلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندى (ت ٩٧٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٦٨ - المستدرك علي الصحيحين ، للإمام الحافظ أبى عبدالله الحاكم النيسابورى ، وبذيله التلخيص ، للحافظ الذهبى ، دار الكتاب العربى ، بيروت .
٦٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندى ، وفد أوله فهرست رواة المسند من الصحابة ، وضعه محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ونسخة أخري دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
٧٠ - مسند الإمام الشافعى ، لأبى عبدالله بن إدريس الشافعى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م .
٧١ - المعجم الكبير ، للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ، (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه حمدى عبدالمجيد السلفى ، مكتبة ابن تيمية .
٧٢ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ترتيب ونشر أ.ى.ونسنك ، ى.پ..فنسنج ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٢م .
٧٣ - موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف ، إعداد خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد زغلول ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .
٧٤ - النهاية فى غريب الحديث والأثر ، للإمام أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير ، (٥٤٤ هـ - ٦٠٦ هـ) ، تحقيق أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٧٥ - نيـــل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، محمد بن على بن محمد الشوكانى (المتوفى سنة ١٢٥٥هـ) مكتبة التراث ، القاهرة .

ثالثاً : كتب التراجم

٧٦ - الإســـتيعاب فى معـــرفة الأصحـــاب ، لأبى عمر يوســـف بن عبدالرحمـــن محمد بن عبدالبر القرطبى ، (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار الجيل ، يبروت . الطبعة الأولي ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، وطبعة أخري مطبوعة مع الإصابة ، مطبعة مصطفي محمد ١٩٣٩م .

٧٧ - الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٨٦م .

٧٨ - بغية الوعـــاة فى طبقـــات اللغويين والنحـــاة ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ، (ت٩١١هـ) ، تحـــقيـــق محمد بن الفضـــل إبراهيـــم ، مطبعة عيسي البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

٧٩ - تاريـــخ النـــور الســـافر من أخبـــار القـــرن العاشـــــر ، لمحى الدين عبدالقـــادر بن عبدالله العيدروسى .

٨٠ - تذكرة الحفاظ ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ، (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، وطبعة أخري الهند ، ١٣٣٤هـ .

٨١ - تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٨٢ - تهذيب الأسماء والصفات ، للحافظ النووى ، المتوفي سنة ٦٧٦ هـ ، الطبعة المنيرية بمصر.

٨٣ - تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، (ت ٨٥٢ هـ) ، الطبعة الأولي ، الهند ١٣٢٠هـ .

٨٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبدالله

الأصفهانى ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .
٨٥ - خزانة الأدب و لباب لسان العرب ، عبدالقادر محمد البغدادى ، (١٠٣٠هـ - ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٨٦ - خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، لطفى الدين الخزرجى ، تحقيق محمود فايد ، مكتبة القاهرة .
٨٧ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الكامنة ، لابن حجر العسقلانى ، (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، مطبعة المدنى (القاهرة) ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
٨٨ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المكى ، تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، القاهرة .
٨٩ - سير أعلام النبلاء ، للإمام أبى عبدالله شمس الدين محمد الذهبى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
٩٠ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، للمؤرخ الفقيه أبى الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى ، (ت ١٠٨٩هـ) ، المكتب التجارى ، بيروت
٩١ - صفوة الصفوة ، لجمال الدين بن الجوزى ، تحقيق محمد فاخورى ومحمد رواسى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
٩٢ - طبقات الفقهاء ، أبو اسحاق الشيرازى المتوفي سنة ٤٧٦هـ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٩٣ - الطبقات الكبري ، لابن سعد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٧م .
٩٤ - طبقات المفسرين ، للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوودى (ت ٩٤٥هـ) ، مراجعة وضبط لجنة من العلماء بإشراف الناشر

، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٩٥ - طبقات المفسرين ، للحافظ جلال الدين السيوطى ، (٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ) ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، ونسخة ثانية دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٩٦ - معجم البلدان ، لأبى عبدالله ياقوت الحموى الرومى ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .
٩٧ - ميزان الإعتدال فى نقد الرجال ، لأبى عبدالله محمد بن عثمان الذهبى ، (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ومطبعة عيسي البابى الحلبى القاهرة ١٩٦٣م .
٩٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، للقاضى أحمد الشهير بابن خلكان ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة الآفاق الجديدة ، بيروت .

رابعاً : كتب الفقه الإسلامي وأصوله

٩٩ - أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى .
١٠٠ - الآيات المحكمات فى التوحيد ، العبادات والمعاملات ، جمع وشرح الشيخ محمد بن أحمد ، الملقب بالداه - الشنقيطى ، إمام جامع الختمية بالأبيض ، السودان ، صحح وعلق عليه أبو الفضل عبدالله محمد الصديق ، دار الفكر ، الطبعة السادسة .
١٠١ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، للإمام القاضى أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى ، الشهير ب (ابن رشد الحفيد) ت ٥٩٥ هـ ، قدم له الشيخ سيد سابق ، وراجعه عبدالحليم محمد عبدالحليم عبدالرحمن حسن محمود، دار الكتاب الحديث ،

القاهرة .
١٠٢ - الخراج ، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، (١٨٢هـ) دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨١م.
١٠٣ - غمز عيون البصائر ، حاشية الحموى ، أحمد بن محمد ، علي أشباه ابن نجيم ، دار الطباعة ، القاهرة ، استنبول ، ١٢٩٠هـ .
١٠٤ - الفروق ، للإمام العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجى ، المشهور بالقرافى ، وبهامشه الكتابين ، تهذيب الفروق ، والقواعد السنية فى الأسرار الفقهية ، عالم الكتب ، بيروت .
١٠٥ - الفقه علي المذاهب الأربعة ، للشيخ عبدالرحمن الجزيرى ، الطبعة الثانية
١٠٦ - قليوبى وعميرة ، للشيخ شهاب الدين القليوبى ، والشيخ عميرة ، علي شرح العلامة جلال الدين المحلى ، علي منهاج الطالبين ، للشيخ محى الدين النووى ، فى فقه مذهب الإمام الشافعى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسي البابى الحلبى .
١٠٧ - كتاب الأموال ، لأبى عبيد القاسم بن سلام ، (ت ٢٢٤ هـ) ، طبعة القاهرة ، ١٣٥٣هـ .
١٠٨ - المحلى لابن حزم ، أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة .
١٠٩ - المستصفي من علم الأصول ، لحجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ، ومعه كتاب فواتح الرحموت ، لعبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى ، دار الفكر ، الطبعة الأولي ، ١٣٢٤هـ ، طبعة الأميرية ، بولاق ، مصر .
١١٠ - المغني ، لابن قدامة المقدسى ، (ت ٦٢٠هـ) ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

١١١ - موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، للدكتور محمد رواسى قلعجى ، الطبعة الأولي ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
١١٢ - الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكلية ، د. محمد صدقى البورنو ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

خامساً : كتب اللغة

١١٣ - أساس البلاغة ، جار الله أبى القاسم الزمخشرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
١١٤ - تاج العروس من جواهر القاموس ، للإمام اللغوى السيد مرتضي الزبيدى ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازى .
١١٥ - التعريفات ، للجرجانى ، على بن محمد بن على ، (٧٤٠ هـ - ٨١٦هـ) ، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١١٦ - تهذيب غريب القرآن ، محمد الصادق قمحاوى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
١١٧ - تهذيب اللغة لأبى منصور ، محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق د . عبدالسلام سرحان ، مراجعة ممد على النجار ، دار الكتاب العربى والدار المصرية للتأليف .
١١٨ - جمهرة أمثال العرب ، لأبى الهلال العسكرى ، طبعة أحمد سلام ، خرج أحاديثه محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي .
١١٩ - ديوان الإمام على ، للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، تحقيق د . محمد عبدالمنعم خفاجى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
١٢٠ - ديوان الإمام الشافعى ، لأبى عبدالله محمد بن إدريس ، (١٥٠هـ - ٢٠٤هـ) ، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجى ، مكتبة الكليات

الأزهرية ، القاهرة .
١٢١ - ديوان طرفة بن العبد ، شرح وتقديم مهدى محمد نصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٢٢ - شرح ديوان حماسة أبى تمام ، للتبريزى ، عالم الكتب .
١٢٣ - الفروق اللغوية ، للإمام الأديب اللغوى أبى الهلال العسكرى ، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٢٤ - قاموس القرآن ، أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ، للفقيه والمفسر الحسين ابن محمد الداهفانى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٥م .
١٢٥ - القاموس القويم للقرآن الكريم ، إبراهيم عبدالفتاح ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
١٢٦ - القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، (٧٢٩هـ - ٨١٧ هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩م .
١٢٧ - كشاف إصطلاحات الفنون ، محمد على الفاروق التهاونى ، تحقيق د. لطفى عبدالبديع ، ترجمة د. عبدالمنعم محمد حسنين ، مراجعة الأستاذ أمين الخولى ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .
١٢٨ - كلمات القرآن تفسير وبيان ، للشيخ حسنين محمد مخلوف ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
١٢٩ - الكليات ، معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبى البقاء أيوب الكفوى ، (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣هـ) ، وضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصرى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩١٣م .
١٣٠ - لسان العرب ، للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

بن منظور الإفريقى المصرى ، (ت ٧١١هـ) ، الطبعة الأولي ، دار صادر ، بيروت .

١٣١ - مختار الصحاح ، للإمام محمد بن أبى بكر الرازى ، المتوفى فى القرن الثامن الهجرى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ونسخة أخري إخراج دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ١٩٩٢م .

١٣٢ - المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، للرافعى ، تأليف أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، (ت ٧٧٠هـ) ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م .

١٣٣ - معجم غريب القرآن ، مستخرجاً عن صحيح البخارى ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسي البابى الحلبى ، القاهر .

١٣٤ - معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للعلامة الراغب الأصفهانى ، تحقيق نديم مرعشلى ، دار الفكر العربى ، بيروت .

١٣٥ - المعجم الوسيط ، مجمع الغة العربية ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفي وآخرون ، مطبعة مصر .

١٣٦ - المنجد فى اللغة والأدب والعلوم ، الأب لويس معلوف اليسوعى ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة السابعة والعشرون ١٩٨٤م .

خامساً : كتب العقيدة

١٣٧ - الإيمان ، أركانه حقيقته نواقضه ، د. محمد نعيم ياسين ، الجامعة الأردنية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨هـ .

١٣٨ - تيسير العزيز الحميد ، شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبدالله محمد بن عبدالوهاب ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولي .

١٣٩ - شرح العقيدة الطحاوية ، للعلامة أبن أبى العز الحنفى ، تحقيق ومراجعة

جماعة من العلماء ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١هـ .

١٤٠ - العقيدة فى الله ، د. عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م .

١٤١ - كتاب الإسلام ، سعيد حوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٤٢ - مدخل لدراسة العقيدة ، د. محمد حافظ الشريدة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٤٣ - مقارنة الأديان ، أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م.

١٤٤ - الملل والنحل ، لأبى الفتح محمد عبدالكريم ابن أبى بكر أحمد الشهرستانى ، (٤٧٩هـ - ٥٤٨هـ) ، تحقيق عبدالعزيز الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، ونسخة أخري تحقيق محمد سيد الكيلانى، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ننسخة ثالثة ، دار صعب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

سابعاً : كتب التاريخ السيرة

١٤٥ - البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٤٦ - تاريخ الطبرى ، (تاريخ الأمم والملوك) ، لأبى جعفر بن جرير الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، نسخة أخري دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

١٤٧ - الروض الآنف ، فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبى القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى السهيلى ، (٥٠٨هـ - ٥٨١هـ) ، ومعه السيرة النبوية للإمام أبى عبدالملك بن هشام المعافرى ، (ت ٢١٣هـ) ، قدم له وعلق عليه

طه عبدالرؤوف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٤٨ - سيرة عمر بن الخطاب ، لأبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى ، عني بضبطه وحل مشكله طاهر النعسان الحموى ، وأحمد قدرى كيلانى ، المطبعة المصرية بالأزهر .

١٤٩ - السيرة النبوية ، لابن كثير ، تحقيق مصطفي عبدالواحد ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

١٥٠ - قصص الأنبياء ، لابن كثير ، دار الفكر العربى ، بيروت الطبعة الأولي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ثامناً : كتب التصوف والثقافة الإسلامية

١٥١ - الأثر الاجتماعى لفريضة الصلاة ، البلولة على قلبوس ، دار الإعتصام ، القاهرة .

١٥٢ - إحياء علوم الدين ، أبى حامد الغزالى ، مكتبة عبدالوكيل الدروبى ، دمشق .

١٥٣ - الأخلاق فى القرآن الكريم ، أحمد عبداللطيف بدر ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة .

١٥٤ - الأخوة الإسلامية ، عبدالله ناصح علوان ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولي ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٥٥ - الأخوة الإسلامية وأثارها ، عبدالله بن جار النبى بن إبراهيم جار الله ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة .

١٥٦ - آداب الصحبة ، للإمام أبى عبدالرحمن السلمى ، (٣٣٠ هـ - ٤١٢هـ) ، تحقيق وتعليق مجدى فتحى السيد ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، الطبعة الأولي ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٥٧ - آداب المجتمع فى الإسلام ، محمد جمال رفعت ، دار إحياء التراث

الإسلامى ، قطر .
١٥٨ - آداب المعاملة فى الإسلام ، عبده غالب عيسي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٣م .
١٥٩ - أدب الحوار والمناظرة د. على جريشة ، دار الوفاء ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
١٦٠ - أدب الدنيا والدين ، لأبى الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ، (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق وتعليق مصطفي السقا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة .
١٦١ - الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الحادية عشر ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١٦٢ - الإسلام فى حياة المسلم ، د. محمد البهى ، طبعة دار الفكر ، بيروت .
١٦٣ - الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ، د. محمد البهى ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الأولي ١٩٨٣م .
١٦٤ - الإسلام وبناء المجتمع ، د . أحمد العسال ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
١٦٥ - الإسلام والتأمين الاجتماعى ، د . محمد شوقى الفنجرى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
١٦٦ - الإسلام وحقوق الإنسان ، دراسة مقارنة ، القطب محمد القطب طبلية ، دار الفكر العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
١٦٧ - الإسلام وحقوق الإنسان ، (ضرورات لا حقوق) ، د. محمد عمارة . سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٦٨ - الإسلام والضمان الاجتماعى ، د. محمد شوقى الفنجرى ، دار ثقيف ، السعودية ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ،

وطبعة ثانية الهيئة المصرية العامة للكتب ، الطبعة الثالثة ١٩٩٠م .

١٦٩ - اشتراكية الإسلام ، د. مصطفي السباعى ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثامنة .

١٧٠ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفي صادق الرافعى ، دار الكتاب العربى ، بيروت، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٧١ - أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام ، محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع .

١٧٢ - أهداف كل سورة ومقاصدها ، د. عبدالله شحاتة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولي ١٩٧٦م .

١٧٣ - بداية الهداية ، لأبى حامد الغزالى ، حقق له وعلق عليه الشيخ محمد الحجار ، دار الصابونى للنشر ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، نسخة أخري دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشن ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

١٧٤ - التبيان فى آداب حملة القرآن ، لأبى زكريا يحيي بن شرف الدين النووى الشافعى ، (٦٣١هـ - ٦٧٦ هـ) ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٧٥ - تربية الأولاد فى الإسلام ، عبدالله ناصح علوان ، دار السلام للنشر ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٧٦ - تسهيل النظر وتعديل الظفر فى أخلاق الملَك وسياسة الملْك ، لأبى الحسن على بن محمد الماوردى ، تحقيق محى هلال سرحان ، دار النهضة المصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٧٧ - التشريع الجنائى الإسلامى ، عبدالقادر عودة ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

١٧٨ - التكافل الاجتماعى فى الإسلام ، عبدالله ناصح علوان ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
١٧٩ - تنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة .
١٨٠ - الجماعات والمجتمعات الجديدة ، د. غريب محمد سيد أحمد د. مريم أحمد مصطفي ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م .
١٨١ - الجانب الأخلاقى فى العبادات كما تصوره السنة النبوية، د. محروس حسين عبدالجواد.
١٨٢ - حرية الإعتقاد فى الشريعة الإسلامية ، عبدالله ناصح علوان ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثلاثة ، ١٩٨٨م .
١٨٣ - حرية الفكر فى الإسلام ، عبدالمتعال الصعيدى ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١٨٤ - الحرية فى الإسلام ، محمد الخضر حسين ، دار الإعتصام ، القاهرة .
١٨٥ - حقوق الإنسان فى الإسلام ، علي عبدالواحد وافى ، مكتبة نهضة مصر القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م .
١٨٦ - الحقوق والواجبات فى الإسلام ، محمد رأفت عثمان ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
١٨٧ - الحكومة الإسلامية ، محمد حسين هيكل ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
١٨٨ - الخلق الكامل ، محمد جاد المولي بك ، المطبعة العثمانية المصرية ، الطبعة الأولي ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .
١٨٩ - دراسات فى الثقافة الإسلامية ، صالح ذياب هندى ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١٩٠ - الدستور القرآنى فى شئون الحياة ، محمد عزة دروزة ، عيسي البابى الحلبى ، القاهرة.

١٩١ - دور حرية الرأى فى الوحدة الفكرية بين المسلمين ، د. عبدالحميد النجار ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، الولايات المتحدة ، الطبعة الأولي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٩٢ - الدين والإسلام ، محمد حسن آل كاشف الغطاء الشيعى النجفى ، (ت ٣٣٠ هـ) ، طبعة دار العرفان ، صيدا ، لبنان .

١٩٣ - الدين والدولة من توجيه القرآن ، محمد البهى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٠م .

١٩٤ - الدين والمجتمع ، إبراهيم إبراهيم هلال ، دار النهضة ، مصر . الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

١٩٥ - الذريعة إلي مكارم الشريعة ، لأبى القاسم الأصفهانى ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

١٩٦ - رسالة الإحسان فى المجتمع ، د. الطاهر محمد على البشير ، مطابع دار الصحافة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م .

١٩٧ - رسالة المستر شدين ، للحارث المحاسبى ، أبى عبدالله بن أسد المحاسبى البصرى (ت٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٩٨ - الزواجر فى أقتراب الكبائر ، لابن حجر الهيثمى ، (٩٠٩ هـ - ٩٩٤ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر .

١٩٩ - سبعة كتب مفيدة ، للسيد علوى بن أحمد السقاف ، مطبعة مصطفي البابى الحلبى وأولاده ، مصر ، الطبعة الأخيرة .

٢٠٠ - السلطة والحرية فى النظام الإسلامى ، (دراسة مقارنة) د. صبحى عبده سعيد ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

٢٠١ - ضمانات الحرية فى النظام الإسلامى وتطبيقها ، د. منيب محمد ربيع ، سلسلة البحوث الإسلامية ، الأزهر ، السنة الرابعة عشر ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

٢٠٢ - الظلم كما يوضح القرآن الكريم والسنة المطهر ، محمد نجيب /أحمد أبو عجوة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ١٩٩٠م .
٢٠٣ - العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ، د. عبدالله عزام ، مطبعة مسودى ، القدس .
٢٠٤ - العلاقات الدولية فى الإسلام ، للإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، بيروت .
٢٠٥ - الفرد والمجتمع فى الإسلام ، د. السيد عبدالحليم مرسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٢٠٦ - فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف ، د. عبدالجواد سيد بكر ، رسالة ماجستير منشورة ، إشراف ، د. إبراهيم مطاوع ، د. عبدالغنى عبود ، كلية التربية جامعة طنطا ، ١٩٨٥م ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٣م .
٢٠٧ - فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم ، د. على خليل أبو العينين ، رسالة ماجستير منشورة ، إشراف د. إبراهيم عصمت مطاوع . وعبدالغنى عبود ، كلية التربية ، طنطا ، ١٩٧٨م ، مكتبة إبراهيم حلبى ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ .
٢٠٨ - القرآن العظيم هدايته وإعجازه فى أقوال المفسرين ، محمد الصادق عرجون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، دار الإتحاد العربى للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
٢٠٩ - القرآن والمجتمع الحديث ، عبدالرازق نوفل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولي .
٢١٠ - قواعد البناء فى المجتمع الإسلامى ، محمد السيد الوكيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢١١ - كيف السبيل إلي الله (الإسلام دين ودولة) خير الله طلفاح ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٧٠م .
٢١٢ - ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، أبى الحسن الندوى ، دار الكتاب العربى ، بيروت، الطبعة السادسة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
٢١٣ - مبادئ علم الاجتماع ، د. نادية عمر الجولانى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م .
٢١٤ - المجتمع الإسلامى ، د. محمد أمين المصرى ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٧م .
٢١٥ - المجتمع الإسلامى ، أهدافه ودعائمه وخصائصه فى ضوء الكتاب والسنة ، د. مصطفي عبدالواحد ، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة المتنبئ ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
٢١٦ - المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام ، محمد أبو زهرة .
٢١٧ - المجتمع العربى وتطوراته الاجتماعية والسياسية ، أحمد سويلم العمرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
٢١٨ - المجتمع المتكافل فى الإسلام ، د. عبدالعزيز الخياط . الكتاب فى الأصل رسالة دكتوراه منشورة نال صاحبها الدرجة من جامعة الأزهر ، ١٩٧٢م، دار السلام للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٢١٩ - مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ، محمد لقمان الندوى ، الكتاب فى الأصل رسالة دكتوراة منشورة نال صاحبها الدرجة من جامعة القاهرة ، كلية الآداب قسم اللغة العربية ، سنة ١٩٨٧م . نشر دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٢٠ - مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه ، د.عبدالله سليمان المشوخى ، مكتبة المنار ، الأردن ، رسالة دكتوراة منشورة نال صاحبها الدرجة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،

إشراف د. محمد عبدالقادر أبو فارس ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ .

٢٢١ - مجلة منبر الإسلام ، الأزهر ، القاهرة ، العدد ٣ السنة ٤١ ربيع الأول ١٤٠٣هـ ، العدل وأثره فى المجتمع ، أحمد عبدالرحيم السايح .

٢٢٢ - مختصر منهاج القاصرين ، للإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسى ، قدم له محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، الناشر مكتبة دار البيان ، دمشق ١٣٩٨هـ .

٢٢٣ - مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد فى الرذائل ، لابن حزم الأندلسى ، (٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ) ، تحقيق أبو حذيفة إبراهيم بن محمد ، مكتبة الصحابة طنطا ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٢٤ - مدخل إلي ظلال القرآن ، د. صلاح عبدالفتاح الخالدى ، الكتاب فى الأصل رسالة جامعية منشورة ، نال صاحبها درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود ، قسم التفسير ، دار المنار ، جدة ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٢٢٥ - المدخل إلي التفسير الموضوعى ، د. عبدالستار فتح الله سعيد ، دار التوزيع للنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢٢٦ - مذاهب فكرية معاصرة ، لمحمد قطب ، دار الشرق ، بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٢٧ - المساواة فى الإسلام ، على عبدالواحد وافى ، نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥م .

٢٢٨ - المعارضة فى الإسلام بين النظرية والتطبيق ، د. جابر قميحة ، دار الجلاء القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٨م .

٢٢٩ - مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .

٢٣٠ - مكانة المرأة فى المجتمع المسلم ، د. عمارة نجيب ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، الطبعة الأولي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٣١ - من أسس التربية الإسلامية ، د. عمر محمد التومى الشيبانى ، الأستاذ بجامعة الفاتح ، طرابلس ، منشورات الجامعة المفتوحة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م .

٢٣٢ - منهاج الإنقلاب الإسلامى ، أبو الأعلي المودودى ، دار الفكر العربى ، بيروت .

٢٣٣ - منهاج العابدين ، لأبى حامد الغزالى ، مطبعة البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٣٧هـ.

٢٣٤ - منهاج المسلم ، أبو بكر الجزائرى ، دار الطباعة الحديثة ، دار البيضاء المغرب ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٢٣٥ - منهاج اليقين ، شرح كتاب أدب الدنيا والدين ، للماوردى ، وشرح لإدريس الأرزنجانى الشهير بخان زادة ، دار الكتب العملية ، بيروت . ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٢٣٦ - المنهج الإسلامى فى بناء المجتمع الإنسانى ، السيد عبدالمقصود عسكر ، دار البشير ، القاهرة ، الطبعة الأولي ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٢٣٧ - منهج القرآن فى تربية المجتمع ، عبدالفتاح عاشور ، رسالة دكتوراة منشورة نال صحبها الدرجة من جامعة الأزهر ، عام ١٩٧٢م ، نشر مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الأولي ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢٣٨ - نحو مجتمع إسلامى ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٢٣٩ - نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر ، د. على سالم النباهين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، رسالة ماجستير منشورة نال صاحبها الدرجة من كلية التربية ، جامعة طنطا ، ١٩٨٠م ،

الطبعة الأولي ١٩٨١م .
٢٤٠ - نظام الرق فى الإسلام ، عبدالله ناصح علوان ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .
٢٤١ - النظام السياسى فى الإسلام ، محمد عبدالقادر أبو فارس ، الإتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، الكويت ، الطبعة الأولي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٤٢ - النظم الإسلامية ، أنور الرفاعى ، دار الفكر .

*** ملحوظة :**

تعددت طبعات بعض المراجع وفقاً لظروف أسفارى المتعددة .

فهرس الموضوعات

الموضوع

* الإهداء ٥
* المقدمة ٧
* التمهيد ١٣
أ ـ معنى المجتمع لغة واصطلاحاً
ب ـ معنى الدعائم لغة واصطلاحاً
ج ـ مفهوم الأدب لغة واصطلاحاً
د ـ نماذج من المجتمعات السائدة قبل الإسلام ٢٠
١ ـ المجتمع اليهودى
٢ ـ المجتمع الرومانى
٣ ـ المجتمع الفارسى
٤ ـ المجتمع الهندى
٥ ـ المجتمع الصيني
٦ ـ المجتمع العربى الجاهلى
هـ ـ المجتمع الإسلامى.. مميزاته.. وأهدافه
و ـ خصائص المجتمع الإسلامى

الباب الأول

دعائم المجتمع الإسلامى ٣٧

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

* معنى الإيمان لغة واصطلاحاً
* الإيمان بوحدانية الله عز وجل
* أركان الإيمان وأثرها على الفرد والمجتمع

* العقيدة الصحيحة أساس المجتمع
* أهمية العقيدة وأثرها على الفرد والمجتمع
* العقيدة الفاسدة وأثرها على المجتمع

الموضوع

الفصل الثانى

العدل ٦٩

مفهول العدل

أ ـ العدل لغة واصطلاحاً

ب ـ أوجه العدل فى القرآن الكريم

ج ـ مرادفات كلمة العدل

مكانة العدل ومظاهره فى القرآن الكريم ٧٧

أنواع العدل ومظاهره

١ ـ العدل مع الله

٢ ـ العدل مع النفس

٣ ـ العدل مع الغير

أ ـ عدل الإنسان فيمن دونه

ب ـ عدل الإنسان فيمن هو أعلى منه

ج ـ عدل الإنسان مع أكفائه

أهمية العدل ودوره فى بناء المجتمع الإسلامى ٩٣

أثر الظلم وهلاكه للمجتمعات

أ ـ أثره على الأفراد

ب ـ أثره على الأمم والمجتمعات

الفصل الثالث

المساواة ١٠٥

المساواة لغة واصطلاحاً

المساواة لغة

المساواة اصطلاحاً

المجتمعات السابقة والمساواة

الإسلام والعنصرية

مبدأ المساواة فى ميزان الإسلام
الأدلة من القرآن والسنة على المساواة
الموضوع
الأساليب التى قررها القرآن للمساواة
الإسلام ونظرته إلى الناس
وحدة الجنس البشرى
المساواة والتفاوت
مواطن التفاوت
تفاوت الأنبياء فى درجاتهم
تفاوت الناس فى الرزق
التفاوت فى العلم
المساواة فى الحقوق والواجبات
تسوية الإسلام بين الناس فى الحقوق المدنية وشئون المسؤلية والجزاء
١ ـ المساواة فى الواجبات
٢ ـ المساواة فى الحقوق
أ ـ المساواة فى حق العمل
ب ـ تسوية الإسلام بين الناس فى حق التعليم
تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة فى جميع هذه الحقوق
تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة فى التعليم
مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة فى العمل
مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحياة الزوجية
مساواة الإسلام بين المسلمين وغير المسلمين
العبادات ودورها فى ترسيخ مبدأ المساواة
أمثلة تطبيقية لمبدأ المساواة
أثر المساواة على الفرد والمجتمع.

الفصل الرابع

الحرية ١٦٧
توطئة
الحرية لغة واصطلاحاً
مفهوم الحرية فى الفكر الإسلامى

الموضوع
لفظ الحرية فى القرآن ١٨١
قيود الحرية فى الإسلام
الإسلام وتحرير الإنسان والمجتمع
الوسائل الإسلامية فى تدعيم الحريات
مظاهر الحرية وألوانها فى الإسلام ٢٠٧
أولاً: الحرية الشخصية (حرية الذات)
أ ـ حرية المسكن والمأوى
ب ـ حرية الإنتقال
ج ـ حرية إختيار العمل
د ـ حرية التعليم
ثانياً: حرية الاعتقاد (حرية التدين)
شبهة والرد عليها
ثالثاً: الحرية فى الفكر
رابعاً: حرية الرأى
خامساً: الحرية السياسية
سادساً: الحرية الاقتصادية
الرق ظروفه وروافده
شبهة والرد عليها
أثر الحرية على الفرد والمجتمع

الفصل الخامس

التكافل الاجتماعى ٢٤٧
التكافل لغة واصطلاحاً
توطئة
التكافل الاجتماعى اصطلاحاً
الفرق بين التأمين والضمان والتكافل الاجتماعى
المفهوم العام لمعنى التكافل الاجتماعى
الدليل الشرعى والعقلى على مبدأ التكافل

الموضوع
مصدر التكافل وآفاقه ٢٦٩
صور التكافل الاجتماعى وأنواعه

أقسام التكافل
أ ـ التكافل المعنوى
ب ـ التكافل المادى
صور التكافل الاجتماعى
أ ـ تكافل بين الفرد وذاته
ب ـ تكافل بين الفرد وأسرته
ج ـ تكافل بين الفرد والجماعة
السبل والوسائل لتحقيق التكافل الاجتماعى ٢٨٥
أ ـ ما كان على سبيل الالزام والوجوب
١ ـ النفقات
تعريف النفقات
أوجه النفقات
٢ ـ الزكاة ٢٩٠
أ ـ معنى الزكاة لغة واصطلاحاً
ب ـ مصارف الزكاة
٣ ـ الصدقات والكفارات
أ ـ الصدقات
ب ـ الكفارات
أنواع الكفارات ٣١٠
ب ـ ما كان على سبيل التطوع والإستحباب
١ ـ الوقف
٢ ـ الوصية
٣ ـ الضيافة
٤ ـ العارية
٥ ـ الإيثار
٦ ـ الهدية والهبة

الموضوع

المستحقون للرعاية فى المجتمع الإسلامى ٣١٧
١ ـ الأطفال

٢ ـ اليتيم
٣ ـ اللقيط
٤ ـ أصحاب العاهات
٥ ـ الشواذ والمنحرفون
٦ ـ المطلقات والأرامل
٧ ـ المنكوبون والمكربون

الفصل الأول

الأدب فى المعتقدات ٣٣٣
مكانة الأدب فى الإسلام
الأدب مع الله سبحانه وتعالى
مظاهر الأدب مع الله
شكر المنعم وعدم جحود فضله
تعظيمه وتوقيره
أن يتوكل عليه
عدم معصيته
حسن الظن
عدم التعجيل لقضاء الله
أدب العبد مع كتاب الله
الأدب مع رسول الله ٣٦٣
عدم التقديم بين يدي الرسول
عدم رفع الصوت أمام الرسول
عدم مناداة الرسول من وراء الحجرات (أدب الزيارة والوفادة)
الإستئذان فى حضرته
عدم إضاعة وقت الرسول

الموضوع

الفصل الثانى

الأدب فى العبادات ٣٧٥

حقيقة العبادة فى الإسلام
معنى العبادة لغة واصطلاحاً
المقصود بالعبادات
الصلاة وأهميتها فى بناء المجتمع
آداب الصلاة ٣٨٣
أولاً: آداب قضاء الحاجة
ثانياً: آداب الوضوء
ثالثاً: آداب الغسل
رابعاً: آداب الخروج إلى المسجد
خامساً: آداب الإمامة
سادساً: آداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة
آداب الزكاة ٣٩٣
آداب الصيام ٤٠٧
الصوم والإصلاح الاجتماعي
آداب الحج ٤١٣

الفصل الثالث

الآداب الاجتماعية ٤٢١
الآداب فى العادات
الآداب الشخصية
١ ـ النظافة
٢ ـ آداب سلوكية
٣ ـ آداب النوم واليقظة
٤ ـ آداب الأكل والشرب
٥ ـ آداب اللباس
٦ ـ آداب المشى والسير فى الطرقات
٧ ـ آداب المجالس والحديث فيها

الموضوع

الأدب داخل الأسرة ٤٥٧
أولاً: آداب خاصة بالرجل نحو زوجته
ثانياً: آداب معاملة الوالدين

أ ـ آداب الأبناء مع الآباء
ب ـ آداب الآباء مع الأبناء
ثالثاً: آداب المعاملة بين الأخوة ٤٧٧
الآداب مع الغير (آداب الصلة)
١ ـ الرحم (الأقارب)
٢ ـ الجار
٣ ـ معاملة الصغير للكبير ومعاملة الكبير للصغير
٤ ـ معاملة اليتيم
٥ ـ آداب معاملة العالم والمتعلم
أ ـ آداب العالم
ب ـ آداب المتعلم
أ ـ آداب المتعلم مع العلم
ب ـ آداب المتعلم مع المعلم
التثبت من الأخبار
النهي عن الاستهزاء والتجسس والغيبة والنميمة
أولاً: آداب تتعلق بالنهي عن الاستهزاء والاحتقار بالمسلم
ثانياً: آداب تتعلق بالنهي عن التجسس والغيبة والنميمة
آداب السلام والاستئذان
أولاً: آداب السلام والتحية والمصافحة
ثانياً: آداب الاستئذان
التحذير من دخول البيوت دون المستئذن
الحالات التي يجوز الدخول فيها دون استئذان
الاستئذان للأطفال والرقيق داخل البيت
أهم آداب دخول البيت
آداب حفظ الأعراض

الموضوع

أولاً: النهي عن رمي المحصنات
ثانياً: الأمر بغض البصر
٦ ـ فهرس المصادر والمراجع ..... ٥٥٧ ـ ٥٨٣
٧ ـ فهرس الموضوعات ..... ٥٨٥ ـ ٥٩٢